

السَّيْحُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَسْرِ السِّنْغَالِي

حِكَايَةُ وَآرَاؤُهُ وَتَعَالِيمُهُ

تأليف
محمَّد الطَّاهِر مِفْطَرِي

جَامِعَةُ دَايْتروود بَكَنُو - فَيْجِيوَا
١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ

مَكْتَبَةُ الْعَرَبِيَّةِ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ
بِمَكَّةَ الْمُكَتَبَاتِ

الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَسْرِ السَّنْغَالِي

حَيَاتُهُ وَآرَاؤُهُ وَتَعَالِيمُهُ

كاشفُ الإلْبَاسِ وَتَحْقِيقُ السِّرِّ الْأَكْبَرِ
دِرَاسَةٌ وَتَعْلِيلُ

تأليف
محمّد الطّاهر مِغْفَرِي

رِسَالَةٌ قَدِّمَتْ لِنَيْلِ شَهَادَةِ الْمَاجِسْتِير
فِي سِمْ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

جَامِعَةُ بَايْرُوو بَكْنُو - نِيْجِيرِيَا
١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ

دارُ الْعَرَبِيَّةِ
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ
مَكْتَبَةُ - لِهْنَان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله وبعد :

فقد كان عمري اثني عشرة سنة عندما سمعت لأول مرة بالطريقة التجانية وكان ذلك عام ١٩٤٠ عندما انتسبت إلى معهد العلوم الشرعية بدمشق والذي أسسته الجمعية الغراء بدمشق لمؤسسها الشيخ علي الدقر رحمه الله ويديره الشيخ أحمد الدقر عليه رحمه الله وكانت الدراسة في تكية السلطان سليمان بتوزع الطلاب بعدها للمبيت في البناء الحق بجامعة تنكز بشارع النصر والبناء الملحق بجامعة العباس في حي القنوات ومدرسة الشيبانية الملاصقة للجامع الأموي أما أنا فكانت أبيت في جامع تنكز ، وكان على الطلاب جميعاً واجب حضور الوظيفة التجانية بعد صلاة فجر كل يوم - والوظيفة هي قراءة الورد التجاني وكان يقود هذه الوظيفة ويرتلها أمامنا بصوت عال وننبه بعض الصوت ونفس الأداء ناظر الطلاب الشيخ محمد الحريري رحمه الله حيث يجلس في غرفته لأداء هذه الوظيفة عدداً من المرات بعدها بواسطة سحبه ثم تختم الوظيفة بدعاء مؤثر من قبل الناظر ونؤمن عليه وكنا مضطرين لحضور الوظيفة خشية العقوبة التي نتعرض لها إذا لم نحضر بدون عذر ، والعقوبة كانت الحرمان من طعام الغداء - حيث

كان الطلاب يتناولون طعامهم في المدرسة وعلى حساب الجمعية المشرفة فيرفع الناظر لائحة بأسماء الطلاب المتخلفين عن حضور الوظيفة بدون عذر مشروع إلى مدير المطعم فيمنعون من دخوله وهي عقوبة قاسية وشديدة بالنسبة إلينا ، ثم استبدل الطعام بتعويض شهري فكانت العقوبة حسم مبلغ من هذا التعويض يتفق وعدد المرات التي تغيب عنها الطالب وكانت هناك تسعيرة محددة لهذه المخالفة وغيرها من المخالفات

وبعد مدة بدأنا نسمع عن نقد شديد لهذه الطريقة من قبل تيار كثير من العلماء بدمشق واتسع نطاق هذا النقد بحيث انقسم علماء دمشق ومشايخها وجمعياتها الدينية إلى فريقين ، فريق يحمل لواء هذه الطريقة ويتمثل بالجمعية الغراء ومن يدور في فلكها وكانت تشكل قوة كبرى ولها تأثير كبير في سوريا والأردن ولبنان بسبب الأعداد الكثيرة من الطلاب الذين تخرجوا من المعهد وانتشروا مبشرين ودعاة في هذه البلاد وكان لسان الجمعية وخطيبها والمدافع المنافع عنها الشيخ أحمد الصابوني رحمه الله وكان خطيباً جماهيرياً مؤثراً وكان يقف في الطرف المناهض لجمعية العلماء بدمشق ممثلة بالشيخ كامل القصاب والشيخ هاشم الخطيب والكلية الشرعية وكنا نسمع ونحس بهذه المعركة ونسمع رأي الطرفين وكانت عواطفنا ومشاعرنا مع مشايخنا وأساتذتنا وكنا نقدر رأي الفريق الناقد وخاصة بالنسبة لتفسير كلمة « الأسقم » الواردة في الورد - صراطك التام الأسقم - فقد كان المؤيدون يفسرونها على أنها الأقوم بينما الفريق الناقد يفسرها الأمراض وذلك حسب مقتضى اللغة العربية فمعنى سقيم هو مريض ولذلك فإن حضورنا كان خشية العقوبة لا قناعة بهذه الوظيفة ولذلك فبمجرد انتهاء دراستي لم أذكر أنني رددتها أو قرأتها مرة واحدة .

ومضت الأيام من عام ١٩٤٩ عام انتهاء دراستي في معهد العلوم الشرعية حتى عام ٧١ حيث التقيت الشيخ ابراهيم انياس في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وكان عصباً في المجلس التأسيسي للرابطة وكان رجلاً مهيباً ورأيت البعض يغمز من قناته فاستجليت الأمر فعرفت أنه شيخ الطريقة التجانية في أفريقيا ومعروف أن العلماء السعوديين يستكرون الطرق الصوفية ويحاربونها لأسباب عقائدية إسلامية وجبهة ثم عرفته عندما جاء بيروت واتصل بي هاتفياً من فندق كونتنتال واعلمي أنه يحمل

لي رسالة من الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا السابق ورئيس حزب نشومي الإسلامي في أندونيسيا وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي فأسرت إليه في الفندق وأخذت الرسالة التي كانت تطلب مني مساعدة الشيخ ابراهيم انياس ولما استطلعت نوع المساعدة التي يرغبها أعلمني أنه يريد جمع تبرعات مالية وغذائية وكسائية للفقراء في السنكال فقلت له إنني أستطيع أن أدلك على الطريق أما أن أباشر أنا هذا العمل فهذا أمر متعذر بالنسبة لي لأنني لست لبنانياً ولأن لي وضعا دقيقاً في لبنان وهكذا اعتذرت له ولم أعد لرويته ثانية وسافر ومن بعدها عرفت أنه فصل من عضوية المجلس التأسيسي للرابطة بعدما اطلعت الرابطة على أقواله واشعاره وعرفت انحرافه ثم بعد ذلك علمت بوفاته .

في عام ١٩٨٠ زرت فضيلة الشيخ أبو بكر محمود جومى قاضي قضاة شمال نيجيريا وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي والذي وضع لي ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة هوسا زرت في بيته في كادونا وعند التقيت بالشيخ طاهر ميجرتي الذي أعلمني أنه وضع رسالة عن حياة الشيخ ابراهيم انياس استقى معلوماته من أقرب الناس إلى الشيخ ابراهيم ومن مؤلفاته وأقواله وعرضها عرضاً أميناً وناقشها مناقشة موضوعية فطلب مني الشيخ أبو بكر طباعتها خاصة وأنها حازت موافقة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأنها تساهم مساهمة مادية بطباعتها فوافقت على طباعتها وطلبت من المؤلف أن يسلمي المسودة ورأيت أن نصورها فنأخذ نسخة وتبقى عند المؤلف نسخة ليقوم بتصحيح البروفات بموجيها ولدى عودتي إلى بيروت عرفت بتعذر دخولي إلى بيروت لأسباب أمنية وسياسية وكان المفروض أن نبدأ بالطباعة فور وصولي إلى بيروت ولكن هذا المانع أخر الطباعة فترة من الزمن فبدأت بقراءة الأصل فأصلحت بعض الألفاظ وتشكيل بعض الكلمات وتوضيح بعض الجمل وخرجت من قراءة هذا المصنف بحزن وألم شديدتين لاضاعة هذا الرجل ذي الامكانيات الضخمة حياته وراء دعايات زائفة وسمعة زائلة وأوهام باطلة وكان بمقدوره أن يقدم أعمالاً جبارة للسنكال وللقارة الافريقية التي كان يحجب أقطارها المترامية الأطراف ليدعو إلى مجد شخصي زائل وكان يستقبل استقبال الفاتحين من قبل الملايين الذين كانوا من أتباعه وعلى

طريقته والذين كان يمكن أن ينهض بهم علمياً وثقافياً واجتماعياً وصحياً فيؤسس
المعاهد العلمية التي تنير الشعوب و يقيم الجامعات التي تنهض بالشعوب ويدل على طريق
العقيدة السليمة التي قام عليها الدين الاسلامي الحنيف بمحاربة البدع والخرافات
والأوهام وعبادة الانسان ولأوثان والقبور ويقود هذه الأمم المسلمة ضد الاستعمار
لتحريرها من ربقته السياسية والاقتصادية والتبشيرية ولكان له دور يذكره الله ويقدره
المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

نسأل الله ان يهتدي لهذه الأمة من ينهض لها بأمر دينها ويقودها إلى الخير والفلاح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد سعيد العبار

القاهرة ١٥ شعبان ١٤٠١

١٧ حزيران (يونيه) ١٩٨١

مقدمة الشيخ أبو بكر محمود جومي

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي يهدي من يشاء من عباده بفضلته ويُضِلُّ من يشاء فيخذله بعدله والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وسيد ولد آدم على الإطلاق المنزل عليه في خير كتاب الله العزيز قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا . وعلى آله وصحبه الذين هم خير قرون هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ويؤمنون بالله . وعلى من سلك سبيلهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

وبعد فقد اطلعت على رسالة سعادة الدكتور الطاهر ميجري عن حياة صاحب الفيضة ومجدد الطريقة التجانية في عصره الشيخ ابراهيم الكونلي السنغالي فرأيتها كتاباً قيماً جداً فقد أحسن المؤلف ترتيبه وأجاد في تعقيباته للمسائل وبه العقول للمواضع الحساسة التي ينبغي بل يجب أن يتنبه الناس إليها . فرأيت أنه ينبغي أن يطبع الكتاب وينشر في العالم الإسلامي عامة وفي غرب إفريقيا السوداء خاصة ليكون حجة بالغة فعسى الله أن يهدي به من أراد به الخير فيرجع به إلى سبيل الرشاد ويزداد الذين آمنوا إيماناً . وإن يجزي المؤلف كل الخير في بحثه هذا فإنه يستحق الشكر من كل مسلم غيور على دينه .

ومما يستحق الذكر أن سعادة الدكتور عبد الله عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهو من أهل الخير والصلاح وحب العمل في سبيل الله فلما

رأى الكتاب أيام زيارته لنيجيريا سنة ١٤٠٠ هـ أعجب به وشجع في طبعه ووعد
وأنجز وعده في إعطاء مساعدة مالية تساهم في نشر الكتاب فالله يحزيه كل خير ويجعلها
ولايه من الذين لا ينقطع أجور أعمالهم إلى يوم يبعثون وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين .

أبو بكر محمود جومي

١٨ ذو القعدة ١٤٠٠ هـ

٢٧ سبتمبر ١٩٨٠ م

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة ومن يقطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً .

وبعد فقد شهدت أفريقيا الغربية عموماً ونيجيريا خصوصاً - في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين أو التاسع عشر والعشرين الميلاديين - أمواجاً متلاطمة من حركات أصحاب الطرق الصوفية: هذه الحركات التي بلغ تيارها أوج تفاقمه على يد الشيخ إبراهيم إنياس التجاني السنغالي الذي ظهر كقطب للطريقة التجانية وصاحب قبضتها سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م في مدينة كولخ بجمهورية السنغال ثم بزغ من هنالك بزوغ القمر حتى عم جميع أقطار هذا الصقع الهاديء من إفريقيا الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، واتخذ مدينة كنو في نيجيريا قاعدة لنشر دعوته بعد مدينة كولخ .

وهذا الكتاب الذي أقدمه للقراء عبارة عن بحث مستفيض عن معالم حياته وآرائه وتعاليمه . وكان في الأصل رسالة للماجستير قدمتها في يولييه سنة ١٩٧٩ م في (قسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو بكنو نيجيريا) وقد سجلت لهذا العمل في سنة ١٩٧٣ م ولكن أهملته أهلاً لا يكاد يكون كلياً لأسباب تتعلق بطبيعة البحث نفسه بالإضافة إلى عدم توفر أمور تعد ضرورية للمضي فيه ، حتى الفت في غضون ذلك كتاباً مستقلاً بعنوان (إعادة النظر في نظرية المهدي المنتظر) أرجو أن يتهيأ هو الآخر للطبع والنشر عن قريب إن شاء الله تعالى ، وثم أقم بالعمل في الواقع إلا في نهاية سنة ١٩٧٦ م عندما بدأت هذه الجامعة تستقل عن جامعة أحمد بللو في زاريا حينما قامت إدارتها الجديدة برد الأمور إلى نصابها ، وإعادة تنظيمها وهيمنة عليها .

لقد بذلت كما أرجو مجهوداً لا يستهان به وتحملت مشقات عديدة ، وتكاليف باهظة ، في تحقيق نجاح هذا العمل رجاء أن يكون مرجعاً صحيحاً ومعتمداً وثيقاً في هذا الباب يسد فراغاً واسعاً في مكتبة جامعتنا هذه ، ومكتبات جامعات نيجيريا ، والجامعات العالمية الأخرى ، كما أرجو الله تبارك وتعالى أن ينفع به طلاب العلم والباحثين على العموم وجميع المسلمين أينما كانوا في العالم على الخصوص إنه ولي ذلك والقادر عليه . ولما تكاملت أجزاءه وتمت أبوابه وفصوله وأخذ شكله النهائي سميت (الشيخ إبراهيم انباس والطريقة التجانية في القرن العشرين) .

وبعد كل هذا فأنا مدين بالشكر أولاً وقبل كل شيء لحضرة استاذي الدكتور أحمد عبد الحميد غراب ، الذي أشرف على البحث من أوله إلى آخره ، ولولا توجيهاته النافعة ، وإرشاداته القيمة ، ونصائحه الغالية ، واهتمامه الشديد بنجاحه ، لما خرج في هذا الشكل الوسيم الجميل ولأستاذي أيضاً الأستاذ الدكتور محمد زكي بدوي ، رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية عبدالله بايرو جامعة أحمد بللو سابقاً ، الذي اقترح موضوع البحث ثم ساعدني على جمع المواد اللازمة للبحث ، وكذلك للدكتور محمد الثاني زهر الدين رئيس قسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو بكنو حالياً ، على تشجيعه ومساعداته وتعاونيه مع الأستاذ المشرف على البحث .

وأسدي كذلك جزيل الشكر للأستاذ الدكتور محمد الحاج رئيس قسم التاريخ

جامعة بايرو سابقاً ، على إرشاداته ونصائحه وتزويده إياي بالمراجع ، ولفت نظري إلى حقائق تاريخية حساسة قيمة تلمس صميم البحث ، وللزميل الدكتور عمر جاه على ما زودني به من المراجع والمعلومات القيمة وتفرغه لقراءة بعض فصول البحث وإبدائه النصائح الحسنة على ما بيننا من خلاف في الرأي أحياناً ، وكذلك للزميل السيد عمر الفاروق الملمفاشي على تعاونه المستمر ، وكذلك للزميل الحاج عبد العالي عبد الحميد ، على حسن تعاونه ومساعداته بالمراجع وغيرها .

وأبذل كذلك جزيل الشكر لمجلس البحوث والشهادات العالية جامعة أحمد بللو بزاريا نيجيريا ، وللجنة البحوث والشهادات العالية جامعة بايرو بكنو نيجيريا ، وكذلك لوزارة المعارف بولاية باوش ولا سيما وزير المعارف هنالك أستاذي الدكتور علي أبو بكر جزاه الله عني خيراً .

وبعد فكم أنا مدين بالشكر لحضرة خليفة الشيخ إبراهيم انياس السيد الحاج علي سيس ، ولحضرة كبير أبناء الشيخ ابراهيم أيضاً السيد الحاج عبدالله انياس ، ولحضرة أخيه السيد الحاج أحمد التجاني انياس ، الذي أنزلي في بيته وحفني بكرمه وعنايته ومكنني من الوصول إلى مراجع ووثائق ضرورية لهذا البحث ، أشكرهم جميعاً على حسن تعاونهم وحفاوتهم بي عندما كنت في كنفهم بحضرة كولخ ، وكذلك السيد إبراهيم جوب والسيد الشريف محمد بن دهاه العلوي على ما زوداني به من المعلومات النافعة بالنسبة لمهمتي .

وأنا كذلك مدين بالشكر للمورثانين الكرام الشيخ الكبير والعارف العظيم الشيخ من آب (الشيخان) بحاضرة (برين) على حفاوته بي وإسعافه لجميع مطالبتي بصدر رحيب مع ولديه النجيين السيد محمد الحافظ والسيد عبد الرحمن ، على تعاونهم التام في تحقيق نجاح مهمتي . وفي حاضرة (تنبيل) أنا مدين أيضاً لمرشد مقدمي نيجيريا الشيخ محمد الهادي على ما حفني به من كرمه وعنايته وما زودني به من المعلومات والوثائق اللازمة لهذا البحث ، ولولده أيضاً السيد أحمد الكبير وأخيه السيد محمد سعيد ، وأنا أيضاً مدين بالشكر في حاضرة (معط مولانا) للسيد الحاج عبدالله ابن الشيخ محمد المشري العلوي وأخيه الشيخ ابن الشيخ محمد المشري وجميع من بحضرته

من الإخوان الذين ساعدوني في مهمتي ، وأنا مدين في مدينة نواكشوط العاصمة للسيد محمد ويحيى ابن خير مدير الشؤون الإسلامية للجمهورية الإسلامية الموريتانية الذي نزلت عنده في رجب وسعة ، والسيد محمد الهية ابن الطفيل المراقب العام لمدرسة تكوين المعلمين بنواكشوط الذي بذل مجهوداً مشكوراً في تزويدي بالمعلومات الحساسة اللازمة لهذا البحث ، وكثيرين غيرهما من السادات الموريتانيين الذين ساعدوني باخلاص في نجاح سفري جزاهم الله جميعاً خير الجزاء .

وفي الختام أقدم خالص شكري لفضيلة الشيخ المرشد الامام السلفي الحاج أبي بكر محمود جومى الذي زودني بالمراجع والمعلومات التي تمس صميم البحث ، ثم قرأ الرسالة كلها من أولها إلى آخرها وأبدى فيها إقتراحات قيمة ، بل اعتبر قراءته للرسالة من قبيل ما يسمى بحسن الحظ وأمارات القبول عند الله لأنه حبذ العمل أيما تحييد وطلب مني الإذن في طبعها فوافقت على ذلك شاكراً وقمت في الحال بتحريره للطبع جزاه الله خيراً .

وأخيراً وليس آخراً أسدي جزيل الشكر لفضيلة أستاذي الحاج محمد الناصر مصطفى رئيس التسجيل في محكمة الاستئناف العليا للشريعة الإسلامية بولاية كنو نيجيريا على تفرغه لقراءة الكتاب وتصحيح بعض الأخطاء النسخية .

محمد الطاهري ميغري الغلاني البرناوي .

الباب الأول

في الطريقة التجانية وحياة مؤسسها الشيخ أحمد التجاني

لم يكن لسيرة الشيخ أحمد التجاني مصدر سوى ما دبحه يراع أتباعه ، وأكثر المعلومات من إملائه هو ، حيث إن أخص أصحابه الذين كتبوا عنه مثل السيد علي خرازم بن البراده والسيد محمد بن المشري والسيد محمد الطيب السفيناني لم يكونوا ملمين بشيء عن نسبه وأسرته ، ولا بشيء عن نشأته وتطوره في حياته الأولى ، وإنما اتصلوا به وهو مكتمل الرجولة ، وبعيد عن مسقط رأسه إذ أنه قد جاوز الأربعين من عمره حينئذ ، ومن أجل ذلك كان من الصعوبة بمكان أن يصل الباحث إلى الرأي الجازم في هذا المجال ، ولا سيما أن مؤرخين مغربيين عاشوا مع الشيخ التجاني في عصر واحد ، وأمكنها ذلك أن يلما بشيء من تصرفاته في النصف الثاني من حياته ، وهما محمد بن عبد السلام الناصري ومحمد بن القاسم الزباني فقد أدليا بشيء من المعلومات عنه تناقض بعض ما قرره عنه أصحابه أو صرحا بشيء فيه فسكت عنه أصحابه .

ومها يكن من شيء فإن الشيخ أحمد التجاني ولد بقرية عين ماضي سنة ١١٥٠ هـ - ١٧٣٧ م من أب عربي وأم تنسب إلى قبيلة بربرية تسمى تجانة تسكن بقرب تلمسان في الجمهورية الجزائرية ، وكان سالم الجدد الرابع للشيخ التجاني هو أول من سكن قرية عين ماضي من أجداده ، ثم بعد أن أسس طريقته ادعى أنه شريف يتصل

نسبه بالحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من طريق إدريس بن إدريس مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، فمن أجل ذلك أثار الباحثون شكوكاً حول صحة انتسابه لهذا البيت العلوي (١).

توفي أبوا الشيخ التجاني سنة ١١٦٦ هـ - ١٧٥٣ م وهو ابن ست عشرة من عمره ، ولكنه قد تزوج قبل ذلك ثم طلق الزوجة عندما عزم على البحث عن علوم الصوفية والاتصال بمشايخها للفوز بتوجيهاتهم في مجاهداته النفسية ورياضاته القلبية ، ثم اشترى أخيراً جارتين واعتقهما وتزوج منهما وسمى الواحدة مبروكة ودعا الأخرى مباركة فأنجبت له المبروكة ابنه الذي سماه محمد الكبير وقد قتل سنة ١٨٢٧ م ١٢٤٣ هـ في حرب ثورة أثارها هو ضد الحكومة التركية في الجزائر ، وأنجبت له المباركة ابنه الآخر الذي سماه محمد الحبيب وكان يعرف أيضاً بالصغير ، وهو الذي كان خليفته في رئاسة الطريقة التجانية من سنة ١٨٤٤-١٨٥٣ م و١٢٦٠ - ١٢٧٠ هـ (١)

وأما تعلمه ومدى سعة الأشواط التي قطعها فيه ، وما كان يتمتع به جراء ذلك من عمق الغور وبعد الأفق في العلوم التي حصلها في ميدان تعلمه ، فليس من الميسور الوقوف على الرأي القاطع في ذلك كله لأجل ما قدمنا آنفاً من أن تاريخ نشأته وحياته الأولى يكاد يكون غامضاً ولا يعرف منه إلا بعض ما أخبر به عن نفسه ، وزاد الطين بلة أن أسرته ليست مشهورة شهرة تجعلها محل عناية المؤرخين والباحثين .

وعلى أي حال فإن السيد علي حرازم أخبرنا بأن الشيخ التجاني قد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة جداً وهو ابن سبع سنوات ، عن مؤدب يسمى أبا عبدالله محمد حمو ، ثم اشتغل بعد ذلك بتعليم العلوم الأصولية والفروعية والأدبية حتى رأس فيها على حد قول السيد علي حرازم ، ومن جملة الكتب التي درسها مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد ، والأخضري ، ثم بعد ذلك مال إلى التصوف للتعلم في

١ - الدكتور جميل أبو النصر :

The Tijjaniya Asufi Order In The Modern Age pp 16 .

نشر في جامعة أوكسفورد سنة ١٩٦٥ م

١ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٧ .

المباحث الإلهية ، والوقوف على الأسرار الربانية ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة (٢) .
 لقد استغرق الشيخ التجاني في بداية أمره وقتاً لا يستهان به في الترحال والانتقال
 من زاوية إلى أخرى في الديار المغربية والجزائرية للقاء المشايخ الصوفية ، وأول من
 لقيه منهم هو الشيخ الطيب بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم اليماحي العلمي بوزان ،
 ثم اتصل بالشيخ محمد بن الحسن الوانجلي ، وزار أيضاً الشيخ عبدالله بن السيد العربي
 ابن أحمد الأندلسي بمدينة فاس (١) .

وقد انضم الشيخ التجاني إلى ثلاث طرق في مقامه بالمغرب ، وهي الطريقة
 القادرية ، والناصرية ، وطريقة الشيخ أبي العباس أحمد الحبيب بن محمد الملقب
 بالغماري ، وتخلّى عنها كلها ، ثم أخذ أيضاً بعض الأذكار عن الشيخ أبي العباس
 أحمد الطواش التازي ، وتخلّى عن ذلك أيضاً (٢) ثم انتقل من المغرب متوجهاً صوب
 الصحراء يقصد زاوية الشيخ عبد القادر بن محمد الأبيض ، فأقام بما مدة ثم انتقل
 منها إلى تلمسان ، ثم انتقل من تلمسان قاصداً الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه
 عليه الصلاة والسلام ، وزار في طريقه إلى الحرمين بلدة لزواوي مسكن الشيخ
 أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، بالقرب من مدينة الجزائر ، وأخذ عنه
 الطريقة الخلوتية ، ومر كذلك في طريقه بمدينة تونس سنة ١١٨٦ هـ ١٧٧٢ م ، واتصل
 فيها ببعض المشايخ ، مثل الشيخ عبد الصمد الرحوي ، فأقام بها سنة كاملة يتردد بين
 مدينة تونس وسوسة ، وزاول مهنة التدريس هنالك ، حيث درس كتاب الحكم
 العطائية وغيره ، حتى أعجب به الأمير فمنحه داراً وفرض له راتباً . كل ذلك
 حسب تقرير السيد علي حرازم ، ولما فهم الشيخ التجاني أن الأمير يريد إقامته هنالك
 بصفة دائمة ، ارتحل توطاً إلى مصر القاهرة من دون إعلام ولا وداع ، حيث اتصل
 بشيخه محمود الكردي ، ثم واصل سفره حتى دخل مكة المكرمة سنة ١١٨٧ هـ
 ١٧٧٢ م ، واتصل في مكة بالشيخ أحمد بن عبد الله الهندي بواسطة تلميذه ، فأرسل

٢ - السيد علي حرازم بن البرادة : جواهر المعاني وبلوغ الأمانى ١ - ٣٧ .

١ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ٤٤ .

إليه ذلك الشيخ يبشره بأنه هو الذي يرث علومه وأسراره ، ولما قضى نسكه بمكة ارتحل إلى المدينة المنورة حيث اتصل بالشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ، الذي زوده بأسرار تخصص الاسماء (١) ثم رجع من القطر الحجازي إلى مصر حيث قدمه شيخه محمود الكردي السابق ذكره في الطريقة الخلوتية والتربية بها فقبل الشيخ التجاني ذلك بعد لأي على حد قول السيد علي حرازم (٢) ثم قفل من مصر متوجهاً نحو البلاد المغربية ، سالكاً طريقه من تونس حتى ألقى عصا تسياره أخيراً بتلمسان ، فاشتغل فيها حسب قول السيد علي حرازم بالاجتهاد في العبادة والدلالة على الله ، ثم رحل إلى مدينة فاس لزيارة قبر مولى لإدريس جد الشرفاء العلويين المغاربة سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م ، وفي هذه الرحلة المغربية التقى مع تلميذه المخلص السيد علي حرازم بمدينة وجدة ، وهو أيضاً في طريقه إلى فاس فتعرف الشيخ التجاني له ثم سافراً معاً إلى فاس فلقته الطريقة الخلوتية هنالك فتركة الشيخ التجاني بها ورجع إلى تلمسان (٣).

ههنا اختلف السيد علي حرازم مع بعض المؤرخين المغاربة الذين كتبوا عن تحركات الشيخ التجاني أيامئذ . ذهب المؤرخ محمد بن القاسم الزباني إلى أن الشيخ التجاني قد اشتغل عندما كان في تلمسان بصناعة الإكسير - الكيمياء - وتزييف النقود فألقي القبض عليه فحوكم حيث ضربه وسجنه محمد بن عثمان الحاكم التركي في الجزائر الذي حكم من سنة ١٧٦٦ - ١٧٩١ م ١٢٨٠ - ١٣٠٦ هـ ثم طرده من تلمسان ومنعه من الإقامة في جميع الأراضي التي كانت تحت سيطرته ، ومن أجل ذلك انتقل إلى شلالة ثم استقر أخيراً بقرية أبي سمغون في قلب الصحراء ، حيث لا تمتد إليه يد الحكومة (٤).

أما معرفة الشيخ التجاني بالكيمياء وصناعته فلا ينبغي أن يكون محل جدل ومراء لأن إنكار ذلك يكاد يعتبر مكابرة على الحق الثابت لفشو ذلك وذبوعه على السنة

١ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ٤٩ . ٢ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ٥٠ .
٣ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ٥٠ . ٤ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٩ .

معاصريه ، تلاميذه وغيرهم ، قال : القاضي سكبرج العياشي يدفع عن الشيخ التجاني تهمة تعاطيه لهذه الصناعة : « ان من نسب تعاطي هذا الفن للشيخ التجاني على قسمين :

١ - إما يريد جاهل نسب ذلك له على وجه الكرامة وأنه كان يعرف هذا الفن ويتعاطاه ، فأما تعاطيه هو فمن المتيقن عليه ، وأما معرفته فهو من العلوم التي يعرفها أربابها ، ولا يبعد معرفة الشيخ لها ، ونحن نتحقق بمعرفته لذلك على الوجه الأكمل ، مع حصول الكرامة له بما هو أعلى من هذا الأمر الذي تنطرق اليه الألسنة فيه .

٢ - وإما أن يكون الذي نسب ذلك للشيخ التجاني ممن يشيع عليه ما ولع المنتقدون بانتقاده ، ومقصوده بذلك إكثار الإنكار عليه بذلك ، مع أن الشيخ منزله الساحة عن تعاطي هذا العلم المعبر عنه في لسان العامة بعلم النار » (١).

وإذا بحثنا في كلام القاضي سكبرج هذا تستنبط منه النقاط التالية :

١ - ينسب إلى الشيخ التجاني معرفة الكيمياء وتعاطيه أتباعه وغيرهم .

٢ - ان أتباعه في نسبة علم الكيمياء اليه انقسموا إلى قسمين :

أ - قسم جاهل في نسبته اليه لظنه أن ذلك مدحاً وكرامة له ولذلك ينسب اليه علمه وتعاطيه معاً .

ب - قسم عالم ينسب اليه علمه وينزه ساحته من تعاطيه لأنه ذم ولا يليق بجنابه .

٣ - إن الشيخ التجاني من أرباب فن الكيمياء ولذلك لا يبعد معرفته لها بدليل قول الشيخ سكبرج : « وأما معرفته فهو من العلوم التي يعرفها أربابها ولا يبعد معرفة الشيخ لها . » ومعنى ذلك أنه من أربابه ، إذ لو كان سكبرج يعتقد أن الشيخ التجاني ليس من أرباب الكيمياء لكانت الجملة التي تلي جملة (فهو من العلوم التي يعرفها أربابها) (ولذلك نبعد معرفة الشيخ لها) بدلاً من قوله (ولا نبعد معرفة الشيخ لها)

١ - القاضي سكبرج العياشي : جناية المنتسب العاني ٢٤ .

ولا سيما أن الشيخ سكبرج قد أكد كلامه بقوله : « ونحن نتحقق معرفته بذلك على الوجه الأكمل ، مع حصول الكرامة له بما هو أعلى من هذا الأمر ». أي إنه يعرف الكيمياء معرفة دقيقة وزيادة على ذلك إنه يعرف من طريق الكرامة أكثر منها .

٤ - إن انتقاد الشيخ التجاني بتعاطي صناعة الكيمياء أمر شائع قد ولع به منتقدوه ، ولذلك إذا نسبته غير التجاني إليه فلأنما فعل ذلك ليزيد من تأجيج نار الإنكار عليه فقط . وأما الباحث المتجرد فيعتبر هذه الأمور كلها من جملة الشواهد الدالة على ترجيح ما قرره الزباني عما حدث للشيخ التجاني على يد الباي التركي في الجزائر محمد بن عثمان من جراء تعاطيه لهذه الصناعة الكيميائية للأسباب الآتية .

أولاً - إن دقة معرفة الشيخ التجاني لعلم الكيمياء لم يكن قط موضع شك إذ أطبق عليه أتباعه وغيرهم وأنه لمن الصعوبة بمكان أن يكون الشخص عارفاً بصناعة معرفة دقيقة أو على الوجه الأكمل كما قرر الشيخ سكبرج ولا يتعاطاه أو لم يتعاطه من قبل لأن المعرفة الدقيقة والخبرة الواسعة في أي صناعة لا تحصل إلا بالتجربة العملية المتكررة .

ثانياً - إن المؤرخ المغربي محمد بن القاسم الزباني الذي كتب قصة قبض الشيخ التجاني في تلمسان ومحاكمته على أنه يتعاطى الكيمياء وتزييف النقود وإصدار الحكم عليه بالضرب والسجن ثم بالطرده أخيراً كان معاصراً له وعاشاً معاً في قطر واحد ، وفي بلد واحد ومات الشيخ التجاني قبله بقرابة ثمانين سنة ، ويبدو أن الزباني كان مهتماً بهذه القضية إهتماماً كبيراً حيث قررها في كتابين من كتبه وهما كتاب (الترجمان الكبرى) وكتاب (الروضة السلیمانية في ملوك الدولة الاسعيلية ومن تقدمهم من الدول الإسلامية) (١) .

وقد أكد قصة طرد محمد بن عثمان الباي التركي في الجزائر للشيخ التجاني من تلمسان إلى قرية أبي سمفون المؤرخ المغربي الشيخ أحمد بن خالد الناصري في كتابه (الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى) حيث قال : « وفي هذه السنة -

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق انظر التعليق ص ١٩ .

١٢١١ هـ - قدم إلى فاس الشيخ المتصوف أبو العباس التجاني فاستوطنها ، وكان الباي محمد بن عثمان صاحب وهران قد أخرجته من تلمسان إلى قرية أبي سمغون فأقام بها وأقبل أهلها عليه ، ثم لما مات الباي المذكور وولي بعده ابنه عثمان بن محمد سمي عنده بالشيخ التجاني فبعث إلى أهل أبي سمغون وتهدهم ليخرجوه ، ولما سمع بذلك الشيخ المذكور خرج مع بعض تلاميذه وأولاده وسلك طريق الصحراء ، حتى احتل فاس . (١) ولو لم يكن انتقال الشيخ التجاني من تلمسان لأجل أمر صدر من الحاكم العام للبلاد لرجع إلى مسقط رأسه عين ماضي التي كانت قرية منها أو إلى مدينة أخرى من مدن الجزائر الآهلة بالسكان ، بدلا من أن يتوغل في أعماق الصحراء إلى قرية صغيرة في واحة ملقاة في قلب الصحراء ، ظاهرة البداوة ، وبعيدة عن التمدن والعمران ، وليس من اليسور للباحث أن يقف على سبب طرد الحاكم الأجنبي لأحد الوطنيين من البلاد ، دون أن يكون مرتكباً لجريمة إزعاج أمن البلاد ، أو اقتصادها أو ما يماثل ذلك ، من الجرائم التي تهم الحكام وحدهم ، ولم يرو لنا أن الشيخ التجاني ارتكب جريمة تسيء للحكومة غير صناعة الكيمياء وتزييف النقود لا سيما أنه لم يؤسس طريقته حينئذ .

وإن في كلام السيد علي حرازم أيضاً ما يؤيد الزياني حيث كان الأول يتابع تحركات الشيخ التجاني بالتفصيل والتوضيح وعند ما وصل إلى هذا المحل أبهم الكلام فقال : « وأخبرني - الشيخ التجاني - بأنه ينتقل من تلمسان إلى مكان آخر لأن حاله لم تستقم بها وضافت نفسه » (٢). كما نلمح صدق ما قرره الزياني أيضاً في الكراهية الشديدة التي يضمها الشيخ التجاني للحكام الأتراك حتى كان يدعو عليهم بسقوط دولتهم من الجزائر في أيدي الكفار وقد جاء في كتاب (البغية المستفيدة) : « وذكر أي الشيخ التجاني حكامها - الجزائر - يوماً وقال فيهم إنهم كفار لنبذهم الأحكام الشرعية وتقديمهم القوانين الإفرنجية عليها ، واكتفائهم بذلك ، ثم دعا عليهم بأن يسد الله أبواب الرحمة في وجوههم ، كما سدت في وجوه أهل البلاد الفلانية وذكر بلاداً استولى عليها أعداء الدين والعباد بالله تعالى . » ثم فطن السيد

١ - الشيخ محمد بن خالد الناصري : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ج ٨ - ١٠٥ .

٢ - ١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ٥٠ .

العربي بأن اللوم سوف يكون عالقاً بشيخه حيث دعا على المسلمين باندساد أبواب الرحمة في وجوههم ، واستيلاء الكفار أعداء الله والإسلام والمسلمين على بلادهم ، فاحترس من ذلك بقوله : « ودعاؤه عليهم بهذا في بساط الشريعة ، وجهة الغيرة الإيمانية ، وفي بساط الحقيقة مجارة ما كوشف به في سره من نفوذ الأقدار الربانية . ثم أدرك تهافته في ذلك أيضاً فقال : « ولا يقال على مثل هذا مما يصدر من أمثال هذا الشيخ الكبير لو دعا لهم بالهداية مثلاً لكان أولى لأنهم غرقى في بحار المشاهدة وجميع حركاتهم وسكناتهم في جميع أفعالهم وأقوالهم جارية على حكم ما يتجلى الحق به على قلوبهم ، وأيضاً قد روي في بعض الأخبار إذا أراد الله بقوم سوءاً يوحى إلى قلوب أوليائه لا تسألوني في أمر القوم فلني عليهم غضبان فيجيبونه بطلب النجاة لأنفسهم اللهم سلم سلم » (١) .

١ - ولا شك أن كلام السيد العربي هذا مبني على قواعد سفسطية وحجج شرعية فمن أجل ذلك نشعر بضرورة شرحه وتوضيحه حتى لا يفتريه الدهماء وإن كنا الآن لسنا في مركز الهجوم والانتقاد ولا في موقف الرد والدفاع لأننا قائلون في الحال بالبحث المجرد في هذا الموضوع وعلى أي حال فالتنا إذا ألقينا نظرة ولو خاطفة على هذا الكلام أمكننا أن نستنتج النقاط التالية :

أولاً - إن الشيخ التجاني قد كفر بحكام الجزائر في مجلسه بحجة أنهم بدلوا أحكام الشريعة الإسلامية بالقوانين الأفرنجية واستغنوا بهذه عن تلك .

ثانياً - إنه دعا الله عليهم بأن يسد أبواب رحمته في وجوههم كما سدها في وجوه إخوانهم المسلمين في البلاد الأخرى حتى استولى الكفار أعداء الدين عليهم .

ثالثاً - إن دعاءه عليهم موافق لحكم شريعة الإسلام .

رابعاً - إنه دعا عليهم لغيرته على الإيمان .

خامساً - إن دعاءه عليهم كان جازياً حسب ما نفذت به المقادير الإلهية .

سادساً - إن شيخاً كبيراً مثل الشيخ التجاني إذا دعا على المسلمين بفقدان رحمة الله واستيلاء الكفار أعداء الله والإسلام على بلادهم لا يقال له لماذا لم يدع لهم الله بالهداية والتوفيق ذلك لأن هؤلاء الشيوخ يعملون حسب تجليات الله على قلوبهم .

سابعاً - إن الله إذا غضب على قوم من المسلمين يوحى إلى أمثال الشيخ التجاني بأن لا يسألوه المغفرة عنهم فمئذ يطلبون نجاة أنفسهم فقط .

وأما تكفيره بحكام الجزائر لتبديلهم الشريعة الإسلامية بالقوانين الأفرنجية فموافق لحكم شريعة الإسلام قطعاً إذا كان ذلك صادراً عن رضاهم واختيارهم ولم يكن من أجل إرغام أعدائهم المسيطرين عليهم على فعله .

= وأما دعاؤه عليهم بانداد أبواب رحمة الله على وجوههم كما انسدت في وجوه غيرهم من المسلمين الذين استول الكفار أعداء الإسلام عليهم فليس موافقاً لشرعية الإسلام قطعاً . وإذا كان سبب توجيهه هذا الدعا الفطري عليهم هو رفضهم الحكم بشرعية الإسلام وهم مسلمون يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام ، فالذي يجب عليه في هذا الأمر هو أن يقوم على ساق وقدم ويشير عن ساعد الجهد والاجتهاد في إرشادهم وتوجيه النظافة البليغة التي تنزل أركان الأهواء والطفانيات الراسخة في أعماق نفوسهم وتقلع جذورها من صدورهم ، ثم يؤلف كتاباً يبين فيه الأحكام الشرعية الصحيحة ويطلبهم بتطبيقها في جميع أحكامهم ، إلا أن التاريخ والمشاهدة شاهدان على أنه لم يفعل ذلك ولم يحاوله ، وعلى هذا فهو إذن مشارك لهم في ذلك الإثم ، هو وجميع علماء المسلمين في الجزائر على مقتضى حكم شرعية الإسلام ، فالدعا إذن منصب عليه أولاً وعلى غيره من العلماء الذين سكنوا ووقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا العمل الفطري من تبديل شرعية الإسلام بقوانين الأفرنج قبل أن ينصب على جهال الأتراك الحاكمين .

وأما القول بأن دعاءه عليهم جاء حسب حكم شرعية الإسلام ، فليس كذلك للحجج الذي تقدمت آنفاً ولأن شرعية الإسلام لا تسمح حتى لأحد عوام المسلمين بأن يدعو على قطر مسلم بالدخول تحت سيطرة الكفار أعداء الإسلام والمسلمين ، فضلاً عن إمام عظيم مثل الشيخ التجاني ولا سيما أن هذا القطر هو وطنه ومستقل رأسه هو وأجداده .

وأما القول بأنه دعا عليهم للغيرة على الإيمان فليس صحيحاً أيضاً ، بل لا ينبغي أن يصدر من مثل السيد العربي لظهور سقوطه من عين الاعتبار فإذا سلمنا أن الشيخ دعا على هؤلاء الحكام بأن يسه الله أبواب رحمته في وجوههم وأن يسقط ملكهم في أيدي أعداء الإسلام ، لأنه يثار على الإيمان وعلى شرعية الإسلام التي بدلوها بقوانين الأفرنج ، فهل معنى هذا أن هؤلاء الكفار إذا استولوا على هذه البلاد سيحكمونها بشرعية الإسلام ؟ أو يحترمون فيها شيئاً من مقدساته ؟ كلا ! بل لو كان الشيخ التجاني يثار حقاً على الاسلام وشرعته ، وهو إمام عظيم من أئمة المسلمين لجميع تلاميذه والمتطوعين المسلمين ، وجاهد هؤلاء الحكام الجائرين وأخرجهم من بلاده ، ورفع راية الإسلام فيها ، وأقام شرعته حتى ينتشر العدل ويعم الأمن والاستقرار لجميع البلاد ، كما فعل معاصراه الشيخ عثمان بن فودي في نيجيريا ، والإمام محمد بن علي السنوسي في ليبيا ، وهو يعرف قول الله تعالى : « وأن جندنا لهم الغالبون » . الصفات ١٧٣ وقوله : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » الروم ٤٧ وقوله : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » . البقرة ٢٤٩ .

وأما القول بأن دعاءه عليهم جاء حسب ما جرت به المقادير ، فإن كان المراد هو أنه يعرف أن المقادير جرت بهلاكهم ولذلك دعا عليهم كما يفهم من كلام السيد العربي فإن ذلك ليس بصحيح ، لأن المقادير بيد الله لا يطلع عليها أحد ، بل وحتى إذا سلمنا أنه كشف له بما تجري به المقادير فدعا عليهم بوقوع ذلك فإنه لم يفعل شيئاً لأن ما جرت به المقادير واقع لا محالة ، سواء دعا به عليهم أم لم يدع ، ومن ذلك قتل =

هؤلاء الأتراك لابنه محمد الكبير عندما ثار عليهم (أنظر كتاب جميل أبو النصر المذكور في الهوامش ص ١٧) وقد قال السيد العربي إن الشيخ التجاني قد أشار بما يدل على أنه يعرف ما يقع لابنه هذا (بغية المستفيد ١٨٤) ، ولماذا لم يدع الله لينجيهم منهم ، أو أوحى إليه بأنه غاضب عليه هو الآخر ، ثم إنه إذا كان احتلال أعداء الله والمسلمين على الجزائر المسلم قد وقع بتأثير دعائه لأن حكمه بدلوا شريعة الإسلام فلماذا احتلوا المغرب أيضاً الدولة التي يحكمها سلطان مسلم بل شريف علوي عادل وهو الذي منحه حق اللجوء السياسي ، ثم ظلله بحمايته حتى آخر حياته ، وهل أوحى الله إليه بأنه غاضب عليه وعلى سكان مملكته المسلمين أيضاً ، ولماذا احتل هؤلاء الكفار أيضاً تونس وليبيا ومصر بل وجميع بلاد الإسلام ؟ وهل معنى ذلك أن الله لم يكشف له بأنهم سيحتلون هذه البلاد الإسلامية إلا الجزائر فقط ، أو أوحى إليه بأنه غاضب عليهم جميعاً ، أو كان ذلك كله وقع حسب ما جرت به المقادير الإلهية ؟ .

وأما القول بأن شيخاً عظيماً مثل الشيخ التجاني إذا دعا على المسلمين بانسد أبواب رحمة الله في وجوههم والتقصوع تحت نير حكم أعدائهم فلا يقال له لو دعا لهم بالهداية لكان أول لهم لأنه كان غارقاً في بحار المشاهدة وأن حركاته وسكناته في أجمع أفعاله وأقواله جارية حسب ما يتجلى الله به على قلبه ، فهو أيضاً كلام لا أساس له من الصحة لأنه لو كانت حركاته وسكناته في جميع أفعاله وأقواله جارية حقيقة حسب مراد الله تعالى لما خالف فعله وقوله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله في موضوع واحد ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاربه قريش يوم أحد حتى جرحوه بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه فصار أدم يسيل على وجهه الشريف ، حتى شق ذلك على أصحابه فقالوا لو دعوت عليهم ، فقال إني لم أبعث لعناً ولكن بعثت داعياً ورحمة (اللهم اغفر لي لقومي فانهم لا يعلمون) انظر ٢٢٢ أنوار المحمدية (اعتقد أن الكفر بالله ، ومحاربة رسوله ، وإرادة قتله ، ومحو دينه ، وصد دعوته ، شر من تبديل شريعته بغيرها في المحكمة جهلاً ، ومع ذلك دعا لهم الرسول بالمغفرة والهداية .

ثم انه إذا جاز للشيخ التجاني أن يعلن للمسلمين جميعاً أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وضع النهار يقظة لا مناماً ، وأخبره بأنه ليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا ، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا ، ألا هو أي الشيخ التجاني وحده ، ووراء ذلك ما ذكره له الرسول فيهم ، أي أتباعه وضمته لهم أمر لا يحل له ذكره ، ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة (جواهر المعاني ج ٢ - ١٧٥) هذا كله في أتباعه الخاصة به ألا يستحي أن يراء المسلمون بعد ذلك قام يدعوا الله أن يسد أبواب رحمته في وجوه أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، ويظهر أعداءهم الكفار عليهم ، لأنهم وقعوا في المعصية التي إذا تابوا وأصلحوا يغفر الله لهم بنص محكم لتزيهه ؟

وأما القول بأن الله يوحى إلى قلوب الأولياء بمنعهم من سؤاله المغفرة والهداية للمسلمين لأنه غاضب عليهم ، فإن ما تقدم آنفاً يردده ، ويرده أيضاً قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله »

ثالثاً - إن تاريخ الشيخ التجاني من ولادته ونشأته وتطورات حياته الأولى كله غامض كما سبق لا يعرف منه إلا قدر ما أخبر به هو عن نفسه ، وأما أمر إلقاء القبض على أي شخص ومحاكمته على رؤوس الأَشهاد فلا يكون غامضاً فمن السهل تصديق المؤرخ الذي كتب عن ذلك ، إلا إذا خالفه مؤرخ آخر معاصر له ، فعندئذ نوازن بين أدلتها حتى نخرج بحجة نرجع بها أحد الرأيين على الآخر ، فلم يوجد ذلك بل إن المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ المغرب حينئذ يكادون يؤيدون ما ذهب إليه الزباني .

ومها يكن من رأي فلان الشيخ التجاني قد غادر تلمسان سنة ١١٩٦ هـ متوجهاً نحو الصحراء ، حتى نزل بشلالة ، ثم استقر نهائياً بقرية أبي سمغون ، ثم سافر إلى توات ، حيث اجتمع ببعض المشايخ هنالك وتبادل معهم الأخذ والاستفادة ، ثم رجع مرة ثانية إلى قرية أبي سمغون ، ولم يغادرها حتى أتاها الفتح ، حيث عين له الرسول عليه الصلاة والسلام الورد الذي أذن له في تلقينه للخلق ، وتربيتهم به ، وقد حدث ذلك يقظة لا مناماً ، على حد قول السيد علي حرازم ١١٩٦ هـ وهو الاستغفار والصلاة على رسول الله أولاً ، ولما كملت السنة الهجرية مائتين وألف ١٢٠٠ هـ كمل له النبي صلى الله عليه وسلم الورد بلا إله إلا الله (١) وبقي الشيخ التجاني في قرية أبي سمغون ، فزاره تلاميذه الأقربون إليه هنالك ، مثل السيد علي حرازم والسيد محمد بن المشري ونحوهم سنة ١٢٠٠ هـ ، ثم جعلوا يترددون إليه مرة بعد أخرى ، حتى استقروا عنده نهائياً ، ثم انتقل من أبي سمغون في الجمهورية الجزائرية إلى مدينة فاس في مملكة المغرب الأقصى ، ومعه عشرة من كبار تلاميذه (٢) ، فقد سكت السيد علي حرازم الذي شهد الحادثة بعيني رأسه عن سبب انتقال شيخه من أبي سمغون إلى فاس ، وأما السيد العربي ابن السائح الذي جاء بآخرة فقد قال : « ثم لما تشعشع أمر هذه الطريقة المحمدية ، وطار صيتها في البلاد المغربية والمشرقية ،

= ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » النساء : ٦٤ هذا كله بالإضافة إلى أن اعتقاد أن الله يوحى إلى أحد غير نبي بأسر يطلب منه أمثاله كفر باجماع المسلمين كما سبق .

١ - السيد علي حوازم : المصدر السابق ٥٩ . ٢ - الناصري : المصدر السابق ١٠٥ .

وأمر الشيخ التجاني في غاية الترفي والكمال بدا له ما بدا في الارتحال والانتقال فانتقل من قصر أبي سمغون متوجهاً إلى حضرة فاس (١) وأما الزباني المؤرخ المغربي السابق ذكره المعاصر للشيخ التجاني فقد قرر أن سبب انتقاله من قرية أبي سمغون إلى فاس هو أنه لما طرده محمد بن عثمان حاكم الجزائر من تلمسان إلى أبي سمغون اجتمع حوله عوام البرابرة والأعراب فجعل عددهم يتزايد ويكثر باطراد ، فأصدر أمير وهران عثمان بن محمد حاكم الجزائر الذي طرده من تلمسان إلى هنالك أمراً إلى أهل أبي سمغون بطرده من قريتهم وهددهم إن لم يفعلوا ذلك ، فانتقل الشيخ التجاني جراء ذلك متوجهاً نحو المغرب الأقصى مع عشرة من أخص تلاميذه (٢) وأيده على ذلك مؤرخ آخر كما سبق وهو السيد أحمد بن خالده الناصري انظر الفقرة السابقة من هذا الفصل بالذات .

وعلى أي حال فإن الشيخ التجاني قد استقر في مدينة فاس حيث رحب به الملك سليمان عاهل المغرب وأعطاه داراً سكن فيها حتى وافته منيته سنة ١٨١٥ م — ١٢٣١ هـ ، وما غادر فاس إلا مرة واحدة في سنة ١٨١٢ م ١٢٢٧ هـ عندما زار مسقط رأسه عين ماضي (٣) .

الواقع أنه لولا حماية الملك للشيخ التجاني لما استقر له القرار بفاس ، لأن الشواهد تدل على أن أهل المدينة من العلماء والدهماء قد أظهروا له عداوة مكشوفة ، فمثلاً عندما استقر به المقام بفاس كان أولاً يصلي في مسجد المولى سليمان ، ثم يرجع إلى بيته لقراءة الوظيفة مع أتباعه ، فأراد أن يبني زاوية خاصة به في مكان يسمى حومة الدردس فقام أهل المدينة في وجهه يحولون دون إقامة البناء ، فلولا تدخل الملك في الأمر لما تم البناء (٤) .

ومما يدل أيضاً على شدة كراهية علماء المدينة الفاسية له ، أن رئيس مجلس العلماء الملكي المغربي الشيخ الطيب بن كيران أحد مشاهير علماء فاس حينئذ هاجم الشيخ

١ - السيد العلامي ابن السائح : المصدر السابق ١٣٤ ٢ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٩ .

٣ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٠ .

٤ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٠ .

التجاني الذي عينه الملك فور وصوله إلى فاس عضواً في هذا المجلس - في غضون الجلسة أمام الملك فقال له إن دعواه أنه شيخ صوفي وأنه أخذ طريقته من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ويقظة كذب وبهتان ، بل قد بلغ عداوة أهل فاس للشيخ التجاني إلى أوج تفاقمها حتى بدأ يفكر في الانتقال من المغرب إلى سوريا (١).

ولكن على رغم عداوة جمهور الفاسيين للشيخ التجاني فقد استطاع أن يعيش فيها في ترف ورفاهية عظيمين ، لأنه وعد دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لكل من أحسن إليه بخدمة أو غيرها ، ولكل من أطعمه كذلك (٢). فتدفقت إليه الهدايا والتحف جراء ذلك من أتباع طريقته الفاسيين ، فإنهم وإن كانوا قليلين إلا أنهم أغنياء ، وفرض له الملك سليمان راتباً يتقاضاه شهرياً (٣) ويحاسب هذا كله تزد عليه الهدايا بكثرة من تلاميذه الذين يسكنون في صحراء الجزائر ، هذا كله ما عدا الأموال الطائلة التي يمتلكها في جنوب الجزائر ، وقيل إنه كان له قطيع من الإبل يرعاها له بعض تلاميذه في قرية أبي سمغون (٤) .

ولكن السيد علي حراز هو خير من ينبغي أن يفصل لنا القول بكل دقة في هذا الموضوع نجده قد سكت سكوتاً يكاد يكون تاماً ، بل إنه قد حاول أن يخفيه إخفاء ، حيث قرر ما يفيد أن الأموال الطائلة التي يتفقهها الشيخ التجاني على عياله وأتباعه ، والعطايا الجسيمة التي يجز لها على أصدقائه ، ومن يريد اصطناعهم ، إنما تأتيه من طريق الكرامة وخرق العادة ، حيث إنه لم يكن يدخر شيئاً ولا يأخذ من يد

١ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٠

٢ - السيد علي حراز : المصدر السابق ١٢٩ .

قال الشيخ التجاني فلما رأيت ما صدر لي منه من المحبة صلى الله عليه وسلم وصرح لي بها ، تذكرت الأحباب ومن وصلي لإحسانهم ومن تعلق بي بخدمة وأنا أسمع أكثرهم يقولون لي تحاسبك بين الله إن دخلنا النار وأنت ترى فأقول لهم لا أقدر لكم على شيء ، فلما رأيت من هذه المحبة صلى الله عليه وسلم سألت لكل من أحبني ولم يعادني بعدها ولكل من أحسن لي بشيء من مثقال ذرة فأكثر ولم يعادني بعدها وأؤكد ذلك من أطمعني طعامه كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب (جواهر المعاني ج ١ - ص ١٣)

٣ - الناصري : الاستقصاء ج ٨ ص ٤ - ١٠٥ ٤ - جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٢

أحد شيئاً (١) .

فالراجح أن الشيخ التجاني كان يعتبر من كبار الأغنياء في ذلك العصر ، لما كان يرد عليه بكثرة من الأموال من كل ناحية ، فكان له رسل لجمع أموال الهدايا من أتباعه المنتشرين على حافة صحراء الجزائر (٢) وهناك أيضاً القائمون على أمواله الخاصة وقد روى السيد العربي في بغية المستفيد : أن الشيخ التجاني قال في معرض كلامه في تحذير المريدين من الخيانة في أمواله حيث مدح تلميذاً له يسمى السيد محمود التونسي : « كل من تصرف لي في شيء من المال ظهرت عليه خيانة أو ريبة إلا السيد محمود » (٣) .

ولا شك أن هذا يدل بوضوح على أن للشيخ التجاني أموالاً كثيرة وخداماً قائمين عليها ، وأنهم يخونونه فيها خيانة عظيمة ، بدرجة أنه لم يستطع السكوت عليها ، مما يدل على ضخامة المال وكثرته ، ويؤيد ذلك ما رواه السيد العربي أيضاً من أن السيد محمود السابق ذكره الذي كان في مال الشيخ التجاني بالصحراء فكان يأتيه في كل مرة بمال له بال مما يجمعه من أثمان صوف وسمن وأكباش وغمر وغير ذلك « (٤) وقد وصف السيد علي حرازم إنفاق الشيخ التجاني على عياله وضيوفه والضعفاء والمساكين والمتسبين اليه بشكل لا يطيقه إلا الغني الثري فقال : « وأما شأنه في داره وعياله فلم يكثر الطعام ، والإطعام والتوسعة والإنعام والإفضال والإكرام ، لا يدع شيئاً إلا متعهم فيه على وجه شرعي من قصد كفايته إياهم وتنعيمهم بأنعم مولاهم لا على الرفاهية والترف » . وقال أيضاً : « وعادته الكريمة لإجراء الصدقات على عمر الليالي والأيام ، ففي كل جمعة يفرق القمح على ضعفاء البلد ، كل واحد ما يناسب حاله من الضعفاء والأيتام والأرامل وكل محتاج ، وكذلك في كل يوم عند وقت الضحى يفرق الخبز على الصبيان في باب داره » .

١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ٩٥ - ٢ - السيد العربي : المصدر السابق ٩١ .

٣ - السيد العربي : المصدر السابق ٩١ .

٤ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ٣ - ٩٤ .

لقد استطاعت الطريقة التجانية أن تتركز في مدينة فاس على رغم قلة أتباعها من سكان المدينة ، كما أن موالاة الملك سليمان للشيخ التجاني قد جذبت أنظار رجال الدولة المغربية العظام وحاشية الملك إلى الطريقة التجانية ، والدخول فيها ، كما تمكن الشيخ التجاني أيضاً في مركزه بفاس أن يرسل دعاة إلى الأقطار المجاورة للدعوة إلى طريقته الجديدة ، فمثلاً إنه قد أرسل رجلاً يسمى أبا حفص عبد الرحمن للدعاية إلى الطريقة في وهران بالجزائر ، كما أرسل واحداً أيضاً يدعى عبد السلام الودغيري للدعاية لها أيضاً في القسطنطينية جنوب الجزائر ، ومناطق أخرى فيها ، فكان كلما نجح في إدخال بعض العظماء في طريقته جعله مقدماً توالى ، ويكفيه مؤنة دعوة قومه إلى الطريقة ، فبهذه الخطة الحكيمة استطاع أن ينشر طريقته في أقاصي البلاد وأدانيها ، حتى انتشرت في الجزائر كما انتشرت في الجريد التونسي بفضل المجهود الذي بذله محمد بن قويدر العبدلاوي ، كما انتشرت أيضاً في مورتانيا على يد الشيخ محمد الحافظ العلوي ، كلاهما التقى بالشيخ التجاني في فاس (١) .

لقد خلف الشيخ التجاني عند موته ولدين هما محمد الكبير ومحمد الحبيب الصغير ما عدا عدداً من البنات ، وقد أوصى قبل موته بأن يتسلم عرش خلافته في رئاسة الطريقة السيد علي التماسيني ، ولكنه أي الشيخ التجاني أراد أن يتفادى ما قد يحدث من التنافس والشقاق بين بيته وبين بيت التماسيني ، فقدم بين يدي ذلك شرطاً وهو أن تكون الخلافة بين أكبر رجل من الأسرتين بالتناوب بعد موت التماسيني ، إلا أن هذا بطبيعة الحال ليس من الشروط التي تلتزم ، فصرعان ما حدث الخلاف بين البيتين مما أدى إلى إنقسام الرئاسة إلى فرعين ، فرع عين ماضي بقيادة أبناء الشيخ التجاني وفرع تماسين بزعامة أولاد السيد علي التماسيني (٢) .

لقد استطاع السيد علي التماسيني بعد وفاة الشيخ التجاني أن يقنع ولديه بمغادرة فاس ، والرجوع إلى عين ماضي ثم بعد انتقالهما من فاس ستة أشهر رجعا مرة أخرى ، فأخرجوا جثة أبيهما لإعادة دفنها بمسقط رأسه ، فحال دون تحقيق ذلك السيد موسى

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٣ ٢ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٣ .

ابن معاذ مقدم زاوية فاس ، حيث أقنعهما بحجة أن ذلك يفقد المركز الرئيسي للطريقة
هيبته ، فأعادا الجلطة إلى مكانها ، ولكن رئاسة الطريقة رغم ذلك انتقلت إلى الجزائر
حيث لا يدعي مقدم الزاوية الفاسية السيطرة على زوايا الطريقة بأسرها ، كما يدعي
ذلك خليفة عين ماضي أو خليفة تماسين ، إلا أن الزاوية الفاسية قد صارت بعد ذلك
كعبة للحجيج التجانيين الزائرين لضريح شيخهم الموجود فيها وكفاها بذلك فخراً
وشرفاً (١) .

ثم إن انتشار الطريقة التجانية الواسع ، والمنافسة القائمة بين زاوية عين ماضي
وبين زاوية تماسين ، وظهور الفروع المهمة للطريقة في الأقطار النائية عن مركز القيادة ،
خصوصاً في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى تحت زعامة الشيخ عمر طال بن سعيد
الغوتي ، والفرع الذي ظهر أخيراً في السنغال برئاسة الحاج السيد مالك سي وأولاده ،
وكذلك ظهور الفرقة الحمالية التجانية في السنغال أيضاً ، كان ذلك كله من جملة العوامل
التي ساعدت في لامركزية الطريقة بعد موت مؤسسها ، حيث وزع رؤساء هذه
الفروع الرئاسة العامة الموجودة بينهم ، بحيث لا توجد أمور عامة عالية تدار من مركز
رئاسة الطريقة بعين ماضي أو بتماسين (٢) .

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ التجاني مات ولم يخلف رسالة واحدة من تأليفه
تتخذ مرجعاً رئيسياً أصلياً لجميع عقائد الطريقة وطقوسها ، إلا أن ثلاثة من أخص
أصحابه ألفوا كتباً تتضمن تقاريراته وأوامره في المباحث الإلهية والأحكام المتعلقة
بطريقته ، والأقوال الماثورة عنه ، ومن ثم كانت هذه الكتب الثلاثة مصدراً لجميع
عقائد الطريقة التجانية التي استنتجها علماء التجانية وطوروها (٣) .

فأول هذه الكتب هو كتاب (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس
التجاني) ألفه السيد علي حرازم بن يراده وهو من أصل فاسي التقى مع الشيخ التجاني
كما قدمنا في بلدة وجدة في المغرب عندما كان الأخير في طريقه إلى فاس لزيارة المولى

١ - جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٤ .

٢ - جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٤ ٣ - جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٤ .

إدريس جد الشرفاء العلويين المغاربة فور رجوعه من الحرمين سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م
 فاتفق أن الأول أيضاً متوجه نحو فاس فسافرا معاً فعندما وصلا إليها لقنه الشيخ التجاني
 الطريقة الخلوتية التي قدمه فيها الشيخ محمود الكردي بمصر ، ويعتبر هذا الكتاب
 قصة حياة الشيخ التجاني التي كتبها بيده ، حيث إنه هو الذي أملى على السيد علي
 بعض أجزاء الكتاب الذي يناقش تاريخ حياته وما إلى ذلك ، إلا أن الكتاب في الواقع
 ليس كله من تأليف السيد علي حرازم أو من إملاء الشيخ التجاني ، وإنما عمد السيد
 علي إلى كتابة مخطوط عنوانه (المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد)
 الذي ألّفه السيد محمد بن عبد السلام القادري في ترجمة شيخه أحمد معن بن عبد الله
 الأندلسي المتوفى سنة ١٧٠٨ م ١١٢٠ هـ فانتحله بأكمله تقريباً حيث نقل خطبة الكتاب
 حرفاً بحرف وأخذ أبواب الكتاب وتقسيمات فصوله وعناوينها كما هي دون أدنى
 تغيير ثم جعل يمحو إسم الشيخ أحمد معن من كل مكان وصفه تلميذه القادري بوفور
 العلم وعزارة المعرفة ، ونفوذ البصيرة ، وسمو الأخلاق ، وكمال التقوى ، وما إلى
 ذلك من التعظيم ، والتبجيل ، ويثبت محله إسم شيخه أحمد التجاني ، بل وحتى
 القصد الذي استعملها القادري في مدح شيخه وتبجيله ، حولها حرازم كلها إلى شيخه
 التجاني ، ثم نسب أجوبة الأسئلة التي قدمها القادري إلى شيخه أحمد معن وأجابه
 عنها إلى شيخه التجاني متظاهراً بأنه أي علي حرازم هو السائل ثم سكت سكوتاً تاماً
 عن الاعتراف بهذا الانتحال الصادر منه (١).

وعندما انتهى من تأليف الكتاب قرأه كله أمام الشيخ التجاني في صورة مقابلة
 في اليوم الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م بمسجد الديوان في مدينة
 فاس (٢) فأقره على جميع ما أثبتته في الكتاب ، وما نسبته إليه ، ومن ثم مضى الشيخ
 حتى نسب إلى نفسه ، بقوله كتابنا كما سيأتي ثم صرح أخيراً بأن النبي صلى الله عليه
 وسلم ظهر له بقطعة وأخبره بأن الكتاب كتابه هو أي النبي الذي ألفه بيده (٣).
 هكذا ظل هذا الانتحال خفياً لم ينتبه إليه أحد ، حتى طبع كتاب جواهر المعاني

١ - الدكتور حيل أبو النصر : المصدر السابق ٢٤ .

٢ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ج ٢ - ٣٨٥ - ٣ - القاضي سكيرج : كشف الحجاب ٧١ .

سنة ١٩٢١ م - ١٣٤٧ هـ فسرعان ما وقف على ذلك بعض علماء المغرب البارزين ، مثل المولى العربي العلوي خطيب السلفية المتحمس في المغرب يومئذ ، والسيد عبد الحفي الكتاني فاتفق الإثنين - على رغم اختلافهما في وجهة النظر حول المسائل الدينية والسياسية - على التشهير بالسيد علي حرازم وشيخه التجاني فطبعا كتاب (المقصد الأحمد) سنة ١٩١٧ م - ١٣٥١ هـ بقصد الحط من قيمة الطريقة التجانية ومؤسستها من قلوب جمهور المسلمين عموماً ، وادخال الشقاق في صفوف التجانيين خصوصاً ، ولعل من أجل ذلك أيضاً قاما بنشر الإجازة التي كتبها الشيخ التجاني بخط يده لأحد أتباعه في قراءة كتاب جواهر المعاني ، مضيفاً الكتاب إلى نفسه بقوله كتابنا كما مر ، وفيما يلي نص الإجازة .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه أحمد بن محمد التجاني قد أجزت حبيبنا سيدي محمد التهام ابن سيدي المكي بن رحمون الشريف الحمصي في أوردنا وطريقتنا المحمدية وبما حواه واشتمل عليه كتابنا (جواهر المعاني وبلوغ الأمان) رواية غني وعملا بما فيه من كل شيء وأذنا له بما فيه من الخواص والأسرار أياً كانت ، ومن أي فن ، كانت إجازة تامة مطلقة عامة خالدة أبدية سرمدية ، أذنته فيها أن يجيز من شاء وكيف شاء على قاعدة الإذن والإجازة المعروفة عند أهلها ، وكتب أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضله بجاه النبي العدناني وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » (١).

ولما وقف القاضي الحاج أحمد سكبرج العياشي المدافع الوحيد للطريقة التجانية في المغرب حينئذ على هذا الاستكشاف عن السرقة الأدبية التي ارتكبها السيد علي حرازم وأقره عليها شيخهما التجاني لم يستطع أن ينكر ذلك ، فكتب ما هذا نصه : « قد طعن الناس الذين يبحثون عن العورات في كتاب جواهر المعاني الذي ألفه الخليفة المعظم السيد الحاج علي حرازم براده بأنه متحل من كتاب (المقصد الأحمد) تأليف العلامة أبي الطيب القادري الذي ألفه في الولي الصالح أبي العباس سيدي

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٨٩

أحمد بن عبد الله معن ... ولقد عثرت على ثلاث نسخ من هذا المقصد وقابلته مع جواهر المعاني فوجدت خطبته كخطبته ، وجل ترتيب أبوابه على ترتيبه ، وأما ما يتعلق بالطريقة والمسائل العلمية الحديثية والفقهية ومقالات الشيخ التجاني ومقاماته فليس شيء منه ، إلا ما كان مماثلاً من الموافقات في المشررين في قضية من القضايا اتفقت للشيخين ، حتى كأن هذه عين هذه مما يقع مثله لكثير من الناس فيذكر باللفظ ، وليس هذا بمستكر في حق كل مؤلف رأى ما يناسبه في موضوع تأليفه فنقله ... وإذا كان العلماء الكبار ينقلون الكتب من أصلها فتنسب لهم مع معرفة مؤلفها الأول فلا بأس بحمد الله في محاذاة جواهر المعاني (المقصد الأحمد) (١) .

ومعنى ذلك أن الشيخ سكيرج قد وافق على وقوع هذا الانتحال بعد أن بحث عن ذلك بنفسه ، فقابل بين الكتابين فوجد الأمر كما قيل إلا أنه لم يجد في كتاب (المقصد الأحمد) الكلام المتعلق بالطريقة التجانية ومقالات الشيخ التجاني ، ومقاماته وكراماته الموجود في جواهر المعاني ، إلا ما يكون مماثلاً لما في المقصد من طريق الموافقة التي يجيل للناظر كأن هذه عين هذه فقط ، وأما المسائل العلمية الحديثية والفقهية فليس يستكر في حق كل مؤلف رأى ما يناسبه في موضوع تأليفه فنقله لأن العلماء الكبار ينقلون ذلك فتنسب الكتب إليهم مع معرفة مؤلفها الأول ، ولذلك لا بأس بما فعله مؤلف (جواهر المعاني) ولكن للأسف لم يذكر لنا اسم العالم الكبير الذي نقل كتاباً من أصله ونسبه إلى نفسه فوافق على ذلك العلماء .

الذي هو كتاب (الجامع للعلوم الفائضة من بحر القطب المكتوم) ألفه السيد محمد بن الشري المتوفي ١٢٢٤ وأصله من تآكرت في الإقليم القسطنطيني بالجزائر ، التقى مع الشيخ التجاني أولاً في تلمسان إثر عودة الثاني من الحرمين ، وهو على هذا التقى في وقت واحد مع السيد علي حرازم تقريباً ، وقد لقنه الشيخ التجاني هو الآخر الطريقة الخلوتية أول لقائهما ، فان الأقوال التي نقلت عن الشيخ التجاني في كتاب الجامع هذا تنفق في كثير من المناسبات مع التي في كتاب جواهر المعاني لقد ظل هذا الكتاب مخطوطاً حتى الآن .

الثالث هو كتاب (الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية) جمعه السيد محمد الطيب السفيناني المتوفي سنة ١٢٥٩ هـ - ١٨٤٢ م كان السفيناني من أخص أصحاب الشيخ التجاني الأقرين في فاس ، فكان يكتب كل ما يسمعه منه مباشرة ويرتبه على الحروف الهجائية ثم يعلق على كل قول على حدة .

وهذا الكتاب - على صغر حجمه - هو الذي يحتوي على حقيقة تعاليم الشيخ التجاني التي يلقيها على خواص أصحابه ، ولكن للأسف أن الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف الجزائري نزيل مصر الذي تولى مهمة الدفاع عن الطريقة التجانية بعد وفاة سكيرج قد أزال من الكتاب أموراً كثيرة ذات قيمة علمية كبيرة عند الباحث قبل أن ينشره ، ولذلك تخلى الكتاب عن كثير من المعلومات المتضمنة فيه وعلى أي حال فسياتي مزيد الكلام عليه في بعض فصول هذا الكتاب عندما تقتضي ذلك مناسبة .

فكانت هذه الكتب الثلاثة هي أمهات مراجع الطريقة التجانية ومن أجل ذلك انتشرت في أيدي رجال التجانية الكبار في كل قطر (١) .

الورد التجاني أو الطريقة التجانية

شرح الشيخ التجاني حسب ما قاله السيد علي حرازم بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعيني رأسه بقظة لا مناماً ، وهو يومئذ بقريّة أبي سمغون سنة ١١٩٦ هـ - ١٧٨١ م وأخبره بأنه هو مربيه وكافله ، وأنه لا يصل إليه شيء من الله إلا على يديه بواسطته ، وهو ممدّه ، وقال له لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق ، وفتح الله له على يديه صلى الله عليه وسلم فلقنه الورد الذي أذن في تلقينه للخلق ، وثربيتهم به على العموم والاطلاق ، وقال له أترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق والزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس ، وهذا الورد كان أولاً عبارة عن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فظل الشيخ التجاني على هذا

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٥ .

الورد بهذه الكيفية أربع سنوات فعندما تمت السنة الهجرية مائتين وألف ١٢٠٠ هـ جاء الرسول عليه الصلاة والسلام إليه وكمله له (بلا إله إلا الله) فعندئذ أظهر أمره وبدأ يدعو الناس إلى طريقته (١).

والظاهر أن الشيخ التجاني كان منذ رجوعه من الحج يستعد للظهور ، ومما يدل على ذلك قوله لتلميذه السيد علي حرازم وهما بفاس عندما زار قبر المولى إدريس : « الزم العهد والمحبة حتى يأتي الفتح ان شاء الله تعالى » (٢). بل الراجح أن الشيخ التجاني عندما كان في تلمسان أراد أن يظهر أمره فلم يستسغ العلماء والفقهاء بعض دعاويه فتعلقوا بما كان يزاوله من صناعة الكيمياء فسعوا به إلى السلطان فقبض عليه وأصدر عليه الحكم بما تقدم ، ومن ذلك نفيه من تلمسان إلى أبي سمغون سنة ١١٩٦ هـ ١٧٨١ م ، ومما يدل على ذلك أنه قد صرح بأن النبي ﷺ ظهر له ولقنه ورد طريقته في نفس هذه السنة التي نفي فيها ، ومعنى ذلك أنه ما لبث حتى أظهر أمره فور وصوله إلى أبي سمغون ، ثم مكث أربع سنوات يفكر ويقدر ويدبر أمره ، وعندما ثم له جميع تدابيره وتنظيماته أظهره وجربه على قبائل البدو الذين أحاطوا به هنالك ، وبعد أن آنس علامة النجاح أرسل إلى تلميذه اللذين هياهما وجهزها لهذا الغرض ، وهما السيد علي حرازم والسيد محمد بن المشري فإننا قد رأينا أنه أنشأ طريقته في نفس السنة التي انتقل فيها من تلمسان إلى أبي سمغون وشلالة ، فجربها هو وحده وربما مع أهل أهل بيته أربع سنوات من ١١٩٦ هـ إلى ١٢٠٠ هـ حينما أظهره للناس فجربه كذلك في عالم الظهور ثلاث سنوات .

وحتى ذلك الوقت لم يزره أحد من تلميذه اللذين سبق ذكرهما آنفاً ، وقد أخبرنا السيد علي حرازم بأن زيارتهم له منذ انتقاله إلى أبي سمغون كانت في سنة ١٢٠٣ هـ (٣) ومعنى ذلك أنه مكث سبع سنوات منفرداً عنهما ثم لحقا به بعد ذلك ، فظل عشر سنين يعلمهم مبادئه وتعاليمه الجديدة قبل انتقاله نهائياً إلى فاس ، ومعنى ذلك أيضاً

١ - السيد علي حرازم : المذكر السابق ج ١ - ص ٥١ .

٢ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ٥٠ - ٣ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ٥٢ .

أن مبادئ طريقته وتعاليمها قد رسخت في أذهان كبار أصحابه رسوخاً يصعب اقتلاعها وإخراجها لسبب نقد متقد أو انكار منكر أو تكفير مكفر ، وهم في قلب الصحراء بعيدون عن المدن العامرة بالفقهاء والعلماء الذين من شأنهم أن يتحمسوا للدفاع عن الشريعة الإسلامية وعقيدتها ، والذين لا يعرفون الهوادة في إظهار تكبرهم الشديد وانتقادهم اللاذع على كل جديد من شأنه أن يفسد عقيدة العامة ويعقد لهم دينهم السهل الذي ارتضى لهم الله ويضعف وقع الأمور الشرعية في نفوسهم .

ومها يكن من شيء فإن أورد الطريقة التجانية انقسمت إلى ثلاثة أقسام :

١ - الورد اللازم وهو الذي أخذه الشيخ التجاني عن النبي ﷺ مباشرة في اليقظة والمشاهدة كما قال السيد علي حرازم ، وهو كما سبق عبارة عن الاستغفار مائة مرة والصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة كانت مائة مرة ، ثم لا إله إلا الله مائة مرة يقرأ صباحاً ومساءً .

وأما وقته فإن ورد الصبح يبتدئ وقته من صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، ووقت ورد العصر من صلاة العصر إلى صلاة العشاء ، ومن فاته في هذين الوقتين يعذر فالنهار كله وقت لورد الصبح ، والليل كله وقت لورد الليل ، ومن فاته ورده في اليوم كله فعليه قضاؤه على ممر الدهر .

ومعنى هذا أن للورد التجاني وقتين اختياري وضروري مثل ما للصلاة المكتوبة تماماً بتمام .

ثم إن كل من أخذ هذا الورد وتركه تركاً كلياً أو متهاوناً حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك ، وهكذا أخبر النبي ﷺ الشيخ التجاني حسب ما قرره السيد علي حرازم (١) .

ولهذا الورد شروط مرتبة في جواهر المعاني ، وفي أكثر رسائل الطريقة التجانية ، وأما الشرط الخاص الذي لا يطلب إلا لمن يقدر عليه ، ولا يقدر عليه إلا أكابر رجال الطريقة ، هو أن يصور صورة الشيخ التجاني في نفسه ، ويعتقد أنه في حال

١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ١٢٣ .

ذكره جالس بين يديه ، ويستمد منه من أول الذكر إلى آخره (١).

٢ - الوظيفة : وهي التي سماها السيد علي حرازم أوراد الزاوية ، وهي كما قرر عبارة عن الاستغفار بأي صيغة مائة مرة ، وصلاة الفاتح لما أغلق مائة مرة ، أو خمسين مرة والهيللة مائتي مرة أو مائة ، وجوهرة الكمال إحدى عشرة مرة .

وحكمها في الطريقة أنها غير لازمة ، ومن أراد أن يذكرها فليذكرها ومن لا فلا ، وتكفي في وقت واحد إما في الصباح وإما في المساء وإن تيسر في الوقتين فحسن ، ومن تركه فلا قضاء عليه ، فلا بد من الوضوء في قراءة جوهرة الكمال ، فلا تقرأ بالتيتم ، وسبب ذلك أن النبي ﷺ يحضر عند قراءتها (٢).

٣ - ذكر الهيلة يوم الجمعة بعد صلاة العصر مع الجماعة فلا يجزىء قراءتها منفرداً إذا كان في البلد تجانيون ، فلا بد من اجتماعهم لقراءتها ، والواحد الذي لا إخوان له في البلد يقرأ الهيلة وحده وهذا شرط من شروط الطريقة وهذا الذكر ليس له عدد معلوم (٣).

هذا وقد وصف السيد علي حرازم ذكر يوم الجمعة بالزوم وقال : * ومن أوراده اللازمة للطريقة ذكر الهيلة بعد عصر يوم الجمعة ، ولكنه ما بين لنا هل الوظيفة وذكر الجمعة أيضاً أخذهما الشيخ التجاني من رسول الله ﷺ بقطة ومشافهة كما أخذ الورد اللازم ؟ أم كانا من اجتهاده واستنباطه ؟ .

٤ - الأوراد الخاصة وهي كثيرة جداً فقد جمعت في كُتَيْبٍ بعنوان أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني الشيخ أحمد التجاني .

هذه هي الأوراد التي تشكل العمود الفقري للطريقة التجانية ، والظاهر الذي يبدو للعيان أنه لو أن هذا فقط هو الطريقة التجانية لكان الخلاف بين التجانيين وبين علماء الشرع الإسلامي قليلاً جداً ، بل ربما تلاشى واضمحل على تعاقب الأيام ،

١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ج١ - ص ١٢٢ .

٢ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ج١ - ص ١٢٤ ٣ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ج١ - ص ١٢٥ .

لكن للأسف أن هذه الأوراد قائمة على أساس من الدعاوى الجريئة الواسعة المدى ، لا يستطيع كثير من علماء الإسلام استساغتها ولا يمكنهم كذلك التمالك عن إظهار نكيرهم الشديد تجاهها ، وهذه الدعاوى كثيرة جداً بدرجة أنك لو قلت إنها هي الطريقة التجانية ليس إلا لما أخطأت الصواب ، ونذكر على سبيل المثال أخفها وأيسرها وقماً في النفوس ، لقد جاء في رسالة للشيخ التجاني إلى تلاميذه في الاعواظ ما يلي :
 يليه اعلامكم أن فضل الله لا حد له وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وأقول لكم إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ، ولا يقاربه لا من صغر ولا من كبر ، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النسخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يقاربه لبعده عن جميع العقول ، وصعوبة مسلكه على أكابر الفحول ، ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه عليه السلام تحقيقاً ، وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي . ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم وضمنه صلى الله عليه وسلم لهم لا يحل لي ذكره ولا يعرف إلا في الآخرة » (١).

ثم أخذ خلفاؤه الذين جاءوا بعده هذه الدعاوى فطوروها ووسعوا مداها وأظهروها للمسلمين مفتخرين بها وواثقين من أنفسهم أنهم كانوا على الذروة القصوى من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم والقيام على إحياء سنته وهم الناجون الذين لا يشك اثنان في نجاتهم يوم القيامة ، وأن المسلمين على شفا حفرة من نار جهنم يومئذ ، روي الشيخ إبراهيم إنياس عن خليفة الشيخ التجاني السيد علي التماسيني أنه قال : « إن الله ساق الوجود مساق الهلاك لا يسلم منهم أحد إلا من رزقه الله محبة سيدنا أي الشيخ التجاني » (٢) فأورد الشيخ عمر الغوتي دائرة سماها بالدائرة الفضلية وقال في وصفها :
 « لأعلم أن الله سبحانه وتعالى دائرة تسمى الدائرة الفضلية وتلك الدائرة مكنوزة من وراء خطوط الدائرة التي هي دوائر الأمر والنهي والجزاء خير أو شر والاعتبارات والوازم والمقتضيات فإن هذه الدوائر هي دوائر عموم الخلق وتلك الدائرة هي دائرة اختصاصية واصطفائية سبحانه وتعالى فيضعها لمن يشاء من خلقه وهذه الدائرة جعلها الله

١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ج ٢ - ١٧٦ .

٢ - الشيخ إبراهيم إنياس : جواهر الرسائل ج ١ - ٢٣ .

سبحانه وتعالى فيضها فائضاً من بحر الجود والكرم لا يتوقف فيضها على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط ولا يبالي بمن كان فيها ، وفتى باليهود أم لا ، انتهج الصراط المستقيم أم سقط في المعاصي في الطريق الوخيم ، ولا يبالي فيها لمن أعطى ولا على ماذا أعطى ، ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع ، وفيها أوقع الله تعالى هذا الشيخ الأحمدي المحمدي الإبراهيمي ، وجعلها سبحانه دائرة أهل طريقته ، وأوقعهم فيها ، فضلامته وجوداً وكرماً ، لشدة عنايته بهذا الشيخ العظيم الذي جمع له بين مقام المحبة والخلة الناشئين من هذه الدائرة التي بها اتخذ الله تعالى نبيه محمداً حبيباً وسيدنا إبراهيم خليلاً لورائته إياه ، ولذلك كانت طريقته طريقة المحبة والشكر (١) .

ومعنى هذا أن الشيخ التجاني لم يفق جميع الأولياء فحسب ، بل نفاق الأنبياء أيضاً ، وهو على هذا يشاطر المقام والمنصب مع النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، بل والذي يدل عليه فحوى كلام الفتوي أن الشيخ التجاني أفضل من النبي محمد والنبي إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، لأن الله على حد قول الشيخ عمر جمع للشيخ التجاني بين المحبة والخلة ، بينما انفرد النبي محمد بالمحبة واختص النبي إبراهيم بالخلة ، فحسب . والراجع أن هذا هو مراد الفتوي ، لأن كلامه هذا تفسير لما رواه قبل ذلك قليلاً عن الشيخ التجاني حيث قال أي الشيخ التجاني : « أعطاني الله في السبع المثاني ما لم يعطه للأنبياء » . وقال : « الله أعطاني ما لم يعطه لأحد من الشيوخ أبداً » (٢) .

روى لنا الشيخ إبراهيم إنياس عن شيخه الذي يسميه دائماً بالقطب الرباني الحاج عبدالله بن الحاج العلوي المورتاني أنه قال لو ولد الشيخ إبراهيم ، وهو أي الشيخ إبراهيم صبي يومئذ : « قل لولدك هذا يدعوني أن أموت على الطريقة التجانية » . فقال الشيخ إبراهيم : « قلت له أنا ضمنت ذلك وقال ذلك للشيخ إبراهيم أيضاً لي حاجة أخرى قل لربك يجعل علي جميع كباثر أمة محمد صغارها وكبارها وأنا

١ - الشيخ عمر الفتوي : الرماح ج ٢ - ٣٠ بهامش جواهر الماني .

٢ - الشيخ عمر الفتوي : كتاب الرماح ج ٢ - ٥٣ .

أَتَعْمَلُهَا إِذَا مِتَ فِي الطَّرِيفَةِ التَّجَانِيَةِ وَلَا يَضُرُّنِي ذَلِكَ» (١) .

وقال الشيخ إبراهيم إنياس في محاضراته لأتباعه بمدينة زاريا في نيجيريا الشمالية :
« وإذا اجتمعنا عند الله تبارك وتعالى فأقرب العباد إلى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ،
وأقرب الناس إلى رسول الله أصحابه وأصحاب الشيخ التجاني ، عدهم رسول الله
من أصحابه ، وأنا لا أسمع لأي ولي أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم القيامة إلا الشيخ التجاني فقط ، ولا أسمع لأي تجاني أن يكون أقرب إلى
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابي وكأنني أنظر إلى ذلك الوقت ،
واعلموا أنه آت إن شاء الله وإذا جاء وكان هذا الذي قلت كذباً ترون ذلك » (٢) .

إذا نظرنا إلى هذه الطرق الصوفية ، ندرك أنها عبارة عن مستعمرات روحية
باطنية ، يؤسسها هؤلاء الشيوخ على أذهان السذج والبسطاء من دهماء المسلمين ،
حيث إن فرداً واحداً من أفراد المسلمين أياً كان لا يحتاج إلى طريقة واحدة أية كانت ،
لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن بلغ كل
ما أرسله الله به إلينا ، ولم يغادر صغيراً ولا كبيراً إلا قد أداه على أحسن حال وأكمل
وجه ، وعلم أصحابه كل شيء من تعاليم الدين ومبادئه ومشاعر العبادات وكيفية
أدائها ، بحيث لا يحتاج ذلك كله إلى زيادة شيء فيه ، كيفاً أو كمّاً ، ثم حذر المسلمين
من ابتداع شيء في هذا الدين الذي بلغه بقوله : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
وكل ضلالة في النار » (٣) . وقال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٤)
ثم احتسب مما يأتي به المبتدعون من الشبهات من قولهم إن ما يأتون به لم يخرج من
دينه الذي جاء به فقال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (٥) إلى غير ذلك
من الأحاديث الصحاح التي ترمي إلى هذا الهدف ولا تحيد عن مرماه ، وعرف علماء
الإسلام البدعة بأنها إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه » (٦) فثبت

١ - الشيخ إبراهيم إنياس : محاضراته في زاريا ١٨ - ٢ - الشيخ إبراهيم إنياس : نفس المصدر ١٣ .

٢ - الشيخ عثمان بن فودي : أحياء السنة ٢٢ - ٤ - النووي : أربعون حديثاً ١٤ .

٣ - النووي : نفس المصدر ١٤ - ٦ - الشيخ عثمان بن فودي : المصدر السابق ٢٢ .

بذلك أن هؤلاء الشيوخ هم الذين يحتاجون إلى عامة المسلمين أن يأخذوا طرقهم لينخرطوا في سلك أتباعهم فتتسع بذلك دائرة مملكتهم الروحية ويكثر عدد رعاياهم الساكنين المكشوحين .

فلذا كان هذا غرض الشيوخ الصوفية من تأسيس الطرق فالطبيعة الحالية تفرض لكل شيخ أن يعظم نفسه ويرفعها فوق من سبقه من الشيوخ ، حتى يضمن لنفسه ميل العامة إليه ، ويكتسب تعظيمهم البالغ لقدرة ، والقبول الجازم لكل ما يلقي إليهم من التعاليم والمبادئ ، والشيخ التجاني مثل كل شيخ صوفي قد آتس في نفسه قوة تأسيس طريقته الخاصة به ، فلا بد له والحال هذه التي قدمنا من أن يدلي بدلوه في الدلاء ، ويأتي بدعاويه ، ويخترع لنفسه من المقامات والمناقب والقضائل ما يوافق حاله وحال عصره ، وعقول المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا سيما أنه جاء متأخراً جداً فوجد أن الرجال قد تقدموا أمامه في جميع الميادين ، ولم يجد مجالاً للقول ولا ميداناً للعمل إلا وقد سبقه إليه الأولون ، حتى وكان زهير بن أبي سلمى المزني بين يديه ينشده قوله :

ما أرانبا نقول معـبارا أو معادا من لفظنا مـكـرور (١)

ثم رفع بصره نحو قمة هرم التصوف ، فرأى شخصيتين بارزتين في أعلى أعالي تلك القمة ، قد ملكا التقدير العام في العالم الصوفي على اختلاف طبقاتهم ، أحدهما بالشرق ، وهو أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني المتوفي سنة ٥٦١ هـ والآخر بالمغرب وهو أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله الشاذلي المتوفي ٦٥٦ هـ فتاب إلى نفسه وامتنحن ما عنده من المواهب فاستشعر بأنه لا يقل عنهما موهبة ، ولكن حكم الزمان قضى عليه أن يتلمذ لأحدهما أو لكليهما كي يتألق نجمه في أفق التصوف ، ويظهر ما عنده من المواهب حتى يستوفي نصيبه في ذلك كما استوفيا نصيبهما من قبل ، ولكن بيثته حيثئذ والظروف المحيطة بها لا توفر له فرصة القيام بالعمل الذي قام به ذاك ، ولو حاول ، ولعله من أجل ذلك مال إلى مدرسة صوفية أخرى ، وهي مدرسة أصحاب وحدة الوجود ، التي تقوم على أساس المبادئ النظرية

١ - الشيخ أحمد الاسكندري : الوسيط في الأدب العربي ٥٤ .

الفلسفة ، والتي يتزعمها الشيخ الأكبر محمد بن علي المعروف بابن عربي الحاتمي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ فوجد أنه تكلم بتوسع عن القطب بجميع مراتبه وأحواله وأشكاله ، وتكلم أيضاً بتفصيل عن خاتم الولاية المحمدية ، وصفاته ، وخصائصه ، ومميزاته ، وهلم جرا ، وكان أكثر كلامه مشاعاً ، فقلما ينسب إلى شخصية معينة ، وكثيراً ما ينسب إلى شخصية مبهمه ، فكان من السهل للشيخ التجاني وتلاميذه أن ينتحلوا ما يشاءون من ذلك قدر ما يستطيعون لأننا وجدنا أن مدى بعض دعاوى ابن عربي أطول بكثير من تناول التجاني ، لأنه أي الحاتمي قد حاول بكل ما يستطيعه من جد أن يجعل خاتمة الأولياء الذي يعني به نفسه ، نظيراً للنبي خاتمة الأنبياء تماماً بتمام ، وأن يستقل عنه في كثير من الظروف استقلالاً يكاد يكون تاماً ، بكلام صريح لا يحتمل التأول (١) ، وكان اعتماده في كل ذلك على الكشف أو التزل الذي جعله في مرتبة القرآن (٢) بينما جعل الشيخ التجاني يدور حول بعضها مبهماً كل الابهام ، ويسكت عن بعضها سكوتاً يكاد يكون تاماً ، ومستنده في ما يقرره : الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة في اليقظة لا في المنام .

وعلى أي حال فإن مقام الشيخ التجاني الذي يتصف به حسب ما قرره السيد علي حرازم هو التحقيق بالمعرفة ، والتمكن في اليقين ، وكهال التوحيد ، والتفريد ، والتجريد ، وشهود الحب من الله ، وأن العبد محبوب ومجذوب لحضرة ربه ومطلوب ، دأبه الركون إلى مولاه والانفراد له عن كل ما سواه ، وحب أمره ، وبغض ما عنه نهاه ، والوقوف دائماً ببابه ، والعكوف أبداً على جنبه ، إلى آخر ما قال (٣) وليس في هذا كله طبعاً إدعاء ظاهر بمقام معروف من المقامات الصوفية وألقابها التبجيلية ، وقد مر بنا آنفاً أن هذا جله انتحله السيد علي حرازم لشيخه من (المقصد الأحمد) إلا أنه قد جاء في بعض ما يرويه الشيخ التجاني عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه يوميء بأنه قطب الأقطاب ، فقد روى عنه السيد علي حرازم فقال : « وقال

١ - ابن عربي الحاتمي : فصوص الحكم الفصل الثاني ٩٢ - ٩٣ تحقيق أبي العلا عفيفي .

٢ - ابن عربي الحاتمي : الفتوحات المكية الجزء الثاني ص ٥٠ و ٥٠٦ .

٣ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ج ١ - ص ٦٨ .

الشيخ التجاني هذا الاسم الخاص بسيدنا علي كرم الله وجهه ، لا يعطى إلا لمن سبق عند الله في الازل أنه يصير قطباً ، ثم قال - الشيخ التجاني قلت لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ائذن لي في جمع أسرارہ وجمع ما احتوى عليه ففعل ، ومما أخبره به النبي أيضاً عن ثواب الاسم الأعظم الكبير الذي هو مقام قطب الاقطاب ، فقال الشيخ التجاني - حاكياً ما أخبره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه يحصل لتاليه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كل مقام سبعون ألفاً من كل شيء في الجنة ، كائن من الحور والقصور والأنهار إلى غاية كل ما هو مخلوق في الجنة ، ما عدا الحور وأنهار العسل فله في كل مقام سبعون حوراء وسبعون نهراً من العسل وكل ما خرج من فمه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين فكتبوه من فيه وصعدوا به إلى الله تعالى (١).

ويفهم من هذا أن مقام الشيخ التجاني هو قطب الأقطاب ، وهذا هو ثوابه الذي أعدّه الله له في الجنة ، وجاء أيضاً في كتاب الجامع للسيد محمد بن المشري ، ما يدل على أن الشيخ التجاني هو القطب المكتوم الذي لم يصل إلى مقامه أحد من الرجال ، ما عدا الصحابة رضي الله عنهم ، قال : سمعت شيخنا أي التجاني يقول القطب المكتوم له تجل يضاهي تجليات الأنبياء ، يتجلى له الحق سبحانه في كل لحظة مائة ألف تجل مثلاً كل تجل يعطى فيه ما يعطى لجميع أهل الجنة مائة ألف مرة أو أكثر منها ، ويؤدي وظائف كل واحد منها في تلك اللحظة ، ثم في اللحظة الثانية يتجلى له بتجليات يصير جميع ما تقدم عليها من التجليات جزءاً من مائة ألف جزء من تجل واحد ، وهكذا التي بعدها في اللحظة الثالثة وقس عليها إلى ما لا نهاية له ولا حد .

وقال الشيخ التجاني مرة أخرى : نسبة الأقطاب معه كنسبة العامة مع الأقطاب ، لأن مقامه في غيب الغيب لا علم لهم به لا دنيا ولا أخرى ، لأن له مقاماً في الجنة لا يعلمه أحد حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقال ابن المشري : سمعت سيدنا الشيخ التجاني يقول طلبت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلوغ الغاية في أقصى مقام القطبانية التي ما فوقه إلا مقام النبوة وقال لي صلى الله عليه وسلم مقامك هو مقام

الشيخ التجاني هذا الاسم الخاص بسيدنا علي كرم الله وجهه ، لا يعطى إلا لمن سبق عند الله في الازل أنه يصير قطباً ، ثم قال - الشيخ التجاني قلت لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ائذن لي في جمع أسرارہ وجمع ما احتوى عليه ففعل ، ومما أخبره به النبي أيضاً عن ثواب الاسم الأعظم الكبير الذي هو مقام قطب الاقطاب ، فقال الشيخ التجاني - حاكياً ما أخبره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه يحصل لتاليه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كل مقام سبعون ألفاً من كل شيء في الجنة ، كائن من الحور والقصور والأنهار إلى غاية كل ما هو مخلوق في الجنة ، ما عدا الحور وأنهار العسل فله في كل مقام سبعون حوراء وسبعون نهراً من العسل وكل ما خرج من فمه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين فكتبوه من فيه وصعدوا به إلى الله تعالى (١).

وفهم من هذا أن مقام الشيخ التجاني هو قطب الأقطاب ، وهذا هو ثوابه الذي أعده الله له في الجنة ، وجاء أيضاً في كتاب الجامع للسيد محمد بن المشري ، ما يدل على أن الشيخ التجاني هو القطب المكتوم الذي لم يصل إلى مقامه أحد من الرجال ، ما عدا الصحابة رضي الله عنهم ، قال : سمعت شيخنا أي التجاني يقول القطب المكتوم له تجل بضاهي تجليات الأنبياء ، يتجلى له الحق سبحانه في كل لحظة مائة ألف تجل مثلاً كل تجل يعطى فيه ما يعطى لجميع أهل الجنة مائة ألف مرة أو أكثر منها ، ويؤدي وظائف كل واحد منها في تلك اللحظة ، ثم في اللحظة الثانية يتجلى له بتجليات يصير جميع ما تقدم عليها من التجليات جزءاً من مائة ألف جزء من تجل واحد ، وهكذا التي بعدها في اللحظة الثالثة وقس عليها إلى ما لا نهاية له ولا حد .

وقال الشيخ التجاني مرة أخرى : نسبة الأقطاب معه كنسبة العامة مع الأقطاب ، لأن مقامه في غيب الغيب لا علم لهم به لا دنيا ولا أخرى ، لأن له مقاماً في الجنة لا يعلمه أحد حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقال ابن المشري : سمعت سيدنا الشيخ التجاني يقول طلبت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلوغ الغاية في أقصى مقام القطبانية التي ما فوقه إلا مقام النبوة وقال لي صلى الله عليه وسلم مقامك هو مقام

(امع ن الام زت ع ت) وهكذا إلى ما قرره في كتابه (١) .

ويفهم من هذه التصريحات التي جاءت في كتاب جواهر المعاني وكتاب الجامع أن الشيخ التجاني هو قطب الأقطاب ، والقطب المكتوم ، وأن مقامه هو (امع ن الام زت ع ت) الذي كان أعلى من المقام الذي في أقصى مقام القطبانية الذي ما فوقه إلا مقام النبوة ، وكان من أجل ذلك له في الجنة هذه القصور والخور والأنهار كما وصفه في جواهر المعاني ، وأن مقامه لم يصله أحد من الرجال ما عدا الصحابة حسب ما قرره ابن المشري ، هذا وتتلخص خصائص القطب المكتوم كالتالي :

ومن خصائص القطب المكتوم أن له تجلياً يضاهي تجليات الأنبياء ،

ومن خصائصه أن الله يتجلى له في كل لحظة مائة ألف تجل ويعطي في كل تجل مثلما يعطي لجميع أهل الجنة مائة ألف مرة أو أكثر ، ويؤدي وظائف كل واحد منها في تلك اللحظة ، ثم في اللحظة الثانية يتجلى له بتجليات يصير جميع ما تقوم عليها من التجليات جزءاً من مائة ألف جزء من تجل واحد ، وهكذا التي بعدها في اللحظة الثالثة وهكذا إلى ما لانهاية له ولا حد .

ومن خصائصه أن الله أعطاه جميع ما يعطى للجوامع العالم من الفيض ما عدا الأنبياء .

ومن خصائصه أن جميع العوالم تستمد منه .

ومن خصائصه أنه هو الواسطة بين جميع العوالم وبين الحقيقة المحمدية ، ماعدا الأنبياء فإنهم يستمدون منها بغير واسطة ، .

ومن خصائصه أن له وقفة ومقابلة في الحقيقة المحمدية لم تكن لغيره من جميع الأكابر .

ومن خصائصه أن له حقيقة في مقامه الخاص به لم يطلع عليها أحد إلا الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

١ - السيد محمد بن المشري : الجامع ج ١ - الورقة الثالثة .

ومن مناقبه أن نسبة جميع الأقطاب إليه كنسبة العامة مع الأقطاب .
ومن مناقبه أن له مقاماً في غيب الغيب لا علم لأحد من الأقطاب به لا في الدنيا
ولا في الآخرة .

ومن مناقبه أن له مقاماً في الجنة لا يعلمه أحد حتى الأنبياء .

هذا وعندما بلغ الشيخ التجاني أن أشخاصاً أنكروا هذه الفضائل والمناقب التي
رتبها لنفسه ، قال لأصحابه : « قولوا لهم من آدم إلى النفخ في الصور لم يبلغ أحد
مقامنا ما عدا الصحابة بل من قبل آدم إلى النفخ في الصور » (١) .

هذا هو مقام الشيخ التجاني ، وثوابه الذي يجده في الجنة جزاء تسلمه لهذا المقام ،
وأما هو فلم يدع بنفسه مقام خاتم الأولياء حسب ما كتبه السيد علي حرازم والسيد
محمد بن المشري اللذان أمرهما الشيخ التجاني بجمع أقواله وتقريراته ، وأمضى على
ما كتبا إثباتاً له ومصادقة على ما تضمنه كتاباهما ، وأما تلاميذه الذين جاءوا بعده أضافوا
إليه مقام خاتم الأولياء وأكثرهم حماسة في ذلك السيد محمد العربي بن السائح ،
والشيخ عمر طال بن سعيد القوتي قال السيد العربي : « ان الخاتم الأكبر المحمدي
هو شيخنا وسيدنا وأستاذنا وإمامنا الشيخ الكامل والقطب الشامل مولانا أبو العباس
التجاني ، فقد ثبت عنه أي الشيخ التجاني من طريق الثقة الاثبات من ملازميه وخاصته
أنه أخبر تصريحاً على الوجه الذي لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم
أخبره بقظة بأنه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين بأن
مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله ، ثم تفتن بأنه سوف يرد عليه بأن ذلك لم
يرد في جواهر المعاني ولا في الجامع ، فاستدرك ذلك بقوله : « ولم يطلع صاحب
الجامع أي ابن المشري على هذا لأنه لم يفش التحدث به من سيدنا إلا بعد وفاته ،
ومن تلقاه من شيخنا الشريف المبجل المنيف صاحبه وملازمه مولانا أحمد الودغير
السجلماسي المعروف بالفلاي وكتبه من إملاء سيدنا بخطه حسبما وقفنا عليه . »

١ - السيد محمد بن المشري : نفس المصدر .

ولكن الشواهد والدلائل لا تؤيده في هذا الرأي الذي قرره ، لأن ابن المشري قد نقل عن الشيخ التجاني أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيّه أقصى مقام في القطبانية الذي ما فوقه إلا مقام النبوة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامك هو مقام (امعن ١١١ م زتعت) أي إن مقامه أعلى مما سأل ، ثم أن مقام القطب المكتوم حسبما شرحه ابن المشري أيضاً أعلى من مقام خاتم الأولياء ، لأن مقام خاتم الأولياء معلوم ، ادعاه كثيرون من مشايخ الصوفية ، وأما القطب المكتوم فلا يعرفه أحد من الأولياء فيدعيه ، ومعنى هذا أن ابن المشري لم يفارق شيخه حتى انتهى من الارتقاء إلى أرقى نهاية مقام في القطبانية الصوفية الذي لا مقام بعده إلا النبوة ، بل إن الله يتجلى له بمثل ما يتجلى الأنبياء (١) وعلى هذا فإن الشيخ التجاني لا يحتاج إلى التزول إلى مقام ختم الأولياء بل الذي يبدو للناظر هو أن الشيخ التجاني قد قرأ ابن عربي بدقة فبهم أنه لم يترك متفذاً لدخول أحد في مقام خاتم الأولياء غيره ، فمن أجل ذلك أغفله ، واخترع مقام القطب المكتوم ، وكلله بهذه المناقب العظام والفضائل الجسام ، فلما جاء تلاميذه هؤلاء بآخرة وجدوا أن هذا كان بمثابة فتحة تركها شيخهم ، قد ينسل منها أحد شيوخ الصوفية اللاحقين فيدعي أنه قد حله وبالتالي أن مقامه فوق مقامه ، حيث إن الأمر كله ذهبي فقط ولا وجود له في الظاهر واعتبروها من أجل ذلك ذريعة يجب سدها حتى لا تتفاقم فتكون شراً مستطيراً لمقام شيخهم فأضافوا إليه المقام وذهبوا كل مذهب في تحقيقه وإثباته له وتحمسوا للدفاع عنه بكل ما يستطيعون به من قوة .

والراجع أن هؤلاء لما أضافوا مقام خاتم الأولياء إلى الشيخ التجاني أنكر عليهم بعض من أطلع على كتاب جواهر المعاني وكتاب الجامع لخلوها من ذكره ، فكتب ابن السائح يرد عليهم بهذه الحماسة الشديدة والدليل على ذلك قوله في ختام كلامه على الموضوع : « وبالحملة فقد أجمع على إثبات هذا المقام لشيخنا جميع من لازمه إلى وفاته ولم يختلف منهم اثنان فيه حتى استفاض ذلك على السنة الخاص العام من الأصحاب والايخوان في سائر البلدان ، فلا يلتفت لنفي من نقاه كائناً من كان » (٢) .

١ - السيد محمد بن المشري : نفس المصدر الورقة الثانية .

٢ - السيد العربي بن السائح : المصدر السابق ١٤٤ .

ويرد عليه في هذا : أن السيد الطيب السفيناني مؤلف كتاب الإفادة الأحمدية أحد الثلاثة الذين كتبوا ما سمعوه مشافهة من الشيخ التجاني ، وهو أيضاً من الذين لازموا حتى مماته لم يكتب ذلك ، مع أنه لا يكتب ما سمعه بنفسه من الشيخ التجاني مشافهة فحسب بل يكتب ما بلغه على لسان من سمع منه ذلك أيضاً (١) وعلى هذا فإنه لو فشا على لسان العامة والخاصة كما قرره السيد العربي لما فات السفيناني لحساسيته وأهميته وجدته ، ولا سيما قد ترك السيد محمد ابن المشري أيضاً الجزء الثاني من كتابه الجامع مفتوحاً وقال : « أترك هذا الجزء الثاني من الكتاب من غير ختم لأن سيدنا يعني الشيخ التجاني ما دام وجوده وبحوره فياضة من العلوم الدينية ظاهراً وباطناً لا تنقطع فينبغي لكل لبيب من محبيه أن يلحق كل ما سمعه في محل من هذا المجموع يناسبه ويراعي ما يلزمه من ذلك ، وهو تمييز كلامه في هذا المجموع من كلام غيره » (٢) ثم إن الرسالة التي كتبها السيد أحمد القلاي الودغيري من إملاء الشيخ التجاني التي قال السيد العربي إنه وقف عليها قد أوردها القاضي سكيرج برمتها في كتاب كشف الحجاب ابتداءً من صفحة ٣٧٠ وليس فيها إلا ما يؤيد اعتراف الشيخ التجاني للشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي بمقام خاتم الأولياء .

كل هذا يدل على أن الشيخ التجاني ما ادعى في حياته أنه هو خاتم الأولياء وإنما لحقه ذلك بعد موته لأنه لو نطق بذلك لبادر أصحابه إلى إلحاقه بالمحل الذي خصصه السيد ابن المشري لمثل هذا الغرض ، والكتاب منتشر في أيدي التجانيين في كل مكان ، لأن كتاب جواهر المعاني وكتاب الجامع عند التجانيين بمثابة البخاري ومسلم عند المسلمين .

وأما الشيخ عمر الفتوي فيبدو أنه أكثر حماسة فأفاض في ذلك كثيراً واستخدم ما يتمتع به من غزارة العلم ، ووفرة المادة ، وكثرة الاطلاع في تحقيق ذلك ، وحتى أنفضى به الأمر إلى أن ينسج كلاماً خيالياً على لسان ابن عربي يتبرأ به من مقام خاتم

١ - القاضي سكيرج العياشي : جناية المتنب ٢ - ص ٧٠ .

٢ - السيد محمد بن المشري : المصدر السابق الورقة الثانية .

الأولياء (١) وقد تنبه لذلك القاضي سكيرج العياشي تحت تأثير ضغط المتقدين ، فأراد أن يستدركه فقال : « وقد أنشد البيتين المذكورين في الرماح ونسبهما للفتوحات ولعلمها في النسخة التي هي عنده لأن نسخ الفتوحات الغير المطبوعة فيها زيادات كما يرى ذلك من وقف عاينها وبالله التوفيق (٢) ».

فضائل اتباع الشيخ التجاني

وأما فضائل اتباع الشيخ فلأنها كثيرة جداً ، قد بلغت حسبما قرره الشيخ عمر الفتوي إلى تسع وأربعين فضيلة منها أربع عشرة فضيلة ينالها من لم يأخذ الطريقة التجانية بشرط أن يسلم من الانتقاد للشيخ التجاني وأن يحبه هو وأهل طريقته ، وأما بقية الخمس والثلاثين فلا ينالها إلا من أخذ الطريقة التجانية وتقيدها بعهدتها .

ومما ينالها غير التجاني أن يموت على الإيمان والإسلام ، وأن يخفف الله عنه سكرات الموت ، وأن لا يرى في قبره إلا ما يسره ، وأن يؤمنه الله تعالى من جميع أنواع عذابه ، وتخفيفه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنة وهكذا إلى آخرها .

وأما التي لا يحظى بها إلا من تمسك بالطريقة التجانية وتقيدها بعهدتها فممنها أن أبوي أخذ ورد الشيخ التجاني وأزواجه وذريته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، مع أن أحداً منهم لم يكن له تعلق به بوجه من وجوه التعلقات ، ومنها أنهم تلاميذ النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنهم يعتبرون من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها أن من آذاهم فقد آذى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها أن الإمام المهدي أخ لهم في الطريقة ، ومنها أن كل واحد من أهل طريقته على مرتبة أكابر الأقطاب ، وهكذا إلى آخرها (٣) .

١ - الشيخ عمر الفتوي : كتاب الرماح ج ٢ - ص ٤٣ .

٢ - القاضي سكيرج : جناية المتسبب ج ٢ - ص ٦٩ .

٣ - الشيخ عمر الفتوي : المصدر السابق ج ٢ - ص ٤٣ .

الطريقة التجانية خارج المغرب العربي

الطريقة التجانية في الشرق الأوسط .

كان الحجاج التجانيون هم الذين نشروا الطريقة التجانية في السودان المصري عند مرورهم ، وفي مصر حيث يقيم أكثرهم قبل المرور إلى الأراضي المقدسة ، وفي مكة نفسها التي كانت ملتقى رجال من التجانيين القادمين من الأقطار المتباعدة خصوصاً الذين جاءوا من غرب أفريقيا والمغرب .

ويبدو أن الطريقة التجانية قد وصلت إلى الديار المصرية في حياة الشيخ التجاني ولكنها لم تستقر في البلاد إلا بعد موته بحوالي خمس وثلاثين سنة ، عندما أخذها رجل مغربي لإسمه القاسم الشرجي سنة ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م وأحبس لها داراً تستعمل كزاوية ومتر للضيوف ، وكانت تلك الدار أو تلك الزاوية ملتقى التجانيين الواردين إلى القاهرة من المغرب ، فكان رجل يسمى السيد الجيلاني الزرهوني أول مقدم لها وقد تخمس الزرهوني لنشر الطريقة حيث طاف في البلاد المصرية لأجل الدعاية لها (١) ثم قدم رجل آخر مغربي من أولاد السيد علي القبيلة التي تسكن قرية من مدينة مراكش يسمى أحمد السباعي إلى القاهرة حوالي سنة ١٨٨٠ م - ١٢٩٨ هـ بعد أن أدى فريضة الحج وزار أماكن متعددة في القطر المصري يدخل الناس في الطريقة التجانية ، وكذلك زار مقدم الزاوية الرئيسية في فاس الطيب السفياني حفيد السفياني مؤلف كتاب الإفادة الاحمدية القاهرة سنة ١٩١٢ م - ١٣٣١ هـ فقبل إنه قد أدخل عند مقامه بها حوالي خمسة آلاف رجل في الطريقة التجانية (٢) .

وقد ساعد في انتشار التجانية وبقائها في القطر المصري كون أتباعها هناك أغنياء يملكون أموالاً طائلة لبناء الزاويا لها ونشر كتبها ومنشوراتها كما كان لها كتاب متحمسون يدافعون عنها نقد المنتقدين (٣) .

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٥٧ .

٢ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٥٨ ٣ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٥٨ .

نقل الدكتور جميل أبو النصر من تاريخ الطريقة التجانية للعطار أن الطريقة قد دخلت السودان المصري في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي على يد مسافر تونسي يدعى السيد البشير بن السيد محمد ، وكان هذا الرجل مع الشيخ عمر الفتوي في الحجاز سنة ١٨٢٨ م - ٣٢ ثم رحل إلى اليمن حيث أدخل أناساً هنالك في الطريقة التجانية وأسس زاوية تجانية ، وعندما بلغه ما يقوم به الشيخ عمر الفتوي من الأعمال الباهرة في نشر التجانية ، ارتحل إلى غرب أفريقيا لزيارته هنالك ، وأقام معه برهة من الزمن ثم رجع مرة أخرى إلى مصر ، ماراً في طريقه بالسودان المصري ، يدخل جماعة من السكان في الطريقة التجانية أينما حل فيها ، وعين هنالك أربعة مقدمين الذين قاموا بنشر الطريقة في البلاد (١) .

ونقل أيضاً من كتاب طريق الحق للشيخ محمد الحافظ أن الشخص الذي يعتبر العامل الرئيسي لانتشار الطريقة التجانية في السودان المصري هو رجل شنجيبي يدعى محمد بن المختار ، وكان يعرف أيضاً بولد العلية مضافاً إلى والدته فاطمة العلية ، وهذا الرجل تاجر يسير في ركبه عظيم من الخدم المكون من الجوارى والغلمان والأعوان فقيل إنه كان مبعوثاً من قبل سلطان دارفور على دينار إلى السلطان عبد الحميد في اسطنبول ومر في طريقه إلى تركيا بمصر حيث أقام قليلاً في أسبوط فأدخل أسرة الخشبة هناك في التجانية (٢) .

ولكن الراجح أن الطريقة التجانية دخلت السودان المصري قبل ذلك التاريخ على يد الشيخ مولود فال الكبير الشنجيبي جد أب الشيخ محمد الهادي (٣) وذلك قبل حج الشيخ عمر الفتوي بسنين كما سيأتي :

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٥٨ ٢ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٥٩
٣ - الشيخ محمد الهادي شريف مورتاني وهو أول من أدخل التربية الصوفية التجانية الانبائية في نيجيريا وأقدر تلاميذ الشيخ ابراهيم انياس الكبار .

الطريقة التجانية في الحجاز

وأما الحجاز فقد صار ملتقى التجانيين منذ أن كان الشيخ التجاني في قيد الحياة ، كما صار مأوى الكثيرين من شيوخهم بعد وفاته ، ولا سيما أنه أخبر أصحابه بأن الإمام المهدي إذا ظهر يكون أخا لهم في الطريقة ، كما أنبأهم أيضاً أنه سوف يأخذ الطريقة التجانية من أيديهم وقد جاءت الرواية بأن الإمام المهدي سوف يبايع له بالخلافة بين الركن والمقام بعد أن فر من المدينة إلى مكة اتقاء الفتنة (١) وقالت رواية أخرى أنه إذا خرج يسند ظهره إلى الكعبة فأول ما ينطق به هذه الآية « بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ثم يقول أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم ، فمن ثم يكون سلام الناس عليه (السلام عليك يا بقية الله في الأرض) (٢) وقد روى الشيخ عمر الفوتي في كتاب الرماح فقال : « وقد أخبرني السيد محمد الغالي ونحن في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام بأنه جاور الحرمين الشريفين لأمور ، منها أنه يترصد ظهور الامام المهدي وهو حاضر لعل الله يمن عليه بأخذ الإمام هذه الطريقة على يديه ، وقد تركته هناك مجاوراً (٣) وقال الشيخ محمد فتحا النظيفي أحد شيوخ التجانية ودعاتها .

فيأخذها المهدي عند ظهوره ————— لدى من له الإذن الصحيح بطيبة (٤)

ولعل من أجل ذلك هاجر هؤلاء الشيوخ التجانيون من المغرب وإفريقيا الغربية إلى الحرمين وإلى المدينة بالذات ، ولكنهم لم يؤسسوا بها زاوية إلا في سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م بفضل مساعي الشيخ محمد بن عبد الملك العلمي الجزائري المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م وذلك عندما أعوزه الأمر واستعان بالسيد علي خليفة السيد محمد البشير حفيد الشيخ التجاني ، فكتب له رسالة إلى الشيخ القا هاشم الفوتي وغيره من أكابر التجانيين القاطنين في المدينة يطلب منهم أن يساعدوا العلمي في إقامة زاوية تجانية هناك ،

١ - جلال الدين السيوطي : كتاب العرف الوردي انظر الجزء الثاني الحاوي للفتاوى ٥٩ .

٢ - المؤمن الشينجي : نور الأبصار ١٥٧ ٣ - الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق ج ٢ - ٤٤ .

٤ - انظر الدرة الخريدة ج ١ - ص ١٣٩

فساعفوا طلبه وأسسوا زاوية وداراً لتزول الضيوف التجانيين ومكتباً لتعليم قراءة القرآن (١) .

الطريقة التجانية في تركيا

لعل الطريقة التجانية دخلت أول ما دخلت تركيا على يد السيد محمد بن المختار السابق ذكره ، الذي بعثه سلطان دارفور حوالي سنة ١٨٨٠ م - ١٢٩٨ هـ إلى السلطان عبد الحميد في تركيا . وقيل إن هذا الرجل قد أدخل السلطان نفسه في الطريقة التجانية أيام إقامته في اسطنبول العاصمة حينئذ (٢) وروي أيضاً أن رجلاً جزائرياً يدعى السيد محمد العبيدي وصل إلى اسطنبول سنة ١٨٩٦ م - ١٣١٤ هـ بقصد تأسيس زاوية تجانية هناك في عاصمة المملكة العثمانية ، لقد كان وصول هذا الرجل إلى اسطنبول محل عناية السفارة الفرنسية الموجودة هناك ، فاتصلت به فوراً فقدمت له يد المساعدة في إنجاز هذا المشروع (٣) وقيل إن الشيخ محمد بن عبد الملك العلمي السابق ذكره الذي تولى مسؤولية تأسيس الزاوية التجانية في المدينة المنورة كذلك تحمل أعباء رفع راية التجانية في السودان المصري وسوريا وفلسطين والحجاز وزار مدينة ماردين في تركيا حيث استطاع أن يكون حوله أتباعاً للطريقة ويؤسس لهم مركزاً (٤) .

الطريقة التجانية في جنوب الصحراء الكبرى

لعل كون الشيخ مولود فال الكبير الموريتاني أول من نشر الطريقة التجانية في طول السودان الغربي إلى السودان المصري لا يكون موضع شك إذا نظرنا إلى أنه هو الذي لقن الطريقة التجانية - عندما كان في طريقه إلى الحرمين لأداء فريضة الحج - للشيخ

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٦٠

٢ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٥٨ ٣ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٦١

٤ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٦٠

عبد الكريم الناقل الفتوي (١) الذي لقنها بدوره للشيخ عمر الفتوي الذي يعتبر فيما بعد بطل الطريقة التجانية المدافع عن حوزتها والقائم بنشرها في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى في العقد الثالث والرابع من القرن التاسع عشر الميلادي ، حوالي خمسينات القرن الثالث عشر الهجري وستيناته ، إلا أننا لا نعرف بالضبط في أية سنة حج ذلك الشيخ المورتاني ، ولكن الشيخ عمر الفتوي يخبرنا بأنه أي الفتوي قد لازم الشيخ عبد الكريم الناقل سنة كاملة وبضعة أشهر بعد أن لقنه الطريقة ، وذلك قبل أن يفكرا في الرحلة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وعندما اتفقا على ذلك خرجا سوياً قاصدين المغرب لطلب الزاد (٢) فأصيب الشيخ الناقل بمرض في الطريق فرجع من جراء ذلك إلى الوطن منتظراً عودته ، ثم بعد أن انتظره مدة رحل إلى مدينة حمدا لله عاصمة ماشن (٣) لينتظره هنالك ، ومات قبل أن يلحقه الشيخ عمر إلا أنه لم يخبرنا بمقدار المدة التي قضاهما في المغرب لطلب الزاد ، كما أنه لم يبين لنا تاريخ لقائه بالشيخ الناقل ، ولا تاريخ خروجهما من فوت إلى المغرب .

ومهما يكن من رأي فإن الشيخ عبد الكريم الناقل من فوت جلو والشيخ عمر الفتوي من فوت طورو وقد اتصل الثاني بالأول عندما رحل إلى فوت جلو في بعض أسفاره التعليمية حسب ما دلت عليه بعض المصادر (٤) أو أن الأول هو الذي ورد فوت طور لسبب من الأسباب فالتقى بالثاني هنالك ، ثم رحلا معاً إلى فوت جلو كما صرح به مصدر آخر (٥) وعلى أي حال فإن هذا يدل على أن الشيخ عبد الكريم الناقل قد أخذ الطريقة التجانية بزمان غير قصير قبل لقائه بالشيخ عمر الفتوي وبالتالي

١ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٠٦

٢ - لا ندري أيهما بالمغرب الأقصى أم فوت طورو نظراً لكونه يقع غربي فوت جلو تقريباً .

٣ - ماشن هي البلاد الواقعة جنوبي مدينة تيشكو حيث أسس الشيخ أحمد لبو دولته في سنة ١٨١٩ م - ١٢٣٥ هـ واتخذ مدينة حمدا لله عاصمة له وهي الآن في جمهورية مالي انظر ٣٠١

Africa In The Nineteenth A Twentieth Centuries By j.c. Anene And God Frey Brown . 301 Oxford Atlrs For Nigeria . 14 .

٤ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٠٦ .

٥ - الدكتور عمر جاء : رسالة دكتوراه على الشيخ عمر الفتوي الورقة (١٢٧)

فلما الشيخ مولود قال قد حج في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وربما في العقد الثاني منه ، وذلك يكون في أربعينات القرن الثالث عشر الهجري لأن رواية بنيه تكاد تنفق على أنه زار الشيخ التجاني في فاس فوجد أنه مات ، ثم عاد إلى وطنه ليرجع مرة أخرى ، لطلب أسرار الطريقة التجانية ، ولم يلبث بعد عودته من فاس في هذه المرة حتى أزمع على المسير إلى الحرمين لأداء فريضة الحج ، والشيخ التجاني مات على رأس العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري (١) .

ومهما يكن من شيء فقد أخبرني الشيخ محمد الهادي في منزله بحاضرة تنبعل في الجمهورية الإسلامية الموريتانية في مقابلتي معه يوم الثلاثاء التاسع لأغسطس سنة ١٩٧٧ م أن جده إلا على الشيخ مولود قال قد أدخل في الطريقة التجانية - وهو في طريقه إلى الحجاز - رجلا مهماً يسمى أحمد الخليفة الدولبي في قرية « تسمى خرسي قريبة من مدينة ليه (العبيد) في جمهورية السودان المصري ، وذلك بعد أن جاءه - أمر بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ التجاني اللذين اجتمع بهما عند مروره بتلك الديار ثم أراني - شهادة على صدق ما أخبرني به - إجازة كتبها جده هذا بخطه المغربي (المودبو) أحمد راج جد (جلادىما) أدماوا (٢) محمد في بطاقة مصورة في صورة القوتوغرافية . فقال : ان الأصل لا يزال محفوظاً عند أسرة جلادىما في أدماوا .

وذلك أن جلادىما محمد طلب من التجانيين الإدمائين أن يأتوه بأحد أحفاد الشيخ مولود فقال إذا جاء فلما قدم الشيخ محمد الهادي نيجيريا وزار أدماوا أخبروه بذلك فذهب إليه ، فقال له جلادىما : « إنما طلبتك لأنني أريد أن أريك خط جدك » . فأخرج له هذه الإجازة فلما طلب الشيخ الهادي منه أن يدفعها له امتنع فأمر بها فصورت له وفيما يلي مضمونها .

١ - السيد العربي : المصدر السابق ١٢٨ .

٢ - (أدماوا) اسم مديرية في نيجيريا تقع في الشمال الشرقي لشمال نيجيريا وعاصمتها (يولا) .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وعليه توكلني :

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً وبعد فلإني أذنت للشيخ الإمام راج في طريقة شيخنا التجاني رضي الله عنه كلها وأذنك له في الفاتحة مع تلاوة الاسم الأعظم وفي حزب البحر وفي الاسماء الإدرسية وفي ياقوتة الحقائق وفي أربعين من جوهرة الكمال ، كل يوم المداوم عليها يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبة خاصة ، ولا يموت حتى يكون ولياً وفي دعاء السيفي وأذنت له في كل ما احتوى عليه جواهر المعاني كتبه مولود قال .

قال مولود قال رحمة الله عليه فلإني أخذت هذه الطريقة عن السيد الغالي رضي الله عنه ثم أبي يعزى بن الحاج الحرازم ثم سيدي الحفيان ثم سيدي عبد الرحمن ثم سيدي الواحد ثم سيد الطيب وهم أخذوا عن الشيخ التجاني في حياته (١) .

ولا شك أن هذه الإجازة وإن كانت للأسف غفلا من التاريخ فلإنها تدل بكل وضوح على أن الشيخ مولود قال قد مر بنيجيريا في طريقه إلى الحجاز وبالتالي تشكل دليلاً قاطعاً على أنه قد ظل ينشر الطريقة التجانية في طريقه عبر السودان الغربي ، من أنصاه أي من سنغال غرباً إلى نيجيريا شرقاً ، ومن ثم إلى السودان المصري شمالاً لأننا نشعر شعوراً قوياً بأن الشيخ عبد الكريم الناقل ليس هو وحده الذي أخذ الطريقة التجانية من يد الشيخ مولود قال ، بل قد أخذها منه آخرون غيره في المنطقة مثل الشرفو مايرو في السنغال فإنه أخذها أولاً عن الشيخ مولود قال (٢) ثم جددتها بعد ذلك في يد الشيخ عمر الفتوي لما علا صيته وعظم أمره بل لا يبعد أن يكون شيخ تجاني آخر قد ورد هذا القطر ، فأدخل آخرين ، غير من أدخلهم الشيخ مولود قال في الطريقة التجانية ، فإن قصة الشيخ أحمد بنو يويدي ذلك ، فإن بنو هذا طوري مثل

١ - الشيخ مولود قال هنا لم يجعل الشيخ محمد الحافظ في أسانيده مع أنه أيضاً من أخذ عن الشيخ التجاني مباشر في حال حياته ولكنه جعله في أسانيده في إجازته للشيخ عبد الكريم الناقل لعله يريد بذلك التنويع أو نسي لكثرة عدد من ذكرهم .

٢ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٤٤

الشيخ عمر فرفض الاذعان لسلطته بعد موته ، وادعى أنه هو رئيس التجانيين في فوت طورو الوطن الأصلي للشيخ عمر نفسه ، فصار شجى في حلقى الفرنسيين من سنة ١٨٦٤ م - ١٨٧٠ م (١) وإن كان مصدرنا قد سكت عن ذكر من أخذ عنه الشيخ بنبو الطريقة التجانية ، ولا تاريخ أخذه أياها ، ولكننا نعرف أنه لم يأخذها من الشيخ عمر ، لأنه كان بينهما اتصال قبل أن يحج الأخير ، وعلى ذلك فإن الشيخ بنبو إما أنه أخذ عن الشيخ مولود فال أو عن الناقل ، أو غيره ، فإن دلت حركة الشيخ بنبو هذه على شيء فلنما تدل أولاً وقبل كل شيء على أن الطريقة التجانية قد رسخت في فوت ، أو بعبارة أخرى في سنغال قبل جهاد الشيخ عمر الفوتي ، ولعله من أجل ذلك ذهب بعض الكتاب إلى أن الطريقة التجانية انتشرت في السودان الغربي فور وفاة الشيخ التجاني ، وذلك بفضل جهود السيد علي التماسيني ، الذي صار خليفة من بعده بوصيته ، وهو الذي نظم حركة الدعوة وجعلها تسير جنباً إلى جنب مع تجارته التي يرسلها إلى تلك الاصقاع ، فكان المقدمون يسرون مع الركب المتكون غالباً من أخوان الطريقة إلى شنجيط والسنغال وفوت وتبكتو إلى سيغو على منعطف نهر نيجير ، وذهب هذا الكاتب إلى أبعد مدى في ذلك حيث قرر أن زوايا تجانية قد أسست من ذلك الوقت في كنو وبرتو ووادي ، إلا أن ظاهر هذا الكلام يدل على أنه مجرد تخمين فحسب لعدم وجود الشواهد المحلية في هذه البقاع تصدق تقريره هذا (٢) ، هذا كله من ومن جهة أخرى نرى أن الشيخ مولود فال لا يكتفي بتلقي الطريقة فقط ، بل يقدم بعض من لقنهم أيضاً ليلقنوها للآخرين ، كما هو شأن الشيخ عبد الكريم الناقل الفوتي ، وقد رأينا أيضاً أنه أي الشيخ مولود فال أطلق الإذن لمودب أحمد راج إطلاقاً تاماً ، مع جميع أسانيده وسلاسله وحتى إنه أذن له في قراءة الفاتحة بنية الاسم الاسم الاعظم صراحة ، الأمر الذي عظمه الشيخ عمر الفوتي حتى استبشع التصريح بذكره ، فقال في تعدادة للأسرار التي أذن له في قراءتها السيد محمد الغالي : « وفي الفاتحة بنية كذا وكذا » . (٣) ولا شك أن هذا وسيلة فعالة من وسائل نشر الطريقة

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٣٣

٢ - Islam in west africa j.S. Trimingham

٣ - الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق ج ١ - ص ١٨٣ .

الشيخ عمر فرفض الازدعان لسلطته بعد موته ، وادعى أنه هو رئيس التجانيين في فوت طورو الوطن الأصلي للشيخ عمر نفسه ، فصار شجى في حلق الفرنسيين من سنة ١٨٦٤ م - ١٨٧٠ م (١) وإن كان مصدرنا قد سكت عن ذكر من أخذ عنه الشيخ بنبو الطريقة التجانية ، ولا تاريخ أخذه أباه ، ولكننا نعرف أنه لم يأخذها من الشيخ عمر ، لأنه كان بينهما اتصال قبل أن يحج الأخير ، وعلى ذلك فإن الشيخ بنبو إما أنه أخذ عن الشيخ مولود فال أو عن الناقل ، أو غيره ، فإن دلت حركة الشيخ بنبو هذه على شيء فإنما تدل أولاً وقبل كل شيء على أن الطريقة التجانية قد رسخت في فوت ، أو بعبارة أخرى في سنغال قبل جهاد الشيخ عمر الفوتي ، ولعله من أجل ذلك ذهب بعض الكتاب إلى أن الطريقة التجانية انتشرت في السودان الغربي فور وفاة الشيخ التجاني ، وذلك بفضل جهود السيد علي التماسيني ، الذي صار خليفة من بعده بوصيته ، وهو الذي نظم حركة الدعوة وجعلها تسير جنباً إلى جنب مع تجارته التي يرسلها إلى تلك الاصقاع ، فكان المقدمون يسرون مع الركب المتكون غالباً من أخوان الطريقة إلى شنجيط والسنغال وفوت وتبكتو إلى سيغو على منعطف نهر نيجير ، وذهب هذا الكاتب إلى أبعد مدى في ذلك حيث قرر أن زوايا تجانية قد أسست من ذلك الوقت في كنو وبرتو ووادي ، إلا أن ظاهر هذا الكلام يدل على أنه مجرد تخمين فحسب لعدم وجود الشواهد المحلية في هذه البقاع تصدق تقريره هذا (٢) ، هذا كله من ومن جهة أخرى نرى أن الشيخ مولود فال لا يكتفي بتلقي الطريقة فقط ، بل يقدم بعض من لقنهم أيضاً ليلقنوها للآخرين ، كما هو شأن الشيخ عبد الكريم الناقل الفوتي ، وقد رأينا أيضاً أنه أي الشيخ مولود فال أطلق الإذن لمودب أحمد راج إطلاقاً تاماً ، مع جميع أسانيده وسلاسله وحتى لأنه أذن له في قراءة الفاتحة بنية الاسم الاسم الأعظم صراحة ، الأمر الذي عظمه الشيخ عمر الفوتي حتى استبشع التصريح بذكره ، فقال في تعداده للأسرار التي أذن له في قراءتها السيد محمد الغالي : « وفي الفاتحة بنية كذا وكذا » (٣) ولا شك أن هذا وسيلة فعالة من وسائل نشر الطريقة

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٣٣

٢ -

Islam in west africa j.S. Trimingham

٣ - الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق ج ١ - ص ١٨٣ .

التجانية في السودان الغربي ، وفي الدعاية للطريقة التجانية أيامئذ ، خصوصاً إذا نظرنا إلى أن هذه الديار كلها من أدناها إلى أقصاها تعتبر مناطق نفوذ لسلطة الطريقة القادرية التي رسخت أقدامها فيها ، وخيمت يومئذ على السودان الغربي المسلم بأكمله تقريباً ، حتى استولت عظمة الشيخ عبد القادر الجيلاني على قلوب الرجال والنساء من سكانه المسلمين حتى تعودوا أن يستغيثوا به في كل ملمة ، ويصدق ذلك ما رواه لنا الشيخ عمر الفوتي عن زوجته التي أصيبت بوجع في بطنها - عندما كان يعدد الأمور التي يعتبرها علامة دالة على صحة خلافته للشيخ التجاني - فقال : « ومنها أن أم أحمد الكبير أصابها وجع البطن وقد أخذت مني الطريقة أي التجانية وأذكراها فصارت تنادي وتستغيث بعبد القادر الجيلاني ، وتقول : يا عبد القادر على عادتها قبل أن تكون تجانية فأخذها الناس وسمعت قائلاً يقول : دعي عبد القادر ولكن قولي يا أحمد التجاني فإن الله يعافيك فقالت ذلك وعوفيت من ساعتها » (١).

لقد كان هذا كله قبل أن يأخذ الشيخ عمر الفوتي الطريقة التجانية ، وقبل أن يفكر في الرحلة إلى الحجاز أيضاً ، وأما في حال سفره إلى الحجاز فالراجع أنه لم يلقن الطريقة التجانية لأحد ، حيث لا إذن له في ذلك حينئذ ، واذنه كله مقيد بقراءة الأوراد اللازمة ، وذكر عصر يوم الجمعة فقط وإلى كل هذا يهدف بقوله : « أعلم أن سيدي عبد الكريم ما قضى الله لي على يديه إلا الأوراد اللازمة للطريقة ، وهو الورد والوظيفة ، وذكر عصر يوم الجمعة ، وأما الأذكار الخاصة فما وجدت منها على يديه إلا حزب السيفي مجرداً عن حزب المغني بعد أن لازمته سنة كاملة مع زيادة أشهر » (٢).

الطريقة التجانية في نيجيريا والشيخ عمر الفوتي

لقد مر الشيخ عمر الفوتي بنيجيريا في طريقه إلى الحجاز وزار كلا من أمير المؤمنين محمد بلو في سكتو وعمه الشيخ عبدالله بن فودي في قونلو ، ويبدو أنه قد

١ - الشيخ عمر الفوتي : نفس المصدر ج ١ ص ١٩١ .

٢ - الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق ١٨١ .

أعجب به محمد بلو كثيراً حتى زوجه ابنته ، فظل هذا الاحترام الذي حظي به عند محمد بلو عالفاً بذهنه ، ولذلك لما قدمه شيخه السيد محمد الغالي بالمدينة المنورة في الطريقة التجانية وأمره بالرجوع إلى وطنه لنشرها وأكد له أنه خليفة الشيخ التجاني في هذه الأقطار ، فكر أولاً في أرض هوسا أو شمال نيجيريا بعبارة أخرى القطر الذي مد الإسلام نفوذه فيه طولاً وعرضاً تحت حكم صهره الذي يصفه دائماً بالأمير العادل ، فظن من جراء ذلك أنه سوف ينجح في نشر الطريقة التجانية بنيجيريا نجاحاً هائلاً وبكل سهولة ٧ فأسفر الأمر عن عكس ظنه ، حيث إن محمد بلو والذين أحاطوا به من أهل الحل والعقد يومئذ أكثرهم تخرجوا على يد الشيخ عثمان بن فودين ، وأنه لمن الصعوبة بمكان أن يتخلى الذي عاصر هذا الشيخ العظيم ونشأ تحت تربيته عن طريقته إلى طريقة غيره ، وقد عبر الوزير غطاطو بن ليما عن ذلك بكل صراحة ، كما سيأتي وهكذا مكث الإمام الفوتي في سكتو سنين عديدة دون أن يحقق نجاحاً يذكر في مهمته ، حتى مات صهره أمير المؤمنين محمد بلو حين وجد أن جو البلاد لا يلائمه ، فعاد إلى وطنه عازماً على أن يؤسس هنالك دولة تجانية نظيراً للدولة القادرية في سكتو .

لقد أشاع التجانيون بأن أمير المؤمنين محمد بلو قد أخذ الطريقة التجانية من يد الشيخ عمر الفوتي وتعلقوا في إثبات ذلك بالرسالة التي كتبها محمد راج بن علي إلى شيخه أبي الفتح خليل وبقصيدة تحقيق المريين التي نسبت إلى محمد بلو أيضاً . ولكن الراجح أن محمد بلو لم يأخذ الطريقة التجانية في حياته للأدلة الآتية .

أولاً - ان الرسالة التي تعلقوا بها لا تنهض لهم دليلاً على ما يذهبون إليه ، لأن محمد راج إنما يخبر في رسالته عما سمعه من بعض تلاميذ ذلك الشيخ من الإشاعات التي تذايع حول أخذ أمير المؤمنين للطريقة التجانية لا عما يعتقد صحته في نفسه ، إذ أنه لو كان يعتقد حقاً أن أمير المؤمنين انسلخ من القادرية وانخرط في سلك التجانية لما قال في نفس الرسالة إنه دخل الطريقة التجانية سرّاً بعد ارتحال الشيخ عمر الفوتي ، لأنه لا يريد أن يترك طريقة شيخه محمد بلو فظل من جراء ذلك عشر سنين يتمسك

سراً (١) فكيف ينقل عليه ترك طريقة شيخه محمد بلو إذا كان يعتقد أن شيخه ترك طريقته إلى غيرها .

ثانياً - إن قصيدة تحقيق المريين ليست من تأليف محمد بلو لخلو مؤلفاته منها ، ويعد على ذلك أيضاً إنكار بعض علماء التجانية الكبار لنسبتها إليه (٢) بل وحتى إذا سلمنا أنها من تأليفه فهي لم تتضمن شيئاً سوى مدح الطريقة التجانية ورجالها ، فمجرد المدح لا ينهض حجة على الدخول في الطريقة ، فلقد مدح بعض شيوخ الطريقة القادرية في كوس شيوخ الطريقة التجانية بما فيهم الشيخ التجاني نفسه والشيخ إبراهيم نياس والشيخ محمد الهادي (٣) ومع ذلك لا يزال مصمماً على طريقته القادرية ، ولا يني عن تشييد منارها ورفع أعلامها .

ثالثاً - ولو أن أمير المؤمنين محمد بلو أخذ الطريقة التجانية بلحاء ذكر ذلك في بعض مؤلفاته ، أو رسائله ، إن لم يخص ذلك بتأليف مستقل كعادته ، ولكن شيئاً من تلك لم يحدث ، بل إنه قد ألف كتاباً قبل موته بستين وساء رفع الإشتباه في حق أهل الله ، والشيخ عمر الفتوي في حاضر سكتو حينئذ ، فجعل الشيخ عبد القادر الحيلاني فوق الشيخ التجاني ضمناً ، ثم قرر أن طرق الأولياء كلها سواسية في الدلالة على الله (٤) .

رابعاً - إن الشيخ عمر الفتوي ما غادر سكتو إلا بعد وفاة محمد بلو سنة ١٢٥٣هـ (٥) ونص كتابه الرماح سنة ١٢٦١ هـ (٦) بعد وفاة محمد بلو بشماني سنوات ، وأثبت فيه أكثر الأمور التي جرت بينهما ، ولو أن محمداً بلو أخذ الطريقة التجانية من يده لذكر ذلك ، وعده من انتصاراته ومن علامات صحة خلافته للشيخ التجاني كعادته .

Religion and political bultut in kano : john N. Padon

١ - حصة دوما : إسهام الشيخ ناصر كسر ٨ .

٢ - انظر كتاب رفع الاشتباه من أوله محطوط

٣ - انظر كتاب The Emiraes of northern Nigeria 424

٤ - انظر كتاب الرماح للشيخ عمر الفتوي ج ٢ - ص ٢٨٢ .

ولعل القول الفصل في هذه المسألة هو ما قرره الوزير غطاطو بن ليما في كتابه كشف الحجاب ورفع النقاب ، حيث قال : « وأما ما ذكرت أيها السيد من حال أمير المؤمنين محمد بلو وما أشاعه عنه الطغام والمهيج التابعون لكل ناعق من القادرية إلى طريق التجاني فاعلم أن ذلك غير صحيح ولم يثبت عندنا ، فلإني قد جاورته في ورنو السنتين الأخيرتين من عمره ، وجددت عليه فيهما عهد الشاذلية والقادرية على طريق المنزلي التي أخذناها عن الفاضل الامجد الشريف الحاج عبدالله المكي ... ومن أكبر الدلائل على عدم صحة ما ذكروه أنه رضي الله عنه لم يعطل زيارة والده الشيخ رحمة الله إلى أن مات ، وقد جاور في روضة والده الشيخ مدة ثلاث ليال في آخر شوال وما عاش بعد ذلك إلا تسعة أشهر ، ومعلوم أن الطائفة التجانية لا يجيزون زيارة الأولياء لمن سلك طريقتهم ، ويرون ذلك من أكسد شروطها وهو مقرر في كتاب جواهر المعاني وفي كتاب روض المحب الفاني في مناقب التجاني ، ولو أمير المؤمنين محمداً بلو سلك الطريقة التجانية كما زعموا ، أو سلك بها أحداً لكنت ان شاء الله تعالى أول من يعلم ذلك ، وقد قرأت عليه جواهر المعاني المذكور ... ومع ذلك ما سلكني في سلكه ، ولا صبغني بصبغه ، بل وكد على الوصية في الإمساك بالطريقة القادرية والتزام شروطها الأربعة التي هي اتحاد الوقت والحال واتحاد القول والفعل والثبوت مع الله في مجاري الاحوال ومنازعة الاقدار بالحق في الحق ، يا عجباً كيف يخرج أمير المؤمنين من الطريقة القادرية ، ويسلك غيرها - مع علمه بمقام الشيخ الجليل وإذعان علماء الأمة وأوليائها لولايته كابرأ عن كابر ، ولم ينازع في ذلك قط - مع صحة روايتها عندنا واشتহার مشايخها وإمامتهم وولايتهم ، ولو لم يكن في ذلك معاندة شيخه ، وعقوق والده ، والخروج عن سلسلة عهده لكان فيه أكبر مانع وأبلغ رادع ، بل كثير من علماء هذه الجماعة وصلحائها وذوي بصيرتها الذين سرت فيهم نورانية الشيخ وجمهور العامة منها لا يستجيزون الخروج عن سلسلة القادرية ، ولا يلتفتون إلى غيرها لرسوخ عظمة الشيخ في قلوبهم وصحة اعتقادهم فيه ، وقوة يقيهم به ، فلا تؤثر فيهم الأقوال الفتانة الواردة من شذاذ الأفاق ، وغرباء البلدان ،

وإنما يفتقر بذلك ويفتقر به الطلبة الأحداث من هذه الجماعة الذين نشأوا بعد الشيخ (١).

لعل هذا الكلام الصادر من الوزير غطاطو الذي كان وزيراً وتلميذاً ومريداً ملاً لأمير المؤمنين محمد بلو يكون بمثابة الجهيزة التي قطعت قول كل خطيب .

ومهما يكن من رأي فإن الشيخ عمر الفتوي لم يخبرنا بأن أحداً من كبار رجال العلم والدين والسياسة في سكتو أو في غيرها من مدن نيجيريا أخذ الطريقة التجانية من يده ، وإن كان ذلك لا يمنع أن يكون عدد من المتعلمين قد أخذوها منه ، والرسالة التي مرت بنا آنفاً والتي كتبها محمد راج بن علي شاهدة على ذلك ، ولا سيما أن روايات الشفوية تذكر أن الشيخ عمر الفتوي مر في طريقه راجعاً من الحرمين بمدينة كوكاو عاصمة برنو حيث شد ، ومر كذلك بمدينة بوشي وزاريا وكنو وكشنة ، وذكرت أيضاً أنه أسس أول زاوية تجانية في مدينة زاريا فأخذ عنه سادة أسرة ملاوا (٢) الطريقة التجانية (٣) وكذلك ذكرت أيضاً أنه عند مروره بمدينة كنو قد نجح في إدخال بعض الأسر في حارات (مَدَابُو ، وقُوق ، وقو قَرَوَبِي) وكبرا في الطريقة التجانية فعثلا انه في حارة (مَدَابُو) ادخل (بَبَن مالى) المفتي العام الشيخ عمر في الطريقة التجانية (٤) ولقنها في حارة قُوق لأسرة أدهم كما أخذها عنه المعلم (سَابُو) في حارة قُوق قَرَوَبِي وكذلك المعلم شمس النفاوي في حارة كبرا (٥) ..

١ - الوزير غطاطو بن ليما : كتاب كشف الحجاب ورفع النقاب الورقة الثانية .

٢ - ملاوا اسم أسرة وهي إحدى الأسر الثلاثة التي تحكم زاريا وبقية الاثنين هما كشناوا وبرابري .

٣ - ولكن المعلم فأي أحد كبار فقهاء زاريا أنكر ذلك وقرر أن الشيخ عمر الفتوي عندما مر به (زاريا) لم يمكث طويلاً وأن أسرة ملاوا كانوا يتسكون بالطريقة التجانية قبل مجيئه وأنه إنما كان يذكر في زاريا دائماً لأنه أول من جاءهم بكتاب الزقاني في علم الشريعة فقط ولكن بعض مؤرخي التجانية في كنو أيدوا صحة كون الشيخ عمر الفتوي أول من لقنهم الطريقة التجانية انظر

Jogn N. Paden Religion and Political in kano 15

٤ - وكذلك أنكر (بين مالى) الحاج إبراهيم كون الشيخ عمر الفتوي أول من لقن فقهاء مدابو الطريقة التجانية وذهب إلى أنهم كانوا تجانيين قبل مجيئه وإنما جدد لهم فقط نفس المصدر ٦٤ .

٥ - نفس المصدر .

على أن كون الشيخ عمر الفوتي الوسيلة الرئيسية لانتشار الطريقة التجانية الواسع في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى لا ينبغي أن يكون موضع جدل ، فإنه وإن لم يكن قد حقق نجاحاً بنفسه في نشر الطريقة التجانية في هذه الاقطار طولها وعرضها كما عقد العزم عليه ولكن أقرباءه وتلاميذه الذين أخذوا عنه في وطنه فوت طورو والبلاد المجاورة لها قد قاموا بنشاط لا يستهان به في نشرها بعده ، وخصوصاً في السنغال ، وجامبيا ، وغينية ، ولم تكن نيجيريا أيضاً مستثناة مديتار هذا النشاط الدعوي نظراً لأن أحمد طال ابنه وخليفته على دولته لمسا اشتبك مع الغزاة الفرنسيين المستعمرين في سيغو قاعدة دولته فر هارباً متوجهاً نحو الشرق هو وأسرته المكونة من أبنائه وإخوته ووجوه قومه وجنوده إلى نيجيريا حتى وصلوا إلى سكتو وهم يومئذهاء عشرة آلاف نفس ، وفيهم حوالي ستين أمير يتبع كل واحد منهم مئات من أتباعه ، ولكن الشخصيات البارزة في هذه الموجة من اللاجئين هم أحد طال رئيس الجماعة ، وابنه أحمد المدني ، وأخوه محمد البشير ، فلبجأت هذه الجماعة الكبيرة التي تحمل لاسم التجانيين إلى نيجيريا ومنحوا حق اللجوء السياسي (١) وهؤلاء طبعاً لا يقفون مكتوفي الأيدي تجاه نشر طريقتهما ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

١ - ظلت هذه الموجة من اللاجئين في سكتو حتى مات أحمد طال ثم قادها أخوه محمد البشير قاصداً بهم الحجاز للاستيطان هناك ، ويبدو من اختلاف الروايات أن الجماعة انقسمت إلى فرقتين فرقة يقودها محمد البشير وربما كانت هذه هي التي مرت بمدينة كنو، وفرقة يقودها أحمد المدني، وهي التي شقت طريقها محترقة أراضي سكتو وكشنته وكنو حتى دخلت أرض بوشي ، فقد قرروا طريقها الرئيسي الذي سلكته من سكتو إلى بوشي كالآتي خرجت من سكتو مارة بفسو في أميرية سكتو ثم خرقت أرض كشته فنزلت بـ (غركو) في أميرية كنو ثم انتقلت مارة بغيما (ودراجيا وبسركا في كك) ومن ثم إلى دارزو في أميرية بوشي إلى وودوغو إلى جنفوفي في بوشي حيث مكثت ستين ولعل هذه الفرقة هي التي كانت تحت قيادة أحمد المدني لأنه لم يقاتل الإنكليز حتى إن المندوب السامي لمديرية بولني المستر تمبل عينه أميراً للتجانيين عند مقامهم هناك .

ولعل الفرقة التي يقودها محمد البشير هي الكبيرة وربما كانت هي التي مرت بمدينة كنو كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق ، ومن ثم وصلت إلى مسو حيث استطاع أميرها أحمد والد أميرها الحالي محمد منع أن يقنمه بالاستيطان هناك فأعطاه بلدة لهذا الغرض وأقام فيها مع جماعته حتى عندما خرج أمير المسلمين الطاهر من سكتو هارباً من الغزاة الإنكليز قاصداً (برم) ومر بمسو انضم إليه محمد البشير مع جماعته حيث

ولكن العلماء المعاصرين كلهم يكادون يتفقون على أن خروج محمد البشير من
سكتو ماراً بكنو في طريقه إلى الحجاز هو أول عهد الكنويين بجماعة كبيرة متفقة على
اتباع الطريقة التجانية (١) .

ومن الجدير بالذكر هنا أن أمراء هطيجيا الذين حكموا في هذا القرن كلهم
تجانيون ولعل ذلك كان بتأثير هجرة هؤلاء التجانيين العمريين إلى أميرتهم ولعل
مديرية أداماوا أيضاً من أهم مراكز التجانيين العمريين منذ القرن التاسع عشر الميلادي
وربما كان ذلك بتأثير محمد راج بن علي فكان العمريون الذين في هطيجيا الذين
يعتبرون أنفسهم خلفاء الشيخ عمر القوتي من جهة النسب والطريقة يحاولون لإنشاء
روابط والعلاقات الودية بينهم وبين كل من كان له علاقة بالشيخ عمر القوتي
خصوصاً من أخذ عنه (٢) .

ولكن العامل الرئيسي لنشر الطريقة التجانية في نيجيريا هو شريف مغربي فاسي
يدعى الشريف محمد ويلقب بحفيد التجاني وكان يعرف أيضاً في بعض جهات نيجيريا

= أسره الإنكليز عقب انتهاء المعركة ونقلوه إلى توكوجي واستمر بقية قومه الذين اشتركوا في معركة يرم
إلى السودان المصري حيث استوطنوا هناك في قرية تسمى سنار ولا تزال ذرارهم موجودة فيها إلى الآن.
وأما أحمد المدني فانه عندما أسر عه محمد البشير ونقل إلى كولوجه وفرت الفرقة التي كانت معه إلى
السودان سار مع من معه من بقية جماعتهم من جيفو في بوشي إلى ناطا في أميرية غومبي ثم إلى هاشد
وإلى غنفر في بوش أيضاً ثم إلى مسو فمن ثم توجه إلى هطيجيا حيث منحه أميرها بلدة دكيوا ولعلها
ولعلها هي التي تسمى ين لين الآن فاستوطنتها مع ما يزيد على مائتي عائلة ولا تزال ذرارهم موجودين
هناك حتى الآن وعددهم الآن يزيد على خمسمائة عائلة وهم ما بين التجار والفلاحين والمعلمين والمتعلمين
ورئيسها يحمل حتى الآن لقب أمير التجانيين وهو في الوقت الحاضر السيد محمد الغالي ابن عمر حفيد
أحمد طال ابن الشيخ عمر القوتي وكان بينهم وبين العمريين الذين كانوا في فوت طورو السنغال علاقة
واتصال مستمرين وكذلك بينهم وبين التجانيين التقليديين في زاريا وكذلك بينهم وبين رؤساء الحركة
التجانية الجديدة في كنو وهلم جرا انظر كتاب

Jogn N. Paden Religion and Political Culture in kano 97 - 84

١ - John N, Paden : نفس المصدر 97 .

٢ - نفس المصدر 28 .

بالشريف زنگنه (١) جاء هذا الشريف إلى مدينة كنو في عهد أميرها على المشهور وسكن في حي (دندلي) في المدينة وازار مدينة زاريا ومات أخيراً في بلدة لوكوجه (٢) وقد أخذ منه عدد كبير من علماء كنو الطريقة التجانية ومنهم المعلم سعد بن طاهر ، وأهم من أخذ منه في كنو المعلم محمد سلفا ، وكانت سلسلته تبتدىء من السيد أحمد العبدلاوي عن السيد علي التماسي عن الشيخ التجاني (٣) وكذلك أخذ عنه عدد قليل من علماء زاريا والبلاد الأخرى ، وكان هذا الشريف هو عمدة أهل جوس في الطريقة التجانية قبل مجيء بن عمر حفيد الشيخ التجاني .

ولكن الشيخ أبا بكر عتيق ذهب إلى أن الطريقة التجانية انتشرت في بلاد هوسا كلها على يد المعلم محمد سلفا ، وإلى هذا المعنى يهدف بقوله : ولم ينتقل المعلم محمد سلفا إلى جوار ربه حتى كان أكثر أتباع الطريقة التجانية في بلاد هوسا من تلاميذه الذين أخذوا عنه إلا النادر (٤) وهذا الكلام صحيح تقريباً إذا نظرنا إلى عدد العلماء الكبار الذين حضروا درسه من أمصار شمال نيجيريا وما والاها من البلاد المجاورة ، فمثلاً قد أخذ عنه المعلم أحمد (لبردى) من (غوندو) والمعلم طن (غوغو) من (سكتو) والمعلم حسن كافنغ من (كنو) والمعلم محمد أب من (دماغرم) جمهورية نيجيريا والمعلم حسن من (كونغورا) وإبراهيم (مى ريفرقاتا) من (برنو) والمعلم (أب نطن) فنا من (دماغرم) أيضاً والمعلم تان من (اغدس) جمهورية نيجير أيضاً وسعد النفاوي من (سابون غري) وكثيرون غيرهم (٥) ولا شك أن هؤلاء قد أخذوا مع ما أخذوا عنه من العلوم ، الطريقة التجانية ونشروها في أقاليمهم كما نشروا ما أخذوا عنه من العلوم .

وجاء إلى كنو أيضاً لعل في غضون الحرب العالمية الأولى في عهد أميرها عباس بن عبدالله الشيخ عبد الوهاب المعروف بالشريف أجود (٦) وكان هذا الشريف يقرأ

١ - الشيخ أبو بكر عتيق : تحصيل الوطر الورقة الثانية ٢ - في تاريخ غير معلوم .

٣ - الشيخ أبو بكر عتيق : نفس المصدر والورقة ٤ - الشيخ أبو بكر عتيق : نفس المصدر والورقة

٥ - John N. Paden : المصدر السابق ٨٧ . ٦ - نفس المصدر ٨٣

الوظيفة في منزله بجوار السوق في المدينة وقد جدد للشيخ محمد سلغا إذنه في الطريقة وقيل إن الأمير عباس نفسه قد أخذ الطريقة التجانية منه ، ولكن ذلك صار موضوع جدل بين الشيخ محمد الناصر ، عيم القادرية في كنو وبين الشيخ أبي بكر عتيق ومن يؤيده ، أنكر الشيخ الناصر أن يكون الأمير عباس قد دخل الطريقة التجانية إنكاراً تاماً بينما ذهب الشيخ أبو بكر عتيق كل مذهب في تقرير أخذ الأمير عباس للطريقة التجانية وأيد وجهة نظره بما أثر عن الوالي سليمان أنه أثبت ذلك كل إثبات وكذلك وكذلك أيضاً أن زوجي^(١) الأمير اللتين أخذتا الطريقة التجانية أكدتا أن زوجهما أخذ الطريقة التجانية من يد ذلك الشريف وأثبت ذلك أيضاً آخرون غيرهم (٢).

وكان الوالي سليمان هو أكبر تلاميذ الشريف أجدود من العلماء الفلاتيين في كنو فكان يذهب إلى منزله كل يوم حتى فاز بالتقديم منه ، وعندما ارتحل الشريف صار بيت الوالي محل قراءة الوظيفة التجانية لكل من أخذ الطريقة في حي الفلاتيين (٢).

والظاهر أن الشريف أجدود قد زار بعض مدن شمال نيجيريا بجانب كنو أيام إقامته فيها لنشر الطريقة التجانية إلا أنه اتخذ مدينة كنو مركزاً لدعوته ، ومن أجل ذلك ينسب إليه إدخال أمير كشنه محمد دكو في الطريقة التجانية ، وقد غادر كنو بعد وفاة الأمير عباس بقصد الرجوع إلى وطنه مورتانيا فوافاه أجله بكشنه فأت ودفن فيها ، وكان هذا الشريف تلميذاً للشيخ محمد فتحا بن عبد الواحد النظيفي مؤلف ياقوتة الفريدة وشرحها الدرة الخريدة وكان إذنه من طريقه (٣).

ويبدو أنه حتى ذلك الوقت كان الذين أخذوا الطريقة التجانية في الأمصار يذكرون أورادها أفذاذاً — شأن الطريقة القادرية التي تقدمتها وجوداً في البلاد والتي التزمها أكثر العلماء خصوصاً الفلاتيون والحكام — يومئذ ولا يذكرون أورادها جماعة إلا سراً مع أن شروطها الجماعة في أهم أذكراها فكان المعلم محمد سلغا من أوائل الذين أظهروها أمام الجمهور بدون خوف ، لأن الأمير والعلماء كلهم يعرفونه ويقدرّون

١ - ها شريفيا أم عبدالله بايرو وتراكي هاشم ، ومارية .

٢ - John N. Paden : المصدر السابق ٨٢ - ٣ - John N. Paden : نفس المصدر ٨٣

له قدره في العلم والدين في العلم والدين والقيام بإحياء السنة ، فكان الذين أخذوا الطريقة يجتمعون في بيته لإقامة شعائرها حسب الشروط المقررة لصحتها (١) ويؤيد ذلك ما روي عن الشيخ محمد الناصر الكبراوي زعيم القادرية في كنفه أنه قال : « إن الذين أخذوا الطريقة التجانية قبل الاحتلال البريطاني لشمال نيجيريا كانوا يقومون بقراءة أورادها أفذاذاً وإن كانوا جماعة فسراً خشية أن يعثر عليهم فيتهموا بإحداث البدعة في الدين وبعد الاحتلال بدأ الخوف يزول شيئاً فشيئاً فكان أول مكان قرأت فيه الوظيفة التجانية جهاراً هو منزل المعلم شئت بن عبد الرؤوف بمدينة زاريا ومع ذلك كانوا على وجل شديد ويتوقعون في كل لحظة أن يصدر أمر من الأمير بفرض الحظر على ذلك » (٢) ، ويؤيد ذلك أيضاً ما جاء في رسالة محمد راج بن علي التي تكلمنا عليها فيما سبق من أنه دخل الطريقة التجانية سرّاً بعد ارتحال الشيخ عمر الفتوي لأنه رأى أن الناس بدأوا يبدون شكاً وتهمة للطرق الصوفية ولأنه لا يريد أن يترك طريقة شيخه محمد بلو ومن أجل ذلك بقي عشر سنين يتمسك بها سرّاً (٣) .

ومهما يكن من شيء فإن دخول المعلم محمد سلغا في الطريقة التجانية يعتبر من أكبر انتصاراتها ومبدأ لظهورها في نيجيريا ، ثم جاء الشيخ محمد بن عثمان العلمي (٤)

١ - قيل أن الشريف أجود كان من أصل بربري مورتاني وبعض الكنويين يظنون أنه حفيد الشيخ التجاني جاء إلى كنف من طريق أغدس إلى تاساوا فكشنته فمن ثم إلى كنف وجاء مع زوجته فأنجبت له ولداً ذكراً فسمي محمد الحبيب فمات ثم لحقه ابنه محمد الكبير ولكنه رجع إلى مورتانيا بعد موته .

٢ - انظر أطروحة حمزة عثمان درما الورقة ٣٧ قسم الدراسات الإسلامية B.4.K.

٣ - John N. Paden : المصدر السابق ٧٧ .

٤ - الشيخ محمد بن عثمان العلمي هذا ليس هو محمد بن عبد الملك العلمي السابق ذكره الذي بذل مجهوداً كبيراً في تأسيس الزوايا التجانية في السودان المصري وتركيا والحجاز وذلك جزائري أخذ عن السيد محمد البشير حفيد الشيخ التجاني ومات سنة ١٩٣٤ م ١٣٥٣ هـ وأما هذا فمغربى أخذ عن الشيخ سكبرج العياشي وسكنه كازابلانكا (الدار البيضاء) في المملكة المغربية ومات سنة ١٩٦٩ م - ١٣٨٩ هـ حتى زاره قبل موته أمير كنف الحاج آدو بايرو وكذلك أيضاً زاره كثيرون من شيوخ التجانية الكنويين مثل الحاج أبي بكر عتيق والحاج التجاني عثمان والحاج الشيخ الفلنسوي والحاج محمود ستفاو وقد اهتم الحكام الإنكليز بمقامه في نيجيريا كثيراً لأنهم يهتمونه بمزاولة حركة سياسية خطيرة هدامة بالنسبة لنظام حكمهم .

سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م فكان بحبته تأييداً إيجابياً للمعلم محمد سلغا بين يدي العلماء والأمرء والتجار حيث جمعهم فوعظهم وذكرهم ودعاهم إلى التآلف والتواد وحذرهم عن التقاطع والتحاسد ثم حثهم على بناء زاوية يجتمعون فيها لقراءة الوظيفة وغيرها من أذكار الطريقة فبنيت في مكان يسمى (كورن مَسْبُحاً) في حي قوق وبيناء هذه الزاوية ظهرت الطريقة التجانية ظهوراً علنياً ، حتى نظر إليها جميع الأطراف في كنف بعين التعظيم حتى الأمير نفسه فاكتسبت بذلك رفعة الصيت في البلاد، فدخلها الناس أفواجاً أفواجاً ولم يقتصر هذا في كنف وحدها بل عم نيجيريا كلها تقريباً حيث كان للمعلم محمد سلغا تلاميذ في جميع جهاتها وأمصارها تقريباً .

فلا شك أن الشيخ العلمي قد أثر في أتباع الطريقة التجانية الكنويين تأثيراً بالغاً الذي سرى إلى جميع مدن نيجيريا وخصوصاً الشمالية .

وهو أول من حثهم على بناء زاوية تجانية لقراءة وظيفتها جماعة جهاراً بعدما كانت تقرأ في بيوت المتقدمين بشيء من التحفظ فانتشرت بذلك بناء الزوايا في البلاد كلها . وهو الذي دعاهم إلى التآلف والتواد وحذرهم من سوء مغبة فشو التدابر والتقاطع والتحاسد في أوساطهم .

وهو الذي جاءهم بكتب فقه الطريقة وتاريخ رجالها والدعاية لها والدفاع عنها وهلم جرا .

وهو الذي أظهر لهم عناصر الكرامات الموجودة في الطريقة التجانية بما شرحه لهم فيما جاءهم به من كتاب منية المريد الكتاب الذي بين كثيراً من كرامات الشيخ التجاني ومناقب طريقته وفجائات أتباعه مما قوى بهم قلوبهم وربط جأشهم فاكتسبوا بذلك شكيمة تدفعهم إلى الدفاع عن حوزتهم بكل ما يستطيعون به من قوة .

وهو الذي صار نقطة الاتصال بين الكتلة الفلاتيين من العلماء والهوساويين حيث أخذ الجانيان عنه واجتمعوا على تعظيمه حتى استقامت أواصر المودة والعلاقات الطيبة بين الطرفين من جراء ذلك .

هذا وقد قام العلمي بعد هذا كله بتدريب المتقدمين التجانيين في فقه الطريقة وإدارة

أمور الزاوية وكيفية إجراء طقوس الطريقة ليقوموا بعده بالمهمة التي يضطلع بها من نشر الطريقة في البلاد وبث تعاليمها في أوساط أتباعها وهكذا .

وبعد ارتحال العلمي استمر المعلم محمد سلغا كما كان قبل ذلك هو إمام التجانيين ومقدم الزاوية الجديدة ومدير شؤونها فجعل الناس يتدفقون إليه من كل صوب للدخول في الطريقة التجانية فازدهر أمر الزاوية ازدهاراً كبيراً ثم بدأت عناصر الشقاق تسري بين أعضائها فجعل أمرها ينحط شيئاً فشيئاً إلى أن صارت شبه معطلة نهائياً ولعل السبب هو انقطاع المعلم محمد سلغا عن حضور وظيفتها وذلك كما قال الشيخ أبو بكر عتيق عندما أراد الشيخ محمد العلمي أن يغادر البلاد جعل الشيخ محمد سلغا مكانه ليقوم بكل شيء كان يقوم به ، فارتفع بذلك طبعاً صيته فصار الناس يردون إليه زرافات ووحداً للأخذ عنه ولسماع مواعظه وأخذ تعاليمه الصوفية الجديدة ، فثارت من أجل ذلك ثائرة الحساد عندما لاحظوا هذا النجاح الباهر الذي حققه وقاموا بتدبير أنواع المكائد ضده حتى أخرجه من الزاوية أخيراً بعد تحرشات كثيرة وصفها الشيخ عتيق بقوله : « اللتيا والتي » (١) .

وذهب بعض الكتاب إلى أن سبب انقطاعه عن حضور الزاوية الأمر الذي أدى إلى انحطاط أمرها نهائياً هو ما كان يوجهه الحكام الإنكليز المستعمرون لنيجيريا حينئذ نحو الشيخ العلمي نفسه من تهمة أن مجيئه إلى نيجيريا كان متعلقاً بحركة المهديّة القائمة في الشمال الإفريقي أيامئذ المناوئة للاستعمار (٢) .

ومهما يكن من شيء فقد أخذ المعلم محمد سلغا عن عدد كبير من شيوخ الطريقة التجانية المغاربة والشناجطة الواردين إلى نيجيريا في طريقهم إلى الحرمين أو السائحين الذين يحولون لإفريقيا المسلمة لنشر الطريقة والدعاية لها ، وقد عد الشيخ أبو بكر عتيق من أخذ عنهم المعلم محمد سلغا من هؤلاء — ما عدا الذين سبق ذكرهم — والد الشريف

١ - الشيخ أبو بكر عتيق : الفيض الجامع ١٧ - ٢ - John N. Paden المصدر السابق ٨٩

محمد الكبير العلوي والشريف عبد الرحمن (١) والسيدة خديجة المغربية (٢) والسيد محمد المختار الشنقيطي ولم يقتصر نشاط هؤلاء الشيوخ في نشر الطريقة التجانية وتعاليمها في نيجيريا فحسب بل قد عم أيضاً أفريقيا العربية كلها ، ويجب أيضاً أن نفهم أن المعلم محمد سلغا ليس هو وحده الذي اتصل بهم بل قد اتصل بهم وأخذ عنهم عدد غير قليل من مقدمي الطريقة التجانية في كنو وغيرها من أمصار نيجيريا التي مروا فيها وإنمسا اهتمامنا بذكر المعلم محمد سلغا لأنه في ذلك الوقت المحور الذي تدور عليه حركة التجانية في كنو إذا صرفنا نظرنا عن أقرانه في الأمر يومئذ ، مثل بيت (بين مالي) في حارة (مدابو) وبيت الوالي سليمان في حي القلاطين وغيرها من البيوت التي ذكرناها فيما سبق لأن نشاط المعلم سلغا والسلغاوين في ذلك الميدان قد غطى على أولئك تغطية تكاد تكون تامة ، وربما انضم بعض هذه البيوت إليهم فيما بعد .

ويبدو أن الشيخ محمد الفا هاشم (٣) من الأشخاص الذين كان لهم الأثر العميق في المعلم محمد سلغا وغيره من مقدمي التجانية في نيجيريا أيضاً وقد اهتم الشيخ أبو بكر عتيق بهذا الشيخ اهتماماً كبيراً حتى سمي سلسلة بسلسلة الذهب فقال : « وأما سندنا الهاشمي وهو المنسوب إلى الشيخ الفا هاشم وهو المسمى بسلسلة الذهب » (٤).

١ - هذا الشريف ملي عبد الرحمن عربي مغربي جاء إلى كنو من (غاوي) في جمهورية نيجيريا حالياً في عصر أمير كنو عباس بن عبادة وسكن في حي (دندلسن الوراوا) أنظر Religion and Political Culture in kano وثيل الوطر أيضاً الورقة الثانية .

٢ - هي امرأة شريفة مغربية مرت بكنو في طريقها إلى الحجاز سنة ١٣٥٣ م ١٩٣٤ م ويبدو أنها عالمة وقد ألغت كتاباً بعنوان السيف اليماني في الذب عن أحمد التجاني .

٣ - وهو الشيخ محمد الفا هاشم ابن اخت الشيخ عمر القوتي كان هو المفتي العام في دولة ابن خاله أحمد طال ابن الشيخ عمر القوتي وعندما سقطت دولة ابن خاله هاجر إلى المدينة المنورة وكان يعتبر وهو في الحجاز المسؤول الأول عن حركة التجانية والتجانيين في السودان الغربي كما كان يته في المدينة ملتقى التجانيين القاديين من أقطار شتى وكان لنفوذه الشخصي يتدخل حتى في أمور تعتبر سياسية صرفة انظر

كتاب The Tijaniyya Asufiordes ١٤٣

٤ - الشيخ أبو بكر عتيق : الفيض الجامع ٤٤ .

ولم يأت الشيخ ألفا هاشم إلى نيجيريا وإنما كان اتصاله بالمعلم محمد سلغا من طريق المراسلة وبغيره من طريق تلميذه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن النيجيري الكتاغمي (١) المجاور في المدينة المنورة أو من طريق المعلم محمد سلغا .

وقد أذن هذا الشيخ للمعلم محمد سلغا بإذن مطلق شامل لكل ما يمس الطريقة التجانية وما يتعلق بجميع كتب العلم وكتب الإذن بخط يده وأرسله إليه (٢) ولعل هذا الإذن هو أول إجازة مطلقة نالها المعلم محمد سلغا وإجازاته السابقة كلها كانت بالتقديم ليس إلا ومن أجل ذلك كان يقدمها على جميع إجازاته ، وقد أرسل إليه أيضاً بالإذن المطلق الشيخ عبد الكريم العطار من مصر (٣).

لعل هذا كله ينهض دليلاً قاطعاً على أن مدينة كنو كانت المركز الرئيسي لانتشار الطريقة التجانية في نيجيريا كلها خصوصاً بعد الاحتلال البريطاني للبلاد كما كانت قبل الاحتلال — بحكم موقعها التجاري في بلاد هوسا — منزلاً لجميع الغرباء القادمين من شمال إفريقيا وموريتانيا والسودان الغربي وهؤلاء طبعاً يأتون — على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم — وقلوبهم مشحونة بعقائد مختلفة وعقولهم مشغولة بأفكار متباينة وقلما يخلو أحدهم من طريقة صوفية يتبعها نوعاً ما لأن المغرب العربي أو بعبارة أخرى شمال إفريقيا كانت منبع الطرق الصوفية ومنشأ أفكار تصوفية مخلوطة بالفلسفة الإغريقية منذ قيام الدولة الفاطمية القرطبية فيها ، ومن هؤلاء طبعاً دخل نيجيريا ضرب الدفوف

١ - وهو الشيخ أحمد بن عبد الرحمن من بيت إمارة كتاغم في مديرية بوشي نيجيريا الشمالية وجده المعلم زاكي هو المؤسس الأول للأيمرية وقد رحل الشيخ أحمد من الوطن لطلب العلم فزار بعض مدن الشرق الأوسط مثل مصر والقدس ومن ثم أتى مكة لأداء فريضة الحج وبعد قضاء المناسك رحل ثانياً إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأقام فيها إلى آخر حياته رحمه الله وله مؤلفات كثيرة في الطريقة التجانية وغيرها ومنها كشف الحجب والعوائق انظر كتاب فيض الجامع .

٢ - الحاج أبو بكر عتيق : تحصيل الوطر الورقة الثانية ٣ - الحاج أبو بكر عتيق : تحصيل الوطر الورقة الثانية.

الموسوم بالبندير في المساجد والزوايا الأمر الذي أخذه أتباع الطريقة القادرية في كنو
بشكل مربع ولذلك لا يبعد أن يكون من هؤلاء الغرباء من كان تجانياً متحمساً للدعاية
لها والدعوة إليها منذ عهد مبكر من تأسيسها ، ولعل من أجل ذلك ذهب بعض الكتاب
بعيداً حيث قرر أن هناك زاوية تجانية موجودة في كنو وبرنو ووادي منذ أن كان
الشيخ التجاني في قيد حياته . كما سبق .

الباب الثاني

الشيخ ابراهيم انباس التجاني السنغالي من ولادته الى ظهوره في نيجيريا

الطريقة التجانية في السنغال

السنغال قطر يقع في الزاوية الغربية من إفريقيا الغربية يحده شمالاً الجمهورية الإسلامية الموريتانية وجنوباً جمهورية غينيا وغينيا البرتغالية وشرقاً جمهورية مالي وغرباً المحيط الأطلسي ويشغل مساحة ٧٦٠٠٠ ستة وسبعين ألف ميل مربعاً من الأرض وله سبعة أقاليم وهي :

١- كبفرت ٢- كاسمس ٣- النهر ٤- ديوبل ٥- السنغال الشرقية
٦- سين سالوم ٧- تيس (١) .

وعدد سكانه ثلاث ملايين ومائة وتسع آلاف نسمة ٣,١٠٩,٠٠٠ حسب الإحصاء
القائم سنة ١٩٦١ م (٢) وقبائله الرئيسية هي :

١- ولوف ٢- نكولا (فلبي) ٣- ليس ٤- سرکولي .
وحوالي ثمانين في المائة منهم مسلمون وكلهم تابعون للطرق الصوفية تقريباً ،

١ - 151 Muslim Brotherhood & Politics In SEN : MRS L.C. Behrman

٢ - انظر كتاب : 150 O . A . U . Summit Bonfrauce Accra 1965

حيث لا نجد قبيلة أو أسرة مشهورة إلا وهي منتمة إلى طريقة صوفية أو أخرى (١) وكان لمناختمته بالقطر المورتاني تقارب بين سكانها في العادات والنزعات ، ولا سيما أن كثيرين من علمائهم تعلموا هنالك في مدارس المورتانيين ، ومن أوضح الأدلة وأصدق الشواهد على ذلك قول الشيخ أحمد بمبا مؤسس الطريقة المريدية في السنغال (٢).

أتاني الخير من ربي بتكرار لا سيما عند بئر الخير جراد (٣)

الجرار لاسم بئر في الولاية السادسة بجمهورية الإسلامية المورتانية وبالإسم أيضاً تدعى القرية التي تقوم بجانب هذه البئر ، وكان هذا عادة المورتانيين فأكثر قراهم وحواضرهم تسمى بأسماء الآبار التي يستقون منها ، مثل برين وتنبيعل ومعط مولانا وهلم جرا (٣) وهو في هذا البيت يريد أن يحمد الله على ما أسبغه عليه من خيراته في حياته وخصوصاً الخير الجزيل الذي حظى به عند تلك البئر وهو العلم الذي تضع به هنالك .

وكانت جزار هذه مسكن العلماء والفقهاء واللغويين ومن إليهم ، وكذلك يكثر فيها شيوخ الطرق الصوفية ، على اختلاف أنواعها ، وقد تعلم الشيخ أحمد بمبا هنالك فرفع عقيرته جراء ذلك معترفاً بأنه قد نال خيراً جزيلاً ونفعاً عميقاً في هذا المكان .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الشيخ إبراهيم أنياس قد أخذ معنى هذا البيت من الشيخ بمبا وصاغ على قلبه بيتاً آخر على شكله فقال :

ومنه ومن بريـن بالجرار منه أتاني الخير بالتكرار (٤)

١ - Muslim Brotherhood & Politics in SENIGAL V : Mre L . C. Behr

٢ - هو الشيخ أحمد بمبا محمد بن محمد بن حبيب الله السنغالي من قبيلة نكولا (الدلاتية) نفس القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ عمر الفوتي انظر ص ٢١ من كتاب Muslim Brotherhood and Politics in SENIGAL وأسرتة اميكي مشهورة وقاعدة طريقته هي مدينة توبه في إقليم ديوبل بجمهورية السنغال كما يأتي :

٣ - جمعت هذه المعلومات في مقابلي مع (الشيخان) حفيد الشيخ محمد الحافظ الكبير وخليفته في اليوم العاشر لأغسطس سنة ١٩٧٧ م في منزله بمخامرة برين بمورتانيا .

٤ - الشيخ إبراهيم أنياس : ذيل منظومة رحلة نيل المفاز الورقة الرابعة .

وبرين إسم بشر أيضاً كما مر وبه تسمى الحاضرة القائمة بجانبها ، وهي مسكن الشيخ محمد الحافظ العلوي البدي صاحب الشيخ التجاني الذي جاء بالطريقة التجانية من فاس إلى مورتانيا فلقنها الشيخ مولود فال الكبير وهو بدوره لقنها للشيخ عبد الكريم الناقل الفتوي الذي لقنها هو الآخر للشيخ عمر الفتوي الذي يعتبر بطل الطريقة التجانية وناشرها في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر الميلادي والثالث عشر الهجري .

لعل هذا الاتصال المباشر بين السنغاليين السود والمورتانيين البيض واختلاطهم لأجل الدين والتعليم والتجارة هو سبب تغلغل فكرة الطريقة في الأولين حتى صارت عادة متبعة عندهم فتحولت بيئاتهم إلى بيئة متصوفة تدريبياً فتعددت الطرق الصوفية فيهم وانقسمت إلى أقسام عدة وأشهرها خمسة وهي :

١ - الطريقة القادرية (١).

٢ - الطريقة المريدية (٢).

١ - أدخل الطريقة القادرية في أفريقيا العربية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في القرن الخامس عشر الميلادي فبقيت في يد العرب الكنتيين الذين نزحوا من مدينة توات في الجمهورية الجزائرية واستوطنوا في حدود الصحراء الكبرى مما يلي إفريقيا الغربية شالي مدينة تنبكتو حتى ظهر منهم الشيخ المختار الكنتي المشهور المتوفي سنة ١٨١١ م - ١٢٢٦ هـ وأسس مركز أو زاده في الشمال الغربي لمدينة تنبكتو في نفس الوقت الذي كان الشيخ التجاني ينشر تعاليمه في المغرب الأقصى فأشهر من أخذ عنه رجل من موريتانيا يسمى سديا الكبير ثم أسس حفيده سديا بابا فرعاً لهذه الطريقة التي كانت تعرف حينئذ بالقادرية البكانية الكنتية في إقليم أدرر بمورتانيا فكانت هذه الفرع الجديدة تعرف بالسدية فدخلها عدد كبير من قبائل ولوف السنغالية انظر كتاب *Islam in west Africa* 39 ومن أشهر رجالها في السنغال بوككتا المتوفي سنة ١٩١٤ م - ١٣٣٣ هـ الذي أسس أهم فرقة قادرية في السنغال ثم إبيه وخليفته بككتا المتوفي سنة ١٩٢٩ م - ١٣٤٨ هـ ثم السيد لمين ككتا أخو البكي وخليفته انظر كتاب **Muslim Brotherhooq and Politics in SENIGAL ١٨٣**

٢ - أسس الطريقة المريدية الشيخ أحمد إمبا محمد بن محمد بن حبيب الله بقرية توبه في إقليم ديوبل في جمهورية السنغال سنة ١٨٨٦ م - ١٣٠٥ هـ فكانت هي والطريقة اللينية أو لطريقة صوفية أسسها شيخ سوداني وبقيّة الطرق المعروفة قبلها كانت من اختراع البيض وتمتد الطريقة المريدية من أفوى الطرق الصوفية في السنغال وأكثر المتبعين إليها من قبائل ولوف .

٣ - الطريقة اللبينة (١).

٤ - الطريقة التجانية .

٥ - الطريقة الحمالية التجانية .

ولكن الطريقة التجانية هي التي تمسنا في هذا الصدد وعليها نكرس نكرس كلامنا في هذا الفصل .

الطريقة التجانية على اختلاف أقسامها وفروعها هي أكثر الطرق انتشاراً في السنغال وعدد أتباعها حسب الإحصاء الذي أجري سنة ١٩٥٨ م يبلغ زهاء ١,٠٣٦,٠٨٨ وتليها في كثرة الأتباع الطريقة المريدية التي يبلغ عدد أتباعها ٤٢٣,٢٧٣. تقريباً ثم القادرية وعدد المنتسبين إليها يبلغ ٣٠٢,٩٥٧ ثم تليها لبينة وعدد أتباعها ١٥,٤٣٠ (١).

ويبدو أن الطريقة المريدية قد انتشرت بعد ذلك انتشاراً هائلاً حتى صارت تزاحم التجانية في كثرة الأتباع والأهمية بل وهي الآن تعتبر أقوى الطرق الصوفية كلها في السنغال حيث أن الطريقة التجانية مع كثرة أتباعها انقسمت إلى أقسام عدة كل قسم

وأشهر رجالها هم الشيخ أحمد بمبا محمد بن محمد بن حبيب الله من أسرة امبكي الفلاتية الأصل وهو المؤسس للطريقة كما سبق ثم أتت أخوه والشيخ تيورو أخوه وإبراهيم امبكي أخوه كذلك وبل امبكي أخوه كذلك ثم الشيخ امبكي بوسو ابن عمه وهو عالم مشهور وقد أسس مركزاً له خاصاً لهذه الطريقة ثم الشيخ ابرفل تلميذ الشيخ أحمد بمبا وهو مؤسس مركز باي فل لهذه الطريقة أيضاً ثم ييس ديتن تلميذ الشيخ أحمد بمبا أيضاً ثم الشيخ بل فل تلميذه كذلك ثم السيد محمد المصطفى المتوفي ١٨٤٥ م - ١٣٦٥ هـ ابنه أي الشيخ بمبا وخليفته ثم الشيخ فضل امبكي المتوفي سنة ١٩٦٨ م ابنه وخليفته أيضاً بعد أخيه محمد المصطفى ثم السيد محمد البشير امبكي المتوفي ١٩٦٦ م ثم عبدالله امبكي ابنه كذلك وخليفته أيضاً وخليفته بعد أخيه فضل ثم سخته سلمة هي أصغر بنات الشيخ أحمد بمبا ثم سرغني مود بوسو ابن الشيخ امبكي بوسو ثم الشيخ أوا بل امبكي ابن عم الشيخ امبكي ثم مود مصطفى ابن الشيخ فضل ثم برا امبكي ابن الشيخ فضل امبكي أيضاً ثم الشيخ امبكي ابن الشيخ محمد المصطفى الذي يدعى الخلافة لنفسه انظر

كتاب Muslim Brotherhood and Politics in SENIGAL 183

٤ - الطريقة اللبينة وهي مثل المريدية فرع من الطريقة القادرية الكتبية أسسها الشيخ ليما مولين المتوفي سنة ١٩٠٩ م - ١٣٢٧ هـ ثم الشيخ منديان ابنه وخليفته وهي الطريقة الأخرى التي أسسها شيخ سوداني في السنغال .

مستقل استقلالاً تاماً عن الأقسام الأخرى ، وبينها منافسة شديدة تبلغ حد العداوة في بعض الأحيان ، وأما الطريقة المريدية فهي كتلة واحدة وجزء لا يتجزأ ، هذا كله بالإضافة إلى أن المنتمين إليها كلهم من قبيلة ولوف تقريباً التي تشكل الغالبية العظمى من قبائل البلاد كلها ، ولذلك كانت على جانب من القوة تجاه بقية الطرق (١).

لقد دخلت الطريقة التجانية البلاد السنغالية من مورتانيا على يد الشيخ مولود فال الكبير تلميذ الشيخ محمد الحافظ العلوي البدي الذي أخذها من يد الشيخ التجاني مباشرة كما مر ولكنها لم تستقر في البلاد وتنتشر إلا في يد الشيخ عمر الفتوي كما يأتي عن قريب وذلك قبل دخو الطريقة القادرية وقبل وجود المريدية واللينية (٢) ثم انقسمت على تعاقب الأيام إلى أكثر من اثني عشر فرعاً ولكل فرع شيخ مستقل عن الأشياخ الآخرين كما سبق ، وتحت كل شيخ مقدمون ولكل مقدم تلاميذ ولكل هؤلاء مدارس ومساجد وزوايا خاصة بهم منتشرة في المدن والقرى والأرياف ، وكان تلاميذ هؤلاء الشيوخ منتشرين في طول السنغال وعرصها وكذلك في البلاد المجاورة لها مثل مالي وغينيا وسريالون وغانا ونيجيريا

هذه الأقسام والفروع كلها تدور حول شخصية الشيخ عمر الفتوي ولذلك ذهبنا فيما سبق إلى أن الطريقة التجانية ما انتشرت واستقرت في السنغال إلا على يده فمثلاً إنه هو الذي لقن الطريقة التجانية لشرنو مودجالو والقاماب ياخو والفا مايرو وعدد غيرهم .

١ - ولقنها شرنو مودجالو لابنه وخليفته شرنو عمر جالو الذي أسس مركز شرنو عمر في جامبيا (٣) ولقنها أيضاً للشيخ معاذ كاه الذي أسس مركز معاذ كاه

١ - MRS L. C. Behrman : المصدر السابق ٦٣ .

٢ - ذلك لأن الطريقة القادرية قد دخلت البلاد السنغالية على يد الشيخ سديا بابا المتوفي سنة ١٩٢٤ م - ١٣٤٣ هـ الذي أسس زاوية قادرية في بلدة بوتلمت باقليم تروزا بمورتانيا وأخذها عنه عدد كبير من المورتانيين والسودانيين وخصوصاً قبائل ولوف السنغالية فمل هذا إن الطريقة القادرية دخلت نيجيريا بنحو قرنين قبل أن تدخل السنغال ومورتانيا .

٣ - كانت جمهورية جامبيا قبل الاستعمار تعتبر إقليماً في قلب السنغال ثم احتل الإنكليز ضفتي نهر جامبيا وفصلوها سياسياً عن بقية البلاد السنغالية .

بمدينة سرنج في غامبيا ، ولقنها كذلك للشيخ عبد الله إنياس الذي أسس مركز مدينة كولنج بإقليم سين سالوم في السنغال وهو والد الشيخ إبراهيم إنياس الذي نكتب هذا البحث عنه

أ - ولقنها شرنو عمر جالو لابنه وخليفته شرنو الحاج محمد بابا وهو لقنها لشرنو علي دم الذي أسس مركز مدينة تمبا كند بإقليم السنغال الشرقية وهو لقنها لشرنو محمد سعيد الذي أسس مركز مدينة غناس بإقليم سين سالوم أيضاً في السنغال ولقنها أيضاً لشرنو الحاج أحمد دم الذي أسس مركز سوكون بالسنغال كذلك .

ب - ولقنها الشيخ عبدالله إنياس لابنه وخليفته الحاج محمد إنياس ، ولقنها أيضاً لابنه وخليفته الحاج عمر إنياس ، ولقنها كذلك لابنه الشيخ الحاج إبراهيم إنياس الذي أسس مركزه الخاص به في المدينة الجديدة بحضرة كولنج ، وهو الذي نكتب هذا البحث عنه كما سبق آنفاً (١) .

ج - ولقنها الحاج محمد إنياس الخليفة لابنه وخليفته الحاج عبدالله إنياس :

د - ولقنها الشيخ إبراهيم إنياس لابنه وخليفته الحاج عبدالله إنياس .

٢ - ولقنها الفا ماب دياخو (٢) لابنه وخليفته سيرمتي ولقنها أيضاً الشيخ

١ - ولكن الشيخ إبراهيم إنياس يرى أنه هو خليفة والده الحاج عبدالله إنياس الحقيقي حتى روي في ذلك شهادات قرر له فيها والده ما يدل على أنه هو وحده خليفة دون غيره من بقية الأبناء وإن كل ما تركه فهو له خالصاً يأخذه من غيره انظر كتاب كاشف الإتياس ٩٥ ودعم ذلك بما شافه به الشيخ سكيروج العياشي انظر الورقة الخامسة من المذكرة التي جمع فيها سلاسل إجازاته ولكن الراجح مع ذلك كله أنه ليس هو خليفة والده وإنما هو مؤسس مركزه الخاص به لأنه أظهر أمره وكون نفسه أتباعاً وأخو الأكبر الحاج محمد إنياس الذي كان خليفة والدهم باعتراف الشيخ إبراهيم نفسه - في قيد حياته وبعد موته خلفه أخوه الحاج عمر إنياس وبعده الحاج عبدالله إنياس ابن الحاج محمد إنياس الخليفة انظر كتاب Muslim Brotherhood and Politics in Senegal by L.C. Berhman 61 - 65 .

٢ - ينظر أن الفاماب دياخو هذا المتوفى سنة ١٨٦٧ م - ١٢٨٤ هـ هو أكبر تلاميذ الشيخ عمر النوتي في فوت طورو وهو الذي واصل الجهاد الذي كان الشيخ عمر النوتي يقوم به قبائل السنغال كلها وخصوصاً قبائل ولوف انظر المصدر السابق ٢٤ .

محمود لين وهو مجاهد من قبيلة سركولي وكذلك لقنها للشيخ فودي سليمان بغيغ وهو أيضاً مجاهد من قبيلة سركولي .

٣ - وأما الفا مايرو فهو الذي لقن الطريقة التجانية للسيد مالك سي (١) الذي أسس مركز (توانون) بإقليم تيس في السنغال ولقنها السيد مالك لابنه وخليفته الحاج أبي بكر مي وابنه وخليفته أيضاً الحاج عبد العزيز سي ولقنها أيضاً للحاج أغون غوم زعيم مركز سنلو ولقنها كذلك للشيخ الحاج أحمد لين ديان إمام المسجد الجامع الكبير بدكار العاصمة ولقنها كذلك للشيخ سعيد نور طال حفيد الشيخ عمر الفتوي

١ - السيد مالك سي كان من أصل فلاتي مثل الشيخ أحمد ميا وكثيرين غيره من شيوخ الطرق في السنغال فعاشت أسرته مع قبيلة ولوف وتزوجوا معهم ولد سنة ١٨٥٥ م - ١٢٨٢ هـ في قرية بالقرب من بلدة أغاي (على الحدود الموريتانية ودرس العلوم الإسلامية على اختلاف فروعها حتى نبغ فيها وسافر إلى معظم مدن السنغال للالتقاء بعلمائها ومن ضمن الأماكن التي زارها في السنغال بلدة (كايور) و(ديالوف) وحج سنة ١٨٨٩ م وبعد عودته من الحج بدأ التدريس في مدينة (سنلو) (سيتلوس) ثم انتقل من هناك إلى مدينة توانون .

أخذ السيد مالك سي الطريقة التجانية وهو في الثامن عشر من عمره من يد عمه الفا مايرو والذي أخذها من يد الشيخ عمر الفتوي مباشر كما مر وكان للسيد مالك سي أتباع كثيرون من والتكروور وولوف وبنبو وسركولي وغيرهم وتخرج على يده عدد كبير من العلماء وقد زار السيد مالك قبيلة عنو علي ومكث معهم شهراً حتى جدد إذهنه على يد أحد الشيوخ هناك يسمى الشيخ محمد علي وحاول السيد مالك بعد أن يقرب ما استطاع بين وجهات نظر شيوخ التجانية وكذلك حاول بنجاح أن يربط بين زاويته وبين زاوية فاس العلاقة الودية حيث تمكن من إقناع زعيم زاوية فاس لزيارة توانون سنة ١٩١٤ م - ١٣٣٣ هـ. لقد كان السيد مالك رجلاً عملياً إلا أنه يختلف عن الشيخ عمر الفتوي لأنه ولد وعاش في البلاد التي تخضع للاستعمار الفرنسي فكان صديقاً حميماً لهم وقد أخبرنا (بول مرني) الكاتب الفرنسي أن السيد مالك كان يبحث أتباعه دائماً على قبول الحكم الفرنسي وقد كتب بذلك منشوراً عاماً في شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ م - ١٣٣١ هـ إلى جميع المقدمين التجانيين الذين يتشبهون إليه بذلك وعندما اندلعت ناز الحرب العالمية الأولى التي اشتركت فيها الأمة الفرنسية قام السيد مالك بدعوات خاصة في زاويته بتوانون لاتنصار فرنسا على عدوتها ألمانيا انظر ص ١٤٥ من كتاب جميل أبو النصر

The Tijiniyya a Sufi Order in the maderd Age

وصفحة ٥٠ من كتاب Muslim Brotherhood and Political in Senegal ومات السيد مالك سي سنة ١٩٢٢ م - ١٣٤١ هـ وخلفه ابنه الحاج أبو بكر مي الذي كان عمره إذ ذاك ٣٧ وتقب بالخليفة .

وكان سعيد نور وصياً عنده من قبل أبيه السيد محمد النور ابن الشيخ عمر (١).

٤ - وهناك أيضاً شيوخ كبار عمريون من شيوخ الطريقة التجانية في السنغال ، وكان بينه وبينهم وسائط إلا أن مصدرنا لم يبين لنا من لقنهم الطريقة التجانية من تلاميذه البارزين ، وهم مثل الشيخ أحمد سعيد زعيم مركز تجاني هام في إقليم كاسمس في السنغال ، وهو من قبيلة تכולا الفلاتية مثل الشيخ عمر الفتوي نفسه ، والشريف مكّي حيدر زعيم مركز تجاني هام في إقليم كاسمس السنغالي أيضاً والشيخ فتى سيك سيرغني ثينبا زعيم مركز تجاني هام في إقليم ثيس والشيخ ابراهيم ديون وهو شيخ تجاني مهم في مدينة دكار العاصمة (٢) وأغلب الظن أنهم كلهم تخرجوا على يد السيد مالك سي .

الفرقة الحملية التجانية

أسس هذه الفرقة الشيخ أحمد حمّاه الله المتوفى سنة ١٩٤٣ م وهو من أب عربي وأم تكلورية (فلاتية) تدعى عائشة دبالو وكان عمرها أولاً حتى قد شريف تجاني من توات اسمه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله ويدعى بالشريف الأخضر واستوطن بلدة نيورو في مالي وأعلن أن ما يفعله التجانيون في السنغال وغرب إفريقيا كلها من قرارة جوهر الكمال اثني عشرة مرة خطأ مخالف لما كان عليه عمل الشيخ التجاني ثم ورد الشيخ حمّاه الله بلدة نيورو هذه واتصل فيها بهذا الشريف فصار من أخلص تلاميذه وأخذ آراءه كلها وعندما مات الشريف الأخضر خلفه الشيخ حمّاه الله وأسس حركة سياسية دينية فظهر للناس أولاً كأنه مصلح ديني واجتماعي وبلغ السيد مالك

١ - فهل كتب له أبوه الاجازة المطلقة قبل أن يبلغ رشده وسلمه معها إلى السيد مالك عندما جعله وصياً عنده أم أن السيد مالك هو الذي لقنه الطريقة التجانية وقدمه فهذا الذي لا نستطيع أن نتقطع عن الرأي الجازم فيه لسكوت مصدرنا عن تحقيق القول في ذلك ولكن يمكننا أن نقرر أن الشيخ سمع نورطال عندما بلغ أشده زوجه السيد مالك ابنته انظر كتاب جميل أبو النصر المصدر السابق ١٤٤ ومقابلتي مع الزميل الدكتور عمر حمّاه في منزله ٨ - ٨ - ١٩٧٨ م بمقر جامعة بايروكتو

٢ - Mrs L. C. Berhman المصدر السابق ٧٠ .

سي ما كان يقوم به الشيخ حماه الله من الشطط في أمر الطريقة وما بيئه من الدعاية ضد نظام الحكم الفرنسي في البلاد فأرسل اليه رسالتين ينصحه فيهما ويحذره من سوء مغبة حركته هذه فأجابه عن الرسالة الأولى ورفض الاجابة عن الثانية واستمر يدبر أمره بلباقة حتى مات السيد مالك فظهر بكل ما يستطيع به من قوة واستطاع بفضل دهائه أن يجمع حوله أتباعاً كثيرين من بلدة كيس ونيورو ونيما وولات حتى استهوى إلى جانبه بعض المورتانيين من إقاييم أسبا وتغتتا وأدرر ثم أسسوا مراكز قوية على ضفة نهر السنغال وفي داخل السنغال نفسها على طول السكتين الحديدتين الرئيسيتين وهما التي تبتدىء من دكار إلى سنلو والتي تبتدىء من دكار إلى نهر نيجير بل وحتى في داخل مدينة دكار العاصمة نفسها ثم امتدت من هناك إلى غينيا وخصوصاً في إقليم ستديرو ومانو .

ثم وقعت تحرشات بينه وبين الفرقة التجانية الأخرى سنة ١٩٣٠ م فنفته الحكومة الفرنسية إلى منطقة جرجول بمورتانيا ثم نقلته من هناك إلى ساحل العاج حتى سنة ١٩٣٦ م حين أعيد مرة أخرى إلى نيورو بمالي فزاد له هذا النفى هيبة وعظمة في أعين أتباعه فازداد عددهم ازدياداً هائلاً الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية تفكر في محاولة استهوائه إلى جانبه فدعت الشيخ سعيد نور طال حفيد الشيخ عمر الفوتي الموالي للحكومة الفرنسية والذي عينته زعيماً رسمياً لجميع التجانيين القاطنين في المناطق التي تخضع تحت سيطرتهم في إفريقيا الغربية كلها ليصلح بينه وبينها فزاد هذا الصلح أيضاً في رفعة قدره في البلاد كلها واعتناق الأهالي والأفراد لمبادئه بإيمان واعتقاد حتى مال إلى جانبه شرنو بوكو ابن أخ الشيخ عمر الفوتي الذي كان أكبر مقدم للطريقة التجانية في تلك الناحية وكان يسكن بند ياغر فكان الناس يلقبونه بحكيم بنديا غرفزاذا انضمام هذا الشرنو إلى حزبه في هيئته في عين الحكومة .

ثم نشبت حرب ضروس بينه وبين التجانيين الآخرين سنة ١٩٤٠ م حتى لقي فيها حوالي ثلاثمائة شخص حتفهم الأمر الذي أدى إلى حبسه مدى الحياة ومات أخيراً في حبسه إلا أن أتباعه كانوا يعتقدون أنه لم يموت وأنه سوف يرجع اليهم في شبابه كما تركهم .

تتلخص الفروق الرئيسية بين الفرقة الحملية التجانية وبين بقية التجانيين في النقاط التالية :

١ - أنهم يقرأون جوهره الكمال إحدى عشرة مرة في الوظيفة بينما كان التجانيون الآخرون يقرأونها اثنتي عشرة مرة وقد بالغ الحملية في المحافظة على العدد الحادي عشر في قراءة جوهره الكمال حتى أفضى بهم الأمر إلى اتخاذ سبحات ذات إحدى عشرة حبة فقط بل وحتى صار هذا شارة مميزة لهم في كل شيء من الأمور السياسية والاجتماعية .

٢ - وكانوا يصلون صلاة القصر دائماً وسبب ذلك أن شيخهم حماد الله عندما نقل إلى ساحل العاج مضى يصلي صلاة القصر مثل المسافر فأول ذلك بأن المسلمين في إفريقيا الغربية كانوا ضعفاء ولذلك لا يستطيعون القيام بالجهاد فاعتبر نفسه في حال جهاد مستمر ومن أجل ذلك جاز له أن يصلي قصرأ إلى أن يرجع إليه اطمئنانه فاستمر أتباعه من أجل ذلك يصلون صلاة القصر دائماً حتى الآن .

٣ - وما يفعله الحمليون الذي لا يتفق معهم فيه كل مسلم هو كونهم يولون وجوههم قبل المغرب في صلاتهم وعلل ذلك خصومهم التجانيون الآخرون بأنهم إنما يتوجهون نحو المغرب لأنه الجهة التي تقع فيها المحيط الأطلسي الطريق الذي يتوقعون منه رجوع شيخهم حماد الله وذلك عندما نقل إلى باريس من طريق البحر وأما ما يعتقدونه هم باستقبالهم نحو المغرب هو أن بلدة نيورو التي يعتبرونها مكتهم تقع في هذه الجهة .

٤ - ثم غيروا كلمة ال ادة في سنة ١٩٤٢ م من لا إله إلا الله محمد رسول الى لا إله إلا الله أحمد حماد الله شيخنا .

٥ - ثم غيروا طقوس وظيفتهم إلى ما يشبه الطقسيعريدي الإغريقي (١) .

١ - هي طقوس دينية سرية عريدية كانت تقام في أعياد آلهة الاغريق والرومان تتميز بالغناء النشواني والرقص العريدي انظر المورد ص ٦٣٨ للاستاذ منير البعلبكي .

الفرقة اليعقوبية الحمالية التجانية

أسس هذه الفرقة الشيخ يعقوب سيلا تلميذ الشيخ حماد الله كان الشيخ يعقوب سيلا من أتباع الشيخ أحمد حماد الله وهو من قبيلة سركولي استوطن بلدة كايندي سنة ١٩٢٩ م وتحمل عنه رجل غني من فرقة الحمالية مؤونة العيش فوجد بذلك فراغاً لتوجيه همته نحو الوعظ والإرشاد حسب وجهة نظر الحملة الدينية واستمر على ذلك بحماسة شديدة حتى مرق وتطرف وجاء بعقيدة تخالف ما كانت عليه الحمالية فطردوه من فرقته وأراؤه تتلخص فيما يأتي:

١ - ادعى الشيخ يعقوب سيلا أنه رأى قسيدة فاطمة البتول بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرته بأن يأمر النساء بالتزام الحشمة البالغة في لباسهن .

٢ - وكان أيضاً يعلم أتباعه أن قراءة القرآن ليست بلازمة في طلب النجاة الأخروية لأن النجاة تتحقق للفرد بمجرد ذكر لا إله إلا الله وعلى ذلك نظم لهم جلسة معينة - مثل ما يعرف بجلسة استحضار الأرواح (١) - لذكر لا إله إلا الله يرفعونه بنعمة منظمة حتى يقعوا في حال وجدان صوفي وإذا بلغ ذلك أوجه يقومون ويرقصون بطريقة عريضية يسمونه رقص الحنة .

٣ - ومن تعاليمه أيضاً أن باب التوبة قد أغلق لأن نهاية الدنيا قد قربت لذلك يجب على الناس أن يكرسوا ما بقي من حياتهم لعبادة الله وحده .

٤ - ومن تعاليمه أيضاً أن التفاضل بين الناس حرام لا بد من أن يكونوا سواسية فذهب جراء ذلك يأمر الأولاد بعدم طاعة آبائهم والنساء بالكف عن طاعة أزواجهن وهكذا .

٥ - ومن تعاليمه أن الفرد لا بد له من الاعتراف بكل ما اقترفه من الذنوب أمام الجمهور وخصوصاً إذا كان الذنب زنا .

١ - انظر Abrance Learners Dictionary مادة (Seanco)

انتشر أتباعه في إفريقيا الغربية وخصوصاً في قبيلته سركوني وكان هناك اصطدامات
بينهم وبين التجانيين الآخرين الأمر الذي يفضي إلى تدخل الشرط في بعض الأحيان
وقد ظلت الفرقة اليعقوبية مستقلة عن الحملة مع اتفاقهما على عداوة سائر التجانيين (١)
لعل الجدول التالي يساعدك على الوقوف على كيفية انتشار الطريقة التجانية في
السنغال وما والاها بواسطة دعوة الشيخ عمر الفوتي وتلاميذه .

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٥٠ - ١٥٦ .

انتشر أتباعه في إفريقيا الغربية وخصوصاً في قبيلته سرکولي وكان هناك اصطدامات
بينهم وبين التجانيين الآخرين الأمر الذي يفضي إلى تدخل الشرط في بعض الأحيان
وقد ظلت الفرقة اليعقوبية مستقلة عن الحملة مع اتفاقهما على عداوة سائر التجانيين (١)
لعل الجدول التالي يساعدك على الوقوف على كيفية انتشار الطريقة التجانية في
السنغال وما والاها بواسطة دعوة الشيخ عمر الفوتي وتلاميذه .

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٥٠ - ١٥٦ .

الشيخ ابراهيم انياس

ولد الشيخ ابراهيم انياس بقرية تدعى طيبة انيسين بإقليم سين سالوم في جمهورية السنغال سنة ١٣٢٠ م هجرية من أب وأم سنغاليين ، أبوه هو الشيخ عبدالله انياس ابن محمد بن مدمب بن بكر بن محمد الأمين بن صنب بن الرضى وأمه هي السيدة عائشة بنت ابراهيم .

وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر في منتصف رجب من تلك السنة ، وكان مثل كثيرين غيره ممن قدر لهم الله الشهرة وذبوع الصيت ، فقد كلل مولده بتاج مرصع بالأخبار التي توحى بأنه رجل عظيم ممتاز منذ تعجبن طيبته الأولى ، ومما جاء بالنسبة اليه من هذا القبيل ما رواه خليفته السيد علي سيس عن السيد أبي بكر أخ الشيخ عن أم الشيخ السيدة عائشة أنها قالت : « لأنها في أول شهر من حملها به رأت في لنامها كأنها واقفة على شيء وتحتها جب فاذا بالقمر قد انشق من جهة المشرق وسقط عليها وخافت على نفسها من ذلك فأتت في صباح تلك الليلة إلى والده وقصّت عليه الخبر فقال لها دعي عنك ذلك واكتفيه ولا تحدّثي به أحداً . وقالت أيضاً إنها لما وضعت ناداها الوالد فقال لها : « ألك رجاء في ابنك هذا قالت نعم فقال : وما رجوت فيه قالت أرجو فيه خيراً وأن يكون نجيباً فاضلاً باراً إن شاء الله فقال لها الوالد : نعم وأنا أيضاً أرجو ذلك إذا طول الله عمره » (١).

١ - السيد علي سيس : تصدير كاشف الالباس ١٠ .

وكانت نشأته الأولى كلها في حجر والده ، وأن والده هو الذي رباه وأدبه ونفخ فيه من روحه ، كما غذاه بعلومه ، وسقاه بمعارفه ، إذ عليه قرأ القرآن حتى حفظه ، ودرس عليه العلوم الثقلية والعقلية حتى حذقها ، وأخذ عنه الطريقة التجانية أيضاً (١).

والدلائل تشير إلى أن نشأته كانت مثلاً للهمة والنشاط المدعمين بالذكاء والطموح ، وأنه كان يستعد منذ صغره ليكون شيخ الطريقة التجانية وقطب تربيتها ، ومقبض فيضتها ، في القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي .

ولعل كون بيت أبيه محطاً لرحال الشرفاء العلويين من شناجطة وغيرهم زيادة على كونه بيت علم ودين من العوامل الملهمة له هذه الأهمية لأن البيت أصبح حينئذ ملتقى الثقافات الإسلامية المختلفة المعروفة في ذلك العصر بهذا الصقع الهادي من إفريقيا الغربية ، فكان والده يقوم بتدريس علوم الشرع من الفقه الأكبر والأصغر والتفسير واللغة وغيرها كما كان الشناجطة يقومون بنشاطهم الدائم في نشر الطريقة التجانية وبث تعاليمها بجانب العلوم الصوفية الأخرى .

وكان هذا اليفع المتوقد همة وذكاء يتنقل بين مدرسة والده وبين محط رواحل العلويين ، ويشهد على ذلك قول الشريف محمد عبدالله بن فف العلوي فيه عندما كان صغيراً .

فكل مثل ابره فحيه ————— فإبر من الزوار يدنو ويقرب (٢)

و (إبر) مرخم إبراهيم فكان الشيخ إبراهيم إنياس يسمى (إبر) في صغره فهذا إن دل على شيء فلأنما يدل بكل جلاء على كثرة مخالطته للعلويين وسماحه منهم منذ صغره .

ويبدو أن هذه الفيضة قد فشى ذكرها بشكل واسع في بيت الشيخ عبدالله إنياس

١ - السيد علي سيس : نفس المصدر ٢ .

٢ - أخذت هذه المعلومات من السيد الشريف محمد فال ابن دهام بن محمد الحنفي بن العباس العلوي المورثاني في مقابلي معي في منزل الشيخ أحمد التجاني بن الشيخ إبراهيم إنياس في المدينة الجديدة بحضرة كولغ يوم السبت ١٣ / ٨ / ١٩٧٧ م .

عندما كان الشيخ إبراهيم ~~صهراً~~ وربما كان ذلك بفضل نشاط العلويين الدعائية فكان يستعد لها منذ ذلك الوقت بدليل أنه ذكر شيخين علويين عاصرا والده وكلاهما ادعى أنه صاحب الفيضة التجانية وهما الشيخ الشريف محمد الحافظ بن خير العلوي (١) والشيخ الشريف الحاج عبدالله بن الحاج العلوي (٢) وقد أدركهما وهو صغير حتى تتلمذ للثاني ، ويشهد على ذلك أيضاً ما أخبرني به السيد إبراهيم جوب في مقابلي معه يوم الاثنين ١٥ لأغسطس سنة ١٩٧٧ م في منزلي ببيت الشيخ التجاني انياس لكولخ المدينة الجديدة من أن الشيخ إبراهيم قد سمع أحد تلاميذ أبيه - وهو حينئذ بافع - يتعجب من أمر الفيضة ويتلجلج في فهم معناها ومرماها فقال له الشيخ إبراهيم أن أمر الفيضة واضح لا غموض فيه ومن أيسر الأشياء فهمه وتصوره صور نفسك بشراً عميقة غزيرة الماء بدرجة أن ماءها لا ينضب أبداً والناس في غاية العطش والحاجة إلى الماء فجعلوا يحومون حولها ولا يستطيعون الوصول إلى الماء والعطش قد بلغ منهم مبلغه فجاء أحد بدلو محكم متين الحبل فأخذ يملأ لكل واحد آيته على قدر حجمها واستعداده وقوته على الحمل والناس لا يستغنون عن الماء ولا هو يمل من إملاء أوانيهم ولا البشر تنضب هذه هي صورة الفيضة التجانية وصورة مفيضها والمفاض عليهم . ولعل البيت التالي أيضاً قاله الشيخ في غضون ذلك الوقت وهو :

وتأتي قريباً فيضة الختم هيثوا بتفريغ أغيار فتحظي بموضع (٣)

والبيت يدل على أنه قاله في عتفوان شبابه قبل كمال نضجه لأنه إذا قورن بأبيات

١ - هو الشيخ محمد بن خير العلوي وهو من كبار أشياخ الطريقة التجانية يذهب الموريتانيون إلى أن الفيضة التجانية وقعت على يده في موضع يقال له (الزحاني) ولد وترعى في مكان يسمى (المقل) من أرض العلويين بموريتانيا في أواخر القرن الثالث عشر وعاش إلى ثلاثينات هذا القرن تقريباً (مقابلة مع الشريف العلوي الشخان خليفة الشيخ محمد الحافظ السابق ذكره بحاضرة (برين) ١٠ / ٨ / ١٩٧٧ م بموريتانيا) .

٢ - وهو الشيخ الحاج عبدالله بن الحاج العلوي ولد بمكان يدعى التركيز في الولاية السادسة بالجمهورية الإسلامية الموريتانية سنة ١٢٧٧ هـ وتوفي سنة ١٣٤٧ هـ (مقابلة مع حفيده وخليفته السيد الحاج عبدالله ابن الشيخ محمد المشرى العلوي بحاضرة معط مولانا بموريتانيا) .

٣ - الشيخ إبراهيم انياس : كاشف الالباس ٤٤ .

قصائد دواوينه يبدو ركيكاً .

ويؤيد ذلك أيضاً كتابه روح الأدب الذي ألفه وهو في الثانية والعشرين من عمره وضمنه نفس التعاليم التي جاء يدعو إليها بعد اعلانه نفسه أنه مفيض الفيضة التجانية .

ويعضد ذلك أيضاً قوله وهو يعظ بعض تلاميذه : « فإن هذا العلم كان عندي منذ مائة طويلة وما سمع مني أحد من أحبابي وجيراني ما يدل على أن عندي علماً خاصاً حتى أني أمر الله تعالى أحمدته وأشكره على ذلك (١) وقد كتب هذا المنشور الذي جاءت فيه هذه العبارة وهو في التاسعة والعشرين من عمره .

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ إبراهيم أنياس لما يتجاوز العشرين من عمره حتى تدفقت إليه الإجازات من شيوخ الطريقة التجانية وذلك بعد وفاة أبيه مباشرة وأول إجازة أطلقت له الأذن بالتقديم ومنحته شمول التصرف في أوراد الطريقة التجانية وأسرارها هي التي جاءت من السيد محمد محمود بن محمد الصغير التشنجيطي التشنجي بوصية من والده الشيخ عبدالله أنياس ذلك لأن الوالد قد استصغر سن ولده النجيب ولم يطلق له الأذن لهذا السبب ولأسباب أخرى لاحظها بعد نظره الذي تقتضيه رزانة العلم ووقار الشيوخه ولما أحس بدنو أجله دعا هذا الشريف السابق ذكره وقدمه وأطلق له الإذن بجميع ما عنده من السلاسل والأسانيد والإجازات ، ثم أخذ عليه العهد والمواثيق على أن يدفع جميع ذلك لولده المذهب إبراهيم بإذن مطلق شامل مهما آنس منه قوة الحمل فجاء هذا الشريف في العام الذي توفي فيه والد الشيخ وقدم له تركة أبيه الثمينة الغالية وجاء في نص الإجازة : « يقول أفقر العبيد إلى الله تعالى محمد محمود بن أحمد الصغير أني أذنت لأخي في الله وفي الرسول وفي الشيخ ، إبراهيم ابن الحاج عبدالله تلقيناً وتقديماً وأطلقت له الإذن في جميع ما صحت به الرواية عن الشيخ كما أجازني في ذلك وأطلق لي الشيخ الحاج عبدالله قال في إجازته لي ولقد من الله علي بملاقة الأجلاء من أكابر أصحاب الشيخ وشافهتهم بالأسرار والمعارف وقدموني

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ج ١ - ص ١٠ .

بأجازاتهم الصحيحة فقلت أجزت وأذنت هذا الأخ المحب بحسب ما أجازوني فيه من الأسرار والدعوات والأسماء (١).

ثم لاحظته العناية الربانية فرأى الشيخ التجاني نفسه في منام كاليقظة ولقنه الورد وأجازه بأذن مطلق وتكرر له ذلك مراراً ثم جعل يجتمع في المنام بوالده الحاج عبدالله أنياس مراراً وهو يقول له في كل لقاء خذ من غيرك كل ما تركته فهو خالص لك (٢).

ثم جاءت به بعد ذلك بحوالي خمس سنوات إجازة تعد تاريخية بالنسبة لحركته كما تعتبر بحق نقطة تطور في أحواله إذ هي التي تطورت به من كونه مجرد مقدم لتلقين الأوراد في الطريقة التجانية إلى شيخ مرشد كامل الإذن من شيوخ التربية في الطريقة التجانية الأمر الذي أفضى به في النهاية إلى اعتبار نفسه - بكل إيمان وثقة واعتقاد - أنه كامل العصر وأنه خليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره ولم يقف هذا الإيمان والاعتقاد عليه وحده في خاصة نفسه وأهل بيته فحسب بل تعداهم إلى بعض أوساط التجانيين في داخل السنغال وأكثر بيوت التجانية في خارجها ، حتى سلم له بثبوت الأمر بيت الشيخ محمد الحافظ الناصر الأول للطريقة التجانية في إفريقيا الغربية والمورتانيا ، بل وفوق ذلك سلم له واعتقد صحة وراثته هذه أهل بيت الشيخ التجاني أنفسهم وقدموا إليه عصا الشيخ التجاني وسبحته ووطنفسته والنسخة المخطوطة من كتاب جواهر المعاني الأشياء التي لا تدخل في حوزة أحد غير خليفة الشيخ التجاني الوارث لمقام ولايته وإمامة طريقته (٣).

وانتهت إليه هذه الإجازة من شيخه ومربيه الحاج عبدالله بن الحاج العلوي المورتاني وجاء في الإجازة ما يلي : « فقد أمرني شيعي ووالدي ومرشدي الحاج عبدالله بن الحاج أن أكتب لإبراهيم بن الحاج عبدالله أنه أذن له في إرشاد الخلق وتربيتهم بالقول والعمل وتلقين الأوراد والأذكار اللازمة وغير اللازمة عموماً

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : كشف الالباس ٩٤ ٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ٩٥ .

٣ - أخبرني بذلك الحاج عبد الباقي ابن الشيخ الحاج آدم الدمغراوي في منزله ببلدة أزري في ولاية بوشي نيجيريا وما قيدت التاريخ .

وخصوصاً في كل ماصحت له به الرواية عن الشيخ أي التجاني إذناً عاماً شاملاً وأنه
أجازته إجازة مطلقة تامة متصلاً حبله فيهما بحبله إلى يوم الدين بل أبدأ مع أنه رآه أهلاً
لذلك كله وكتب شاهداً على جميع ذلك محمد عبد الرحمن بن الحاج عبدالله بن الحاج
عام ١٣٤٥ هـ (١) .

وفي نفس العام أيضاً أذن له السيد محمد الكبير ابن السيد أحمد بن محمد بن العباس
العلوي بإجازة مطلقة وجاء في الإجازة ما يلي : « فقد أجزت أخانا الفاضل العلامة
الواصل ، من جمع بين علمي الشريعة والحقيقة خربت الطريقة السيد إبراهيم ابن
العارف الكامل الشيخ الواصل الحاج سيدي عبدالله أنيس لازال يترقى في حضرة
القدس في كل ما صدر من الشيخ التجاني من الأذكار اللازمة وغير اللازمة ، إذناً
تاماً عاماً خاصاً كما أجازني سيدي الغالي بن موسى بن معزوز عن أبيه عن الشيخ
التجاني (٢) .

ثم بعد ذلك بحوالي أربع سنوات أجازته السيد محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن
الشيخ محمد الحافظ بإجازة مطلقة وجاء فيها : « فيقول الكاتب على حبيبه وخليفه السيد
الأديب الأريب الشيخ ابن الشيخ عبدالله إبراهيم لازلنا وإياه في عون من الكريم ..
ومن الموجب إنني أطلقت أف الإذن في طريقة شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي أحمد
التجاني أخذاً وإعطاء فالعامة للعامة والخاصة للخاصة وهذا أمر السر لأنني أحبيت أن
أكون من سلطانك كي أحظى بدعواتك وأحبيت أن تكون بيني وبينك خاصية ،
وأحب أن تكون من جهة الآخرة لأن الدنيا أصغر من المكتوبة لكم وكان ذلك في
عام ١٣٤٩ هـ (٣) .

ثم شافهه القاضي الشيخ الحاج سكبرج العياشي بإجازة مطلقة وأعطاه جميع ما عنده
من أسرار الطريقة التجانية وجعله خليفة له ووارثاً لأسراره بل صرح له بأنه خليفة
عن الشيخ التجاني نفسه ، فضلاً عن والده الحاج عبدالله إنياس وجميع خلفاء الشيخ

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : كاشف الالباس ٩٥ ٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ٩٥ .

٣ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ٩٦ .

التجاني (١) .

ثم جاءه الإذن المطلق من السيد محمد الأمين بن بد وجاء فيه « من موجه أنه بلغني أنكم طلبتم الإجازة في الحديث ولو عكس الأمر فأنا الخلق بذلك ، فاستجازة الفاضل للمفضول تتبع عن سعة علم الفاضل وتمكنه ، فالحاصل إسعافكم بما طلبتم فيما تصح لي إجازته كما أجازني شيخنا أحمد إلى أن تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك في عام ١٣٥٤ (٢) .

ثم في العام التالي أنه الإجازة المطلقة من السيد الطيب السفياني وورد في الإجازة ما يأتي : « أيها السيد الجليل إنك طلبت منا الإجازة بالتقديم في طريقة شيخنا وقدوتنا وأعز ما لدينا سيدنا ومولانا أحمد التجاني .. قد أجزناك وأذنناك بالتقديم تعطي هذا الورد اللازم للطريقة الخ (٣) .

وعلى هذا الشكل تابعت الإجازات إلى الشيخ السنغالي الشاب الحاج إبراهيم إنياس وأحصيتها فوجدت أنها تزيد على سبع عشرة سلسلة ، وبعضها كما رأينا أنه من غير طلب منه ، لأن المجيز يريد أن يتشرف بالإنظام في سلسلة أسانيده ، وبعضها جاءته اجابة لطلب ذلك لأنه يريد الكمال بالحصول على جميع السلاسل الموثوق بصحة نسبتها إلى الشيخ التجاني ، وخصوصاً التي خرجت من طريق أشهر أصحابه ، وعلاوة على ذلك أن بعض الشيوخ الذين أجازوه في أول أمره رجع اليه يطلب منه أن يميزه بتركاته واعترافاً بمقامه الذي احتله في التجانية كما هو شأن السيد محمد بن الطالب حفيد الشيخ محمد الحافظ الكبير وخليفته (٤) .

هكذا استمر أمر الشيخ إبراهيم لا يزيد كل يوم إلا ظهوراً وانتشر ذكره في الآفاق ، وذاع صيته في الأقطار فجمعت شيوخ التجانية تشرئب اليه وتمحن قلوبهم

١ - جاء ذكر ذلك في المذكرة التي قيد فيها الشيخ اجازاته وجدتها عند ابنه الشيخ التجاني انياس الورقة الخامسة .

٢ - نفس المصدر . ٣ - نفس المصدر .

٤ - أخبرني بذلك السيد الشريف محمد قال بن دهاه العلوي في التاريخ السابق .

نحوه ، فتراحم طلاب الفوائد على بابه ، ولم تمض إلا مدة وجيزة من الزمان حتى صار بيته محطاً لرحال السالكين وحضرته مقراً للواصلين ، كما هو كعبة الزائرين وقبلة العارفين ، فأعلن في سنة ١٣٤٨ هـ أنه هو صاحب هذه الفيضة التجانية التي بشر الشيخ التجاني أهل طريقته باتيانها ، وهذه السنة هي المنعوتة بعام الفيضة عندهم (١).

وعلى أي حال فإن هذه السنة لم تهل إلا وقد تم نضوج دعوته وظهر أمره ، وتكون له أتباع مقتصرون به ، يحملون اسماً خاصاً بهم ، وهو أهل الفيضة التجانية ، الاسم الذي لم يعرف به طائفة من طوائف أتباع الطريقة قبله ، وقد جاء في رسالة له إلى أهل قرية حامين سنة ١٣٤٩ هـ : « واعلموا أنكم يلزمكم حمد الله وشكره حيث جعلكم من السابقين الأولين من أهل هذه الفيضة (٢) وانضم إلى جانبه كثير من الزوايا الواقعة في القطر السنغالي والاقطار المجاورة ، مثل زاوية كوس القرية التي تعد المحل الأول لظهور الفيضة ، وزاوية حامين ، وزاوية طيب جكين ، وزاوية طيب جسين ، وغيرها في داخل السنغال ، وزاوية فاس بالمغرب الأقصى ، وأغلب الظن أن زاوية معط مولانا وزاوية تنبيعل وزاوية بريس والجرار والركيز وغيرها بالموريتانيا قد انتظمت تحت سيطرته حينئذ ، كما أذعن لقيادته كثير من المقدمين مثل أخيه الشيخ محمد زينب بزواية كولخ ، ومحمد المصطفى بن جرن سام ، وأحمد كرك ، وأبو بكر بعل ، ومجك ومحمد مته ، ومحمد مجيكن ، وأحمد سام ، ومالك صو ، والحاج سالم بزواية فاس (٣) وكثيرون غيرهم مثل الشريف العلوي حفيد الشيخ محمد الحافظ الشيخ من آب الذي لقبه الشيخ فيما بعد (بالشيخان) والشريف العلوي الشيخ محمد أنحو ، والشيخ محمد الهادي الذي صار سفيره إلى نيجيريا فيما بعد ، والشريف العلوي الشيخ محمد المشري بن الشيخ الحاج عبدالله بن الحاج العلوي شيخ الشيخ إبراهيم نفسه ، وآخرون غيرهم من أعلام الموريتانيين ، وأساطين الطريقة التجانية ، وربما كان أكثر المتحمين إليه في السنغال من تلامذة أبيه . وقد كتب رسالة إلى الحسن جاي من تلاميذ أبيه الذي انضم إلى الدعوة المناوئة له يلاطفه ليستهو به إلى

١ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢ .

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٣ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٧ .

جانبه وجاء في رساله مايلي : « من عند كاتبه العبد الغني بسيدته ومولاه عن كل ما سواه ، ابراهيم بن الحاج عبدالله التجاني إلى حبيبي ومريد والدي الصادق الحسن جاي موجبه أن تعلم ... أن الله تعالى قد قدر في سابق حكمه أن إفاضة هذه الفيضة في الطريقة التجانية على يد صاحبها أي الشيخ التجاني وهو يضعها أين شاء بتقدير العزيز الجبار والفيضة تعم الآفاق بحول الله وقدرته لا يسكها أحد ولا يوقفها أحد ولا يحبسها شيء ولا بد من أن تمتد على البسيطة حيث كانت التجانية وقد ابتلى الله بعض المشايخ وبعض الرؤساء المقدمين بأعمال المكائد واذاعة الدعاوى الكاذبة طلباً لإطفاء نور الله (وبأبى الله إلا أن يتم نوره) وأنت حبيبي منذ أنا يافع فلذا كتبت إليك لأحذرك من أن تكون ممن يريد إطفاء نور الله شفقة بك لا حرصاً على ظهور الفيضة فإنها تظهر بحول الله وقوته ومن أراد كتمها فلا يزيد لها إلا ظهوراً ومن أراد تنفير الناس عنها وعن صاحبها فلنما ينفر الناس عن نفسه لا عنها . وختم الرسالة بقوله : « وجارك محمد زين عارف بالله تعالى ولا أعرف من أمثاله عارفاً سواه فكن معه لله بالله في الله تنتفع منه ويتنفع منك تلامذتك ولا يضرك شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة وإن لم تفعل فلا تضر الله شيئاً وستعلم في الدنيا والآخرة أنني أحبك لا لشيء فإني اليوم لا أحب شيئاً والله على ما نقول وكيل والسلام عليكم » (١).

والشيخ في أثناء كل هذا لا يألوا جهداً في تنظيم حياة تلاميذه وإرشادهم إلى ما فيه صلاح أمورهم في الدنيا والآخرة ويجتهد في خلق الوثام والإنسجام وانتشار روح التعاون ومحو آثار التنافس العقيم بينهم ، ولا أدل على ذلك من المنشور الذي وجهه إلى كافة المقدمين المنتسبين إليه ، وقد جاء فيه : « أما بعد فإني راض عن جماعة الأكابر من المقدمين المنتسبين إلينا غاية الرضى وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتولى عني مجازاتكم ومكافئكم في الدارين بفضلته ثم إنني أوصيكم وصية محب مشفق ناصح لله بالله في الله وهي أن تقوموا جميعاً على ساق الجحد في إرشاد الاخوان ومناصحتهم في الدين والطريقة دائماً بعد أن تبدأوا بأنفسكم وهو أن لا تأمروهم بشيء إلا بعد أن تسبقوهم إليه ولا تزجروهم عن شيء إلا بعد أن تنزجروا عنه ولا تتكاسلوا فيفضل

بكم جمع كبير فلا شيء أضر للعامة من زلات الأكابر ساءحنا الله وإياكم ولا تقطعوا الاتصال بينكم وبين قدوتكم في الأوقات الخمس وفي المساء للوظيفة ولو كان وحده فإن فعل فلا جرم أن يقيض الله له من يكون معه يحول الله وقوته ، وصونوا أسراركم ولو الأسرار المتعلقة بالدنيا فإنه من كتم سره ملك أمره ، التزموا الصبر والرضى بالمقدور ، تهادوا تحابوا ، وتزاوروا في الله ، وتجالسوا فيه ، وتبادلوا والتزموا خدمة المشايخ ومحبتهم ، فإنهم يقولون من استخدمناه قد مناه ، ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً ، وعلى كل كبير في مدينة كثر فيها الاخوان أن يبني زاوية توافق حاله وحال بلده ، ويقوم بتعميرها بالصلوات الخمس يوم فيها أو يولي إماماً بنوبه ولا يتخلف هو أيضاً عن الصلاة مع الجماعة فيها ، وإذا أمكن أن يجعل كل كبير أميناً لزاويته في زمن الرخاء يجمع من الأحباب فرنكاً بعد كل ذكر يوم الجمعة أو كل يدفع ما يطيق ليستعينوا بذلك على مصالح الزاوية ، كالفرش ونحوه ، فليفعل وقد أذنت لكم في ذلك وأمرتكم به وإياكم والتوغل فيما تخوض فيه العامة من الاعتراض على الله فيما جرت به المقادير ولا تسيثوا الظن بالله ولا بعباده ولا بالدهر ، فإن الله هو الدهر لافرق في ذلك بين ما مضى وبين ما سيأتي ، وأكثروا من الوقوف على باب الله للدعاء لأنفسكم ولأحبابكم ولخاصة العباد وعامتهم . إلى آخره وهو طويل كتبه وهو بكوس وقد أغفل النساخ التاريخ إلا أنه في أغلب الظن لا يعدو سنة ١٣٤٨ أو ١٣٤٩ هـ (١).

وما كادت سنة ١٣٥٠ هـ تنسلخ حتى استقر أمره استقراراً يكاد يكون تاماً وامتد نفوذه إلى خارج السنغال ، فأصبحت له مراكز في إفريقيا الغربية وموريتانيا بل وحتى في المغرب الأقصى المهد الأول للطريقة التجانية ، وصار الانتساب إليه يعد فخراً عظيماً والمريدون في كل قطر ساروا - يتزاحمون على باب منزله يتبركون بروية ذاته وسماع كلامه ، حتى صار لا يدعو تلاميذه إلا بأولاده ولعله يريد بذلك الولادة الروحية ، وهو على هذا بمنزلة أبيهم الروحي ومن زاره بمقره في مدينة كولنج وتشرف بخدمة حضرته هنالك بعد سيداً عظيماً مشاراً إليه بالبنان ، وإذا رجع يتعمم

اقتعاطاً يطوف على الاخوان من زاوية إلى أخرى فرحاً بما أنجزه من كثرة مشاهدة
طلعة الشيخ البهجة والتعرف لذويه وأقربائه ، والأخوان فرحون بوجوده بين أظهرهم
مستأنسين بحديثه لأنه أخذ كثيراً عن الشيخ مشافهة وسمع كثيراً من أخباره وأخبار
أسرته العجيبة الشيقة .

على أن هذه الدعوة التي قام بها الشيخ ابراهيم لم تنتفج وتظهر حتى برزت ومعها
نثائجها وهو قيام بعض الاتباع بدعوى المشيخة للتكالب على الناس بإذاعة الكرامات
الزائفة والأساطير المزورة وانهماك البعض في الشهوات واتباع الأهولي وسهو بعضهم
عن أداء الواجبات الدينية والتساهل في قراءة الوظيفة مع الجماعة التجانية والتشدد
بكلام أهل التصوف الباطني المناقض لظاهر الشرع والركون إلى الدعة ، اعتماداً على
فضل الله الذي حفهم به من أجل انتسابهم إلى الفيضة التجانية ، والاعتزاز بالأسرار
الآلهية الباطنة التي اقتبسوها منه ، الأمر الذي طمى تياره بشكل مرعب حتى راع
من سوء مغبته أخوه السيد الحاج أبو بكر بن الشيخ عبدالله إنياس ، ولقت نظره إلى
ذلك نصيحة منه إليه ، وقد جاء في رسالة كتبها رداً لرسالة أخيه هذا : « أما بعد فإلى
حضرة الأخ الفاضل والإمام العالم العامل والولي الكامل بقية السلف الحاج أبي بكر بن
شيخنا الحاج السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته يليه لإعلام بوصول كتابك وفرحت
فرحاً على فرح لما تضمن من نصيحتك لي في الله وفي الرحم فجزاك الله خيراً أما ما ذكرت
من أهل طيب جسين فقد كتبت إليهم كتاباً بمجرد وصول برواتك واعلم يا أخي أنني
دائماً مشغول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلساني وقلمي وقولي وفعلي لا أحمل
الناس إلا على تقوى الله في السر والجلهر ، بامثال أوامره واجتناب نواهيه والاجتماع
للصلوات الخمس ، وقراءة الوظيفة وذكر الله سرّاً وجهرّاً ، وتلاوة القرآن ،
والعمل لطلب الحلال ، فمن امتثل أمري فلا يشتغل إلا بهذا ومن لم يمتثل أمري فما أنا
بصاحب سيف وما على الرسول إلا البلاغ ، قال تعالى لمولانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما أنت عليهم بجبار ... فالحاصل أنا لا ألو جهداً في نصيحة من يسمع
نصيحتي من عباد الله ، والذين يسمعون قولي لا يرى فيهم ولا يسمع إلا ما يرضي
الله ورسوله ومن لا يسمع قولي ليس بيبي وبينه شيء والناس على قسمين منهم من
طلب الله والرسول ، ومنهم من لا يطلب إلا نفسه وشهواته ... ولتسني في صالح

دعائك وإذا التقينا نخبرك بحقيقة الحال والسلام (١).

وقد أغفل النساخ ذكر تاريخ الرسالة ، ولذلك لا يمكننا الوقوف تماماً على ما إذا كانت رسائله الوعظية والإرشادية التي تدفقت إلى المريدين الواحدة تلو الأخرى لنصيحة أخيه وتنبهه له والظاهر أنها لأجل ذلك .

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ إبراهيم قد قام بإرساء الرسائل والمنشورات التي تنظن بقوارع العظات والإرشادات التي تدل على نضوجه الفكري واستعداداته الفطرية لقيادة الناس وإمامتهم ، وأنه ما أظهر أمره هذا إلا بعد تمام الأهبة بالوقوف على فقه الشريعة والطريقة ويشهد على ذلك قوله : « واعلموا أنني على بصيرة من أمري لأن عندي إمامين إمامي في الظاهر الكتاب والسنة ، ولا أعرف من هو أعلم بهما مني ، وإمامي في الباطن وهو الشيخ التنجاني ولا يفارقي لحظة (٢) .

لقد سلك مسالك مختلفة في إرشاد الناكبين عن الجادة من أتباعه وردهم إلى سواء السبيل وضبط تصرفاتهم في وطار آداب السلوك حسب القواعد المتبعة عند شيوخ الطرق الصوفية .

فقد سلك بأصحاب الدعوى مسالك ثلاثة وهي الملاطفة والتهديد والطرده ، بلاطف من تنفعه الملاطفة ، وقد سلك هذه الطريقة مع مريده السيد محمد المصطفى ابن جرن سام وقد ذهب الوخ في ملاطفته حتى تجرد هو من شيوخه وجعل نفسه معه في كفة واحدة ، ثم استدرجه في النهاية إلى أنه نفسه ما ظهر أمره هذا تصدراً بل بإذن صحيح من عند الله على يد أرباب الأمر وقد جاء في رسالته إليه : « وليكن لك شيخان شيخ في الظاهر وهو الكتاب والسنة وشيخ في الباطن وهو الشيخ التنجاني ، وهو معك دائماً فالوسائل ووسائل فقط واكنم سرك وادفن ما أولاك الله به من سر ربوبيته حتى يظهر لك الله ، فإنه من تصدر للمشيخة قبل وجود الأذن من الله فقد ضيع

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ج ١ - ص ٢٤ .

٢ - وجدت هذه العبارة عند السيد الحاج عباد الله بن الشيخ محمد المشري العلوي في مقابلي معه في منزله بمط مولات مورتانيا أنظر الصفحة السابقة .

دينه ودنياه وافتضح بين أبناء جنسه ، وأن أظهره الله فلا مانع لعطائه ، ولكن حب الظهور قبل أوانه يمنعه لما فيه من حظ النفس » (١).

ويهدد من لا يرتدع إلا بذلك ويقول في هذا الصدد : « واعلموا أنني بريء من كل مجذوب لم يسلك ، وأما التكلم قبل الإذن فهلاك مبين يدل على كذب دعوى صاحبه ، اعتبروا بحال بعض من تقدمكم ممن منعته من الكلام بعدما ربيته وتماذى على غيه لهوى متبع وقطعت مددي فلم ينتفع وهلك ، والذين يتبعونه كانوا أسوأ حالا وأسفل مقاماً ظاهراً وباطناً ، والسعيد من وعظ بغيره وحب الظهور بمنع الظهور » (٢).

بهذه الطريقة عامل مريده أحمد بن الخليفة وقد جاء في رسالة له إليه : « وأما ما وصفت لي من حالك فقد شمت منه رائحة جزم الروحي والتصدر قبل القطام ذلك أقل ضرراً » (٣).

ويطرد من حضرته من يش من الاهداء والرجوع عن غيه إلى السداد ، وقد عامل بذلك من ذكره آنفاً في معرض إنذاره للمتصدرين قبل الإذن منه ويأمر أحياناً أهل من أبى أن يكف عن الدعوى وافشاء الأسرار بنقله إلى حضرته ليتأدب ويثوب إلى الرشاد كما في شأن محمد الأمين ابن سيدنا وقد جاء في رسالة له إلى (الشيخان) أن محمد الأمين بن سيدنا أتى اليكم فانظروا في حاله فإن قبلتموه فهو مقبول ولا أحب أن يصدر منه كلام المجاذيب ، فإن الجذب شيء والتصدر للمشيخة شيء آخر ، فالحاصل أنني لا صلة بي وبينه إلا بكم وإن سلب الإرادة وأراد الصلاح فتركوه ، سكن عندي عسى أن يرجع عما هو فيه حتى يؤذن بعد ذلك في العودة » (٤).

وأما ذووا الأهواء وأرباب الدعة والمغترون فقد نهج بهم مناهج مختلفة ، منها دعوتهم إلى حضرته ليصطبغوا بصبغة من بحضرته من المريدين الذين أقبلوا على العبادة باخلاص وحسن نية وصدق قصد وعزيمة ، وليتعلموا كيفية السلوك بعد الجذب ،

١ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ج ١ - ص ٢ ٢ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ج ١ ص ١٠

٣ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ج ١ - ص ١٨ ٤ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ج ١ ص ٤

٥ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر .

والى هذا المعنى يرمي بقوله : « يوشك أن أرفع الإذن عن كل مقدم بقّة م بحضرته المحرمات ولم يقم بما وجب عليه ، فإن عجز بهاجر إلى الله ورسوله والينا فوالله ما أوقف سير أولئك حتّى رجعوا إلى التأنس بالحوادث إلا طول عهدهم بنا فمن حضر معنا في كثير من الأوقات ينسى طعم الشهوات ، فإن هناك شاباً صغيراً قد نسا طعم الشهوات حتّى إن منهم من ينسى زوجته ولا يأتيها إلا بالإذن والإكراه هكذا كان تلامذتي والغير لا » (٢).

ومنها لفت نظر بعض أهل قرية إلى ما يقوم به إخوانهم في القرى المجاورة من التمسك بأهداب الدين والقيام بشعائر العبادات ويقول في هذا الصدد : « وأنتم يا أهل حامين لا ينبغي لكم إلا أن تكونوا كأهل كوم وأهل طيب جكين وأهل طيب جسن من الاشتغال بالله وبرفض كل ما سواه وتواصوا بالصبر وتحابوا وتهادوا وتزاوروا وتبادلوا وتجالسوا في الله لله بالله وتعاونوا على البر والتقوى واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفلقون » (٣).

ومنها استهواهم بذكر هذه الفضائل الجمّة التي خص الله تعالى بها أهل الطريقة التجانية وحدهم في نظرهم وخصوصاً أتباعه الذين أسماهم بأهل الفيضة التجانية الذين وقعوا على حد تعبيره في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية ومن ذلك قوله : « ومن فضائل أهل الطريقة التجانية فوزهم بالسعادة الأبدية بضمان الحضرة المصطفوية الاجتبابية ، وكونهم من أهل الدائرة الفضلية كما قال شيخنا الختم التجاني . وقال أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بقطعة لا مناماً أنت من الآمين وكل من رآك من الآمين إن مات على الإيمان وهكذا » (٤).

ومنها تحذيرهم من الركون إلى التساهل والتكاسل الذين يكون مغبتهم الانحطاط بعد الارتفاع والتقهقر بعد التقدم ويقول في هذا المعنى « واعلموا أنكم يلزمكم حمد الله وشكره حيث جعلكم من السابقين الأولين من أهل هذه الفيضة لكن لا تقعوا

١ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ج١ - ص ٤٢ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ج١ ص ٦

٣ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ج١ ص ٣٤ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٢٤

ولا تميلوا إلى الراحة فإن من ورائكم قوم أتوا بعدكم وإذا قعدتم وتفاصرتم في أداء حقوق مولاكم سبقوكم وذلك والعياذ بالله هو غاية الخسران لأن الازدياد في الترقى في كل لحظة مطلوب» (١).

ومنها ضمانه لهم الفوز بسعادة الدارين إن هم أطاعوا أمره ووقفوا عند إشارته وذلك قوله : « فاني أوصيكم بالطهارة المائية وإتقان الصلوات وإتقان الورد وتدبروا قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلاً حيث أمر الله تعالى بالترتيل وأكدته بالمصدر المؤكد لنفسه وعليكم بالاجتماع للوظيفة معشر الرجال لا النساء ومن أخذ بما أمرته به فهو في ضمانني حياً وميتاً ولا خوف عليه ولا حزن» (٢).

ومنها إعلان براءته من كل من خالف أوامره وقال : « واعلموا أنني بريء من كل مجذوب لم يسلك ». وقال أيضاً : « ومن لم ينزجر فأشهد الله وأشهدوا أنني بريء منه ولا أبرأ منه إلا بعد براءة الله ورسوله منه » (٣).

وبالجملة فإن الشيخ إبراهيم قد اهتم اهتماماً كبيراً منذ ورود نصبة أخيه إليه في شأن أتباعه بمراعاة تصرفاتهم وقام على ساق الجحد في إرشادهم إلى سبيل الرشاد وحملهم على السعي في طريق مستقيم ، وكتب في ذلك عدداً كبيراً من الرسائل والمنشورات ، بل وحتى الرسائل الشخصية لا يصدرها في أغلب الأحوال إلا بالإيصاء بالتقوى والحث على كل ذلك من منشوره الذي أرسله سنة ١٣٤٩ هـ إلى جميع المقدمين المتسبين إليه ، وقد فتحها بقوله : « أما بعد حمده بما يليق فيصل سلامي إلى ولدنا أحمد سام ومالك صو وإلى كل من وقف عليه ممن يدعي الانتساب إلينا موجه الإعلام بأنني أثنان ليسا مني ولا من الطريقة في شيء مجذوب لم يسلك وسالك لم يجذب إن بقيا على حالهما ووقفنا على سيرهما وإن شأني كما علمتم من أراد أن يكون معي في حالي فليسلك طريقي في الأقوال والأفعال بامثال الأوامر واجتناب التواهي في الظاهر والباطن والعطش والتشوق إلى الوصول إلى مرضاة الله ورسوله ، أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئاً من

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ٣ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ١٥

٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ١٠

مخالفة الشريعة المطهرة باقتحام المحرمات وترك المأمورات فأشهد الله وأشهدكم أنني بريء منه بريء منه اللهم إني بريء إليك مما صنع هؤلاء فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون ...» (١).

بهذه الطريقة الحكيمة المتينة كافح الشيخ طغيان بعض تلاميذه الذين لم يفهموا دعوته ، فهماً صحيحاً ، أو لم يصدقوا القصد في الانضمام إلى حزبه .

على أن دعوة الشيخ إبراهيم هذه تحمل في طي نفسها جذوراً وبذوراً لهذا السلوك القاسد والتصرفات الزائفة التي تصدر من بعض الاتباع لأن الذي لم يكن للدين والمروءة وقع في قلبه إذا فهم به بمجرد كونه تجانياً ومن أهل القبيضة أفضل من أقطاب أولياء أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين بدرجة أنهم كلهم ما وزنوا شعرة واحدة من رأسه (٢) وإنه قد وقع في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي تقع وراء دائرة الأمر والنهي والحزاء أي إن من وقع في هذه الدائرة لا يبالي الله به سواء أطاعه أم عصاه وهو ناج على كل حال (٣) وإن المسلمين كلهم مع إيمانهم بالله ورسوله وصلاتهم وزكاتهم وحجهم وصومهم ومع جميع ما يقومون به من الأعمال الخيرية هالكون لا ينجو منهم أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ضمن للشيخ التجاني أن حقوق الناس التي كانت على كواهل أهل طريقته سوف يتولى الله تعالى قضاءها عنهم يوم القيامة من فضله لا من حسناتهم وإن الله قد رفع عنهم الحساب وأنهم آمنون من عذابه من حين موتهم إلى أن يدخلوا الجنة بغير حساب ولا عقاب في الزمرة الأولى وفي عليين بجوار النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا (٤) لا يتورع عن اقتحام كل ما تملكه قوته من الأعمال التي يشبع بها رغباته وشهوته وأهواءه وبالتالي لا يرى أي حاجة في أتعب نفسه بكثرة العبادة والمجاهدات والتخرج على نفسه بكفها عن المحرمات وهلم جرا .

والذي يفهم من مجمل صدور هذه الرسائل أن الشيخ في ذلك الوقت كان متردداً

١ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٤ ٢ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٦

٣ - الشيخ إبراهيم انياس : السر الأكبر الورقة الرابعة وجواهر الرسائل ٣٤ .

٤ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ج ١ - ٢٣

بين كولخ وقرية كوس وكان مكثه في كوس أكثر منه في كولخ بل قد يفهم أنه لا يأتي إلى كولخ إلا لزيارة أسرته أو للتخرف كما قال وقد جاء في رسالة له غير مؤرخة : « أما بعد فإن الله قد قدر - ومقادير الأمور بيده والخير فيما اختار - مكثي في مدينة كولخ بقصد التخرف (١) ».

ثم انتقل من كوس إلى كولخ واستقر فيها نهائياً لعل ذلك كان في حدود سنة ١٣٥٤ هـ إلا أنه فيما يبدو كان يتردد بكثرة بين قرية كوس ومدينة كولخ قبل هذا التاريخ بقليل ، لأننا نجد أنه كان يوجه بعض الرسائل من قرية كوس في سنة ١٣٥٠ إلى ١٣٥٤ وقد وجه كذلك بعض الرسائل من مدينة كولخ في نفس التاريخ وأما قبل سنة ١٣٥٠ لا ترى رسالة موجهة من الشيخ إلا وهي صادرة من كوس كما أن الرسائل التي كتبها بعد سنة ١٣٥٥ أكثرها صادرة من كولخ ومن هنا نفهم أن قول السيد علي ميس : « وكان سكناه أول أمره في دار والده بكولخ وحين أيلده الله بنصر من عنده وجعل الناس يأتونه من بلاد شتى وأعطاه الله تعالى ما لم يعط من قبله من قومه وضائق به البقعة لكثرة المتعلقين بأذياله بنى قصراً خارج كولخ يسمى بالمدينة الجديدة وبني بها زاوية أسست يوم الاثنين ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٩ هـ (٢) لا يتفص هذا الذي قررناه لأنه اختصر كلامه اختصاراً ولو فصله لحاج حسب ذلك تماماً وسنشير إلى سبب اختصاره فيما يأتي من الفصول إن شاء الله تعالى . ومن جملة ما يستدل به الباحث على أن انتقال الشيخ إبراهيم نهائياً إلى كولخ كان في حدود سنة ١٣٥٤ هـ إن أكثر الرسائل التي كتبها بكولخ بعد استقراره هناك كانت مصدرة بذكر مدينة كولخ في أول الصحيفة وقبل الشروع في الخطاب وهذا قد بدأ به عام ١٣٥٤ هـ كما أن كل رسائله التي كتبها بقرية كوس في غضون ذلك الوقت لا يذكر فيها القرية والتاريخ إلا في آخرها ومن ثم نفهم أن الرسالة التي كتبها في ١٣٥٢ إلى خدام بساتينه بكثير ويبرم تدل تدل بوضوح على أنه لم يزل مستقراً بكوس إلى التاريخ السابق (٣) ».

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ج ١ - ١٣

٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : كتاب كاشف الالباس تصديره ٤

٣ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ج ٢ - ص ١٤١ ٤ - الشيخ إبراهيم أنياس :

وكانت فترة ما بين سنة ١٣٤٨ وسنة ١٣٥٥ هـ تعتبر فترة الانتاج في حياة الشيخ ابراهيم انياس وفيها ظهرت امهات كتبه التي تعبر بحق عن منهج دعوته وحقيقة تعاليمه التي يدعو الناس اليها والغاية التي يريد الانتهاء اليها في حياته وقد ألف كتابه كاشف الالباس في سنة ١٣٥٠ هـ وألف ذيله في سنة ١٣٥١ هـ وقد وصف الكتاب بقوله : « وان من نظر اليه - الكتاب - بعين الرضا يدرك أنه من فيض الختم التجاني صاحب السر الرباني لكونه جامعاً لزبدة الكتب المؤلفة في هذا الفن وقلما نجد مجموعاً يحتوي على ما احتوى عليه هذا المجموع فمن دقق النظر وأنصف يعلم يقيناً أنه من تأليف الشيخ التجاني نفسه (١) وألف كتابه السر الأكبر والنور الأبر في سنة ١٣٥٢ هـ الكتاب الذي يتضمن لباب تعاليمه الصوفية الباطنة والذي يعد مرة صافية تنعكس فيها شخصية الصوفية ومقياساً لسر غوره في العلوم الصوفية الباطنة وألف كتابه تنبيه الأذكياء في كون الشيخ التجاني خاتم الأولياء في سنة ١٣٥٢ هـ أيضاً وقبل ذلك كانت له مؤلفات صغيرة أكثرها نظم وكذلك قد صدرت أكثر فتاويه العلمية والعرفانية في غضون هذه الفترة .

هذا أمر منطقي طبعاً لأن العالم التجاني قد أصيب بشيء من الوجوم عندما أعلن الشيخ إبراهيم انياس في سنة ١٣٤٨ أنه هو صاحب الفيضة التجانية التي بشر الشيخ التجاني أهل طريقته بإتيانها ذلك لأن الصديق وضده كان يتوقع ظهورها على فرض وجودها من بيت الشيخ التجاني أو بيت أحد أصحابه الكبار من أمثال الشيخ علي التماسيني والحاج علي حرازم برادة والشيخ محمد بن المشري والسيد محمد الغالي والسيد محمد الطيب السفياي ومن على شاكلهم ممن انتمى إلى الشيخ التجاني في حياته من الشرفاء العلويين كالشيخ محمد الحافظ العلوي البدي فكان لزاماً عليه والحال هذه أن يؤلف الكتب ليدلي فيها بمجمجه التي تؤهله لتسلم مقام صاحب الفيضة ويوضح وجهة نظره في مباحث تتعلق بالطريقة والحقيقة ليبرهن كذلك على استحقاقه لمقام القطبانية في الطريقة التجانية كما لم يجد بداً من الاستهداف لتلقي أسئلة الممتحنين وفتاوى المستفيدين

١ - الشيخ ابراهيم انياس : كتاب كاشف الالباس ٩٨

ولما مضت هذه الفترة وتعقبها فترة هدوء واستقرار نسبياً لتسليم جمهور التجانيين له واعتقادهم العميق فيه وفي جميع مناصبه التي احتلها في التجانية صار بيته محطاً لرحال المريدين على اختلاف طبقاتهم من السالكين والواصلين والمنتهين فكان في هذه الفترة مشغولاً بتلقي الزائرين وإنزال الوافدين وتوديع القافلين والقيام بتسليك الطالبين وتأديب الواصلين وترقية المنتهين وهو في هذه الظروف طبعاً لا يجد متسعاً من الوقت حتى يتفرغ لتصنيف الكتب ولا سيما أن الوضع لا يتطلب منه إلا تحليل المشاكل الجزئية الحالية الواردة عليه بكثرة حسب كثرة الأنواع وتنوع مشاكلهم ولا يفي بهذا الغرض إلا الخطب والرسائل والمنشورات الموجزة ولعل من أجل ذلك قلما يصدر منه كتاب حافل يتناول موضوعاً واحداً في غضون هذه الفترة أضف إلى ذلك كثرة أسفاره في الأقطار لإفادة المريدين أو لأجابة دعوة المبين أو لبث دعوته التجانية .

على أن كتب الشيخ إبراهيم ورسائله في الفترة الأولى تدل على وضوح على أنه إنما جاء ليحدد الطريقة التجانية ولذلك إذا نظرنا إلى دعوته فيها نرى أنها تتسم بالميزات الآتية : —

١ — الدعوة إلى التمسك بالطريقة التجانية والانتساب إلى الشيخ التجاني وإن كل من لم يمن الله عليه بالانتماء إليها قد ساقه الله مساق الهلاك وإلى ذلك يرمي بقوله : « واعلموا أن الله ساق الوجود مساق الهلاك ولا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله بحبة الشيخ التجاني وذلك لا بد أن يكون عارفاً بالله بضمان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم (١) .

٢ — إن الشيخ التجاني هو صاحب الفيضة الحقيقي وأنه يضعها حيث شاء ، فها هو قد وضعها عنده ، أي الشيخ إبراهيم إنياس ، وظهرت على يده لا يحجبها شيء ، ولا يوقفها شيء ، حتى تعم البقاع والأصقاع حيث كانت الطريقة التجانية ، وإلى ذلك يهدف بقوله : « وقد قدر الله تعالى في سابق حكمه إن إفاضة هذه الفيضة في الطريقة التجانية على يد صاحبها أي الشيخ التجاني وهو صاحب الفيضة يضعها أين

١ — الشيخ إبراهيم إنياس : جواهر الرسائل ج ١ - ص ٨ .

شاء بتقدير العزيز الجبار ، والفيضه تعم الآفاق بحول الله وقدرته لا يمسكها أحد ولا يوقفها أحد ولا يحبسها شيء ولا بد من أن تمتد على البسيطة حيث كانت الطريقة التجانية » (١).

٣ - إن أهل فيضته هؤلاء هم الطائفة التي ذكرها صاحب منية المرید بقوله :

طائفة من صحبه لو اجتمع أقطاب أمة النبي المتبع

ما وزنوا شعرة من فرد منها فكيف بالإمام الفرد (٢)

والى هذا المعنى يقصد بقوله : والذي يتعين عليك أن قدرت على السلوك حتى تكون من الذين قال في حقهم صاحب منية طائفة من صحبه الخ (٣).

٤ - إن أهل فيضته قد وقعوا في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي تقع على حد

تعبيره وراء دوائر النهي والأمر والحزاء ، أي من وقع في هذه الدائرة لا تضره معصية أية كانت ولذلك كانت عبادتهم شكراً لله تعالى لا طلباً للجنة ولا خوفاً من النار ، فضلاً من أن تكون أداء للواجبات الدينية ، وإلى ذلك يشير بقوله : « ومن فضائل أهل الطريقة التجانية وما لهم من السعادة الأبدية بضمنان الحضرة المصطفوية الاجتباية وكونهم من أهل الدائرة الفضلية » (٤) .

٥ - وقد اضطرب كلامه في أمر ظهور الإمام المهدي المنتظر فقد ورد منه كلام

يدل صريح معناه على أنه أي الشيخ إبراهيم أنياس نفسه هو الامام المهدي وأن نبي الله عيسى عليه السلام إذا جاء يكون أهل فيضته هؤلاء هم أنصاره وأحزابه وفي ذلك يقول :

عسى المصطفى يوماً يجد بنظرة تغسل أوزاري وقلبي تسمن

وإن شاء قواني لحمل خلافة لكي أرفع التوحيد والكل مؤمن

ليسلم جل الناس أقتل بعضهم جهاداً ولاني مؤمن بك محسن

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ج١ - ص ٦

٢ - السيد العربي بن السائح : بغية المستفيد ١٧١ ٣ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٦

٤ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٣٤ - السر الأكبر الورقة الرابعة .

فأرفع علماً للجهالة واضعاً
فبني يرفع الجور العظيم فلا يرى
فتسمي رجال الله في ظل راحة
يكون زمام العالمين جميعهم
فيأتي مسيح والرجال رجاله
هناك عم الفيض لا شك لن ترى
فيختم عيسى لا تكون ولا يـ
وأكرم رايات الصليب وأدفن
سوى العلم والدين الخنفي يزين
وعز وتمجيد وبالحق أعلنوا
بأيدي رجال بالعلوم تمكنوا
بدين الإمام الهاشمي يتدين
سوى عارف بالله والشرع متقن
بعيد ممت الروح فالخير يدفن (١)

ثم صدر منه كلام خر يدل صريح ألفاظه على أن الامام المهدي المنتظر يظهر وهو
في قيد حياته ، وأنه أي الشيخ إبراهيم يكون إمامه ومرشده ومعينه في إنجاز مهمته ،
بحيث لا يتصرف المهدي إلا في حدود إذنه ، ولا يحول إلا في حيز رضاه ، ولا يقف
إلا عند إشارته ، وأما هؤلاء الأوروبيون الغربيون أصحاب الحضارة الحديثة وأئمة
التقدم الصناعي الكيميائي في العصر الحاضر فقد تلاشى أمرهم حينئذ واضمحلت
إضمحلالاتاً تاماً ، وكانوا في ضنك شديد ، وكرب عظيم ، ولما ذلك يقصد بقوله :

وان جاء روح الله عيسى فإنه
يصلي به المهدي يا فوز أمة
أرجي لقاء المهدي عوناً ومرشداً
فتسمي النصارى كالجليد تشعشت
من أمته تحكى الفعال فعاله
يوهم طاه وعيسى وله
له كل وقت من رضاي مجاله
عليه ذكاء كلهم ضاق حاله (٢)

٦ - تنفير جماعته من المنكرين لشأنه وحضهم على قطع العلاقات مع كل من
ينكر الطريقة التجانية وتحذيرهم من مجالسة من نعتهم بالمحاجيب وهم الذين ليسوا
من أهل فيضته ، وقد دخل فيهم التجانيون الذين لم ينضموا إلى حزبه ، وفي ذلك
يقول : « فمن لم تكن له تعلق بالشيخ أي التجاني فصحبته تقطع المريد وتعوق عن

١ - الشيخ إبراهيم انياس : ديوان شفاء الاسقام مجموع الدواوين ١٣١ .

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : ديوان شفاء الاسقام مجموع الدواوين ١٢٩ .

المراد « (١) ويقول أيضاً : « وأوصى كل من شم رائحة التوحيد الخاص بإدامة الصمت والاعتزال من مجالس الجماعة العوام التي لم تجتمع لطاعة الله تعالى ، لا سيما التكلم في التوحيد والأسرار أمامهم ، واعلموا أن كشف الأسرار الربوبية بين المحجوبين أشد عند الله من الحرام (٢) .

٧ - تسلية أتباعه عما يحدونه من المنكرين الذين نعتهم بالحمقى وينصحهم بأن لا يبالوا بهم ، فإن مدحهم وذمهم وإقبالهم وإدبارهم على حد سواء ، إذ لا ضار ولا نافع ولا رافع ولا خافض ولا معطي ولا مانع إلا الله سبحانه وتعالى (٣) ، وقد قال الشيخ التجاني إن من لم يحافظ على تغيير خواطر أهل طريقته يحل به الهلاك (٤) وقد ذهب الشيخ في هذا بعيداً ، حتى تنبأ بأن زماناً يأتي إن من لم يسلك الطريقة التجانية وينتظم في حزبه سوف يندم وقال : « فلاني أعلم زمناً يأتي في المستقبل وكان بمنزلة الماضي عندي ان من لم يسلك طريقتهم يسلكها وهو نادم » (٥) .

٨ - حثهم على محبة الشيخ التجاني لأنها وحدها كفيلة بسعادة الدارين ، رلأن السيد علي التماسيني الذي بلغ مقام القطبانية في الطريقة التجانية قال : « إن الله ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك ولا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ (٦) »

٩ - تنظيم جماعته وأمرهم ببناء الزوايا وجمع الأموال من المريدين لإصلاحها ، وتحذيرهم من التحاسد والتباغض والتنافس العقيم ، وحضهم على التحابب والتواد والتزاور ، وحثهم على احترام شيوخ الطريقة والقيام بخدمةتهم ، ومحبة الشرفاء ودفع الصدقات إلى المحتاجين (٧) .

١٠ - حضهم على مراعاة أوامر الدين والقيام بشعائره وأداء الوظيفة في الجماعة التجانية ، وأن كل من ترك الوظيفة في الجماعة عمداً ليس تجانياً إلا إذا كان تخلفه لعذر

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ج ١ - ص ٢٧ - ٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ١/١٠

٣ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ١/٢٣ - ٤ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ١/٨

٥ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ١/١٩ - ٦ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ١/٨

٧ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ١/٢٠

شرعي لأن الوظيفة لازمة أو واجبة وليست تطوعاً أي مستحبة وشرطها الجماعة (١).

١١ - دعوتهم إلى مزاولة الحرف والمهن لكسب الحلال ، وتحذيرهم - خصوصاً الشرفاء الواردين من مورتانيا - من الجولان في أنحاء البلاد لجمع التبرعات من الأخوان وتكفف الناس في الطرقات ، وإلى ذلك الإشارة بقوله : « نصيحة أسديها لكم معشر الأولاد من الشرفاء الذين نحوا نحو الصوفية ، وهي اتخاذ حرفة لكسب الحلال ، وقطع التكسب بالدوران بمجرد السؤال والطمع ورفع الهمة عن تلك الحرفة الدنيئة ، ولتكن حرفتكم في السنغال تجارة أو كتابة أو تعليماً أو حملاً لا سؤالاً وطمعاً (٢) ».

١٢ - حضهم على الاستمرار في زيارة حضرته للاقتباس منه وفي ذلك يقول : « فلا بد للمريد من أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أن الفيض لا يجيء إلا بواسطته ، وقد قالوا إن الشيخ في قومه كالنبي في أمته ، فربط القلب بالشيخ أصل كبير في الاستقامة والعمدة القوية وعليكم بكثرة المجالسة مع الأولياء وقد رأى بعض الصالحين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله عن أفضل الأعمال فقال عليه الصلاة والسلام : وقوفك بين يدي ولي قدر حلب شاة أو ناقة » قال قلت حياً أو ميتاً قال صلى الله عليه وسلم حياً حياً أو ميتاً ... وتعطيل المريد الزيارة في غالب الزمان دليل قاطع على عدم صدقه وعدم ازدياده بالله ... فالمريد نفعه بقدر محبته ومواصلة للشيخ فعلى المريد الصادق أن يراجع حضرة شيخه للزيادة والاستمداد من فيوضاتها ، والاقتباس من أنوارها ، والاجتناء من ثمراتها ، والتلقي لما يرد منها من المعارف ، والتجليات والأسرار فاعلموا أن المريد لا يتوقى بتقرب مثل الزيارة ، والخير كل الخير فيها ، والحرمان كل الحرمان في إهمالها ، لأنه علامة لوقوف السير نعوذ بالله (٣) .

١٣ - حثهم على تعظيم شيوخ الطريقة ، والقيام بخدمتهم ، وذلك قوله : « والتزموا خدمة المشايخ ومحبتهم ، فإنهم يقولون من استخدمناه قدمناه ، مر ذلك ويقول :

١ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١٢/١

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١٦/١ ٣ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٣٧/١

« وعليكم بتعظيم كل ملئن قدمه شيخكم فان ذلك من تعظيمه ، وتعظيم الاشياخ من تعظيم الله وفي ذلك فوز الدارين » (١).

١٤ - حضهم على الإشادة بذكر الشيخ التجاني وفيضته ، وإلى ذلك يرمي بقوله : « وعليكم بالمحادثة في شأن الختم التجاني مع أحبابكم ، فهي أفضل من جميع الأوراد ، خصوصاً في رمضان ، وعليكم بذكر فيضته التي بها حقق الله الحقائق الربانية في قلوبكم ، وأذاقكم المعارف الإلهية ، فقدروا قدر هذه النعمة واشكروا الله ولا تكفروه » (٢).

١٥ - تحذير الدهاة من أتباعه من دعوى المشيخة والتظاهر بها قبل صدور الإذن منه بذلك ، وفي ذلك يقول : « إن كثيراً من المدعين صدوا الناس عن سبيل الله بعدم الإستقامة ، ومن انتسب إلى الله وصار يصد عن سبيله فقد بارز الله بالمحاربة ، فصار في حيز أهل الإنكار الأشقياء لكونه سبباً لذلك » ويقول : كما سبق : « واعتبروا في شأن بعضهم فيمن تقدمكم ممن منعه من الكلام بعدما ربيته وتمادى على منعه لحوى متبع وقطعت مددي فلم ينتفع وهلك ومن سمع منه فهو أسوأ حالاً دائماً وأسفل مقاماً ظاهراً وباطناً والسعيد من وعظ بغيره ، وحسب الظهور يمنع الظهور » (٣).

١٦ - دعوة أتباعه إلى موالاة الفرنسيين المستعمرين ، لأنه يعتقد أنهم مصلحون لبلاد ، ومؤلفون لقلوب الشعب ، قال : « ولا بد من زجر الاحباب عن كل فعل يخالف قوانين أرباب الدولة الفرنسية ، فموافقتهم واجبة فإنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم يسعون في الإئتلاف ، وصيانة النفوس ، وعافية أهل البلاد » (٤) ويؤيد ذلك أيضاً قوله : « الموافقة مع الناس فيما لا يضر آخرة ومدارة أرباب الدولة كما قالوا :

فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم (٥)

١ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٠/١ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤٤/١.

٣ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤/١ و ١٠

٤ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٧/١ ٥ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٣١/١

الناظر لحركة الشيخ إبراهيم إنياس بإمعان يدرك بدون ريب أنه قد مارس الأعناء على اختلاف أنواعهم ، وطبقاتهم ، وأنه لولا أن البلاد كانت تحت سيطرة الفرنسيين لما وجد بدأ من حمل السلام للدفاع عن نفسه ودعوته ، وربما كان ذلك سبب حقاوته بالفرنسيين وإشادته بذكرهم على أنهم مصلحون لبلاد ومؤلفون لقلوب الشعب (١).

١ - ان مولاة المستعمرين الغربيين ظاهرة تكاد تكون غالبية على أكثر شيوخ الطريقة التجانية وقد سبق أن رأينا المجهود الذي بذله السيد مالك سي بالسندال نفسه في دعوة أتباعه وحشهم على مولاة الفرنسيين وقبول حكمهم وقام بدعوات خاصة في مسجده ليتصروا على أعدائهم في الحرب انظر ص ١٤٥ كتاب من بمبا مؤسس الطريقة المريديّة على الطرف المناقض لوجهة نظره هذه حيث قاوم الفرنسيين المستعمرين مقاومة شديدة حتى أفلت راحتهم مما أداهم إلى نفيه من البلاد مرتين انظر ص ٢٨ من كتاب **Muslim brother hood and pain.s** وقد مر بنا أيضاً أن الشيخ التجاني نفسه دعا على حكام الجزائر المسلمين بأن يسقط ملكهم في أيدي الكفار أعداء الله والإسلام والمسلمين وكان يريد بهم هؤلاء المستعمرين دليل أنه ذكر عدداً من بلاد المسلمين التي احتلها المستعمرون مثلاً الجزائر بها انظر كتاب بنية المستفيد ١٨٤ وفضل ابنه وخليفته السيد محمد الصغير أن يعيش تحت سيطرة الفرنسيين المستعمرين من البقاء في ظل حكم الأمير عبد القادر الجزائري وكتب بذلك رسالة في ١٢ يولييه سنة ١٧٣٩ م إلى (فليس Valéés القائد الفرنسي الذي يقاومه الأمير عبد القادر انظر ص ٦٩-٧١ من كتاب **The tijanyaa** ولحق السيد محمد العيد ابن السيد علي التماسيني وخليفته أوراد الطريقة التجانية (لمري دوفيريا HENRI DUVEYRIER) المستكشف الفرنسي سنة ١٨٦٠ م وأعطاه سبعة ملاحظات بالورد التجاني ثم زوده برسالة يعرف رؤساء قبائل الطوارق الصحراويين به كل ذلك لا لأنه أسلم واعتنق التجانية بل ليجعله يسير بأمان في قبائل البدو كمريد تجاني حتى ينجز أعماله الاستكشافية بسهولة انظر ٧٣ من المصدر السابق وزود كذلك أخوه وخليفته السيد محمد الصغير ابن السيد علي التماسيني المبشرين المسيحيين باجازة ليؤسسوا مدرستهم التبشيرية في قلب الصحراء على طريق عين صلاح سنة ١٨٨٠ م ولولا أن أتباع الامام محمد بن علي السنوسي قضوا على حياتهم لم لهم ذلك انظر ص ٧٧ من المصدر نفسه . وكتب المقدم التجاني السيد الاخضر في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٦ م إلى الأمين العام للحكومة الفرنسية في تونس (م. روي M.ROY) يرشح نفسه ليكون سفيراً للحكومة الفرنسية في السودان وصرح في رسالته بأنه لا يزال مثل كثيرين غيره من مقدمي الطريقة التجانية يسير على قدم شيوخ التجانية في تقديم الخدمة للحكومة الفرنسية انظر المصدر نفسه ص ٩٢ ونحو ذلك كثير وإنما ذكرنا هذا القدر على سبيل المثال فقط .

وجملة القول إن الشيخ إبراهيم أنياس قد اهتم اهتماماً كبيراً بالشيخ التجاني وطريقته في هذه الفترة ، بحيث لا تخلو رسالة من رسائله من ذكره والإشادة بطريقته ، بل إنه كثيراً ما يصدر رسائله بقوله : « عن مدد مولانا الختم التجاني » . فربما كان يريد بذلك أن الشيخ التجاني هو الذي يمدد بما يكتب بدليل قوله لتلميذه محمد بن الحسن جتره : « عليك بالانطماس في الشيخ أي التجاني حتى لا ترى لنفسك تأثيراً معه » (١) . أو كان يريد أنه نفسه هو مدد الشيخ التجاني الذي أخرج للتجانيين ، وعلى هذا فإن كل ما قاله أو كتبه كان من الشيخ التجاني مباشرة ، ويؤيد ذلك قوله في وصف كتابه أو كتبه كان من الشيخ التجاني مباشرة ، ويؤيد ذلك قوله في وصف كتابه كاشف الالباس : « فمن دقق النظر أي في الكتاب وأنصف ، يعلم يقيناً أن الشيخ التجاني هو الذي ألفه بيده » (٢) . بل قد ذهب الشيخ في الإنطماس في الشيخ التجاني في هذه الفترة إلى أبعد مدى ، حيث مضى يظن أنه الشيخ التجاني نفسه ، أو أن الشيخ كان معه دائماً ، ولا يفارقه لحظة ، وحتى كان يلقي الورد لبعض تلاميذه بإذن من الشيخ التجاني مباشرة ، وإلى ذلك يرمي بقوله : « وقد جددت لك الورد اللازم ، والوظيفة المعلومة ، وذكر يوم الجمعة بالإذن الخاص من الشيخ أي التجاني » (٣) .

وعلى أي حال فإن الجملة السابقة تفسر لنا بكل وضوح حقيقة رأيه في الشيخ التجاني ، وهو أن الشيخ التجاني هو شيخ جميع التجانيين ، لأنه لا يزال معهم دائماً

عل أن هذه الظاهرة لم تكن عامة في جميع شيوخ التجانية ومقدميها فإن الشيخ عمر الفوتي قد قارم الغزاة الفرنسيين المستعمرين حتى النهاية أنظر نفس المصدر ١١٦ وكذلك ابنه وخليفته أحمد طال الشيخ المصدر نفسه ١٢٨ وكذلك تلميذه الغاماب دياخو أنظر ص ٢٨ من كتاب **Muslim brother hood and politics. N segnal** وكذلك أيضاً الشيخ أحمد حماد الله أنظر ١٥٣٠ من كتاب **The tijanyaa** هذا وإن المستعمرين من جانبهم يؤيدون انتشار الطرق الصوفية في المسلمين خصوصاً الطريقة التجانية لعلهم بأنها تमित روح المقاومة في المسلمين وتبعدهم عن حقيقة عقيدة الإسلام وتعاليمه ويدل على ذلك أن السيد محمد العبيدي عندما قدم مدينة إسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية التركية - كما سبق - بقصد تأسيس زاوية تجانية فيها فإن السفارة الفرنسية الموجودة هناك هي أول من اتصل به وقدمت له المساعدة الكافية لإنجاز مشروعه نفس المصدر ١٦١ .

- ١ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٢٤/١ - ٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : كاشف الالباس ٩٨/١ .
- ٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٤٦/١ .

وجملة القول إن الشيخ إبراهيم أنياس قد اهتم اهتماماً كبيراً بالشيخ التجاني وطريقته في هذه الفترة ، بحيث لا تخلو رسالة من رسائله من ذكره والإشادة بطريقته ، بل إنه كثيراً ما يصدر رسائله بقوله : « عن مدد مولانا الختم التجاني » . فربما كان يريد بذلك أن الشيخ التجاني هو الذي يحده بما يكتب بدليل قوله لتلميذه محمد بن الحسن جتره : « عليك بالانطماس في الشيخ أي التجاني حتى لا ترى لنفسك تأثيراً معه » (١) . أو كان يريد أنه نفسه هو مدد الشيخ التجاني الذي أخرج للتجانيين ، وعلى هذا فإن كل ما قاله أو كتبه كان من الشيخ التجاني مباشرة ، ويؤيد ذلك قوله في وصف كتابه أو كتبه كان من الشيخ التجاني مباشرة ، ويؤيد ذلك قوله في وصف كتابه كاشف الالباس : « فمن دقق النظر أي في الكتاب وأنصف ، يعلم يقيناً أن الشيخ التجاني هو الذي ألفه بيده » (٢) . بل قد ذهب الشيخ في الإنطماس في الشيخ التجاني في هذه الفترة إلى أبعد مدى ، حيث مضى يظن أنه الشيخ التجاني نفسه ، أو أن الشيخ كان معه دائماً ، ولا يفارقه لحظة ، وحتى كان يلحق الورد لبعض تلاميذه بإذن من الشيخ التجاني مباشرة ، وإلى ذلك يرمي بقوله : « وقد جددت لك الورد اللازم ، والوظيفة المعلومة ، وذكر يوم الجمعة بالإذن الخاص من الشيخ أي التجاني » (٣) .

وعلى أي حال فإن الحملة السابقة تفسر لنا بكل وضوح حقيقة رأيه في الشيخ التجاني ، وهو أن الشيخ التجاني هو شيخ جميع التجانيين ، لأنه لا يزال معهم دائماً

= عل أن هذه الظاهرة لم تكن عامة في جميع شيوخ التجانية ومقدميها فإن الشيخ عمر الفتوي قد قاوم الفزاة الفرنسيين المستعمرين حتى النهاية انظر نفس المصدر ١١٦ وكذلك ابنه وخليفته أحمد طال الشيخ المصدر نفسه ١٢٨ وكذلك تلميذه الغاماب دياغو أنظر ص ٢٨ من كتاب Muslim brother hood and politics. N segnal وكذلك أيضاً الشيخ أحمد حماد الله أنظر ١٥٣٠ من كتاب The tijanyaa هذا وإن المستعمرين من جانبهم يؤيدون انتشار الطرق الصوفية في المسلمين خصوصاً الطريقة التجانية لهمهم بأنها تحميت روح المقاومة في المسلمين وتمدهم عن حقيقة عقيدة الإسلام وتعاليمه ويدل على ذلك أن السيد محمد العبيدي عندما قدم مدينة إسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية التركية - كما سبق - بقصد تأسيس زاوية تجانية فيها فإن السفارة الفرنسية الموجودة هناك هي أول من اتصل به وقدمت له المساعدة الكافية لإنجاز مشروعه نفس المصدر ١٦١ .

- ١ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٢٤/١ - الشيخ إبراهيم أنياس : كاشف الالباس ٩٨/١ .
- ٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٤٦/١ .

وكل من عداه من المقدمين والشيوخ التجانيين وسائط فقط ، وكان هذا الرأي يظهر بكل وضوح في مكاتباته ، بل لقد صرح بذلك مراراً في عدة مواضع في رسائله ومنشوراته ومؤلفاته ، وقال في رسالة له إلى تلميذه محمد المصطفى ابن جرن بسام : « وليكن لك شيخان ، شيخ في الظاهر ، وهو الكتاب والسنة ، وشيخ في الباطن وهو الشيخ التجاني ، وهو معك دائماً فالوسائل وسائل فقط ، وقد سبق هذا » (١) وقال في رسالة أخرى إلى تلميذه محمد بن الحسن جبره السابق ذكره : « الشيخ في طريقتنا هو الشيخ التجاني لا غير » (٢) . وقال في منشور له إلى بعض تلاميذه تعمد الناسخ إغفال ذكرهم : « والشيخ التجاني هو شيخ الطرق التي مضت قبله ولا طريقة بعده ، وهو شيخ طريقتة إلى آخر الدهر (٣) فان ديوانه طيب الأنفاس الذي ضمنه مدائح الشيخ التجاني خير مثال لكل ما تقدم ، حيث احتوى على جميع العقائد والمبادئ ، التي بنيت الطريقة التجانية عليها ، هذا بالإضافة إلى عقيدته الخاصة في الشيخ التجاني وطريقته ، بدرجة أن من درس الديوان ونقله نقلاً متقناً فقد أحاط بجميع المبادئ الأساسية في الطريقة التجانية . بل قد آمن الشيخ إبراهيم في الاعتقاد في الشيخ التجاني ، حتى أفضى به الأمر إلى أن يجعل ذلك عقيدة دينية يتعبد الله بها ، فقال في رحلته الحجازية الأولى : وأشهد الله ورسوله والشيخ أي التجاني أن عقيدتي التي أتبع الله بها وأطلب من الله أن ألقاه عليها أنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله واحد في الألوهية ليس معه شيء أصلاً وأوجد رسوله سيدنا محمداً قبل جميع الكائنات إبداعاً منه بلا واسطة مخلوق ، وجعله أصل الكائنات ووسيلتهم والسبب في وجودهم ، وأوجد شيخنا التجاني وجعله واسطة بيننا وبين رسوله صلى الله عليه وسلم بحيث لا مطمع لنا فيها من الله إلا بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أي الشيخ التجاني الواسطة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم فلا مطمع لنا في شيء خارج من هذا (٤) .

-
- ١ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١
 - ٢ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٤
 - ٣ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٩
 - ٤ - الشيخ إبراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٩

فمعنى كل هذا أن كلمة الشهادة عند الشيخ إبراهيم قد تطورت فصارت ذات أجزاء ثلاثة وهي الشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله وأن محمداً أوجده الله قبل الكائنات بلا واسطة مخلوق ، وجعله أصل الكائنات ووسيلتها وسبب وجودها وأن الشيخ التجاني أوجده الله وجعله واسطة بين التجانيين وبين رسول الله .

هذا بينما كانت كلمة الشهادة عند بقية المسلمين هي بكل سهولة (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) .

وقال الشيخ إبراهيم انياس التجاني عندما تلا عقيدته هذه أمام ضريح الشيخ التجاني بحضرة فاس بكى وأمعن في النحيب حتى ازدحم أهل الزاوية عليه يمسحون عبراته ويتبركون بها « (١) » .

فالراجح أن عقيدة الشيخ إبراهيم انياس هذه التي يتعبد الله بها كما قرر كانت مستوردة من مدرسة الأفلوطينية الفلسفية القائمة على أساس نظرية وحدة الوجود ، التي تعتمد على عقيدة الفيض والصدور ، فمعنى الفيوضات عند الأفلوطينية هي الحقائق وكل حقيقة تفيض عن الأخرى على صورة وجودات متسلسلة يفيض كل منها عن الوجود السابق له ، ويتصل به اتصال المعلول بعلته ، فتطورت هذه الفيوضات عند الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي إلى تجليات لحقيقة واحدة في صور مختلفة (٢) .

فمعنى إيجاد محمد قبل جميع الكائنات بلا واسطة مخلوق وجعله أصل الكائنات ووسيلتهم وإيجاد الشيخ التجاني وجعله واسطة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم هو أن الحقيقة المحمدية صدرت من ذات الله مباشرة من طريق التجلي وصدرت كذلك الحقيقة الأحمدية التجانية من الحقيقة المحمدية وهلم جرا ، هذا هو مراده بقوله : « بحيث لا مطمع لنا فيما من الله إلا بواسطة رسوله وهو - الشيخ التجاني - الواسطة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا مطمع لهم في شيء خارج عن

١ - الشيخ إبراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٩

٢ - الدكتور عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية في الإسلام ٥٤ .

هذا . وإلى هذا الذي تقدم كله يرمي السيد علي حرازم بقوله في جواهر المعاني :
« لإعلم أن علماء الشريعة » (١). والطريقة لما رأوا أن الوجود نزل من الوحدة بالتجلي
إلى منتهى النزول فحصلت الكثرة ورأوا أن الأهم والأتم هو العروج إلى البداية ليتم
ظهور الكمالات الإسمائية اشتغلوا في بيان ما هو الأهم من كيفية إصلاح العروج
عاجلاً وأجلاً (٢) ويقول أيضاً : « وأما الحقيقة المحمدية فهي أول موجود أوجده
الله تعالى من حضرة الغيب ، وليس عند الله من خلقة موجود قبلها لكن هذه الحقيقة
لا تعرف بشيء » (٣) . ويقول في موضع آخر : « ومن كلامه - الشيخ التجاني -
قال تفكرت في اختصاص سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بيوم الاثنين فتنين لي أنه
لما كان هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلا الوجود القديم ، وكذلك فيه ولادته ، وفيه
هجرته ، وفيه دخوله لطيبة ، وفيه إرساله ، وكذلك سيدنا دم عليه السلام في
اختصاصه بيوم الجمعة وتقلب أطواره فيه لمناسبة وجودية ، لأن سيدنا دم هو الموجود
الأخير من الموجودات ، وهو المعبر عنه عند العارفين بالتجلي الأخير ، واللباس
الأخير ، وهذا اليوم هو الأخير من الأيام التي خلق الله خلقه » (٤).

فإن هذا ليس من عقيدة الاسلام في شيء حيث إن صاحبة لا يؤمن بأن العالم
حادث وأنه غير الله تعالى ، وأن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته الأزلية مخلوق
مصنوع ، وأن صانعه الله ، وهو ليس بمخلوق ولا مصنوع ، ولا هو من جنس
العالم ، ولا من جنس شيء من أجزاء العالم ، كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ،
وأجمعوا أيضاً على تكفير من خالفه (٥) وإنما يذهب إلى أن العالم صدر من الله من
طريق التجلي أو الفيض ، والتجلي عبارة عن تبدل الاسماء ، لا المسمى ، بمعنى أن

١ - فان علماء الشرع على خلاف شديد مع هذه العقيدة حيث أجمعوا على تكفير معتقدها انظر ص ٢٩٤
و ٣٢٨ من كتاب الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر البغدادي وانظر أيضاً ص ١٠٧ من كتاب

تليس إبليس للإمام ابن الجوزي البغدادي وانظر كذلك جواهر الأكليل شرح مختصر الخليل ج ٢ ص ٢٧٧

٢ - السيد علي حرازم : جواهر المعاني ج ١ ص ١١٩ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ج ١ ص ١٢٥

٣ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ج ٢ ص ١٠٨

٤ - الإمام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٢٨ .

المسمى واحد لا يتبدل ولا يتغير ، وإنما تتبدل عليه الأسماء في الذهن حسب تجدد المعاني المعبر فيه ذهنياً ، أي إن الله تعالى هو واجب الوجود ، وكل ما عداه فعلم محض ، ليس له وجود إلا في الاسم فقط (١) ومن طبيعة هذه العقيدة أنها لا تجتمع في ظل واحد مع عقيدة التوحيد التي جاء بها الاسلام ، والتي يدعو اليها القرآن ، وهي اعتقاد وجود إله واحد منفصل عن العالم وهو خالقه بأسره من عدم ، ومدبره على الدوام ، ويرسل إلى الناس رسلاً من أنفسهم بواسطة ملائكته وهلم جرا (٢). وقد ظهر هذا بشكل واضح في عقيدة الشيخ ابراهيم انياس نفسه وبعض تلاميذه وقد استفادته تلميذه الحاج محمد الثاني بن محمد الأول بما هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم حمد قدرته لمشيئته ، وصلاة ذاته على صفته ، ورضى أحديته على مظهر واحديته : أما بعد فقد أشكل على الابن الجاهل هذه الأمور ما كيفية أخذ جبريل الوحي عن الذات وإبلاغه إلى رسول الله ؟ فقد جلت في جهلي مدة لطلبه ولم أدر ، وأيضاً تفكرت في مراد الحق في القرآن ولم أدر ، والسلام ولدرو حكيم وعبد حضرتكم محمد الثاني محمد الأول » فأجابه الشيخ بما يلي -

« الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الصديق الأكبر حق قدره ومقداره العظيم أما بعد : فمن جبريل حتى نعرف حقيقته جبريل معناه عبدالله ، وحتى نعرف هذا العبد ، فرغ من أي أصل ومن أي حضرة نبين لك سر الواسطة المجازية ، فالأمر مجاز لا حقيقة القرآن صفة أرجو الله أن يرزقني وأياك الفهم منه ، بمنه فتفهم الصفة والاتصاف في الحضرات والسلام ابراهيم » (٣).

فلإن إفتتاحية فتوى السيد محمد الثاني هذه كانت مبنية على أساس عقيدة شيخه السابقة ، فمثلاً أن لوقه حمد قدرته لمشيئته معناه جملة أن الحامد والمحمود سواء ، أو بعبارة أخرى : أن الحمد صادر منه إليه وقوله صلاة ذاته على صفته ، معناه أن محمداً ما هو إلا مظهر من مظاهر ذات الله ، فالصلاة إذن صادر منه إليه أيضاً ،

١ - الشيخ عبد الكريم الجيلي : الانسان الكامل ٢١ ٢ - الامام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٢٨
٣ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٨٧/١

حيث إن المصلي والمصل عليه شيء واحد ، وقوله ورضي أحديته على مظهر واحديته ،
معناه رضي صرافة الذات على مظهر أسمائها وصفاتها ، والأحدية هي المرادة بالحقيقة
المحمدية ، والواحدية المقصود بها الحقيقة الأحمدية التجانية (١).

ولما رسخ الحاج محمد الثاني في هذه العقيدة . التبس عليه أمر نزول جبريل الوحي
إلى رسول الله ، حتى أفضى به ذلك إلى الشك في القرآن الموحى به إليه ، وهذا بطبيعة
الحال شك في رسالته ، وهو أمر منطقي ، إذ كيف يتلقى جبريل الوحي من الله
لإبلاغه إلى رسوله ، مع أنه ما ثم شيء إلا الله وحده ؟ وعندما وجد السيد محمد الثاني
نفسه في هذه الورطة ، رفع الأمر إلى شيخه عسى أن ينقذه منها بما عنده من الحنكة
والرسوخ في المعارف الإلهية ، والتبحر في الشريعة الإسلامية ، ولكن بكل أسف
فبدلاً من إنقاذه دفعه في ورطة أخرى أشد تعقيداً من الأولى ، حيث قرر له أن
الأمر كله مجاز لا حقيقة ، فخرج بيقين سلبي تجاه لباب العقيدة الإسلامية .

والراجع أن الشيخ التجاني الذي هو أصل هذه العقائد ، قد أخذها من ابن عربي
الحاتمي ، وقد جاء ما يلي في كتاب جواهر المعاني : « وقد قال الشيخ الأكبر ابن عر
في صلاته الدرة البيضاء التي تكونت عنها الياقوتة الحمراء هي وجود العالم بأسره » (٢)
وقد صرح ابن عربي في الفتوحات المكية : بأن الدرة البيضاء هذه هي العقل الأول
الفلسفي الافلوطيني بقوله : « كنا حصرنا في كتاب المعرفة الأول ما للعقل من وجوه
المعارف في العالم » . إلى قوله : « فيدخل عليه بما ذكرناه ، في عيون المسائل ، في
مسألة الدرة البيضاء الذي هو العقل الأول » (٣) وإلى ذلك أيضاً يشير بقوله في
صلاة له : « اللهم صل على سيدنا محمد نائب حضرة ذاتك المتحقق بأسمائك وصفاتك
الجامع بين الوجود والعدم ، والبرزخ الفاصل بين الحدوث والعدم ، عين الأحدية
الذي انفتح به كل مقبول ، وانجبر به كل مكسور ، وانعق به كل مقهور » (٤).

١ - الشيخ إبراهيم انياس : السر الأكبر الورقة ١٤

٢ - السيد علي حرازم : جواهر المعاني ١/١٤٧ - ابن عربي الحاتمي : الفتوحات المكية ١/٤٦

٤ - الاستاذ محمود سامي : المختصر في معاني أسماء الله الحسنى ١٧٤ .

وقد أخذ الشيخ التجاني هذا بعينه وقال عن نفسه كما في جواهر المعاني : « وقول الشيخ أي التجاني في صلاته اللهم الحقني بنسبه ، معناه هو كونه خليفة عن الله في جميع المملكة الإلهية ، بلا شذوذ متصفاً بجميع صفات الله وأسمائه ، حتى كأنه عينه فهذا نسبه من الحضرة الإلهية » (١) كما يلاحظ في صلاة ابن عربي تلك المعاني المتضمنة في صلاة الفاتح أيضاً .

على أن من وقف على مواضع الشيخ إبراهيم انياس وإرشاداته في خطبه ورسائله ، والمجهود الذي بذله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم طول حياته ، حتى في مرض موته ، بقصائد طنانة بليغة تخرج من نفس مملوءة حماسة وحرارة لا يداخله ريب في أنه مخلص في إيمانه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعتنق عقيدته هذه بقصد إفساد الدين أو كيد ، وإنما اكتسحته دعاية الشيعة الباطنية الخفية وتعاليمها الفاسفية المنصبة في قالب التصوف ، مع ما من اكتسحت ، فذهب من جراء ذلك يظن كما ظن كثيرون غيره من مشايخ الصوفية المتأخرين أن ذلك عناية آلهية لاحظته ، فحظي جزاء ذلك باصطفاء الله تعالى واختصاصه ، حتى رفعه إلى أعالي قمة معرفته ، التي لا يحتلها إلا من توجه الله بتاج ولايته العظمى ، المعبر عنها بالقطبانية ، ولا يدرون أنها مباحث قد أكل عليها الدهر وشرب ، قبل ظهور الإسلام بقرون ، وكان يقوم بها الهندوس والإغريق الوثنيون ولا تمت إلى الإسلام بصلة وإنما أقحمت فيه إقحاماً .

حجة الشيخ إبراهيم انياس الأولى

ثم تجدد أمر آخر في حياة الشيخ إبراهيم انياس وكان له أثر عميق في تطور حركته ، وانتشار ذكره في الآفاق ، كما أفاده خبرة جديدة في الأمور ، وثقة قوية بنفسه ، كخليفة وارث للشيخ التجاني ، وهذا الأمر هو سفره إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وكان اتصاله بالناس قبل ذلك مقتصرأ على الواردين إلى الديار السنغالية من العرب

١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ١٤٥/٢

المغاربة والمورثانيين ، ولذلك كانت خبرته حيثئذ تكاد تكون مقيدة على ما يرى
ويسمع من هؤلاء الغرباء ، أو ما يقرؤه في الكتب ، فأتاح له هذا السفر فرصة مشاهدة
البقاع ، وزيارة الأقطار ، ودراصة الأحوال والأمور فيها عن كتب ، وكما أتاح له
أيضاً فرصة الاجتماع برجال الدين والطريقة ذوي الأذواق المختلفة والمدارك المتباينة
كما أتاح له كذلك فرصة لقاء رجال آخرين لا يمتون إلى الطريقة التجانية بأية صلة
إلا صلة الإنكار والانتقاد .

وعلى أي حال فإن أول خبرة اكتسبها الشيخ إبراهيم في هذا السفر هو مشاهدته
الجمع العظيم من الإخوان والأحباب والتلاميذ الذين اكتظ بهم ميناء كولخ ، وكلهم
جاءوا لوداعه ، وقد وصف الشيخ كثرتهم بقوله : « لا يعلم عددهم إلا جامعهم » (١) .

ثم إنه هو ورفيقاه عندما أقلعت بهم الباخرة المسماة بكناد من دكار أصيبوا
بالدوار البحري الذي يصيب عادة من لم يتعود ركوب البحر فرأى رجالاً حسان
الوجوه لم يتوسم أحداً منهم إلا الشيخ التجاني ووالده الحاج عبدالله أنياس فشبك
الوالد أصابعه بأصابعه وأمره بتلاوة شيء من آي الذكر الحكيم ، ثم ذكره بما قال
له أخوه الأكبر الحاج أبو بكر من أن والدهم يذهب معه إلى الحجاز فإذا خاف من
الاصابة بمكروه أو أعوزه أمر يأتيه والدهم الحاج عبدالله أنياس (٢) وهكذا حتى
رست الباخرة التي تقلهم بالساحل المغربي ، فزار الشيخ بعض مدنه الكبار وخصوصاً
مساكن كبار المقدمين التجانيين ، واتصل في الدار البيضاء برجل من سلالة بعض
أخص أصحاب الشيخ التجاني ، وأراههم أشياء من ممتلكات الشيخ التجاني ، وشيئاً
من خطوطه ، كما أخبره أكبر المقدمين هناك أن ولياً من أولياء الطريقة التجانية قد
أخبره بأن السودانيين هم معدن الولاية وأخبره أن الشيخ سكيرج قال له إنه أي الشيخ
إبراهيم أنياس هو عالم السودان (٣) ومن دار البيضاء ارتحل الشيخ إلى فاس حيث
زار زاوية الشيخ التجاني وضميرحه ، ثم اجتمع بأكابر رجال التجانية هنالك ، خصوصاً

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : الرحلة الحجازية الأولى ٣

٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ٥ ٣ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ٦

سلائل أصحاب الشيخ التجاني الكبار، مثل السيد الطيب حفيد السيد الطيب السفياي صاحب الشيخ التجاني مؤلف كتاب الافادة الاحمدية والسيد محمد برادة حفيد الحاج علي حرازم براده خليفة الشيخ التجاني وغيرهم ، من وجوه التجانيين القاطنين بحضرة فاس ، فأتحفه السيد الطيب هذا بنسخته الخاصة من جواهر المعاني وسجاداته ثم نقله بشيء من شعر رأس الشيخ التجاني وقارورة كان الشيخ التجاني يضع فيها العطر عند الخلوة ثم أجازة بكل ما عنده من أسرار الطريقة التجانية وبشره بأن الحركة كلها معه أي الشيخ ابراهيم (١) ثم رحل إلى مدينة صفر لزيارة السيد أحمد بن السائح الذي أتحفه هو الآخر بعضا الشيخ التجاني التي وصفها الشيخ ابراهيم بأنها لا توجه لشيء بهمة الشيخ التجاني إلا وانقاد ثم أعطاه أيضاً مشاهدة الحاج علي حرازم براده السابق ذكره وكناء السيد أحمد العبد لاوى ووعدته بنسخة من كتاب الجامع للسيد محمد بن المشري (٢) ثم سافر الشيخ الى مدينة طنجة حيث تمتع بمشاهدة النسخة المخطوطة من كتاب جواهر المعاني بخط الحاج علي حرازم براده بجامعه ، هناك بنشر الشيخ ابراهيم انياس اهل طنجة بأنهم هم البرزخ بين الشيخ التجاني وبين النبي صلى الله عليه وسلم وسروا لذلك سروراً عظيماً ، ثم خلا المقدم السيد علي المصفيوى بالشيخ ابراهيم وأمره بالاتيان اليه أ الشيخ ابراهيم لأن المفتاح عنده ومن أجل ذلك شافهه الشيخ هو وأصحابه بالأسرار (٣) وما زال الناس يتبركون به في كل مدينة زارها من مدن المغرب الأقصى لما يسمعون منه من درر العلوم وغوامض العرفان (٤) .

ثم من طنجة غادر الشيخ ابراهيم انياس البلاد المغربية متوجهاً بحراً إلى الحجاز ، واستمر توماً إلى المدينة المنورة ، ومما أحرزه هناك من النجاح أنه كان يجتمع كل يوم مع الاغواث في مجلس أهل الصفة بالمسجد النبوي ، وكذلك اتفق أن اجتمع مع أهل الفضل من رجال الطريقة التجانية وكلهم يتعلق به ويطلب منه التجديد والتقديم ، وفيها التقى بأمير كتو الحاج عبدالله بايرو ووزيره السيد سليمان بن إسماعيل وجدد لها الطريقة

١ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٨ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٩

٣ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١١ ٤ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٧

وقدمها (١) .

ثم ارتحل الشيخ من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، ومن ذلك الوقت كان أمير
كنو الحاج عبدالله بابرو وجماعته في رفقته حتى وصلوا إلى مكة ، واستمروا تَوَّأ
إلى الحرم الشريف ودخل الشيخ المسجد هو وأمير كنو ومن معهما من القوم وطافوا
بالبیت العتيق (٢) .

ومما أنجزه من الخصال هناك أن اجتمع مع من وصفه بالولي الصالح والنور
الواضح الشريف المنيف السيد أحمد التبر الذي أخبر الشيخ بأنه رَه في المنام يتولى
المشارب ومعنى ذلك كما فسره أنه هو المحيط بمشارب الأولياء (٣) .

ومما اتفق له أن الكعبة قد فتحت فدخلها الشيخ مع الداخلين في زحام شديد ،
فراه حاجبها وقال له ما علمتني فأفتحها لك في وقت خلوها من الناس ثم فتحها له
بعد ذلك في يوم الخميس ليلاً عندما هجع الناس ، ودخلها هو وأمير كنو وبعض
رفقائه (٤) .

ومما اتفق له أن المطر نزل عليه في تلك الليلة بالكعبة تحت ميزاب الرحمة ،
واستمر لهم ذلك حيث لم يمدوا أيديهم كما قال — للدعاء إلا ونزل عليها المطر ، وهذا
قد تم أيضاً في عرفة يجبل الرحمة وفي منى وغير ذلك من المواضع ، بل قد حصل
له ذلك في موضع لا يحل له ذكره هذا على حد تعبير (٥) .

ومما اتفق له أن اجتمع بمن ساء بولي من الأولياء في ليلة بمنى ، وقال له الولي :
« أنت رجل ورثت مقام رجل ساكر في قرية فاس ودليل ذلك أنك سوف تدمن
على شرب الأتاي (٦) بعد رجوعك إلى بيتك ولم تكن تفعل ذلك قبل (٧) .

١ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١٩ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢١

٣ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢١ ٤ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢١

٥ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٢

٦ - الاتاي كما فهمته طرقة لشرب الشاي عند المورثانيين وهو أن يطبخ الشاي الأخضر في غلاة صغيرة
ثلاث مرات شرب في فناجين صغيرة بعد الفراغ من تناول الطعام .

٧ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٤

ومن ذلك أنه كان خادمه في أيام المناسك كلها أمير كنو الحاج عبدالله بايرو (٦).

ومن ذلك أنه وجد شاباً من أشرف أهل فاس بالركن اليماني فسأله الشيخ عن لقي من الصالحين في هذه البلدة المقدسة فأجابه الشاب إنه لقي ولياً من أهل الكشف وأخبره الولي أنه لما أتى البيت وقع له حال كبير حتى غاب عن حسه ولقي الخضر (١) وبعد ذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة وأخبره الولي أيضاً أنه يحج في هذا العام الغوث ويغفر لجميع أهل الموقف ولوالديهم وقال للولي دلي عليه لأزوره وأطلب منه الدعاء فقال له الولي ستلقاه عند الركن اليماني فقال الشيخ للشاب أتعرفه فقال الشاب لا. ثم قال الشاب للشيخ إبراهيم من لقيت أنت فقال له الشيخ لقيتك أنتهي (٢) ومعنى ذلك أن الشيخ إبراهيم هو ذلك الغوث (٣).

ومن ذلك أن الشيخ إبراهيم عندما جاء لطواف الوداع بين الظهر والعصر جعل الله البيت خالياً من الطائفين لأجله ، حتى طاف بالبيت وحده ، وقال هو نفسه بعد ذكر ذلك : « هذا يأباه العقل » (٤).

ثم قفل الشيخ راجعاً من الحرمين الشريفين إلى بلاده ونزل بطنجة ثم زار جميع المدن التي زارها في المغرب عند مروره في طريقه إلى الحرمين وزار أيضاً قرية سطات مسكن الشيخ سكبرج العياشي ومن هناك ركب البحر إلى دكار عاصمة بلاده حيث وجد جماعة من أصحابه وأحبابه ينتظرون عودته (٥).

هذا موجز سفر الشيخ إبراهيم إنياس إلى الحجاز وهذا السفر كما قررنا له أهمية كبرى في انتشار أمره وذبوع صيته في الأقطار وتنحصر هذه الأهمية في الوجوه الآتية.

١ - أن هذا السفر أتاح له النزول بالربوع المغربية حيث زار مدينة فاس المهدي الأول للطريقة التجانية ، وكذلك زار كثيراً غيرها من مدن المغرب مساكن كبار

١ - الشيخ إبراهيم إنياس : نفس المصدر ٢٤ .

٢ - الشيخ إبراهيم إنياس : نفس المصدر ٢٦ ٣ - الشيخ إبراهيم إنياس : نفس المصدر ٢٧ .

٤ - الشيخ محمد الثاني الكافني : سبيل الرشاد ٤٠ ٥ - الشيخ محمد الثاني الكافني : سبيل الرشاد ٣١

أصحاب الشيخ التجاني ومقدمي طريقته ، واجتمع فيها برجال الطريقة وسبر غورهم جميعاً في علوم الطريقة ، واختبر ما عندهم من المواهب ، فوجد بثقة تامة أن مقامه في الطريقة أعلى من مقاماتهم ، وقدمه أرسخ في علومها من أقدامهم ، حيث أنهم كلهم سلموا له واستفادوا منه ، ما عدا شيخين هما السيد الطيب السفياني والشيخ أحمد سكيرج العياشي ، وقد كان الشيخ ابراهيم يضمهم لها التعظيم والاحترام قبل وروده إلى ديارها ، وقد مر بنا أنه طلب من السيد السفياني هذا أن يجيزه في الطريقة الطريقة التجانية ، كما أن تعظيمه لسكيرج ليس بخفي ، فقد جعله على قدم السيد علي التماسيني في ديوانه طيب الأنفاس ، في مدح الشيخ التجاني الذي ألفه منذ أعوام قبل سفره هذا ومن ذلك قوله :

وفرد زماني أحمد الحب من سما على الكمال الاقطاب وهو عباب
سكيرج ذلك الأملعي الذي سمت بنوا خزر ج منه يزال الحجاب (١)
على أن استعلاء ذنبك الشيخين عليه أفاده كثيراً في شأنه من حيث أنهما أقراه
على أمره وأيداه في دعواه .

٢ - أتاح له هذا السفر أيضاً الاجتماع بالشيخ سكيرج وزال ما كان بينهما من أثر سوء التفاهم الذي نتج من جراء تقرب أخيه الأكبر الحاج محمد الخليفة إلى الأول مما جعله يميل اليه أكثر ، وهذا من شأنه طبعاً أن يكدر صفاء الشيخ ابراهيم ، حيث إن سكيرج يعتبر حجة عظمى في الطريقة التجانية ، وأن الفوز بتأييده يعد انتصاراً عظيماً ، هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى إن المسافة الساحقة التي تقع بين دياريهما جعلت اللقاء بينهما ليس بميسور ، ومن أجل ذلك لما وجد الشيخ ابراهيم فرصة لقائه مباشرة لم يتركها حتى انتهزها إلى أقصى حد ممكن ، ففاز برضاه حتى جعله خليفته ووارث أسرارها ، كما قرر له أيضاً صحة خلافته ووراثته للشيخ التجاني ، ثم نقله بأسرار كان يعتز بها الشيخ ابراهيم ويفتخر طول حياته بل لم يكتف الشيخ سكيرج بتقرير ذلك له في الكلام العادي حتى جعله في شعر منظوم فقال :

١ - الشيخ ابراهيم انياس : دوان طيب الأنفاس مجموع النوارن ٢١١ .

ورثت عن الشيخ التجاني خلافة
شهدت لكم فتحاً مبيناً بما لكم
ولاني أرى شيخي التجاني خاتماً
وما قلت هذا عن هوى وتبجح
ولكنه عن وارد جاء ناشراً
وكم طائر فخرأ يعد مزاحماً
فيا ويح من أقسى يعاندكم فكم
ولاني لكم فيها أنص لكم نصاً
به الحق في أهل الطريقة قد خصاً
وأنت الذي قد صرت في الخاتم الفصاً
ولا كان عن شطح رققت به رقصاً
لواء سرور منه حاسدكم غصاً
لكم في المعالي والجناح له قصاً
يعاني عنا عما يؤلمه أقصى (١)

هذا وان العلاقة بين الشيخين قبل هذا اللقاء على عكسها بعده كما أشرنا اليه من قبل وان الرسالة التي كتبها الشيخ ابراهيم إلى الشيخ سكيرج في السادس من شوال سنة ١٣٥٢ هـ والتي جاء فيها : « رأما الفترة عن مراسلتكم فلم تنشأ عن غنى عنكم ولا قلالكم ولا عن كسل وتوان منا بل من أني ربما بعثت اليكم كتاباً ولم أظفر من عندكم بجواب بل لا أجد أخباركم إلا بالأخبار فاتهمت نفسي بعدم الأهلية لمراسلتكم واكتفيت بالمحبة والدعاء لكم عن ظهر غيب مع ترجي اللقاء جعله الله في ساعة مباركة » (٢). تشير بوضوح إلى ذلك بل إننا ولو بالنظرة الخاطفة تجاه مضمون ما اقتطفناه من الرسالة ندرك التقاط التالية .

أ - ان الشيخ سكيرج كان يميل إلى أخ الشيخ ابراهيم الحاج محمد الخليفة وقد رأينا في الرسالة السابقة أن بين الأخوين سوء تفاهم ويعرض الشيخ ابراهيم في الرسالة إلى ميل سكيرج إلى أخيه بقوله : « بل لا أجد أخباركم إلا بالأخبار فاتهمت نفسي بعدم الأهلية لمراسلتكم » . ومعنى كلامه هذا أنه يرسل إلى سكيرج ، فبدلاً من أن يجد رده منه إليه مباشرة يجد من واسطة أخيه الحاج محمد الخليفة .

ب - وأن قول الشيخ ابراهيم في الرسالة : « وأما ما بلغكم من وجود سوء التفاهم بيننا وبين أخينا الخليفة الحاج محمد فلا أقول أن قائله أو كاتبه كاذب لكني

١ - وجدت هذه القصيدة عند السيد الحاج عبدالله العلوي بمطع مولانا مورتانيا .

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١١٣/٢

أقول لكم إنه ممن لا بال لهم ، يدل بكل وضوح على توتر الحال بينه وبين أخيه .

ج - إن الشيخ إبراهيم لم يجد تأييداً لحركته من سكيرج في أول أمره إذ أنه لو وجد ذلك من مثل سكيرج في ذلك الوقت لعدّه انتصاراً عظيماً ونجاحاً هائلاً لحركته ، ولأعلنه - كمادته - ونشره بين المريدين والأحباب كما فعل عندما حظي بذلك فيما بعد . يبدو أن الشيخ إبراهيم كان مهتماً بالاجتماع مع الشيخ أحمد سكيرج العياشي اهتماماً كبيراً وبقي مدة طويلة ينتظر - بفارغ الصبر - وقته المناسب ، وقد أعد أبحاثاً من الشعر يتلقاه بها أول لقائهما وهي كالآتي :

هذا خليفة قطبها الكون مأواكا	ما كنت تأمله هذه بشراكا
إذ لم أنل في بلاد الله شرواكا	يا بهجة العصر لاني لست أنساكا
قلبي فقلبي دواما عند مغناكا	وكيف أنسى الذي أشواقه ملأت
هذاك يا شيخ جسمي اليوم وافاكا	بل كنت أرسل روحي كل ونة
له المعالي فيعلو كل من حاكي	سكيرج القرم سر الختم من خضعت
ولا يمل لساني عوض ذكراكا	ولست ناسي إحساناً مننت به
ولي الهناء بروييا ي محياكا	لك الهناء بما أوليته أربا

فأجابه سكيرج بما يلي :

نسيت مني يداً إن كنت أنساكا	يا زائراً وبقلبي كان مشواكا
لصدق حب له مولاك حاباكا	سريت مني مسرى الودوح من جسدي
فازت بوصلك لي باليمن بمنكا	لا تحسبك قد ضاعت خطاك وقد
ونلت سرّاً به يطيب محياكا	والله يرعاك في حل ومرتحيل
حتى بدت سره على محياكا	والصدق منك بنور الحق منشرح
منا طلائع بشر حيث يرصاكا	طلعت في حيناً بدرّاً له ابتدرت
فيه رضاك وكل الخير وافاكا	وقد تلقيت بنت الفكر منك بما

فاهناً بحجك واهناً بالزيارة لي بل للتجاني ودم تملو بعلياك (١)
هذا ومن الجدير بالذكر أن هذا اللقاء قد حصل للشيخ إبراهيم بعد رسالته تلك
بحوالي ثلاث سنوات .

٣ - أتاح له السفر فرصة لقاء بعض التجانيين القاطنين هنالك في الأراضي
المقدسة ، فجددوا إذن وردهم عنده كما أتاح له أيضاً فرصة الاجتماع مع من ساهم
بالأولياء في الحرمين الشريفين ، فأخبروه بأحوال في نفسه التي قوت عزيمته وشجعت
في دعاويه .

٤ - أتاح له السفر فرصة التعرف بأمر كنو الحاج عبدالله بايرو الأمر الذي صار
له سبباً لظهور شأنه في نيجيريا وانتشار ذكره فيها وفي البلاد المجاورة لها ، حتى
كانت نيجيريا تعد مركزاً رئيسياً من مراكز فيضته ، بل إن الرأي السائد حتى في
السنغال نفسه أن نيجيريا هي مظهر فيضته إذا كان الأمر ينظر إليه من جانب كثرة
الأتباع وانتشار التعليم واعتناق المبادئ وتأييد الدعوة وقد أيدت مؤلفة كتاب

Muslim Brotherhood And Politics in Senegal .

هذا الرأي أيضاً حيث قالت إن تلاميذ الشيخ إبراهيم انياس كان أكثرهم في خارج
السنغال ، فذكرت مورثانيا ومالي وغانة وجامبيا ثم قالت وكان في نيجيريا وحدها
يوجد ما بين عشرة وثلاثة عشر مليوناً من أتباعه ، وهذا العدد طبعاً أكبر من عدد
سكان هذه الأقطار الأربعة كلها إذا جمعت معاً مسلمهم وغيره (٢).

٥ - وكذلك أتاح له هذا السفر فرصة لقاء رجال آخرين كانوا ينكرون الطريقة
التجانية ، ولا يعرفون الأسس التي بنيت عليها وإذا اشتبك هؤلاء معه في المناظرة
ينتهز فرصة جهلهم بمبنى الطريقة ثم يستعمل الفقه الذي كان له قدم لا بأس به فيه
كسلاح فيهزمهم بسهولة وهذا أمر أيضاً شجعه كثيراً وزاد في قوة إيمانه واعتقاده
بالطريقة التجانية ومبادئها .

١ - الشيخ إبراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٣٤ .

٢ - MRS L.C. BEHRMAN : المصدر المذكور في النص ١١٩ .

ولا شك أن هذه الأمور قد تركت أثراً عميقاً في تفكيره فجعلته يصدق بكل
إيمان وبكل إخلاص جميع الواردات التي ترد عليه في نوم أو يقظة ، وما لبث أن
شرع يطلق شطحات أكثرها خيالية ويدلي بدعاوى قائمة على أساس مبادئ طريقته
التجانية وتعاليمها يصدقها هو ويصدقها معه جميع تلاميذه وأتباعه ومن ذلك قوله :

وصول جميع الماسكين بحبلياً	تحققه من لم يكذب برياً
وجوبي فياف في المعارف لم ترم	فقد قصر الأقطاب عن درك شأويأ
وما قلت قولي شاطحاً متبجحاً	و لأهمني سكر يغيب عقلياً
وان خطوطي للأتنام سعادة	فلم يشق يوماً من رأني وخطياً
وما قلت هذا دون إذن وإنني	لأكتم سرأ لا يباح لغيريأ (١)

وقوله :

إن الذين خدموني نالوا	مرادهم سعادة ومال
من عاش شاهداً عياناً ومن	مات بفز وذاك كل الزمن
ومن يحبني ومن يراني	في جنة الخلد بلا بهتان
إذ أنني خليفة التجاني	موهبة من أحمد العدناني
من شك في ذا فأرى واسمع	من حيث لا يرى الفتى ويسمع (٢)

وقوله :

قد خصني بالعلم والتصريف	إن قلت كن يكن بلا تسويف
-------------------------	-------------------------

إلى قوله :

ففاض مني سره فلا أحد	يقصدني ما عرف الله الصمد
سواء الكبار والصغار	قد قرب الحبيب والمزار
سواء الصبيان والنسوان	سواء الصعلوك والسلطان

١ - انظر ديوان أوثق العرى في مجموع الدواوين ٩٩ ٢ - انظر رحلته الكناكرية ١٣ .

لو شئت عم فيضه البسيطة
علم ذلك فلان وفلان
ومرة أخرى ترون عجبا
وذاك كلا فيضه التجاني
ومن ذلك أيضاً قوله كما سبق :

أوحى لقاء المهد عوناً ومرشدا
فتمسي النصارى كالجليد تشعشت
وقوله أيضاً :

وان شاء قواني لحمل خلافة
ليسلم جل الناس اقتل بعضهم
فأرفع علماً للجهالة واضعاً
فبي يرفع الجور العظيم فلا يرى
فتمسي رجال الله في ظل راحة
يكون زمام العالمين جميعهم
فيأتي مسيح والرجال رجاله
ومن ذلك قوله :

وجئت قصر الروم ان الروما
قالوا تزور الباب لو دراني
حجبتة بنفسه عن نفسه

وأدركوا أسرارهِ المحيطة
كذا فلان ما السماع كالعيان
من سر ذا الختم أمام النجبا
مدد مصطفى الورى العدناني (١)

له كل حال في رضاي مجالسه
عليه ذكاء كلهم ضاق حاله (٢)

لكي أرفع التوحيد والكل مؤمن
جهاداً واني مؤمن بك محسن
وأكسر رايات الصليب وأدفن
سوى العلم والدين الحنفي يزين
وعز وتمجيد وبالحق أعلنوا
بأيدي رجال بالعلوم تمكنوا
بدين الامام الهاشمي يتدين (٣)

قد غلبت وعوض لن تقوما
حقاً هرول إلى بستاناني
لو قدته عرف معي قدسه

١ - انظر نفس المصدر ٦ ٢ - ديوان شقاء الاسقام في مجموع الدواوين ١٢٩

٣ - ديوان شقاء الاسقام في مجموع الدواوين ١٣١ .

ودام منه ذكره وأنسه وغاب عنه حسه وجنسه (١)
وقوله :

قد فاز أحبابي مدى الأزمان تفضلا وعدا من الرحم—ن
كأنني في حضرة الديان أنوب عن وقتي وعن مكاني (٢)
وقوله :

وقع حر مذ ثمانين سنة ما وقعت بلية مستجسه
وقع في الحج جلال قهرا يا رب سكن والجمال أظهر
لو لم يكن حضر فيهم من حضر لاستوصلوا ومزقوا شذر مذر (٣)

١ - رحلته المسماة بنيل المفاز ٦١ بذييل رلة الحجازية الأولى .
٢ - انظر رحلته المسماة بنيل المفاز ٦١ ٣ - نفس المصدر ٦٤ .

الباب الثالث

الشيخ ابراهيم انياس في نيجيريا

من الأسف أن الشيخ ابراهيم انياس قد اختصر بيان رحلته الحجازية الأولى اختصاراً حيث أضرب فيما أضرب عن ذكره ما دار بينه وبين أمير كنو الحاج عبدالله بايرو من الكلام عند فراقهما اثر الفراغ من أداء مناسك الحج إلا أن المخبرين حدثونا بأن الأمير قد طلب منه أن يزوره في مدينته وقبل الشيخ الدعوة (١).

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ ابراهيم قد جاء من كولخ في الجمهورية السنغالية إلى نيجيريا بعد الحجّة التي لقي فيها أمير كنو بحوالي تسع سنوات أي إنه جاء في حدود ستينيات القرن الرابع عشر الهجري وأربعينات القرن العشرين الميلادي وقد نظم ذلك بعض أتباعه الكنويين فقال :

بآخر رجب يوم سبت أتيتنا
بشمس وقد سرت من بعد ستة (٢)

أي أنه جاء في آخر شهر رجب سنة ١٣٦٤ هـ ثم غادر إلى وطنه بعد أن مكث ستة أيام في كنو وعلى أي حال فإن الشيخ قد انتهى إلى مدينة كنو من لاجوس ،

١ - مقابلة مع الحاج ابراهيم طي بتا في منزله بجارة كوراوا في مدينة كنو ١٠/٢/١٩٧٧ م .

٢ - كتب الحاج المعلم بلو شيخ الهادي هذا البيت على ظاهر غلاف كتابه الموسوم تنبيه المحتاج في معرفة مشكلات صاحب المعراج وأخبرني بأن البيت ليس من نظمه .

ولا يعرفه أحد حيثئذ سوى الأمير الحاج عبدالله وواليه السيد الحاج سليمان بن اسماعيل وبعض من حج مع الأمير في تلك السنة من خدمه ورعيته فأنزله الأمير في منزل الضيوف الحكومي المعروف بـ (غدن هظي) وفي هذا السفر وزع الشيخ نسخاً من كتابه كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس على بعض من حضره من علماء كنو التجانيين قبل أنها خمس نسخ جاء بها في حقيته .

ولم يجتمع الشيخ في هذا الوقت مع كبار القلمين التجانيين الذين كان لهم الاطلاع في علوم التصوف والطريقة مثل الشيخ أبي بكر مجنبوا .

هذا هو ما أنجزه الشيخ في هذا السفر فرجع بعد أن قضى ستة أيام أو ثمانية في بعض الروايات .

ثم جاء الشيخ إلى نيجيريا مرة أخرى وقد نظم السيد المختار بن حامد هذا السفر بغاية الإيجاز ، إلا أنه من الأسف قد أغفل تاريخ السفر اغفالاً تاماً ، حيث لم يفدنا إلا بالمدة التي استغرقها السفر فقط ، وهي من اليوم الخامس عشر من جمادى الثاني إلى الخامس عشر من رجب الفرد ، أي إن السفر قد تم في مدة ثلاثين يوماً وعلى أي حال فإن الشيخ ابراهيم قد زار نيجيريا للمرة الثانية من طريق الجو ، فزل بلاجوس العاصمة أولاً ثم واصل سفره جواً أيضاً إلى مدينة كنو ، فألقى فيها عصا تسياره ، وقد كانت الفكرة عنه وعن مقامه في الطريقة التجانية بدأت ترسخ في أذهان علماء نيجيريا في هذه المرة خصوصاً التجانيين منهم ، ذلك بفضل كتابه كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس الذي ألفه للتعريف بنفسه ، والذي وزعه - بهذا القصد - فور وصوله إلى كنو في قدومه الأول ، ومن أجل ذلك ما كاد نبأ مجيئه هذه المرة يصل إليهم حتى ازدحموا في مطار كنو منتظرين نزوله بفارغ الصبر ، فرحبوا به ترحيباً حاراً وأنزله الأمير الحاج عبدالله بايرو - لأنه في الحقيقة ضيفه - في بيت (تروما) ابنه الأكبر وولي عهده (١).

١ - مقابلة مع الحاج المعلم بلو السابق ذكره آنفاً في منزله بحارة ياكاسي في مدينة كنو ١٠/١/١٩٧٧ م.

ولما استقر به المقام بكنو عقد مجلساً علمياً ، بث فيه دعوته ونفخ في الحاضرين من روحه ، ما عسى أن يجذبهم اليه بمغناطيسه الروحية ، ويستحوذ على قلوبهم بدرر علومه العرفانية الفياضة ، فألقى محاضرة قيمة في علوم الطريقة والحقيقة ، العلوم التي ليس لأكثر علماء نيجيريا باع فيها حينئذ ، فدهش العلماء وأعجبوا به ، إذ أنه أتاهاهم بما لا يتوقعونه من دقائق علوم التصوف ، بحيث لم يترك في قلوبهم فراغاً للشك في أنه ولي هذه العصر وكامله ، بل اعتقدوا بكل إخلاص أنه هو القطب الغوث في هذا الزمان (١).

ولما انقضى المجلس وحفظت المحاضرة اهتزت المدينة واضطربت ، فهاجت وماجت ، فلهج الناس بذكر الشيخ إبراهيم ، التجانيون يطربون ويمرحون لأن اليوم صار عيداً لهم أيما عيد ، وغيرهم يستهزئون ويسخرون ، لأنهم لا يريدون الأمر إلا نوعاً من الدجل الداهم عليهم في بلادهم ، واكتظ منزل الشيخ بوجوه أهل كنعو العلماء والأمراء يبايعونه ويتبركون به ، وأول من طلب منه تجديد الأذن في الطريقة هو السيد محمد أجود ابن الوالي الحاج سليمان بن اسماعيل ، فجدد له ، ثم تقدم المقدمون فجدد لهم ، وهكذا ، ثم أفاض الشعراء منهم في تقريرض الاشعار يقرظونه بقصائد عربية وعجمية ، ثم رجع إلى وطنه جزلاً بما كتبه الله له من الظفر ، حيث فتح له نيجيريا على مصراعيها واستولى عليها بخذافيرها بدون مقاومة ولا مجاحفة (٢).

هذا وإن خبر الشيخ إبراهيم في هذه المرة قد فشا وانتشر في جميع أنحاء نيجيريا طولها وعرضها ومن ثم شرع المتحمسون يسировن اليه عسى أن يصفو لهم الوقت معه هنالك بمقره في وطنه البلاد السنغالية ، حيث إنهم محرومون من ذلك هنا في نيجيريا لاحتجابه عنهم بالعظماء والكبراء ، ولاستئثار الآخرين بشرف خدمته دونهم ، وخصوصاً أنه قد دعاهم إلى زيارته في مكانه صراحة .

وقد مرت بنا رسالة كتبها الشيخ يندد فيها بتعطيل المريد لزيارة شيخه ، حيث

١ - السيد المختار بن حامد : تذكرة من كانوا في السياحة بالطائرة إلى كنعو بذييل كتاب الرحلة الحجازية الأولى . ٢ - نفس المصدر ٢٤ .

اعتبر ذلك دليلاً قاطعاً على عدم صدقه في الإرادة ، كما صرح بأن المريد لا يترقى إلى ذرى قنن المعرفة بتقرب أفضل من الزيارة (١).

وإلى ذلك أيضاً يرمي بقوله :

ففاض مني سره فلا أحد	يقصدني ما عرف الله الصمد
سواء الكبار والصغار	قد قرب الحبيب والمزار
سواء الصبيان والنسوان	سواء الصعلوك والسلطان

وقوله :

إن الذين خلموني نالوا	مرادهم سعادة ومال
من عاش شاهداً عياناً ومن	مات يفز وذاك كل الزمن
ومن يحبني ومن يراني	في جنة الخلد بلا بهتان
إذ أنني خليفة التجاني	موهبة من أحمد العدناني
من شك في ذا فأرى وأسمع	من حيث لا يرى الفنى ويسمع

لقد سبق ذكر هذه الأبيات كلها عندما ذكرنا طرفاً من شطحاته ، ومن أجل هذا غامر هؤلاء بحيانهم للذهاب إليه ، وتحملوا مشقات السفر وويلاته ، وصابروا طول الطريق والتوائه ، وقاسوا عمق الفجاج ووعورتها إليه ، منطوين في صدورهم مقاصد مختلفة وأهدافاً متباينة ، وبعضهم يدفعه إلى السفر شدة شوقه إلى معرفة الله من طريق التربية الصوفية ، بينما كان دافع البعض إلى السفر هو رجاء الفوز بخدمته ودوام النظر إلى طلعه البهيجة ، كي يحظى بدخول الجنة غداً من دون سابق حساب ولا تفتيش ، حينما كان دافع البعض الفرار من ويلات الدنيا والتخلص من تكاليف الحياة الشاقة ، كما أن دافع البعض الحصول على الثراء الواسع ليضمن لنفسه ترف الحياة ورغد العيش ، وأما الذين لا يجدون إلى المسير إليه سبيلاً لسبب أو آخر فإنهم

١ - الشيخ إبراهيم انيس : جواهر الرسائل ٢٧/١

انتظروا مجيئه إلى نيجيريا مرة أخرى بفارغ الصبر .

على هذا الشكل تطور الذهاب إلى كولخ أو زيارة الشيخ ابراهيم في كولخ ،
بعبارة أخرى في الأيام التالية إلى شيء ذي أهمية كبرى عند جميع أتباعه العلماء
والأمراء والدهماء على السواء ، بل هو عندهم بمنزلة الحج الأصغر ، أي إن السفر
إلى كولخ لزيارة الشيخ ابراهيم يلي السفر إلى الحرمين لأداء ناسك في الأهمية عندهم ،
وقد صرح بذلك بعض المتقدمين النيجيريين من أتباعه في معرض رده على من تقدمهم
في ذلك ، حيث ألف كتاباً خاصاً لهذا الغرض وأسماه (جواب السائل في كون تكرار
زيارة الولي قربة عظيمة وأفضلها اليوم بعد الحج والمدينة النبوية زيارة صاحب "مقيضة
في مدينته الكولخية (١).

إلا أنني فهمت من خلال استخباري لهم في أثناء البحث أنهم أو بعضهم بعبارة
أخرى قد علق سفرهم إلى زيارة حضرة كولخ على سبب آخر زيادة على ما تضمنته
تلك الرسالة والأبيات السابقة وهو أن الشيخ ابراهيم قد كتب العبارة الآتية على جدار
مسجده وهي « مقام ابراهيم من دخله كان آمناً بهداه » هذه العبارة قد وضعت بدقة
حيث ضمنت تاريخ بناء المسجد ، أي إذا حسب عدد حروفها الأبجدية بحسابها الحلمي
يخرج التاريخ وهو ١٣٥١ هـ (٢) ومن أجل الفوز بالهدى المذكور في العبارة كانوا
يردون إلى كولخ بكثرة لزيارة الشيخ ولأداء الصلاة في المسجد .

ومهما يكن من شيء فقد أصبح للشيخ ابراهيم في نيجيريا أتباع لا يحصون عدداً
بل لا أكون بعيداً عن الصواب إذا ذهبت إلى أن التجانيين كلهم — ما عدا شرفة

١ - الحاج يوسف بن عباد الله اللوكوجوي : كتاب جواب السائل ٢

٢ - لا تناقض بين هذا وبين ما قرره السيد علي سيس في تصدير كتاب كاشف الألياس لأن البناء قد ابتداء في
شهر ذي القعدة أي في آخر تلك السنة وأخذ سنة كاملة وبضعة أشهر قبل أن يتم وهذه مدة وجيزة إذا
نظرنا إلى فقر البلاد وكون الشيخ حينئذ ليس مستقراً استقراراً تاماً في كولخ بل إن مكته في كوس
أكثر منه في كولخ ولذلك قال السيد علي سيس أن البناء قد تم في مدة يسيرة لم تجد العادة بأن يتم مثل هذا
البناء في مثلها تصدير كاشف الألياس رقم ١ استفتد الذي قرره في مقابلي مع السيد ابراهيم النائب
وهو من كبار تلاميذ الشيخ ابراهيم النيجيريين في منزله ببلدة بكر في ولاية - بلاكو) .

تعد على الأصابع أو بعبارة أخرى لا يعتد بهم - قد انتظموا تحت سيطرته وقيادته الروحية هذا بالإضافة إلى العدد الكبير الذي انخرط في سلك الطريقة التجانية عندئذ تحت تأثير أخباره العجيبة التي تصل إليهم باستمرار من طريق المتحمسين الذين لا يعرفون الهوادة أو التواني في الدعاية له .

ومن أجل ذلك لما أعلن الشيخ أنه أزمع على السفر إلى الحرمين للحج مرة أخرى وأنه يمر بنيجيريا للمرة الثالثة جعل التجانيون على اختلاف طبقاتهم يردون إلى مدينة كنو من كل صوب في أنحاء نيجيريا كما اجتمعوا بلاجوس العاصمة أيضاً وعندما هبطت الطائرة التي تقله في مطار كنو أدركت الحكومة أن العامة والدهماء من أتباعه والذين اختلطوا بهم من الغوغاء يمزقون جسمه شذر مذر إن لم تتخذ إجراءات أمن مشددة لحمايته منهم فبعثت جراء ذلك بفرقة من الجنود وطائفة من الشرطة وقد ذكر الشيخ نفسه كل هذا فقال :

ردني الحيوش والنصارى	خوفاً علي وهم حيارى
لداخل الطائر قد تحقّقوا	أني عطبت ولدي حلقوا
سار معي ثروم قد أصعدني	لقصره لأجل أن يومني
بتنا وما أمكنني الخروج	ولا هم أيضاً لنا ولوج (١)

وحملة القول إن التجانيين النيجيريين قد قبلوا دعوة الشيخ إبراهيم بكل إخلاص ، وصدقوه في جميع دعاويه تصديقاً قاطعاً ، وأحبوه بقلوبهم وقواً بهم ، وعظموه تعظيماً بالغ النهاية ، بشكل لم يتوقعه هو نفسه ، بل لم يخطر بباله قط أنه سيجد قبولاً حاراً جازماً لا تردد فيه من علماء نيجيريا الذين نشأوا على دراسة الفقه والتباهي به - في عقر ديارهم بين قومهم الذين يحترمونهم ولا يسمعون إلا قولهم ، ولا يمثلون إلا أمرهم ، ولا يصدقون إلا بما صدقوا ، وقد صرح الشيخ أيضاً بتعجبه من ذلك حيث قال :

١ - الشيخ إبراهيم انياس : رحلة نيل المفاخر بذيّل الرحلة الحجازية الأولى ٥٩ .

حين نزلت ثم قد دهانسي
وقد تيقنت بأن الله
صرت أقول أين ذا الشيخ الذي
وأين برهام وما برهام
والله لولا أنني فنيست
لأنني أنا الحقير الجاني
عاملهم بظنهم من ستر
ما لم يكن والله في حسابني
يجري الأمور كيفما يراها
تعنو له رقة كل جهدي
حتى فنوا في حبه وهاموا
في الشيخ أحمد حياء مت
والله ما تبست راني جان
سوء صفاتي وحسنا أظهرها (١)

هذا وعندما بلغ سائر التجانيين في الأفطار المجاورة أن جمهور التجانيين من علماء كنو ومن كان على شاكلتهم من سائر مقلدي التجانية في نيجيريا قد سلموا إليه قيادهم فتحوا له هم الآخرون أبواب قلوبهم على مصراعها ، وقبلوا دعوته مخلصين ، وانضموا إلى حزبه مسرعين ، ولا أدل على ذلك من قوله في أهل أنكرا عاصمة غانة وأهل كماشى عند عودته إلى مقره من هذه الرحلة المكلفة بالنجاح والانتصار .

وجئت بعد أنكرا وإنسي
جاءوا إلى الدخول في الطريقة
وقد أتى أهل كماشى موهنا
أهل كماش أهل دين ورسوخ
يومي بأنكرا تقضي حزني
فوجاً وفوجاً أسلموا حقيقة
جاء الكبير في الصباح معلنا
فمثلهم في الناس مطلب الشيوخ (٢)

قال هذه الأبيات في رحلته الثالثة إلى نيجيريا ولا تنسى أن الشيخ نفسه هو قائل هذين البيتين الآتين في أهل كنو وأهل أنكرا في رحلته الثانية إلى نيجيريا قبل تسليم الأخيرين له :

بكانو لي أحبة وكانوا
لكن أنكرا إلى تكررادي
أهل هداية ودين كانوا
ما بلغتهم دعيوة من هادي (٣)

١ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٥٨ ٢ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٦٩ .
٣ - السيد المختار بن حامد : المصدر السابق ٥٠ .

ومهما يكن من شيء فإن الحال قد استمرت على هذا الشكل فكان الشيخ يرد إلى نيجيريا من حين إلى آخر فكان مجيئه في كل مرة عيداً لشيوخ كنو وربيعاً للمقدمين القادمين من أقاليم شتى في داخل نيجيريا وخارجها وموسماً هاماً لعامة التجانيين وهلم جرا .

التربية الصوفية التجانية الانبساطية في نيجيريا

التربية الصوفية معروفة في نيجيريا قبل أن يؤسس الشيخ التجاني نفسه طريقته ، لقد ألف الشيخ عثمان بن فودي كتاباً بعنوان (أصول الولاية) فناقش فيه التربية الصوفية وشروطها ، وشروط الشيخ الربيعي وآداب المريد معه ، وكيفية السلوك ، ثم بين أن التربية المصطلحة هذه أمر أحدثه المتأخرون من المشايخ الصوفية ، وأما الشيوخ القدامى فليس لهم نظام معروف للمشيخة ، ولا اصطلاح مألوف للسلوك ، وإنما هو الصحبة واللقاء فقط ، فاذا اجتمع الطالب بالاستاذ استفاد من رؤيته ومعاشرته أحوالاً ، وان معتمدهم في ذلك هو قوله تعالى : « واتبع سبيل من أناب إلي » وبيّن أيضاً أن هدف الصوفية من وراء تربيتهم هذه ، هو الوصول إلى العلم الحقيقي بالله تعالى ، ثم نبه على أنه ليس المراد بالعلم الحقيقي أن يصل العبد إلى ادراك حقيقة ذات الله تعالى وصفاته ، وإنما المراد هو أن يصل العبد إليه تعالى بعلم ذوق مستغن عن الاستدلال بمخلوقاته ، وهو غاية سلوك السالكين ، ومنتهى سير السائرين ، هذا كله بعد أن ذكر طرفاً من الأذكار التي يستعينون بها إلى هذا الوصول (١) .

وأما الشيخ إبراهيم فقد سبق أن قلنا أن أول ما فعله عندما جاء إلى نيجيريا في رحلته الأولى أن وزع نسخاً من كتابه كاشف الالباس على العلماء ، وقد تكلم في الكتاب على الفيضة التجانية ، وصرح بأنه هو صاحبها الحقيقي الذي تظهر على يديه ، وتكلم على التربية ، وبيّن أنها من أسهل الأشياء في الطريقة التجانية ، إذ كانت خالية

١ - الشيخ عثمان بن فودي : كتاب أصول الولاية ص ١٦ - ٢٢ .

خلواً تاماً من المجاهدات النفسية ، والرياضات البدنية ، واعتزال الخلق والتزام الخلوة ، وغير ذلك من أنواع التشديد على النفس التي اصطلاح عليها بعد مضي عصر السلف ، بل إن أذكار الورد كفيلة بالتربية في الطريقة التجانية ، حيث أن المريد التجاني يصل إلى الله وهو على حاله دون تغيير ، وتكلم أيضاً على وجوب طلب الشيخ المرشد ، أي المربي وصفته وحال المريد معه ، حيث بين أن شيخ التعليم الذي يؤخذ عنه العلوم الشرعية ليس هو المقصود في هذا الشأن وإنما الشيخ حقيقة هو الذي يأخذ بيد المريد حتى يلقي به بين يدي ربه ، ويقول له : ها أنت وربك ، وبين كذلك أن هذه التربية التي يقوم بها هذا الشيخ كان الأنبياء هم الذين كانوا يأتون بها من الله ، حتى بعث خاتم النبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فبعد وفاته كان يقوم بها نيابة عنه كمل المشايخ من أمته ، ثم أشار أخيراً إلى أنه من أكابر هؤلاء الكمل . ثم تكلم على العلوم التي يحصلها الصوفية من وراء تربيتهم هذه ، حيث بين أنه من بدء الإسلام وإلى هلم جرا لا يوجد من آتاه الله هذا العلم إلا وقد سلم له أئمة ذلك العصر وعلماؤه وتواضعوا له وتبركوا به ، ثم حذر من الانكار على أهل الخصوصية الذين أوتوا هذا العلم ، ثم تكلم عن سواء الجسم حيث بين أن سواد الجسم لا يمنع من بلوغ درجة المقربين (١).

هذا بعد أن قرر في مقدمة الكتاب أن الإسلام يعلو دائماً ولا يعلو عليه إذ لا عبرة في نظره بكثرة الفساد في هذا العصر لأن الشر لا تكون له اليد العليا في العالم إلا بعد وفاة عيسى عليه السلام وذلك لا يكون إلا بعد أن يقتل الدجال ويعيش أربعين سنة ، ولا يأتي الدجال إلا بعد خروج المهدي بسبع سنوات على رأس المائة الرابعة بعد الألف من الهجرة النبوية (٢) .

ولعل هذا الكلام مبني على العقيدة الصوفية ، ومعناه أن الخير هو المتغلب في العالم ما دام الاقطاب موجودين يأتون بالتربية من حين إلى آخر ، ولا ينقطع إتيانهم إلا بعد وفاة عيسى ، لأنه هو خاتم الأولياء على العموم ، وأنت تعرف كيف كانت

١ - الشيخ إبراهيم انياس : كاشف الالباس ٧٦ و ٥٣ ٢ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ٢٣

فكرة ظهور المهدي عالقة في أذهان هؤلاء العلماء ، ثم أضف كل هذا إلى ما وصل اليهم من أشعاره الشطحية كقوله فيما تقدم :

أرجى لقاء المهد عوناً ومرشداً له كل حال في رضاي مجالسه

فتمسي النصارى كالجديد تشعشت عليه ذكاء كلهم ضاق حاله (١)

أي إنه يرجو أن يظهر الامام المهدي وهو في قيد حياته وإذا تم هذا فإنه أي الشيخ إبراهيم هو الذي يساعده ويرشده ، بحيث لا ينفذ المهدي أمراً من الأمور إلا برضاه ، وهذا مبني على أساس مبادئ الطريقة التجانية حيث قال الشيخ التجاني فيما روي عنه أن الامام المهدي المنتظر إذا جاء يطلب من أصحابه الفاتحة (٢) ومثل قوله في الأبيات السابقة أيضاً :

وإن شاء قواني لحمل خلافة

إلى قوله

فيختم عيسى لا تكون ولايته (٣)

وهذا أيضاً ربما كان مبنياً على أساس تعاليم الطريقة التجانية فمعناه أن المهدي إذا ظهر يكون من حزبه ومن أتباعه ، لأنه هو القطب الغوث في هذا العصر ، وأما المهدي فإنه من أهل الولاية الظاهرة أي أنه سلطان مثل هؤلاء السلاطين الذين سلموا له قيادهم (٤) ومن أجل ذلك هو الذي يأمر الامام المهدي بالجهاد وكسر الصليب ، وما إلى ذلك ، وإذا نزل عيسى عليه السلام ، فإن أتباع الشيخ إبراهيم هؤلاء هم رجاله وعندئذ تظهر الفيضة التجانية على أجلي مظاهرها وتبلغ أوج كمالها وهلم جرا .

ولما وقف هؤلاء العلماء على مضمون هذا الكتاب أو كاشف الالباس ذهبوا به إلى شيخهم لهذا الفن حينئذ وهو الشيخ أبو بكر مجنيوا فتصفح الكتاب ورده إليهم ثم بعد

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : ديوان شقاء الاسقام مجموع الدواوين ١٢٩ .

٢ - السيد محمد فتحا التظيمي : الدرة الخريدة ١/١٣٧ .

٣ - الشيخ إبراهيم أنياس : ديوان شقاء الاسقام مجموع الدواوين ١٣١ .

٤ - محمد بن عبدالله الشافعي : الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المرید التجاني ٢٦ .

أيام أشار اليهم بالبحث عن مؤلف الكتاب للاطلاع على بعض الاسرار التي أقام عليها أمره وللإقتباس من العلوم التي اختص بها فمن ثم عزم على المسير اليه الشيخ الحاج أحمد التجاني بن عثمان الكنوي والشيخ الحاج محمد الثاني بن الحسن الكافني الكنوي ورافقهما رجل قصاب يسمى مزاد وكان ذلك في حدود ١٣٦٥ هـ (١) .

فكان هؤلاء نفر الثلاثة أول وفد على الشيخ إبراهيم في مقره بكونج من النيجيريين لزيارته وللترية هناك كما كانوا أيضاً أول النيجيريين وقوفاً على أسرار التربية الإنياضية التجانية .

ثم في العام الثاني من مسيرهم إلى كونج ورد الشيخ محمد الهادي إلى نيجيريا وهو في طريقه إلى الحرمين لأداء فريضة الحج ويحمل معه رسالة من الشيخ إبراهيم إلى أمير كنو الحاج عبدالله بايرو ولم يتصل به من علماء كنو عندئذ إلا السيد الطاهر الدمغراوي المعروف بالماهر والسيد أبو بكر (نوالي) الذي أنزله الأمير عنده .

ثم واصل الشيخ الهادي سفره إلى الحرمين وعندما رجع اتصل به السيد محمد بلو المعروف الآن بـ (مالم بلو نشيخ الهادي) ولأزمه حتى أدخله في التربية هو والسيد طاهر الدمغراوي السابق ذكره وواحد آخر يدعى الحاج محمد طن بتا (٢) ثم اندفع كبار علماء كنو إلى منزل الشيخ الهادي ليسلكهم في التربية ، وكان هذا مبدأ دخول التربية الإبراهيمية التجانية في نيجيريا (٣) .

وقد أخبرني الشيخ الهادي نفسه بهذا الأمر في منزله بتنييل مورتانيا سنة ١٣٩٨ هـ و١٩٧٧ م وهو يعتقد أن ذلك من كرامات الشيخ إبراهيم ومن علامات كشفه ، ذلك لأنه لما أراد أن يحج ذهب ليستأذنه فقال له الشيخ في جملة ما أوصاه به إن لك في الطريق إخواناً خذ بأيديهم . ومها يكن من شيء فإن الشيخ عبدالله ابن المعلم محمد سلغا والشيخ أبا بكر عتيق والحاج الشيخ (ميهولا) والسيد محمد الخامس بن شعب وأخاه

٢ - مقابلة مع المعلم بلو نشيخ الهادي في التاريخ السابق .

١ - الحاج المعلم بلو نشيخ الهادي : المصدر السابق الورقة الرابعة .

٢ - مقابلة مع المعلم بلو نشيخ الهادي في التاريخ السابق .

السيد محمد العاشر والسيد عمر الفاروق ابن الشيخ عبدالله سلفا والسيد محمود ابن المعلم محمد سلفا والحاج عبد الرحمن والحاج أبا بكر الملقب (بنوالي) ثم الأسرة الحافظة لكتاب الله الحاج رابع وابنه الكبير الحاج اسحاق رابع هؤلاء كلهم كانوا من الدفعة الاولى الذين سلكوا في التربية عندئذ في يد الشيخ الهادي (١) .

ثم قفل الشيخ محمد الهادي راجعاً إلى وطنه فمر في طريقه بمدينة زاريا واتصل هنالك بكبار فقهاء مثل المعلم ماجي إسحاق والمعلم يهوذا ومن اليها وعندما وصل إلى كولخ وقدم للشيخ ابراهيم قائمة كبيرة تحتوي على آلاف من أسماء المريدين بعضهم جددوا الطريقة وبعضهم أسلكوا في التربية ووصلوا أمره الشيخ بالرجوع مرة ثانية إلى نيجيريا لأن هذه الجماعة الكبيرة المتزايدة من المريدين والأتباع لا ينبغي أن يتركوا دون مرشد قائم بأمرهم ، فمن ثم جعل الشيخ الهادي يتردد إلى نيجيريا كل سنة قرابة عشرين حجة ، وقد رأيت رسالة بخط الشيخ ابراهيم نفسه إلى الشيخ محمد غبريم الداغري مضمونها أنه أي الشيخ ابراهيم ليس له نائب في أمر التربية والطريقة وما إلى ذلك في نيجيريا سوى الشيخ محمد الهادي وحده وكل من إلى من كولخ إنما أتى لحاجة نفسه فقط (٢) .

وعلى أي حال فعندما رجع الشيخ الهادي في هذه المرة وجد أن ماجي اسحاق الفقيه الزكزكي المشهور قد توفي فنصح الشيخ يهوذا الفقيه الزكزكي الآخر بالدخول في التربية فقبل النصيحة ورحل إلى كولخ وتربى هنالك في يد الشيخ ابراهيم نفسه . وعلى هذه الصورة فشا أمر التربية في نيجيريا بشكل هائل لأن كل فقيه كبير أو متوسط تربى في كولخ أو في يد الشيخ الهادي هنا في نيجيريا يؤذن له هو الآخر في الأخذ بيد تلاميذه والطلاب القادمين عليه من القرى المجاورة لقريته في التربية ، وهذا القادم قلما يرجع إلى قريته دون أن يأذن له شيخه في التربية أو يقدمه لتلقين الطريقة للراغبين وهكذا .

١ - مقابلة مع المعلم بلونشيخ الهادي في التاريخ السابق
٢ - وجدت الرسالة عند الحاج عبد اليافي ابن الشيخ الحاج آدم الدنراوي بأزري في ولاية باوشي .

فحدث جراء ذلك تطور خطير في حياة هؤلاء المقدمين النيجيريين فلأنهم قبل ظهور حركة الشيخ ابراهيم كانوا فقهاء خالصاً أي كانوا إلى الفقه أميل منهم إلى أي فن آخر من فنون العلم الاسلامي ولا يفتخرون إلا به ولا يتباهون إلا فيه وكانت حياتهم كلها تسير على منهاجه ولا ينسجون أفكارهم إلا على منواله ولا ينظرون إلى الطريقة التجانية إلا بمنظاره فيفهمون أن مسائلها من موضوعات أبواب الفقه لأن العقيدة كما يتصورونها مبنية على ثلاث قواعد :

في عقداً شرعي وفقه ممالك وفي طريقة الجنييد السالك (١)

أضف إلى هذا كله أن آراء القاضي سكيرج والنظيفي في الطريقة هي السائدة حيثئذ في أوساطهم وهما معروفان بالاعتدال بعض الشيء في أوجه نظرهما وقد عكفا طول حياتهما على إحياء آثار الشيخ التجاني والدفاع عنه وعن طريقته ، ومن جملة ما قاما به صرف أتباع الطريقة التجانية عن دعوى المشيخة حتى لا يزاحموا الشيخ التجاني في مقامه كشيخ الطريقة ، وقد أفاض سكيرج في كتاب تنبيه الاخوان كثيراً بهذا وكذلك النظيفي في الياقوتة الفريدة وهو القائل :

ففروا من الدعوى ولا تنتموا لها وقولوا عبيد الله أدنى الخليفة (٢)

وهكذا فهم هؤلاء المقدمون أن الطريقة عبارة عن أذكار يقوم بها الشخص تطوعاً إحياء لوقته ، وتطهيراً لنفسه ، وتنبيهاً لقلبه ، وهلم جرا ، وإذا عثر على شيء من أقوال الصوفية الغامضة الواردة في كتب الطريقة يصرخون بجهلهم ، وإذا اطلعوا على كلام مضاد للشرع ، قالوا هذا كلام أولياء الله ، وكلامهم على أسرار مصونة لا يكشفها غيرهم ، ومصادق ذلك ما أخبرني به المعلم محمد الأوجراوي أن سبب ذهابه إلى كولخ للتربية أنه عثر على كلام في جواهر المعاني وسأل عنه الفقيه ماجي إسحاق السابق ذكره فقال له : إن مثل هذا الكلام لا يفهمه غير أهله ، إذ لو كان يفهمه بالدكاء لفهمناه ، ولكن لقيت رجلاً شريفاً يدعى محمد الهادي فأخبرني أن له

١ - الاندلسي عبد الواحد بن عاشر : المرشد المعين انظر شرح الميارة ١٢ .

٢ - الشيخ محمد السنوسي : الياقوتة الفريدة .

شيخاً عارفاً بالله اسمه الحاج ابراهيم يسكن في قرية تسمى كولخ في بلاد السنغال فمثل هذا الشيخ هو الذي يفهم مثلي هذا (١).

فما كان أحد منهم يسمى شيخاً بل وحتى الذين سبقوهم وعرفوا بصحة الدين وقوة الايمان وسمو الاخلاق ووفور العلم مثل أمير زنقر المعلم محمد بللو والقاضي محمد في مدينة باوشي والمعلم محمد سلغا والمعلم أبي بكر مجنيوا في كنو ووالي عمر وماجي اسحاق في زاريا ومن على شاكلتهم في جميع مدن نيجيريا ما كان أحد منهم يدعى بالشيخ ، بل قد لا أكون مبالغاً إذا ذهبت إلى أن النيجيريين لا يعرفون من يلقب بالشيخ في نيجيريا ، قبل مظهر الشيخ ابراهيم سوى أفذاذ يعدون على الأصابع الذين يعتبرون سلفاً لهؤلاء مثل الشيخ الطاهر الفلاتي البرناوي والشيخ عثمان بن فودين وأخيه الشيخ عبدالله بن فودين والشيخ محمد الأمين الكانمي وهلم جرا وكل من عداهم لا يدعى إلا بالمعلم والناس يبالغون في تعظيمهم واحترامهم لا على أنهم شيوخ طريقة أو مقدمون لطريقة بل لأنهم فقهاء حافظون للشريعة الاسلامية السمحاء وهم المرجع في كل ما أشكل من أمور الدين والسياسة والاجتماع إذ عليهم يعتمد الأمراء والدهماء .

ثم جاءهم الشيخ ابراهيم بمفهوم جديد للطريقة ليس جديداً لأنه أمر اختلقه من عند نفسه ولم يكن موجوداً من قبل لا بل كان موجوداً في الطريقة أو بعبارة أخرى أن الطريقة قد بنيت عليه وإنما صار جديداً لأنهم لم يفهموه من قبل وليس في مقدورهم فهمه لولا التربية ، فقد استطاعوا بفضل ما أدركوا في التربية أن يحلوا مسائل كثيرة عقدها عليهم الشرع في نظرهم ، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت أمور لاتزال في طي الخفاء فقد حالت دون إدراكهم لحقيقتها عقبات ليس من اليسور تغلبهم عليها — إلا أن التربية قد وسعت لهم دائرة خيالهم حيث أمكنهم تخيلها كما تخيلها قائلها الأول — لأنها لا تمت إلى ما أدركوه في التربية بصلة وإنما أقحمت فيه إقحاماً لغرض أو آخر ، ومن هذه الأمور القول بأن أهل الفيضة الشيخ ابراهيم هؤلاء هم الطائفة

١ - أخبرني بذلك السيد محمد الاجراري في منزل الحاج آدم الدمغراوي بأزري في تاريخ غير مسمى .

التي ذكرها الشيخ التجاني فيما روي عنه أنه قال إن طائفة من أهل طريقته لو اجتمع أقطاب أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعون ما وزنوا شعرة واحدة من رأس فرد واحد منهم ، ولا يستحق هذا الفرد هذه المرتبة طبعاً إلا بالتربية (١) والقول بأن أهل الفيضة قد وقعوا في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي تكون وراء دوائر الأمر والنهي والجزاء أي إن الله لا يبالي بكل من وقع فيها سواء أطاعه أم عصاه وهو ناج على كل حال ولا يقع في هذه الدائرة طبعاً إلا من تربى (٢) والقول بأن الله تعالى قد ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك ولا ينجو منهم أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني ولا تتحقق هذه المحبة طبعاً إلا بالتربية (٣) وهكذا وأمثال ذلك كثير .

فتأثر هؤلاء الفقهاء بهذه المبادئ والتعاليم الإبراهيمية التجانية ، واعتقدوا أن كل من أسلك منهم في التربية ونجح في الوصول إلى الغرض المنشود ، وأذن له هو الآخر في الأخذ بيد تلاميذه في التربية صار شيخاً كاملاً رفيع القدر متسماً ذرى قن جميع الدرجات والمراتب التي يتمتع بها شيوخ التربية من مشايخ الطرق الصوفية ، ولا بد لتلاميذهم أن يكونوا أمامهم كالميت بين يدي غاسله ، لا إرادة لهم ، ولا اختيار ، والشيخ هو صاحب القول الأول والأخير إذ أنه لا يسأل عما يفعل ، وكل من قال لشيخه لم لا يفعل أبداً (٤)

فمن ثم مضى تلاميذ كل واحد منهم يدعونه بالشيخ ، وإذا دعوت أحداً منهم بالمعلم أمام تلاميذه نظروا إليك شذراً بل يحملق إليك بعض المتحمسين منهم علناً فقسّموا البلاد بينهم كل له منطقة اختصاص سيطرته يعتبر سكان هذه المنطقة من التجانيين تلاميذه ، ويتمتع بولائهم له ، فمن ثم ذهب بعضهم يدعمون مقاماتهم السامية هذه عند تلاميذهم بأقوال مبنية على أساس هذه المبادئ السابقة ، بلغني أن

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٦/١ .

٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : السر الأكبر الورقة الثالثة وجواهر الرسائل ٣٤ .

٣ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٨/١ ٤ - الشيخ إبراهيم أنياس : كاشف الالباس ٨٠ .

واحداً منهم قام في تلاميذه فقال إن شعرة واحدة من رأسه أفضل من الشيخ عثمان بن قودين ، وهكذا وسواء قال ذلك أو نقول عليه فإن لسان حالهم وعقيدتهم تنطق به صراحة ٥

وما كادت هذه الأقوال تدخل في آذان بعض الدهاة من تلاميذهم - الذين لا يسرون معهم على حال ولا يرجون لله وقاراً - حتى اتخذوها طعمة لاقتناص أموال إخوانهم المغفلين ، وأسرعوا في البلاد يشيعون هذه الأقوال الزائفة ويثبون في أوساط الدهماء منهم أحاديث خرافية زائفة ، وقد قال لي أحد هؤلاء صراحة إن كل من تربى يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو مكث في الدنيا وليس له عمل إلا قتل الناس ، وهذا الكلام أيضاً مبني على المبادئ السابقة ، وأمثاله كثير جداً أضربت عن ذكرها كي لا أشحن كتابي بأقوال باطلة لا أساس لها من الصحة ، وإنما أوردت القولين السابقين على سبيل المثال فقط ولأنهما جاءا حسب ما تقرر في كتابات الشيخ إبراهيم نفسه .

وإذا فلت شيء من هذه الأقوال من أوساط أهل الفيضة إلى أسماع غيرهم من المسلمين حرفوها ، وزادوا عليها ونشروها بدورهم في الناس ، فإذا دارت ورجعت إلى أسماع المعتدلين من أهل الفيضة يثورون غضباً قاتلين إن هذه تقولات الأعداء تداع ضدّهم زوراً وهكذا .

لقد راع هذا علماء نيجيريا غير التجانيين لما كان يقرع أسماعهم باستمرار ، من هذه الأقوال الخارجة عن حظيرة الشريعة لا سيما إن الذين تولوا إشاعتها ونشرها بين الناس في القرى والبوادي أناس لا يعرفون بصحة الدين ، ولا يتمتعون بسمو الاخلاق ، وبضاعتهم في العلم مزجاة ، ولولا أن أمراء كنو وقليل غيرهم من أمراء نيجيريا ، وبعض كبار فقهاء كنو وزاريا وبعض مشاهير علماء الجهات الأخرى في نيجيريا يشاطرون الرأي معهم ، لقامت ضجة كبيرة في المجتمع الإسلامي النيجيري ، ولوقعوا في محنة شديدة ، ومع ذلك لم يسلموا في بعض الجهات من مقاساة شيء من الإضطهاد ، ومهما يكن من شيء فقد سكث كثيرون من العلماء الذين ينكرون هذه الحركة على ما في أنفسهم من مضض .

وعلى أي حال فإن سكت الكل فإن السيد الحاج أبا بكر محمود جومي لا يسكت عن مثل هذا الأمر ، فأرسل إلى الشيخ إبراهيم يستفتيه عنه لأنه كان منشؤه فقال : « يا مولانا الشيخ إبراهيم إنياس بعد كل الحفاوة والتقدير أرجو أن توضحوا لنا ما يأتي من أقوال الصوفية يرحمكم الله .

فنعندنا أناس من المنتسبين اليكم يزعمون أنهم يربون تلاميذ هم بخلوات يتعبد فيها التلميذ حتى يصل إلى درجة يقال إنه وصل فيها إلى المقصود ، وذلك هو أن ينظمس التلميذ في حال بحيث يجيب عن كل شيء يسأله شيخه عنه بأنه هو الله ، فلو سئل عن نفسه يجيب بأنه الله وعن كرسي أو أي شيء آخر يجيب كذلك ، فما حكمه في ذلك ؟ وما حكم هذه العملية شرعاً ؟ وإن صحت شرعاً فما تأويل معنى رب العالمين لمن وصل إلى هذا الحد ؟ وما الفرق بينه وبين الحلول ؟ أو قول النصاري أحد الثلاثة ؟ أفتونا يرحمكم الله واستندوا الحكم إلى أدلة قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة فلكم جزاء الخير من الله الكريم ومع الشكر الجزيل تلميذكم الراغب فيكم أبو بكر محمود جومي .

فأجابه الشيخ بقوله : « الحمد لله الواحد الأحد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والصلاة والسلام على رسول الهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل كان الله ولا شيء معه ، وقال علي كرم الله وجهه ، وهو الآن على ما عليه كان وبعد فأنك أيها الأخ الصالح والخل الناصح قاضي قضاة المسلمين بنيجيريا الحاج أبو بكر جومي كتبت تسأل عما يجري من السنة بعض من يدعي السلوك والوصول أو الفتح والفناء وهذه كلمات اصطلاح عليها أهل التصوف ، والمعنى واحد ، وكلهم في البداية ربما نطق بما ينحو نحو هذا عند محبتهم للحق وغرقهم في الحضور ، حتى لم يسمعوا ولم يبصروا شيئاً مما يجري في العالم ، فيقول الله على حال ولا يعني أبداً أن هذا الذي يراه يبصره هو الله سبحانه وتعالى كما وقع لنبي الله إبراهيم ، رأى كوكباً قال هذا ربي ، رأى القمر قال هذا ربي ، رأى الشمس قال هذا ربي ، وقال تعالى وما كان من المشركين ولو قصد أن الكوكب ربه لكان مشركاً ، فلهذا تجدد ذكر

لإبراهيم في القرآن مقروناً بنفي الشرك عنه ، وهذه الحالات كما يقول من يعرفها لا تدوم ، وعلى كل حال من نطق بما يخالف القرآن نكفروه نحن حماة الشريعة فان تاب ورجع عن ذلك فيما بعد قبلناه وعلى كل حال فيوجد صادقون وكاذبون .

ومن تحلى بغير ما هو فيه كذبت شواهد الامتحان

ونسأل الله تعالى أن يرينا وإياكم الحق حقاً ويرزقنا أتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، ويوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى والسلام » (١).

وبإمكاننا هنا أن ندرك أن كيفية التربية عند الشيخ إبراهيم هو إدخال المريد في الخلوة ، فيعكف على أنواع من الأذكار أو التعبد على حد تعبير السيد أبي بكر جومي يلزم ذلك أياماً حتى يصل إلى درجة يقال إنه وصل فيها إلى المقصود ، وهو أن ينظمس المريد فيها عن نفسه وعن كل شيء ، بحيث يجب عن كل شيء سأل شيخه عنه بأنه هو الله فلو سأل عن نفسه يجب بأنه الله أو عن كرسي أو أي شيء آخر يجب كذلك ، لأن الشيخ إبراهيم لم ينكر ذلك عندما وصفه له السيد الحاج أبو بكر جومي في رسالة فتواه بلى أثبتة صراحة بقوله : « وكلهم في البداية ربما نطق بما ينحو نحو هذا عند محبتهم للحق وغرقهم في الحضور حتى لم يسمعا ولم يبصروا شيئاً مما يجري في العالم فيقول ، الله ، على كل حال .

ولقد كتب رجل يدعى محمد بلو بن عمر إلى الشيخ أبي بكر عتيق الكنوي الكشناوي أحياناً - تتكلم عن حكم شيخ التربية وشروطه - من المباحث الأصلية مع شرحها ثم سأل هل علم أو سمع بمن اتصف بهذه الصفات أو اشترط بهذه الشروط ؟

فكانت إجابة الشيخ عتيق تتلخص في أن شيوخ التربية موجودون بكثرة في كل زمان ومكان ، إلا أن معرفتهم والاتصال بهم ليس ميسوراً لكل أحد ، ثم أيد رأيه هذا بقول ابن عطاء الله : « سبحانه من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل اليهم إلا من أراد أن يوصله إليه » . ثم ذهب إلى أن تلك الشروط

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : اجابة لفتوى الحاج أبي بكر جومي .

المذكورة في الكتب ليس بـلازم أن تتوفر في كل ولي فإن كان هناك ميزان لمعرفة الولي من غيره فإنما هو التقوى والاستقامة على قدر الطاقة فقط .

ثم بين أن الأولياء حجباً كثيرة يتسترون وراءها أو بعبارة أخرى يبشرهم الله بها حتى لا يتصل بهم من لا نصيب له عندهم ومن هذه الحجب المماثلة ، والمعاصرة ، والمجاورة ، وهذه الثلاثة هي أكثف حجب ستر الله بها أوليائه ، ومن ذلك اعتقاد أن الولي له صفة مخصوصة يتميز بها عن بقية الناس ، وكذلك اعتقاد أن الأولياء لا يوجدون في بعض الأزمان ، ثم أكد وجودهم في كل زمان بما جاء في شرح المباحث الأصلية ولطائف المنن من أن هناك عدداً معلوماً من الأولياء في كل زمان وهو ١٢٤٠٠٠ ولو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها ثم قرر أن فساد الوقت لا بسبب ذهابهم ، وفناءهم ، وإنما بسبب اختفاءهم فقط ، ثم ذهب إلى أن الأوقات كلها سواسية عند الله أي لا فرق عنده بين وقت نبيه آدم ، وبين وقت نوح ، ولا بين وقت نوح وبين وقت إبراهيم ، وهلم جرا ، إلى وقت نبينا محمد عليه وعليهم جميعاً أزكى صلوات الله وسلامه ، وكذلك لا فرق بين أوقاتهم وبين أوقات الأولياء إلى يومنا هذا ، ثم ختم كلامه بتقرير أن الطريقة التجانية خالية من هذه الشروط المطلوبة من الشيخ المرابي ، فقال « ثم أعلم أن ما ذكر في الكتب من الشروط التي هي لازمة للمرابي هي خارجة عن طريقنا الأحمدي التجاني وليست بمشترطة فيه ... » (١).

ومهما يكن من شيء فإنه قد نتج من جراء انتشار هذه التربية في نيجيريا وجود طائفة من الدجالين الذين يحولون في البلاد يدعون المشيخة ويسلكون الناس في تربيتهم الزائفة ، وكانت تذاع عنهم أخبار طريفة مضحكة من نوع ما جاء في كتاب (الثقافة العربية في نيجيريا للدكتور علي أبو بكر) انظر صفحة ٢١٦ من ذلك الكتاب .

وأفزع من هؤلاء شراً هو من يعرف بعبدالله جعفر وهنالك أيضاً رجل آخر من قرية (فالالي) بمديرية كنو وهو الذي خط شيئاً بجانب زاويته وسماه الصراط يدعو

١ - الشيخ أبو بكر عتيق : رسالة مفيد الخلاص واثبات وجود المرابين ١ - ١١ .

جهال أتباعه إلى عبوره في مقابل غرامة مالية يقدمونها إليه ، ويعتقد كل من عبه أنه انتهى واستراح من عبور الصراط يوم القيامة ، وما استراح الناس من شره حتى سجنه الحاج محمد سنوسي بايرو أمير كنو في ذلك الوقت ، وهناك آخرون أيضاً ولا يدل على كثرتهم وتفاقم شرهم إلا الرسالة التي كتبها الشيخ إبراهيم في شأنهم إلى بعض الصادقين من تلاميذه وجاء في الرسالة : « فلاني أرسلت اليكم بنسخ من كتاب كتبتة إلى الأخوان واجتهدوا في تبليغها للعام والخاص واعلموا أن التصوف معرفة وعبادة وزهادة ، ومن خلا من هذه فهو مدع هالك لا نجاة له ، وكثير من الناس تصوفهم في ألسنتهم ، ومعبودهم الدنيا ، وشهواتها ، فليتي لم أعرف أولئك ولا عرفوني ، إن لم يداركهم الله بالتوبة وأنا جعلتكم في خدمة وهي أن تبلغوا الناس وتقرأوا لهم وصاياي ومن سمع لكم فقد تقبلت توبته ومن لا فليس مني ولا بد من التوبة والاستقامة والعبادة الخالصة لله وبر الوالدين والجد في اكتساب المال الحلال والعلم الظاهر » (١).

فأما عبد الله جعفر لما استطار شره وخاف شيوخ كنو من أن يصطلوا من طريق أو آخر بنيران هذا الشر المستطير رفعوا أمره هو ومحمد الثاني بن محمد الأول إلى الشيخ فكتب في شأن الأول ما يلي :

« السلام عليكم أصحابنا وأحبنا أنصار الدين والطريقة بعد ما بعثت اليكم بالرسالة الأولى سمعت بخبر عبدالله جعفر الذي حاولت مراراً هدايته إلى الصواب فأبى إلا أن يتبع نفسه وشيطانه ودنياه وهواه ولعل الله أراد به الشقاء وقدر رفعت عنه الإذن ورب جبريل إن أراد خيراً وأراد البقاء في صحبتنا فليصحب كبراء أصحابنا ويسلك طريقهم ، فالدين لله لا يتخذ لهواً ولا تجارة ولا شهوة بل إنما هو جهاد أصغر وأكبر وما سوى ذلك فطريق الشيطان فإن لم يقبل هذا فاطرده من جمعكم ، وقد رفعت الإذن عنه ، وخليت بينه وبين نفسه والسلام » (٢).

ولما بلغ عبدالله جعفر أن الشيخ إبراهيم قد رفع عنه الإذن وأمر أصحابه بطرده

٢ - الشيخ أبو بكر عتيق : المصدر السابق ٦

١ - الشيخ أبو بكر عتيق : الرسالة المعجلة ٥

من أوساطهم ظن أن هذا مكيدة مدبرة من قبل شيوخ كنو كادوه بها عند الشيخ ليستولوا عليه وعلى مملكته ، فرحل توأ إلى كولخ حيث لزم باب الشيخ مظهر آ التوبة والندامة والتذلل حتى استمال شفقتة ورحمته اليه وأمر بكتابة إذن جديد له بشرط أن يمر بكل مكان عاث فيه ليردهم إلى الجادة ، ولما رجع من كولخ بهذه الإجازة الجديدة اتخذها أداة لاستمالة أصحابه اليه من جديد ، كما جعلها طعمة لقنص أموالهم أيضاً ، ثم استعمالها بعد ذلك كله سلاحاً لمهاجمة هؤلاء الشيوخ الذين ساء بهم الظن ، فاغتاز لذلك الشيخ أبو بكر عتيق الذي تولى بكل جد وبكل إخلاص الدفاع عن حوزة الطريقة التجانية بخذافيرها ، فكتب رسالة بعنوان (الرسالة العجلة في التحذير من الدجاجة) وجاء فيها : « كتبت هذا التنبيه لأنني سمعت أن عبدالله جعفر لما رجع من كولخ يزعم أنه وجد الإذن من الشيخ وسيمر بسائر البلاد التي مربها أولاً ليجدد لهم الإذن فيها هو يدعي الدعاوى الكاذبة ويحط على غيره من الأكابر ليعتز هو بذلك تكالفاً على الدنيا وإعجاباً بنفسه كما هي عادته أو لا بل رجع إلى فساد أكبر من الأول ، وهو الخط عن أكابر الطريقة الذين هم خلفاء الشيخ صاحب الفيضة حقيقة مع جهله هو حتى بأدنى مراتب العبودية وأركانها ، والأعشى لا يقود البصير وكونك لم تدخل في الطريقة مع محبتك في الشيخ المحبة الصادقة خير لك من أن تتلقى من ألف من مثل هذا البطال الفتان » (١) .

وأما محمد الثاني بن محمد الأول فإن الشيخ كتب في أمره ما يأتي : « ومحمد الثاني من أتباعي ومن أجزت وطبعه للسند ليس عن أذني فليتدارك » (٢) .

مشكلة القبض

لقد أغرم أتباع الشيخ ابراهيم بحبه والمبالغة في تعظيمه وتقديره والمبادرة إلى تقليده في جميع أعماله الدينية والعادية ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً حتى كان من السهل

١ - الشيخ أبو بكر عتيق : المصدر السابق ٦ .

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : المنشور الذي كتبه لأجل حركة الدجالين من تلاميذه .

جداً تمييز أتباعه من غيرهم في المجتمع الإسلامي النيجيري ، ومن جملة ما يقلدونه فيه من الأمور العادية الاقتعاط في التعمم وارسال اللحى والعدار ، ومن الأمور الدينية الجلوس على أطراف القدمين وقبض اليدين تحت الصدر في الصلاة .

ولم توجد مشكلة من بين هذه الأمور الأربعة أثارت الهرج والمرج بين المسلمين في نيجيريا مثل مشكلة القبض هذه ، ولم يقف ذلك في نيجيريا فحسب بل قد شمل بعض أقطار أفريقيا الغربية أيضاً ، لقد أخبرني الشيخ محمد الهادي في منزله بحاضرة تنبيل في مورتانيا (١) أنهم ما شاهدوا مشكلة أثارت فتنة مزعجة كادت تفرق جماعتهم وتدخل العداوة والبغضاء بين قبائلهم ، مثل مشكلة القبض هذه ، وما سكنت نائرة هذه الفتنة رغم وجود الرسائل المتكررة التي بعث بها الشيخ حتى سار بنفسه اليهم .

ونحن هنا لا يهمنا عند مناقشة مشكلة القبض في نيجيريا هذه التحرشات التي أحدثها القبض بين عوام التجانيين وبين غيرهم ، الأمر الذي أفضى في بعض الجهات والأوقات إلى تدخل الحكومة فيه ، وإنما يهمنا خوض العلماء غمار هذه المنازعات الجافة من أجله .

ومهما يكن من شيء فإن أئمة التجانية وجدوا أن الشيخ إبراهيم كان يقبض يديه في الصلاة فذهبوا يقتدون به في ذلك ، وأخذوا عنهم تلاميذهم ونشروه بدورهم في المجتمع التجاني النيجيري أو في أوساط أهل الفيضة ، بعبارة أصح حتى صار القبض شارة مميزة لأهل الفيضة من غيرهم ، ولما رأى ذلك غيرهم من المسلمين أعلنوا النكير عليهم ولم يقتصر إنكار القبض على العوام فحسب ، بل شمل العلماء أيضاً ، وقد بدأ النزاع أول ما بدأ شفوياً بين أهل الفيضة وبين غيرهم ، وعندما تفاقم الأمر وكاد أن يفضي إلى المناوشات أرسل الأولون إلى شيخهم بحضرة كولخ يستفتونه في الأمر ، ويشكون إليه ما بناهم من المضايقات من أجل اقتدائهم به في القبض ، فأرسل اليهم كتابه الموسوم برفع الملام عن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنعام ، والظاهر أن الشيخ

إبراهيم قد ألف كتابه أو بعبارة أخرى أرسل كتابه تثبيتاً وتشجيعاً لقلوب أتباعه فقط ، ولم يرد به إقناع المتكرين لأنهم في غنى عن كتابه لو كانوا يريدون أن يقبضوا أو يؤيدوا ذلك .

وعلى أي حال فإن ورود الكتاب قد نقل النزاع من الكلام الشفوي إلى الكتابة بل يبدو أن العلماء حتى ذلك الوقت لم يعيروا المسألة اهتماماً كبيراً ، وما حرك ساكنهم وأثار ناثر لهم إلا تحدي الشيخ إبراهيم لإياهم بقوله : « من أتاه بحديث صريح في السدل ولو ضعيفاً يسلم إليه خزانة كتبه برمتها على ضحامتها وكثرة ما احتوت عليه من الكتب (١) فخاض العلماء في البحث والتنقيب لا ليحصلوا على خزانة الكتب بل ليفندوا تحدي الشيخ إبراهيم لإياهم .

فأثاروها حرباً شعواء ، وقاد مركز الهجوم الشيخ محمد الناصروا بن محمد المختار الكبراي زعيم الطريقة القادرية بكنو وبجانبه السيد علي الكماشي ، كما تقلد الزعامة في موقف الدفاع الشيخ محمد الثاني بن الحسن الكافغي الكنوي أحد شيوخ التجانية الكبار في مدينة كنو ويؤيده السيد أحمد محمود المورتاني والسيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي .

فيجدر بنا قبل أن نختم كلامنا في هذا الموضوع أن نلقي نظرة ولو خاطفة حول العلاقة بين الشيخ محمد الناصر القادري وبين شيوخ التجانية كان الأول في باديء الأمر على علاقة طيبة مع الآخرين بدرجة أنه كان يمدح شيوخهم فقد مدح الشيخ إبراهيم أمامهم عند مقدمه نيجيريا وقد ذكر ذلك الشيخ إبراهيم في منظومة رحلته وقال :

كذلك الناصر الزعيم القادري وهو محبي مخلصاً وناصر ي (٢)

وقد اعترف بذلك الشيخ الناصر نفسه حيث عد من جملة مؤلفاته القصيدة النونية التي مدح بها الشيخ إبراهيم الكولخي (٣) وكذلك مدح الشيخ محمد الهادي الذي أدخل

١ - السيد محمد المصطفى بن محمد الثاني : قول السداد .

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : نيل المفاز بذييل الرحلة الحجازية الأولى ٦٨ .

٣ - قد أزيلت جميع القصائد التي مدح بها الشيخ الناصر شيوخ التجانية من ديوانه .

التربية الانبساطية التجانية في نيجيريا ، وفوق ذلك إنه قد مدح الشيخ التجاني نفسه (١) هذا كله بالإضافة إلى أن الشيخ الناصر هذا كان أول من قبض يده في الصلاة بمدينة كنو فيما عرف حسب ما رواه الذين عرفوه ، ومنهم صديقه الشيخ أبو بكر عتيق أحد شيوخ التجانية الكبار في كنو ، بل قد صرح الشيخ الناصر نفسه بذلك ، وقد جاء في كتاب (قول السداد) للسيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي أن الشيخ الناصر قال إنه صلى قابضاً ستة أعوام ، ولكنه لم يفعل ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما فعل ذلك اقتداء بشيخه المجتبي ، ثم ترك ذلك لأنه لم يقتد به أحد من أهل البلاد » (١).

فلماذا إذن تحول الشيخ محمد الناصر هذا التحول العجيب ؟

إذا نظرنا إلى مركز شيوخ الطرق في المجتمع النيجيري والظروف المحيطة بالطريقتين التجانية والقادرية ندرك أن الشيخ محمد الناصر كان مدفوعاً إلى تحوله هذا بدافعين قويين .

أولهما أن الطريقة التجانية كانت تنتشر انتشاراً هائلاً وبغاية السرعة بفضل نشاطات أصحابها الدعائية وخصوصاً منذ قدوم الشيخ بنعمر حفيد الشيخ التجاني إلى نيجيريا فإنه قد أدخل عدداً كبيراً من النيجيريين في الطريقة التجانية فلقد عثرت - في ما جمعت من المعلومات - على واحدة من الإجازات التي وزعها بنعمر على الذين أخذوا التجانية عنه ، فوجدت عددها ثمانية آلاف وثمانمائة وثلاثة ٨٨٠٣ وهذا طبعاً يدل على ضخامة العدد حيث إن هذه الإجازة ليست الأخيرة ثم جاء الشيخ إبراهيم إنياس فأفاض العلماء من جميع الطبقات والطرق بما فيهم الشيخ الناصر نفسه في تقديره وتبجيله والاشادة بمواهبه ومقاماته في الولاية والعلوم التصوفية الأمر الذي لفت أنظار الناس من جميع الأوساط إلى الطريقة التجانية حتى بدأوا يعقدون صحة دعوى التجانيين أن الطريقة التجانية هي أفضل الطرق وأن مؤسسها هو أفضل الأولياء

١ - حمزة عثمان درما : الاطروحة التي قدمها لنيل الشهادة العالمية ٨

٢ - محمد المصطفى محمد الثاني : المصدر السابق ٣٩ .

قاطبة والشيخ الناصر طبعاً لا يرى ذلك ولا يستسيغه أيضاً ولا سيما أنه قد أدرك أن أتباع الطريقة القادرية بدأوا يتسللون إلى التجانية فارتاع لذلك جداً ولم يتمالك حتى كتب رسالة إلى الحاج الشيخ ميهولا أحد كبار شيوخ الطريقة التجانية في كنو وجاء فيها « من عبيد ربه محمد الناصر بن محمد إلى حضرة العالم العلامة الاستاذ الكبير والخبر الشهير ذاك شيخنا الشيخ الحاج الفلانسى حفظه الله ورعاه السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فليكن في كريم علمك أن وثوقي بصميم محبتك إلى الحق أينما ظهر هو الذي دعاني الآن إلى أن أكتب اليك سؤالاً هاماً في الدين وهو هذا هل يوجد من مولانا الشيخ أمر صريح باخراج صاحب الورد الشاذلي مثلاً من عهده إلى عهد التجانية بحيث يقال ومن شروط التجانية أو من آدابها اخراج أصحاب الأوراد من عهودهم إلى عهود التجانية وعلى تقدير وجود ذلك فهل الله أمركم بذلك في القرآن الكريم أو النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أفقتونا مأجورين حببيكم على الدوام محمد الناصر بن محمد عبيد ربه انتهى » (١).

كان هذا لا شك مما دفع الشيخ محمد الناصر إلى التفكير في وسيلة فعالة يصد بها تيار الطريقة التجانية عن الطغيان على طريقته القادرية (٢).

ثانيهما أن الطريقة هي سبيل الحياة عند هؤلاء الشيوخ جميعاً حيث لا يقومون بحرفة ولا مهنة لكسب معيشتهم وإنما يعتمدون على ما يقدمه لهم تلاميذهم والمتمنون إلى طريقته من الصدقات والهدايا والتبرعات وهلم جرا فإن ثروة المقدم أو الشيخ منهم ورفاهيته وسعته في الرزق كلها تعتمد على كثرة تلاميذه والمتتبعين إلى طريقته ومن أجل ذلك كان ما يقومون به من التنازع والتهافت بينهم شبيهاً بما يقوم به دعاة الأحزاب السياسية من المجادلات الفارغة كل يسعى إلى الخط من قدر صاحبه ليكسب ثقة الجمهور فيه ويكثر بذلك المنضمون إلى حزبه وقد فهم ذلك الشيخ الناصر بل هو لا يرى أن الشيخ ابراهيم إنياس كان أعلم من علماء نيجيريا هؤلاء بل إنه يذهب إلى أنهم إنما أهابوا به ورفعوا أمره على أنظار الجمهور لأغراض سياسية يريدون تحقيقها

١ - الشيخ أبو بكر عتيق : الصارم المشرقي ١٨ ٢ - حيزة عثمان درما : المصدر السابق ٣٣

وهي جذب أنظار الناس اليهم ليضمنوا لأنفسهم أتباعاً كثيرين وليكسبوا الطريقة
التجانية انتشاراً وازدهاراً أيضاً « (١).

وكان هذا أيضاً مما دفع الشيخ الناصر إلى التفكير في تدبير طريقة حكيمة يقاوم
بها سيل انتشار التجانية الجارف والتخفيف من تزايد نفوذ أشياخ التجانية في المجتمع
النيجيري ، ومن أجل ذلك ألف كتابه النفحات الناصرية في الطريقة القادرية ، وضمنه
دعايته لطريقته ثم ابتغى فيه عوجاً للطريقة التجانية ، الأمر الذي أحدم نار المجادلة
بينه وبين صديقه الشيخ أبي بكر عتيق التجاني كما سيأتي ، ومن ذلك أيضاً مخالفته
للتجانين في كل شيء تقريباً ولذلك ترك القبض وطعن فيهم لأخذهم به .

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ محمد الناصر فيما يبدو هو الذي بدأ بهجمة
التجانين في محاضراته التي يلقيها على تلاميذه في هذه المسألة ، فكانت تصريحاته تصل
إلى أسماع شيوخ التجانية ، بل إن بعض التجانين يحضر هذه المحاضرات مع تلاميذ
الشيخ الناصر ، وهو لا يعرفه ، فينقل أقواله إلى شيوخه كما هو شأن السيد محمد
المصطفى مؤلف كتاب (قول السداد) (١) لعل هذا هو الذي دفع الشيخ محمد الثاني
الكافني التجاني إلى أن ينبذ إليه على سواء ويدعوه إلى المبارزة علناً فألف كتابه
(فصل المقال) لهذا الغرض وجاء فيه ما يلي : فليس بيننا وبين الحق خصومة فالإنسان
إما أن يكون عالماً أو جاهلاً فإن كان الأول فليخرج ما في كنفاته في ميدان المحاضرة
أو في تأليف يجمعه بإنصاف وإبداء حق وتحري في النقل عن المنصفين المحققين ، ولا
يقعد في محله بين أتباعه فيقول كيث وكيت أو يلقي أحد تلاميذه ما يقول وهو لا يقدر
أن يحكي عنه ما قال ولا يصلحه هو فهذا فيه ما فيه بل عليه أن يبرز في صف المناظرة
ولا يجبن ولا يخاف لوم الألسنة فإن أصاب فيوثر ، وإن أخطأ فيرجع ، ويثاب فله
الغنيمة على كل حال وإن كان الثاني فلا كلام معه في العلم أعني في البحث والمناظرة ،
لأنه ليس من بضاعته ، وعليه أن يسأل العلماء المتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم
فيما أراد أن يفعل « (٢).

١ - حمزة عثمان درما : المصدر السابق ٣٦ - محمد المصطفى محمد الثاني : قول السداد ٤٠ .

٢ - الشيخ محمد الثاني الكافني : فصل المقام ٣

فتحرك الشيخ محمد الناصر لهذه المبارزة التي أعلنها الشيخ محمد الثاني له فدخل ميدان المعركة شاهراً سيفه في وجوه التجانيين وألف كتابه الذي أسماه (قمع الفساد في تفضيل السدل على القبض في هذه البلاد) وفتح كلامه فيه بما هذا نصه : « فهذه رساله اليه حاجة الراغبين وشخصت اليه أعين الطالبين من ذكر مستند السدل ومأخذه من السنة النبوية لكونه خفي على كثير ممن ينتسب إلى العلم ولأجل خفاء مأخذه على القاصرين ظن الجاهلون أن السدل ليس له مأخذ من الحديث الشريف حتى أشاعوا فيما بينهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسدل قط ، وإنما حدث السدل بعد عصره عليه الصلاة والسلام ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، كبرت كامة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ، وحق الجاهل السؤال ولو سألوا أهل العلم عن مأخذه ومنزعه من السنة النبوية لكان خيراً لهم » (١).

وأنت هنا ترى أن أول نقطة ناقشها الشيخ محمد الناصر هي تحدي الشيخ إبراهيم إياه ومن أجل ذلك عرض في كلامه بالشيخ إبراهيم انياس ووصفه بالجهل والقصور في تحديه لمنكري القبض عند ما طلب منهم أن يأتوه بحديث صريح ولو ضعيفاً في السدل أي إن النبي صلى الله عليه وسلم سدل يده في الصلاة في نفس الوقت الذي كان يرد على الشيخ محمد الثاني تحدياته إياه .

وهذا من شأنه طبعاً أن يغيظ شيوخ التجانية ويثير حفيظتهم ويحرك ما كان كامناً في نفوسهم من حب الانتقام لأن ذلك هجوم مباشر على شيخهم وإساءة الأدب معه والخط من قدره فرد عليه الشيخ محمد الثاني بكتاب عنوانه (سبيل الرشاد في الرد على مؤلف قمع الفساد) وجاء فيه ما هذا نصه : « لا يخفى على كل عاقل أن هذا المتعصب بلغ الغاية في إساءة الأدب على أهل العلم حيث جهلهم وكذبهم وأمرهم بسؤال العلماء مع أنهم هم العلماء كما أنه بلغ الغاية في الجهل حيث قال إن السدل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً كنبوت القبض (٢).

١ - الشيخ محمد الناصر الكبراوي : قمع الفساد ١

٢ - الشيخ محمد الثاني الكافنفي : سبيل الرشاد ٢

فشارك في هذه المساجلة ثلاثة أشخاص هم السيد أحمد محمود بن محمد الكبير المورتاني التجاني والسيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي التجاني اللذان يؤيدان الشيخ محمد الثاني الكافغي الكنوي التجاني ضد القادريين أو بعبارة أخرى ضد مؤيدي السدل والسيد علي الكماشي الكنوي القادري الذي يؤيد الشيخ محمد الناصر الكبروي والكنوي القادري ضد أهل الفيضة التجانية المؤيدين للقبض .

وأما السيد أحمد محمود المورتاني فقد كتب رسالة وجيزة بعنوان (تنوير البلاد في قطع خزعبلات قمع الفساد) يرد بها على الشيخ محمد الناصر الكبروي القادري وقد اعتنى في فاتحة كتابه بأن يشهره على أنه جاهل حتى بالمسائل الأولية التي لا تخفى غالباً حتى على طلبة العلم فضلاً عن يدعي الوقوف في صفوف أهل العلم فقال « فقد ورد علينا في هذه الأيام كتاب لبعض المتعصبين كما ذكر سماه قمع الفساد في تفضيل السدل على القبض في هذه البلاد والمتبادر للذهن من هذا اللفظ أن السدل تفضيله أوثق فساداً في تلك الأرض وهو يريد قمعه وهذا خلاف قصده وله العذر لأن ألفاظ العربية مذلة لم يكن له من الفهم والعلم ما ينجيهِ والعجب أن المتعصب هذا سمعت أنه يتكلم بتفسير القرآن ومن نظر كتابه هذا يراه كأنه لا يميز بين الضمائر مع كثير من اللحن الجلي ، وعدم الوزن في الشعر ، وإدخال الكلام الذي لا مدخل له في الكلام وعدم تمييز وجه الدلالة في الاستدلال إلى غير ذلك مما لا يخفى على من نظر في كتابه هذا » (١).

وأما السيد محمد المصطفى الكنوي فقد ألف في الرد على الشيخ محمد الناصر كتاباً بعنوان (قول السداد في الرد على شبهات صاحب قمع الفساد) وقد اهتم - من جملة ما اهتم به في موضوعات كتابه - بإظهار أهداف الشيخ محمد الناصر الخفية في تأليف كتابه التي هي محاولة لإبطال تحدي الشيخ إبراهيم للذين يؤيدون قبض اليمين في الصلاة وتتبع تصريحاته التي يطلقها ضد الطائفة التجانية في محاضراته كما مر ، وما جاء بالنسبة للأمر الأول قوله : « وأراد أن يكذب ما بلغه من قول شيخنا حين قال أيام إقامته بنا الجلم الغفير أن من أتاه بحديث صريح في السدل ولو ضعيفاً يهب له ما عنده من الكتب

١ - أحمد محمود المورتاني : تنوير البلاد - ١ - بهذيل سبيل الرشاد

ويزيد عليها كتب تلميذه الحاج عبد الرحمن الملقب بأبارنغم فغاظه هذا القول حين بلغه فأراد أن يكذب هذا القول ويناقضه على زعمه الفاسد يدعي أنه ينصر السدل ويسكن قلوب أتباعه ويثبتهم عليه ويتفر الناس عن القبض ويمنعهم عنه كلا بل لا قدرة له على ذلك ولا طاقة والحمد لله (١) وقال بالنسبة للأمر الثاني : « والحق هنا بعض تهافت كلماته وتساقط نفثات لسانه مما دسه في قراءة كتابه المذكور في محفل أتباعه وغيرهم ومنها قوله إن القطب إذا أشار إلى الجبل يتحرك بمجرد إشارته إليه وإن القطب شأنه كذا أو كذا وذكر أشياء من الكرامات الحسية - التي ينسبها الكمل إلى الحيض ويقولون إنها حيض الرجال فهي نقص عند الكاملين من الرجال وقلما تصدر منهم إلا بغتة - ثم أردف كلامه بقوله ومن ادعى هذا المقام يعني مقام القطبانية فليظهر لنا شيئاً عجيباً من الكرامة إذن نصدقه بذلك ونسلم القياد له ، وأما قول الرجل أنا كذا وكذا من دعوى المقامات بين أتباعه وتلامذته الذين سلموا إليه القياد المحيين له المصدقين لكلامه فليس بشيء ولا يغتر به مهما لم تظهر عليه الكرامة ولو قلت أنا بين تلامذتي وأتباعي أنا كذا وكذا لصدقوني على ذلك لمحبتهم إياي ثم طفق يرد عليه فقال : « أنظر يا أخي كلام هذا المتعصب الغبي كيف صدر منه هذا الكلام الساقط الذي لا يصدر إلا من العامة الجهال الذين لم يميزوا صحيح القول من عليه ولم يذوقوا شيئاً من علوم الرجال ، ولم يعلموا إلا ما ظهر لهم من خوارق العادات ، وهو مع ذلك ينسب نفسه إلى العلماء ويدعي بلسان حاله أنه لا أعلم منه في هذه البلاد ويعجب بنفسه في ذلك وهما وغلطاً وظناً فاسداً منه » (٢).

يبدو أن هذا النيل من كرامة الشيخ محمد الناصر الكبراوي شيخ الطريقة القادرية وزعيم طائفتها في كثر والخط من قيمته العلمية وتقدير مدى إدراكه وتضييق دائرة فهمه من هذين السيدين التجانيين وخصوصاً السيد أحمد محمود المورتاني قد أغضب السيد علي الكماشي القادري ومن أجل ذلك برز في الميدان مكتظاً بالغيظ. سالاً سيف رده على الشيخ محمد الثاني الكافغي والسيد أحمد محمود المورتاني وعلى الشيخ أحمد ابن محمد الصديق الغماري المغربي أيضاً لا لأنه ساهم في الرد على الشيخ محمد الناصر

١ - محمد المصطفى محمد الثاني : قول السداد ٢ - محمد المصطفى محمد الثاني : نفس المصدر ٤٠ .

بل لأن الشيخ محمد الثاني ينقل أدلته وحججه من كتابه الموسوم بالمشنوي فقط وألف السيد علي كتابين لهذا الغرض الأول بعنوان (فتح الحكم العدل في تأييد سنة السدل) قصد به الرد على كتاب (فصل المقال) للشيخ محمد الثاني الكافغي وكتاب (المشنوي) للسيد أحمد بن محمد الصديق المغربي الذي ينقل منه الشيخ محمد الثاني بكثرة والثاني بعنوان (دليل السادل في سنة أشرف الأواخر والأوائل) وكرس رده في هذا الكتاب على كتاب سبيل الرشاد للشيخ محمد الثاني وعلى كتاب « تنوير البلاد للسيد أحمد محمود المورتاني » .

يدور نقاشه في الكتاب الأول حول ثبوت الأحاديث التي تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أسدل يديه في الصلاة فحذر - لأجل ذلك - الخائفين في هذه المسألة من الذهاب إلى أن الخلاف بين الآخذين بالقبض وبين المتمسكين بالسدل دائر أخذ بالسدل معتمداً على اجتهاد مجرد من عند نفسه لا بل إن هناك أحاديث تثبت السدل كما أن هناك أحاديث أخرى تثبت القبض « (١) » وأخيراً جعل جميع الأحاديث التي وردت في القبض في كفة نقده حتى انتهى إلى نتيجة أنها كلها ضعيفة حتى ما جاء في الصحيحين فقال : « واعلم أنه روى الشيخان فيه حديثين لا يوجد لهما ثالث وكل واحد منهما روى حديثاً غير حديث الآخر وما هذا إلا أن لكل واحد منهما اطلاعاً على علة حديث الآخر لكن البخاري اطلع على علة الحديث الذي خرج وحيث لم يرو غيره علم أنه لم يجد حديثاً أقوى عنده منه وكذلك مسلم لم يرو منه إلا حديثاً واحداً مع تبرهما وشدة اطلاعهما على الأحاديث وهذا أدل دليل على أن القبض لم يوجد فيه حديث صحيح سالم من الطعن ويدل (ذلك) أيضاً على تقديم الارسال الذي كثرت فيه الأحاديث التي وصفت صلاته صلى الله عليه وسلم « (٢) » .

فقرظ الشيخ محمد الناصر الكبراي الكتاب بقوله : « لقد قضى السيد علي الكماشي الدين الذي كان على ذمة كل عالم نيجيري من كل قبيلة وقبيل فجزاه الله عنا خير الجزاء » (٣) .

١ - السيد علي الكماشي : فتح الحكم العدل ١٧ ٢ - السيد علي الكماشي : نفس المصدر ٦٢
٣ - الشيخ الناصر الكبراي :

وأما الكتاب الثاني فيبدو أن السيد علي الكماشي قد ألفه لينتقم من الشيخ محمد الثاني الكافغني والسيد أحمد محمود المورتاني ولذلك يمتاز هذا الكتاب عن الأول بشدة اللهجة ولذاعة المنطق وخشونة التعبير فمثلاً أنه قال في معرض رده على الشيخ محمد الثاني : « الجواب هذا كلام من يظهر للناس جهله ويبين غباوته وسفاهته وقلة متاعه في العلم وضيق دائره معارفه واتساع مسافة بلادته هذا قول من خسرت تجارتها في تحرير العلوم قول من يتبع هواه قول من استحق أن يقال له :

يا عاقلاً أردى الهوى عقله مالك قد سدت عليك الأمور
أجعل العقل أسير الهوى وإنما العقل عليه أمير
هذا كلام من ينذر بقول الشاعر :

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهدت ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعبار الذي دعت له من حلاوة عاجل

فأين التقوى وخوف الله وشهود عظمتهم لمن يكتمون ما علموا من الحق ويشتركون به ثمناً قليلاً فأين الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك لمن يتجاهل سنية الإرسال طلباً للمتاع الدنيوي إن الذين جهلوا أو تجاهلوا سنية الإرسال تبكي عليهم البواكي وخسرت صفقتهم في بحث العلوم وهم من الخاسرين ، إن الذين قصرت مداركهم وبلدت قلوبهم وجمدت فطانتهم عن درك سنية الإرسال فهم في حيرة وغفلة يعمهون . هل بلغ منك الجهل والسفاهة والوقاحة وطمس البصيرة أن يروى أثار عن بعض الصحابة والتابعين ومن تبعهم ثم تقول وأنت متكبر على أريكتك : « إن هذا بدعة وليس بسنة وهل أنت أعلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بسنته ؟ أو هل أنت سيء والصحابي بدعي ؟ وإلى أين يبلغ بك الجهل والسفاهة وخمود الذكاء يروى عمل عن عبدالله بن الزبير وهو صحابي وعن سعيد بن المسيب وهو أفضل التابعين ثم تقول هذا العمل بدعة ؟ هل عرفت ما هي البدعة ؟ أم أنت تجازف القول جزافاً ؟ نعم لكن لست أهلاً للمناظرة وإنما أنت الطاعم الكاسي» (١).

ولما التفت إلى السيد أحمد محمود المورتاني قال : « مجرد أنكم لستم بصدد ما لا يكفي في الرد والاحتجاج والنص الذي تطلب موجود ظاهر ، وإنما أخفاه عنك وجوده جهلك بتعريف الحديث النبوي وعدم معرفتك وجه اختلاف الأئمة المجتهدين ، فلو أن جهلك أن تراجع ما كتبه الأعلام من تعريف الحديث لينجلي عنك غبار جهلك ، وأن تعرف قوانين الأئمة إذا وردت النصوص الشرعية بأنه لا اجتهاد عند ذلك فيتسع نطاق علمك ، وتخرج من سجن جهلك وينشرح صدرك ويشرق أنوار المعارف في قلبك وهكذا » (٢).

على هذه الشاكلة استمر الجدل بين الشيخ محمد الناصر الكبراوي الكنوي القادري ، وبين الشيخ محمد الثاني الكافغني الكنوي التجاني ، ثم اشترك فيه السيد علي الكماشي القادري يؤيد الشيخ محمد الناصر ، كما اشترك فيه أيضاً السيد أحمد محمود المورتاني التجاني والسيد محمد المصطفى الكنوي التجاني يناصران الشيخ محمد الثاني .

ولكن النزاع في الواقع لم يكن دائراً بين هؤلاء الكنويين بعضهم مع بعض ، أو بعبارة أخرى بين النيجيريين الذين عاشوا في وئام هم وآباؤهم وأجدادهم ، يصلون مسدلين أيديهم مع تباين الطرق الصوفية التي ينتمون إليها ، من دون أن يفهموا أن في السدل شيئاً يخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، مع إحاطة علمهم الفقهي بمقام قبض اليدين في الصلاة ورفعهما في المواضع الأربعة ، والجهل بالتأمين وما إلى ذلك وإنما هو دائر بين الشيخ إبراهيم أنياس وبين خصومه ومعتقديه أينما كانوا في نيجيريا أو في غيرها من أقطار أفريقيا الغربية .

أسباب ظهور أمر الشيخ إبراهيم في نيجيريا

ولعل كون الشيخ إبراهيم أنياس جاء إلى نيجيريا من قبل أمير كزو الحاج عبدالله بايرو ، وقبول تلاميذ المعلم محمد سلغا لدعوته من أسباب نجاحه وانتشار أمره وإقبال الناس عليه في نيجيريا ، ذلك لأن الكنويين على اختلاف طبقاتهم وتباين بيئاتهم

٢ - السيد علي الكماشي : نفس المصدر ٣٧

يُحترمون بيت الإمارة الكنوية إحتراماً يبلغ أحياناً حد التقديس ، فكان جراء ذلك خير ما يطلبه كل كنوي - يأنس في نفسه الأهلية - التقرب إلى هذا البيت وخصوصاً العلماء الذين يشعرون بأن ذلك يكسبهم إقبال الناس عليهم ، وعلى هذا الأساس فيما يبدو أقبلوا على الشيخ إبراهيم وسلموا له ، حتى أفادهم بتربيته ولا سيما أنهم استفادوا خبرة من هذه الناحية مما حصل لشيخهم المعلم سلغا من قبل ، حيث اكتسب شهرة عظيمة وفاز باعتراف الأمير به وإكرامه ، حتى أقبل الناس من جميع الطبقات والأوساط عليه ، من أجل تتلمذه للشيخ أجدود الذي كان في الواقع ضيفاً للأمير كنعو عباس ، وتتلمذه أيضاً للشيخ محمد العلمي من بعد ، فإن هذه الظاهرة لم تفت الشيخ محمد الثاني الكافنخي حتى لاحظها وقال : « فمن أراد معرفة الله تعالى والعمل الصالح فليقر إليه أي الشيخ إبراهيم في كولخ ويسلم له القياد تفتتح عنه أبواب الخيرات ، وتغلق عنه مسالك المضرات ... وتنقاد له الناس من جميع جهاته فيقودهم إلى طاعة ربه فإن لم يستطع الفرار إليه فليقر إلى من شاء من خلفائه ، وهم موجودون في كل بلد من بلاد المسلمين خصوصاً نيجيريا .

بهذا يتبين لك أنه لو جاء الشيخ إبراهيم من قبل أحد غير أمير كنو لربما لا ينجح في دعوته بمثل هذا النجاح الهائل الذي أحرزه لأن هؤلاء الشيوخ لا يلتفتون إليه مهما بلغ في عرفانه لأنهم كانوا يتمتعون بكل ما يتمتع به من صحة السند وتعدد طرقه والأخذ عن المشايخ العرب أصحاب السند الصحيح والعلم الغزير ، وأما تربيته فلا يعرفونها فيهتموا بها ، ثم إنهم كانوا في الحقيقة أقرانه في الطريقة وسلسلته كانت على درجة سلسلتهم ، فمثلاً أنه أخذ الطريقة التجانية عن والده الشيخ عبدالله إنياس وهو عن شرنومود جالو ، وهو عن الشيخ عمر القوتي ، وهو عن السيد محمد الغالي ، وهو عن الشريف محمد ، وهو عن الشيخ أحمد العبدلاوي ، وهو عن السيد علي التماسيني ، وهو عن الشيخ التجاني . وقد لاحظ ذلك الشيخ أبو بكر عتيق حيث صرح بما يفيد أن الشيخ إبراهيم جاء إليهم وهو خلفاء الشيخ التجاني بسند صحيح متصل ولم يفدهم شيئاً من هذه الناحية إلا بالتربية فقط التي فسرّها بالفيضة وهو قوله : « ومع ذلك فنحن قد خصصنا الله تعالى - مع مالنا من الإذن الصحيح والنيابة

عن الشيخ أي التجاني بالسند المتصل الذي لا شك فيه — بظهور هذه الفيضة الأحمدية في وقتنا .

لعلك هنا تدرك معي أن هؤلاء السلغاويين لو رفضوا دعوة الشيخ إبراهيم ربما لا يجد من يقبلها في نيجيريا إلا نادراً ، ذلك لأن أكثر التجانيين في نيجيريا قبل ظهور الشيخ إبراهيم وقبل مجيء بن عمر حفيد الشيخ التجاني كانوا من الكنويين ، وكلهم يوالون تلاميذ المعلم محمد سلغا هؤلاء ، وكذلك كان كبار المقدمين غير الكنويين في مدن نيجيريا الأخرى أكثرهم إما تلاميذ المعلم سلغا مباشرة مثل الحاج آدم الدمغراوي الساكن في أزي بولاية بوشي ومن على شاكلته ، وإما تلاميذه مثل الحاج أحمد الساكن ببيرو عاصمة ولاية بورنو والحاج بلاربي جيعا ومن على شاكلته من السكتاويين كانوا تلاميذ الشيخ أبي بكر عتيق وهو تلميذ للمعلم محمد سلغا وكان بين هؤلاء السلغاويين الكنويين وبين كبار علماء زاريا علاقة علمية لتبادل الأخذ بين الجانبين ، وكان الشيخ مود بو جيلاني الساكن في يولا عاصمة ولاية (جنجولا) قد تتلمذ للزركيين والكنويين وأخذ التجانية عن المعلم محمد الثاني نقو فردوكا بمدينة زاريا ثم قدمه المعلم محمد الثاني نَمَسَنَدَوَري بمدينة كنو وكان سكان جوس وما جاورها من البلدان والقرى في ولايتي بِنُوي وبلاتو يدينون بالولاء للشيخين هما الشيخ الحاج آدم الدمغراوي والشريف أحمد نبقن روا الكنوي وكلاهما تتلمذ للمعلم محمد سلغا مباشرة ، وكان لبعض هؤلاء السلغاويين تلاميذ منتشرون في غرب نيجيريا وشرقها ينوبون عنهم ويدعون لهم ، وهكذا وجد جميع المقدمين الصغار أنفسهم في حاجة ملحة للانتماء إلى واحد من هؤلاء المقدمين الكبار ، ليقبل الناس عليهم باسمهم ، هذا وقد بذل هؤلاء السلغاويون مجهوداً كبيراً في الدعوة للشيخ إبراهيم في مؤلفاتهم وأشعارهم وفي أقوالهم وأفعالهم ، وقد مر شيء من أمثلة ذلك في كلام الشيخ محمد الثاني الكافنغي ، ولذلك لا نكون مبالغين إذا ذهبنا إلى أن جميع المقدمين غير الكنويين الذين اعتنقوا دعوة الشيخ إبراهيم إنما تم ذلك بفضل نشاطات هؤلاء السلغاويين الكنويين الدعائية .

الباب الرابع

الشيخ ابراهيم انياس

من شيخ الطريقة التجانية الى شيخ الاسلام

لقد رأينا في بعض الفصول السابقة من هذا الكتاب أن الشيخ إبراهيم لانياس قد آتاه الله رشده منذ أن كان يافعاً ولم يجاوز حد الشباب حتى صار شيخاً لشيوخ الطريقة التجانية ، إذ أنه قد أعلن فيضته في سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م وهو في الثامنة والعشرين من عمره حينئذ ، وما كاد يتجاوز الثلاثين حتى أنتج مؤلفات كثيرة منها : (كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس) مع ذيله و (مسرة المجامع في مسائل الجامع) (والحرر الحلال في مدح سيد الرجال) (وتيسير الوصول إلى حضرة الرسول) (وطيب الأنفاس من مدائح الختم أبي العباس) (وروض المحبين في مدح سيد العارفين) (والنور الزباني في مدح السيد أحمد النجاني) (وروح الأدب لما حواه من حكم وأدب) (ونور للبصر في مدح سيد البشر) (والسر الأكبر والنور الأبهري) (ونحفة الأطفال في حقائق الأفعال) في الصرف ، (والفيض الأحمد في المولد المحمدي) (وتبصرة الأنام في جواز رؤية الباري في اليقظة والمنام) (وروح الحب في مدح القطب) (١) ثم حج في سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م وعمره إذ ذاك خمس وثلاثون وقد رأينا أنه أيضاً قبل أن يحج كانت خبرته محصورة في القطر السنغالي وما

١ - السيد علي سيس : تصدير كاشف الالباس ٤

والاه من البلاد المجاورة ، وكان اتصاله بالرجال كذلك يكاد يكون محدوداً على
الواردين إلى محله من المغاربة والشرفاء العلويين المورثانيين ومن إليهم ، ثم كان حجه
هذا نقطة تطور في حياته المستقبلية ، حيث بدأ يكتسب خبرة وتجارب أخرى غير
التي حصلها في مقره ومن ثم شرع يبرز من الصقع السنغالي شيئاً فشيئاً حتى عم سائر
البقاع والأقطار .

فهذا الظهور ، وانتشار الصيت ، وكثرة الاسفار والتنقلات ، في الأقطار قد
مهدت له سبيلاً إلى التعرف إلى رجال ذوي ثقافات إسلامية أخرى غير الصوفية ،
ولا يحصى له من أن يحسب لهم بحسابهم لما ينسمون به من رزانة العلم ، ووقار المعرفة ،
بحيث لا يجد في صدره محلاً للشك في إخلاصهم لدينهم ، ونصحهم للإسلام
والمسلمين ، كما كان يتصل بآخرين كانوا متحمسين على محاربة البدع ، وكان هؤلاء
حريصين على الاتصال به لإلقاء الأسئلة عليه ، لمقامه كشيخ من شيوخ الطرق الصوفية ،
وخصوصاً الطريقة التجانية ، التي كانت هدف الوهابية والخلفية ومن في حكمهم من
المنحسمين لحماية الدين الإسلامي وعقيدته .

هذا كله من شأنه أن يغير من فكر الشيخ إبراهيم إنياس ويطوره ويعدله وينقله
عما كان عليه حينما كان محدود الخبرة محصور الاتصال بالعالم الخارجي عندما كان
خاطره لا يجول إلا في شأن الطريقة ولا يقرع سمعه إلا ما يلقيه رجال الطريقة من
تعاليمها، وهكذا أنظر إلى قوله في سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م كما سبق : « واعلموا أن الله
قد ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك ولا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة
الشيخ الختم التجاني » (١). ثم أنظر أيضاً إلى عقيدته التي أعلنها عندما زار ضريح
الشيخ التجاني . محضرة فاس سنة ١٣٥٥ هـ حيث قال « ثم دنونا إلى الضريح الشريف
الأقدس والمقام المنيف الأنفس لوداع سر السر وعين العين - أي الشيخ التجاني -
وذكرت عنده الحوائج الصغيرة والكبيرة ... » (٢) ثم أنظر أيضاً إلى قوله كما مر
كذلك : « واعلموا أنني على بصيرة من أمري لأن عندي إمامين إمامي في الظاهر

الكتاب والسنة ولا أعرف من هو أعلم مني بهما وإمامي في الباطن (وهو) الشيخ التجاني ولا يفارقني لحظة » (١) . ثم أنظر كذلك إلى قواه في سنة ١٣٥٥ م أيضاً « وكثيراً ما كنت ألقى بعض من يسيء الظن بأولياء الله تعالى ويسبهم للجهل بالكتاب والسنة ، وارتكاب البدع ، وجلهم بل كلهم لا يتكلم عن علم بل عن جهل فادح ، ويسألوني إذا علموا أنني من أهل الطريقة الأحمدية التجانية رفع الله في الخافقين منارها ونشر في سائر البلدان أنوارها عن الطريقة التجانية ماهي ؟ فأقول : الطريقة (هي) الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله تقرأ صباحاً ومساءً ، ولها إمام وهو سيدنا ومولانا أبو العباس أحمد بن محمد التجاني الشريف الحمصي ، يرفع نسبه كاملاً عن كامل إلى مولانا محمد النفس الزكية ، ونشأ في طاعة الله في عفاف وديانة ، وتعلم وحفظ الكتاب وهو ابن سبع سنين ، واشتغل يتعلم سائر فنون العلوم حتى برع في العلم واجتمع أهل المشرق والمغرب على جلالاته في العلم ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واشتغل بعبادة الله تبارك وتعالى ، ورفض الخلق جملة طلباً للتقرب من المولى جل وعلا ، حتى فتح عليه فتوح العارفين بالله تعالى ، وصار من أكابر أولياء الأمة المحمدية ، ولم يزل كذلك حتى أخبر وهو عدل رضي أن النبي صلى الله عليه وسلم لقنه طريقته المذكورة ، وأذن له في تلقينها لكل من طلبها من كافة الخلق ذكراً أو أنثى ، حراً أو عبداً طائعاً أو عاصياً الخ (٢) .

ثم قارن هذا الذي سبق كله بما جرى في مقابلته مع الصحفي الحجازي السيد عبد الكريم نياري مراسل جريدة البلاد بمكة المكرمة فيما يأتي :

قال الصحفي :

« فضيلة الشيخ ما هو مذهبكم الذي تنتمون إليه ؟ ومن أين تستقون معارف الإسلام ؟ لأن معرفة مصادركم تعطينا فكرة صادقة عن قيمة جهادكم الإصلاحية والتربوي » .

١ - مقابلة مع السيد الحاج عبدالله بن الشيخ محمد المشري أحد كبار أصحاب الشيخ إبراهيم في بيته بمخاضرة معط مولانا بمورتانيا في التاريخ السابق .

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٤٨ .

الكتاب والسنة ولا أعرف من هو أعلم مني بهما وإمامي في الباطن (وهو) الشيخ التجاني ولا يفارقي لحظة » (١) . ثم أنظر كذلك إلى قوله في سنة ١٣٥٥ م أيضاً « وكثيراً ما كنت ألقى بعض من يسيء الظن بأولياء الله تعالى ويسبهم للجهل بالكتاب والسنة ، وارتكاب البدع ، وجلهم بل كلهم لا يتكلم عن علم بل عن جهل فادح ، ويسألوني إذا علموا أنني من أهل الطريقة الأحمدية التجانية رفع الله في الخافقين منارها ونشر في سائر البلدان أنوارها عن الطريقة التجانية ماهي ؟ فأقول : الطريقة (هي) الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله تقرأ صباحاً ومساءً ، ولها إمام وهو سيدنا ومولانا أبو العباس أحمد بن محمد التجاني الشريف الحسني ، يرفع نسبه كاملاً عن كامل إلى مولانا محمد النفس الزكية ، ونشأ في طاعة الله في عفاف وديانة ، وتعلم وحفظ الكتاب وهو ابن سبع سنين ، واشتغل يتعلم سائر قنون العلوم حتى برع في العلم واجتمع أهل المشرق والمغرب على جلالته في العلم ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واشتغل بعبادة الله تبارك وتعالى ، ورفض الخلق جملة طلباً للتقرب من المولى جل وعلا ، حتى فتح عليه فتح العارفين بالله تعالى ، وصار من أكابر أولياء الأمة المحمدية ، ولم يزل كذلك حتى أخبر وهو عدل رضي أن النبي صلى الله عليه وسلم لقنه طريقته المذكورة ، وأذن له في تلقينها لكل من طلبها من كافة الخلق ذكراً أو أنثى ، حراً أو عبداً طائعاً أو عاصياً الخ (٢) .

ثم قارن هذا الذي سبق كله بما جرى في مقابلته مع الصحفي الحجازي السيد عبد الكريم نياري مراسل جريدة البلاد بمكة المكرمة فيما يأتي :

قال الصحفي :

« فضيلة الشيخ ما هو مذهبكم الذي تنتمون إليه ؟ ومن أين تستقون معارف الإسلام ؟ لأن معرفة مصادركم تعطينا فكرة صادقة عن قيمة جهادكم الإصلاحية والتربوي » .

- مقابلة مع السيد الحاج عبدالله بن الشيخ محمد المشري أحد كبار أصحاب الشيخ إبراهيم في بيته بمحاضرة مع مولانا بمورتانيا في التاريخ السابق .

- الشيخ إبراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٤٨ .

ما كتبه السيد ابراهيم الرياحي أحد أصحاب الشيخ التجاني في التعريف بالطريقة التجانية ، مع أن تعريف الرياحي نفسه كان هو الآخر مبنياً على التقية لأنه لم يذكر فيه من أوصاف الطريقة التجانية إلا ما يتفق ومزاج أصحاب النيات الحسنة من المسلمين ، ولم يذكر من خصائص الطريقة وخصائص مؤسسها وأتباعه ما من شأنه أن يثير حساسة المنتقد ويدفعه إلى الحجاج وللحجاج (١).

بهذه الخطة الحكيمة استطاع الشيخ ابراهيم أن يكسب ثقة العالم العربي ، بل العالم الإسلامي كله ، فيه واحترامه له حتى دامت المودة وحسن التفاهم بينه وبينه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه ، ويؤيد هذا الذي قررنا ما جاء في المجلة المصرية (٢) : « شيخ الإسلام ابراهيم انياس زعيم المسلمين في جمهورية السنغال ومنطقة غرب إفريقيا وهو الزعيم الروحي لأكثر من ٣٠ مليون مسلم يعيشون في بلاد السنغال ونيجيريا وغانا ومالي والنيجر وموريتانيا وجامبيا وسيراليون وفولتا العليا وساحل العاج إلى جانب كونه عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . وعضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة ، وقد انتخب رئيساً للمؤتمر الإسلامي الذي عقد في كراتشي في عام ١٩٦٤ م - ١٣٨٤ هـ .

وقد اشتهر في السنغال وفي بلاد غرب أفريقيا بأنه صديق العرب ، ونصير لقضية الشعب الفلسطيني ، وفي حياته قام بزيارة مصر أكثر من ١٠ مرات وفي عام ١٩٦١ م ١٣٨١ هـ قام بإمامة المسلمين في صلاة الجمعة بالجامع الأزهر .

أعتقد أنه لو واجه الشيخ ابراهيم انياس هؤلاء القوم بدعوى أنه داعية إلى الطريقة التجانية القائم بنشرها في القارة الإفريقية والعالم الإسلامي لكانت العلاقة بينه وبينهم على عكس ما كانت عليه .

لعل اتجاه الشيخ ابراهيم الأخير هذا ، هو الذي اطمئن به أكثر تلاميذه المورثانيين ، وبذلك عبرت جريدة الشعب المورثانية التي تنطق بلسانهم عندما قدمت تعزيتها إلى العالم الإسلامي بمناسبة وفاته وفقدانه في عددها الخامس والعشرين الصادر يوم الثلاثاء

١ - الشيخ ابراهيم انياس : رسالة نافذة أثبتها الفوث الصمداني .

٢ - وجدت هذه المجلة عند السيد محمد الهبة السابق ذكره في المقابلة المتقدمة .

١٩ رجب سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٩٧٥ م :

« الأمة الإسلامية تفقد مرشداً عظيماً الحاج إبراهيم إنياس الذي انتقل إلى رضوان الله يوم الأحد الماضي في لندن » بريطانيا « عن عمر يناهز للخامسة والسبعين ، ونحن نعزي كافة المسلمين في هذا الفقد الكبير .

ولد سنة ١٩٠٠ في قرية طيب نياسين بمحافظة (سين) سالم السنغالية من أسرة عريقة في العلم والدين ، وتعلم في مدرسة والده التقليدية التي كانت مصدر إشعاع لكل العلوم في أفريقيا الغربية ، استكمل دراسته وبدأ في تأليف الكتب وقرض الشعر وهو في العقود الأولى من عمره ، ثم تنصب للتدريس وهو لا يزال في مستهل شبابه ، وكان مؤهلاً لأن يكون مدرساً للقرآن والسنة والحديث والفقه وجميع مناحي التصوف

بدأ منذ وقت مبكر يمارس نشاطه كمرشد مناهض للاستعمار ولكل أنواع الظلم ، وهو نائب لرئيس الرابطة الإسلامية منذ نشأتها والعضو الثاني في المجلس التأسيسي لها وشارك في مؤتمري كراتشي وبغداد للدول الإسلامية ، وهو عضو في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، وله مؤلفات كثيرة تتناول شتى العلوم ، وشاعر لا يقول الشعر إلا في مدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، والقضايا الإسلامية . ذات الأهمية وله ثمانية دواوين ، عرف بمنأوانه للكيان الصهيوني ، ودعوته الدائمة إلى الوحدة الإسلامية ، من أجل استرجاع ثاني الحرمين الشريفين والأراضي المغتصبة كلها .

أنظر كيف أغفلت الصحيفة ذكر الطريقة التجانية إغفالاً تاماً وأضافت إليه علم التصوف بوجه عام ، ولا شك أنه لما يدعو إلى العجب أن يذكر الشيخ إبراهيم إنياس - بمورتانيا - ونشاطاته الإرشادية ومآثره الشخصية فيغفل ذكر الطريقة التجانية ، ونشرها في الأقطار ، مع جميع مبادئها وتعاليمها فحصرت الصحيفة نشاطه في الإرشاد ومناهضة الاستعمار والظلم ، الصفة التي يتمتع بها كل مصلح اجتماعي ، والتي يعزو وجودها في كثير من رجال الدين المتخصصين ، وخصوصاً شيوخ الطرق الصوفية الذين كانت أظهر صفاتهم عدم الاكتراث بكل من لم ينتظم في سلك أتباعهم ، سيما إذا كان ممن يتقد سلوكهم وينكر شيئاً من دعاويهم كما حصرت أيضاً مآثره في كونه نائباً لرئيس رابطة العالم الإسلامي ، ومشاركته في مؤتمر كراتشي وبغداد

وكونه عضواً في مجمع البحوث الإسلامية كما حصرت أشعاره في مدح الرسول صلوات الله وسلامه عليه . والقضايا الإسلامية ذات الأهمية وسكتت عن ذكر الدواوين التي مدح بها الشيخ التجاني ، والتي ذكرناها في افتتاحية هذا الباب ، كل ذلك بدلا من أن تقرر أسماعنا بأوصافه الصوفية الفخمة كأن تقول مثلاً : « هو القطب الرباني والغوث الصمداني والفرد الجامع الحقاني الناشر للطريقة التجانية ورافع أعلامها في طول غرب أفريقيا وعرضها ، وصاحب الفيضة التجانية القائم بأعباء تربيتها في القرن العشرين وهلم جرا .

وذكرت له الصحيفة أيضاً صفة تدل على كمال وعيه ، وشمول خبرته ، مما جعله خليفاً بأن يكون داعية إسلامياً بمعنى الكلمة وهو مشاركته الوجدانية مع جميع المسلمين في قضية فلسطين ، ودعوة المسلمين إلى الوحدة ، لاسترجاع الحرم المقدس والأرض العربية المحتلة .

وما سبب ذلك كله إلا لأن الشيخ إبراهيم نفسه قد غير منهاج دعوته ويؤيد ذلك ما صارخني به السيد إبراهيم جوب في مقابلي معه في بيت الشيخ أحمد التجاني إنياس ابن الشيخ بحضرة مدينة كولخ (١) حيث قال : « إن الشيخ إبراهيم إنياس في مرحلة حياته الأخيرة كثيراً ما يقول له كما يقول لأكثر المقربين إليه إنه ينسى أنه تجاني إلا إذا جلس في دائرة الوظيفة .

ومن أجل ذلك تعتبر قصيدة التوبة التي قالها في سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م والتي أحدثت شيئاً من الضجة في الأيام الأخيرة من حياته هنا في نيجيريا وبعض أقطار غرب إفريقيا لم يكن قد قالها صدفة بلا تأمل بل إنها نتيجة فكر عميق وتدبر نصوص متكافئة بعد طول أخذ ورد ومد وجزر ويؤيد رأينا هذا قول الشيخ إبراهيم نفسه « عبد من عباد الله وفقه الله للحج والعمرة إيماناً واحتساباً وفي طريق العودة إلى بلاده رقت مشاعره وطالت تأملاته وطابت مناجاته فقال أرجوزة ضمنها بعض ما في نفسه بحب ورجاء وخضوع وإنابة » . والقصيدة هي هذه :

١ - وقمت المقابلة في التاريخ السابق .

باسم الإله تبت لاني تبت
تبت أيا رحمان يا رحيم
تبت أيا غفار يا حنان
تبت حقيقة وكم نكثت
تبت لدى البيت وبين الجبلين
تبت لدى الوقوف يا علم
أنا ضعيف حارب الجبارا
تبت وكم ضيعت حق الله
تغفر لي ولتحمّل عني
تبت من الأقوال والأفعال
جئت إلى البيت وما استقمت
وجئت به وجئت سادساً وقد
تبت لدى النبي بالنبي
تبت ولا أعود لا أعود
طال اشتياقي للمناب تبت
قد تاب سمعي ولساني والبصر
رجعت للاله دهري لم أزل
ثم الصلاة والسلام سرمداً
وآله وصحبه الأبرار

تبت لما فعلت و ما قلت
لم ترنسي في حالة تسليم
تبت أيا ربي ويا منان
لي توبسة واليوم حقاً تبت
والخيف والمشعر بين العلمين
ويا عفو رب يا كريم
انبت يومي اقتضي الأبرار
وحق خلقه بلا تناء
فاغفر خطيئتي أزلها مني
والحركات بل من الأموال
وجئت به وجئت وجئت
أخلصت تهبتي وأنحو للرشاد
ترفعني لخالق سني
ولا يكون غير ما تريد
فانني يومي له أنبت
وتاب كل طرف عما شجر
يبابه من أبدا إلى الأزل
على النبي المصطفى محمداً
ما نور الليل على النهار (١)

ولإذا نظرنا إلى هذه الأرجوزة نرى حسب ما قرره الشيخ ابراهيم نفسه أنه قد نظمها في سنة ١٣٧٧ هـ ولكنه ما أظهرها للجمهور إلا في سنة ١٣٩٥ هـ تقريباً وهي

١ - الشيخ ابراهيم انياس : رسالة التوبة ٦ نشر الحاج محمد الثاني محمد الأول مطبعة دار الكتب بيروت لبنان بدون تاريخ .

السنة التي مات فيها أي إن ما بين وقت نظم هذه الأرجوزة وبين وقت إظهارها للناس ثماني عشرة سنة ١٨ فلماذا كان ذلك كذلك ؟ وربما كانت هناك علاقة مساسة بين إظهار الأرجوزة وبين ما أخبرني به السيد الحاج أبو بكر محمود جمعي في مقابلتي معه يوم السبت السابع والعشرين لمايو سنة ١٩٧٨ حينما ختم كلامه - عندما طلبت إليه أن يبين لي وجهة نظره في حركة الشيخ إبراهيم - بقوله : « وآخر عهدي به أي الشيخ إبراهيم هو عندما أخذت أنا وزميل لي - من أعضاء الرابطة العالم الإسلامي - كتاب مجموع دواوين شعره وذهبنا به إلى رئيس الرابطة وأرناهُ أبياتاً في مواضع متفرقة في تلك الدواوين (١) وقلنا له أنظر إلى كلام هذا الرجل الذي كنا نعظمه على أنه شيخ الإسلام وأحد دعائه الأعلام في هذا العصر وعندما قرأ رئيس الرابطة الأبيات شك في صحة نسبتها إليه فأرسل من يدعوه إليه فوراً فلما حضر الشيخ أراه الرئيس الأبيات وقال له : « أنت قائل هذه الأبيات ؟ ». فقال الشيخ نعم أنا قائلها إلا أنني قلت ذلك وأنا شاب حينئذ وأما الآن فقد رجعت عن هذه العقيدة. ولا أدِين بها ». فعندئذ أمره الرئيس بمغادرة مكة والرجوع تَوَّأ إلى جدة بعد أن صرح له بأن الرابطة لا تقبَله كعضو من أعضائها حتى يكتب بالهجة عربية فصيحة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض أنه رفض عقيدته المتضمنة في تلك الأبيات رفض السقب غرسه والرأل تريكتنه كما قال أبو العلاء المعري (٢) فذهب الشيخ وكتب ذلك نظماً ونثراً ولكنه لم يحضر جلسة

١ - ومن هذه الأبيات :

حلقت يميناً أنني لا يحبني	سوى أسعد والعكس في حال بعضيا
وقد علم الأتوم أنني خديعة	فوصل حبيب الله يلفي بوصليا
وما قلت قولي شاطحاً متيجعاً	وما سني سكر . يغيب عقليا
وان غطوطي للانعام سعادة	فلم يشق يوماً من رأتي وخطيا
وما قلت هذا دون أذن وانني	لاكنم سرأ لا يباح لغريبيا

وقوله أيضاً :

علقت به والناس في سنة الكرى	تمت منه الدهر إذ كنت مفردا
وزوحت في هذا الزمان وانني	لغي غيرة من يروم محمدا
ولكنني جليت قبل سباقهم	وقد نلت تبريز القرون لأحمدا
ولم لا وعز العبد عز ملكه	فطوع يميني الكون عبداً مسودا

٢ - أبو العلاء المعري : المنتخب من أدب العرب ج ٢ - ١٠٩ .

الرابطة المتعقدة في ذلك الوقت كما أنه لم يرجع إلى مكة إلى أن مات لأنه - حسب تقرير الحاج أبي بكر غمي - ما كاد يصل إلى وطنه حتى أصيب بمرضه الذي صار سبيل انتهاء أجله .

ولما سألته عن نشر ذلك في إحدى الصحف السعودية أجاب بأنه لا يدري عما إذا نشر في الصحف العربية ، ولكنه علم بأن إحدى الصحف الفرنسية قد نشرته ، وقد أكد السيد أبو بكر جبريل الغاني المحاضر بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو نيجيريا هذه القصة في مقابلي مع يوم الاثنين ١١ - ١٢ - ١٩٧٨ م دون أن يكون ملماً بما جرى في مقابلي مع السيد أبي بكر جومي .

ومهما يكن من شيء فإن طرفين من الناس - الناقد - والمعتقد - قد طلبا من الشيخ أن يبين لهما حقيقة الأمر بالنسبة لهذه القصيدة التي أعلن فيها توبته فأجابهما برسالتين الأولى للطرف الناقد والثانية للطرف المعتقد وتهمنا هنا في هذا الصدد الرسالة الأولى ، لأن كلام الشيخ فيها يدل على أن رسالة الاستفسار التي كتبت إليه والتي لم تصل إلى أيدينا تحتوي على تصريحات ، منها : أن التزام الطريقة التجانية بدعة والتخلي عنها هو الرجوع إلى السنة ، وأن المسلم الإفريقي يجب عليه أن يهتم بالتخلي عن الطريقة ليواجه المشاكل التي تهم أفريقيا وقد أضافت الرسالة أيضاً السذاجة والطيش أو ما في معناها إلى اتباع الطريقة التجانية (١).

فأجاب الشيخ عن التصريح الأول بقوله : « ولدي العزيز إن كنتم تعنون بالطريقة الطريقة التجانية التي أعرفها فالجواب هو أنني - بحمد الله - لم ولن أتخلي عنها أبد الآبدين لأن الطريقة التجانية التي أعرفها إنما هي الأذكار الثلاثة الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكلمة التوحيد لا إله إلا الله يلتزمها المسلم إيماناً واحتساباً وعملاً بتمام الكتاب العزيز والسنة المطهرة (٢) .

وأجاب عن التصريح الثاني فقال : « وأما المسلم الإفريقي الذي ذكرت أنه يهتم

١ - الشيخ إبراهيم انياس : رسالة إلى نياني صفحة ٥ .

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : نفس المصدر ؛

بالتفكير في موضوع التخلي عن طريقة الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتخلي عن ذكر الله فإني لأسأل الله تعالى أن يهديه سواء السبيل وأن يعصمه من شياطين الإنس والجن وأن يشرح صدره وينير بصيرته حتى يعلم أن مشكلة إفريقيا ليست في وجود الملايين من مسلميها الذين التزموا الطريقة كما وصفتها آنفاً لأن هذه الملايين المسلمة المؤمنة المنتسبة إلى الطريقة هم من خير أبناء إفريقيا وقد رأينا وجودهم الإيجابي في المساجد والجماعات وفي المزارع والمدارس والجامعات والأسواق والأحزاب السياسية والبرلمانات والحكومات والمحاكم والمصانع وفي سائر الميادين .

وأجاب عن التصريح للثالث بقوله : « ومن ظن بهم السداجة والطيش وظن أنهم على استعداد للتخلي عن خيرات تحققوها ويقين تشربته قلوبهم فأقل ما يقال فيه إنه لا يعرف المجتمع الإفريقي (١) .

إذا نظرنا إلى أجوبة الشيخ عن التصريح الأول نرى أنه يؤكد للسائل أنه ما تخلى عن الطريقة التجانية ولن يتخلى عنها لأنها مبنية على هذه الأسس الثلاثة التي وصفها بأنها فيض غدق من التعليمات والتوجيهات وهي الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله .

ولاشك أن الطريقة التجانية لو كانت قائمة على تلك القواعد الثلاثة وحدها وكان الغرض الأول والأخير من التزامها إنما هو الإيمان والاحتساب امتثالاً للأوامر القرآنية والسنية فحسب - ولم تكن موقوفة على إذن أحد غير هذا الإذن العام الإلهي الإسلامي من طريق القرآن أو السنة الصحيحة ولم تكن أيضاً تؤدي بطقوس معينة لم تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما وسع أحد من المسلمين انكارها خصوصاً الذين يتمتعون بشيء من فقه الدين الإسلامي ، ولكن للأسف إن الطريقة كانت مكللة بعقائد ومبادئ وتعاليم لا تلائم مزاج عدد من العلماء ويتبو عنها ذوق كثير من المفكرين المسلمين ، وقد أتعبت هذه الأمور علماء التجانية بالدفاع عنها والبرهنة على ثبوتها منذ تأسيس الطريقة التجانية إلى يومنا هذا ، وتعتبر إجابة الشيخ هذه استمراراً لذلك الدفاع .

وهذا السائل الذي اعترف له الشيخ نفسه بالانتماء إلى العلم لا يفكر عندما ظن أن الشيخ قد تخلّى عن الطريقة التجانية واختار طريق السنة إلا في تلك المبادئ والعقائد والتعاليم التي تعتبر العمود الفقري لقوام الطريقة التجانية التي قرأها في كتب التجانية وربما في بعض كتابات الشيخ إبراهيم إنياس نفسه أو سمعها من أفواه دعاة التجانية المتحمسين وكل هذا - بطبيعة الحال - لا يخفي على الشيخ إبراهيم الواسع الخبرة ، ولكنه حاد عن ذلك في إجابته وذكر ما لا يسع أحداً من المسلمين إلا قبوله والتسليم له وما ذلك إلا لأن فكره قد تطور عما كان عليه أيام كانت خبرته محصورة بالبيئة التجانية واتسعت كذلك مداركه بحيث تشغل حيزاً في الفكر الإسلامي أوسع بكثير من دائرة الطريقة التجانية وصار من جراء ذلك يحسب للرأي العام الإسلامي حسابه .

وكذلك إذا نظرنا إلى إجابته عن التصريح الثاني نرى أنه قد استعمل أسلوباً أدبياً شعرياً مثيراً للعاطفة حيث صور التخلي عن الطريقة التجانية بالتخلي عن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر لا إله إلا الله واستبشع ذلك وعظمه ودعا لمن يفكر فيه بأن يعصمه الله من شياطين الانس والجن فكأنه يوهم القارئ بأن من ترك الطريقة التجانية لا يتمكن من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر لا إله إلا الله أو بعبارة أخرى من لا يتقيد بالطريقة لا يستغفر الله ولا يصلي على النبي ولا يذكر لا إله إلا الله وليس كذلك إذ لا لزوم بين القيام بهذه الأذكار التي أمر الله بها كل مسلم وبين أخذ أي طريقة صوفية .

وأما عن اتباع الطريقة التجانية فانه وصفهم بصفة أنيقة رائعة حيث جعلهم على أرقى مستوى في الحضارة الإسلامية في العصر الحاضر ، وهم الموجودون في الجوامع والمساجد ، وهم الحراث والمزارعون الذين تعيش البلاد على عرق جبينهم ، وهم التلاميذ في المدارس والطلاب في الجامعات ، وهم التجار في الأسواق والدكاكين ، وهم الذين يزاولون الحركات السياسية والأمور الاجتماعية في البلاد ، وهم النواب الممثلون للشعب في البرلمانات ، وهم الموظفون القائمون بالإدارة في الحكومات ، وهم القضاة في المحاكم ، وهم العمال والمشرفون على العمل في المصانع ، وهم الفرسان في سائر الميادين .

ولا شك أن من وصف مجتمعاً - كانت هذه صفات أفراده - بالسذاجة والطيش كان هو الأخرى بأن يظن به الطيش والسذاجة لأنه برهن بذلك على أنه كان بمنزل عن دوران فلك المجتمع الإسلامي الأفريقي .

ولكن الراجع أن السائل عندما وصف أتباع الطريقة التجانية بالسذاجة والطيش - وذهب إلى أن التخلي عنها هو ما ينبغي أن يتفكر فيه المسلم الأفريقي الآن لمواجهة المشاكل التي تهم المجتمع الإسلامي الأفريقي - لا يدور في ذهنه إلا أشباح أتباع الطريقة المحيطين به في وطنه لا أتباع الطريقة الموجودين في السنغال .

وأما الشيخ إبراهيم في وصفه لأتباع الطريقة بهذه الصفات الرائعات فاما أن يكون مراده بذلك اعتبار ما يكون كما يقول البلاغيون ، والظاهر أنه يريد ذلك لأنه أرسل أبناءه وأبناء إخوته إلى البلاد العربية للتححر في العلوم الدينية والتوسع في مختلف أنواع الثقافات الإسلامية والعالمية ، وشجع تلاميذه في السنغال وموريتانيا على ذلك ، ولما أن يكون مراده بهذا الوصف الرائع اعتبار ما كان وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا شك يرمي به المجتمع الإسلامي السنغالي بأسره على اختلاف قبائله وطبقاتهم وتباين طرقهم ومذاهبهم ، فإذا كان الأمر كذلك فإن الفضل في ذلك لا يعود إلى الطريقة التجانية بل لا يعود إلى أية طريقة من الطرق الصوفية الموجودة في السنغال وإنما يعود بشكل يقيني إلى أولئك الطلاب السنغاليين الذين رجعوا من الخارج فأعلنوا ثورتهم المكشوفة على الطرق الصوفية ومشايخها ونادوا علناً بأن شيوخ الطرق قد حرفوا الدين الإسلامي ودعوا اتباع الطرق جهراً إلى التخلي عن هذه الطرق والإقتصار على أداء الصلوات الخمس ، والشعائر الدينية المعروفة بالضرورة فقط ، وأن لا يعتمدوا على شيوخ الطرق في نجاحهم الأخروية ، واتهموا هؤلاء الشيوخ بنصب أنفسهم قساوسة لبيع صكوك الغفران الذين يعتبرون وسائط بين الله وبين عباده ، وليس في الإسلام مثل هذه الوساطة ، إذ لارهبانية في الإسلام ، وقالوا إن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ما ادعى قط أنه شيء أكثر من نبي إنسان أرسله الله إلى للناس كافة ليعلمهم الدين الحق والأخلاق الفاضلة ، وما دعا الناس إلى عبادته ومن أجل ذلك كانت عبادة أتباع الطرق الصوفية لشيوخهم يخالف المبادئ الأساسية لبناء الإسلام ، وقالوا أيضاً إن

استغلال شيوخ الطرق لأتباعهم هذا هو الذي أدى إلى الرجعية والركود السياسي والاجتماعي والاقتصادي في أوساط المسلمين في السنغال ، وقد سبق بعض هذا في الفقرات السابقة في هذا الفصل (١).

ثم أسس هؤلاء الطلبة جريدة للافصاح عن آرائهم وأسسوا مدارس لتعليم القرآن والعربية مع العقائد الإسلامية ثم انقسموا أخيراً إلى فئات وطوائف بعضها تهتم بالطرق الصوفية مباشرة ، وبعضها تهتم بتنظيم التعاون الاجتماعي المشترك ، لترقية مستوى التعليم العربي ، وطلب المساعدة المالية من الحكومة للمدرسي العربية .

وعلى أي حال فإن أول جمعية أسست من هذا النوع هي الجمعية التي سميت باسم (الإخوان المسلمون) أسست في سنة ١٩٣٥ م - ١٣٥٤ هـ برئاسة عبد القادر دياغني وكانت الجمعية معتدلة في نقدها للحكومة والطرق الصوفية فاختصت أهدافها في النقاط التالية :

١ - إصلاح التعليم في السنغال وإدخال علوم الدين الاسلامي واللغة العربية في المدارس الحكومية .

٢ - إصلاح الطرق الصوفية .

٣ - مقاومة نشاط المبشرين المسيحيين .

٤ - رفض الحضارة القائمة على الثقافة الغربية (٢).

فلما أطلقت الحكومة الفرنسية حرية تأسيس الجمعيات السياسية انتشر الشعور بالقومية في البلاد ، فتأثرت بذلك هذه الطوائف التي تدعو إلى الإصلاح الديني ، فتحالفت بعضها مع الجمعيات السياسية المناوئة للاستعمار ، وهاجموا الطرق الصوفية التي شبهوها هي الأخرى بالاستعمار الديني ، وهذه الطائفة طبعاً تناقض جمعية الإخوان المسلمين التي اتخذت سبيل الاعتدال في مهاجمة شيوخ الطرق والمستعمرين ،

١ - Muslim Brotherhood in Senegal 157 : Mrs. L. C. BEHRMAN

٢ - Muslim Brotherhood A. N. P. in Senegal : Mrs. L. C. BEHRMAN

فبذلك قلت أهمية جمعية الإخوان المسلمين ، وأسست هذه الطائفة جمعية أخرى باسم جمعية الثقافة الإسلامية سنة ١٩٥٣ م - ١٣٧٣ هـ برئاسة الشيخ توري فلخصت هذه الجمعية أيضاً أهدافها كالتالي :

١ - بيان حقيقة الدين الإسلامي لعامة المسلمين .

٢ - الجواب عن المسائل الهامة التي تمس الإسلام .

٣ - نشر المجالات العلمية لتثقيف المجتمع الإسلامي وتربيته أخلاقياً .

٤ - الدفاع عن الإسلام من هجوم أعدائه (١) .

فقامت جريدتهم بالاحتجاج ضد ما أسسته بموقف الفرنسيين ضد المسلمين ثم نددوا بالطرق الصوفية على أنها أفسدت الدين الإسلامي وحرفته تحريفاً فاحشاً (٢) .

فمثلاً إن الشيخ توري رئيس الجمعية قد أدان المستعمرين بمحاولة تحطيم المدارس القرآنية وتكفيل المدارس الكاثوليكية المسيحية ، ونفي رؤساء المسلمين من البلاد ، أو حبسهم في السجن ، ومحاولة تقسيم جمعيات المسلمين الإصلاحية على أنفسهم ، وزاد الشيخ أحمد أمبك في بند الشكاوى ضد المستعمرين بأنهم يقاومون تقدم الإسلام وينشرون الاشاعات المزورة ضد الحركات المناوئة للفرنسيين ، ويطعنون في الطلاب الذين يدرسون في القاهرة والمغرب بأنهم يقومون بنشاطات مؤيدة للشيوعية (٣) .

هذا وقد نشر السيد عمر دينغ الأمين العام للجمعية الثقافية الإسلامية مقاله في جريدة Reveil وأعلن فيها بأن الجمعية لا تعارض شيوخ الطرق الذين يؤيدونها ويعترفون بأنها تجاهد من أجل توحيد المسلمين ، وجعل الإسلام ديناً واحداً ، ونشر العلوم العربية ، ومحاربة التعصبات المذهبية ، والطائفية ، والدجل الديني ، والشعوذة ، ونددت الجمعية كذلك بطريقة تدريس القرآن في بيوت الشيوخ ونقدت الشيوخ أيضاً

-
- | | |
|--|-----|
| Muslim Brotherhood in Senegal 162 : Mrs. L. C. BEHRMAN | - ١ |
| Muslim Brotherhood in Senegal 162 : Mrs. L. C. BEHRMAN | - ٢ |
| Muslim Brotherhood in Senegal 162 : Mrs. L. C. BEHRMAN | - ٣ |

على تربيتهن الصبيان على السجود أمامهم ، تكريماً لهم ، ونددت بهم أيضاً على جمعهم الأموال من أتباعهم ، وانتهازهم فرصة جهالة هؤلاء الأتباع لخداعهم بتقلعهم المحمل بأنواع الميكروبات في أيديهم بدعوى أنهم يباركونهم وهكذا .

وكان الشيخ إبراهيم انياس مع قليلين من الشيوخ الآخرين يؤيدون هذه الجمعية ، بالرغم من هذا الهجوم العنيف والنقد الشديد اللاذع الموجهين إلى شيوخ الطرق الصوفية منها ، ولعل سبب ذلك هو أن هذه الجمعية كانت تناوى جمعية UPS التي يتزعمها الرئيس سنغور لأن هؤلاء الشيوخ كانوا على خلاف شخصي معه ، في خمسينات هذا القرن (١) ولعل إلى أعضاء هذه الجمعية يوجه الشيخ إبراهيم نداءه في خطبة له حيث قال : « وأنتم أيها الشبيبة آمالنا معقودة فيكم حتى تقيموا ما اعوج في وطننا المحبوب وديننا المقدس ولا بد من أداء تلك الرسالة (٢) .

وأما أكثر شيوخ الطرق والحكومة الفرنسية كانوا على عداوة مكشوفة مع هذه الجمعيات لتزايد نفوذهم في البلاد حتى أعلنت الحكومة الفرنسية إدانة الجمعية رسمياً بدعوى أنها كانت على علاقة مع جمعية الاخوان المسلمين في مصر ، والحركات الإسلامية المعادية للفرنسيين في شمال إفريقيا ، وأغلقت مدارس الجمعية العربية ورفضت جميع مطالبها ، وجعلت أعضائها تحت رقابة شديدة ، وكل هذا لم يثبط همة الجمعية ، ولم يفتّر نشاطها ، وعندما نالت البلاد استقلالها كانت الجمعية تكفل ثمانية وعشرين مدرسة عربية في طول البلاد وعرضها ، وفي سنة ١٩٦٢ م - ١٣٨٢ هـ أرسلت الجمعية عدداً من الطلاب إلى المغرب للتعليم العالمي (٣) .

وفي نفس السنة أيضاً كونت جمعية Amean وجمعية الثقافة الإسلامية MCM وجمعيات إصلاحية أخرى لشبان المسلمين السنغاليين اتحاداً برئاسة السيد عبد العزيز سي أخ الشيخ التجاني سي وابن أخ الخليفة الشيخ عبد العزيز سي ومعنى كل هذا أن السيد عبد العزيز هذا هو حفيد للشيخ مالك سي أكبر مقدم وناشر للطريقة التجانية

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر ص ١٦٤ .

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : خطبته لمناسبة عيد المولد سنة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م .

٣ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر ص ١٦٥ .

في السنغال ، وكان مركزهم في مدينة توابون الواقعة على الطريق الرئيسي إلى جزيرة (سينت لويس) ومن ثم إلى الحدود الموريتانية .

فقدمت الجمعية الاتحادية مطالبها إلى الحكومة ، ومن ذلك إصلاح أحوال المسلمين في البلاد ، وترقية مستواهم الاجتماعية ، وتسهيل طرق التعليم لهم ، ومنح طلاب المسلمين بعثة دراسية إلى الشرق الأوسط .

وأعلن السيد عبد العزيز سي ثورته على الطريقة التي كانت مفخرة بيته ، وندد بتفريق المسلمين إلى فرق وأحزاب ، وفشو الجهل بينهم ، ثم أدان طريقة تعليم الدين في السنغال ، مشيراً إلى أن عبادة الله لا تتطلب وساطة أحد من هؤلاء الشيوخ ، ودعت الجمعية أيضاً إلى تكوين منظمة الهلال الأحمر الاسعافية للمسلمين في البلاد ، كما دعت رجال الدين إلى المساهمة في الأمور المدنية مثل تسجيل الولادات والوفيات والزواج وغير ذلك .

فأعلنت هذه الجمعية الاتحادية في سنة ١٩٦٦ م - ١٣٨٦ هـ أنها في غضون السنوات القليلة التي مضت منذ تكوينها قد حققت عدداً من الانجازات الهامة ، مثل اقناع الحكومة لفتح مدرسة لتعليم اللغة العربية والفرنسية ، وتحصيل المنح الدراسية للطلاب المسلمين الذاهبين إلى البلاد الإسلامية للتعليم ، وأقنعت الحكومة أيضاً في إدخال العلوم الدينية في المدارس الحكومية ، وزيادة على ذلك إن الجمعية كانت في أواخر سنة ١٩٦٥ م - ١٣٨٥ هـ تدير ١,٥٠٠ من المدارس العربية في البلاد (١).

لخصت هذا الكلام بشيء من الاسهاب كي لا أدع مجالاً للشك في أن الفضل في ترقية مستوى المسلمين العقلية والثقافية والاجتماعية في السنغال يعود إلى أولئك الطلاب السنغاليين الذين كملوا دراساتهم في الشرق الأوسط والمغرب ، ورجعوا إلى بلادهم مشبعين بالحركات الإصلاحية التي قامت على أكتاف الوهابيين والسيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والاعوان المسلمين والسلفيين في مصر والمغرب ، فأعلنوا ثورتهم المكشوفة على الطرق النصوفية ومشايخها ، ونادوا علناً بالإصلاح العام للدين

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٦٧ .

الإسلامي في البلاد ، على النحو الذي مر آنفاً وقاموا بتوحيد صفوف المسلمين ، وحاربوا التعصبات القبلية والطائفية والدجل الديني ، وطالبوا الحكومة المستعمرة ببرد حقوق المسلمين كاملة إليهم ونهبوا كثيراً من شيوخ الطرق إلى إعادة النظر في الأمور المتعلقة بالدين وعلاقتهم مع اتباعهم .

ولا شك أن الشيخ إبراهيم أنياس بفكره الثاقب وحسه المرهف ونفسه التواقفة إلى الإصلاح قد تأثر بهذه الحركات الإصلاحية القائمة في قلب وطنه تأثراً غير قليل .

ولا تنسى أننا قلنا فيما تقدم إن هؤلاء الشبان الذين قاموا بهذا الإصلاح الاجتماعي الواسع المدى في السنغال كانوا من سلالة شيوخ الطرق وأقربائهم ، فإياهم يعني الشيخ إبراهيم بوصفه الرائع للمجتمع الإسلامي الإفريقي وإليهم أيضاً يوجه نقده اللاذع في آخر الرسالة حيث قال : « وأمام المسلم الإفريقي مشاكل في محيط الدعوة الإسلامية بالذات لوجود بعض الدعاة الجاهلين المتشبعين بما لم يعطوا ، وبعض العلماء الدعاة الذين يجروا ن العامة على التناول على تراث الأمة وعلى صلحائها وأئمة العلم قديماً وحديثاً ويدربونهم على سوء الظن وعلى الشك السلبي المزئزل للاركان (١) وهم المهدف أيضاً في قوله في خطبة له : « واني أرى الآن حركات يقوم بها بعض المسلمين تهدم الدين من أساسه ، كما أرى منظمات تبذل جهوداً متواصلة ترى أنها تخدم الدين وهي بالعكس تهدم الدين » . (١)

وهذا كله يفضي بنا إلى ظاهرة هامة لا يسعنا إغفالها في هذا الصدد وهي أن حركات الطلاب السنغاليين هذه تدل بوضوح على أن خطة الشيخ الجديدة هذه من إرسال أبنائه إلى المدارس النظامية والجامعات العالمية قد لا تكون في صالح الطريقة لأنه من الصعوبة بمكان أن يتدرب الطالب من المدرسة الابتدائية النظامية إلى أن يصل إلى الجامعة ثم يتخرج وهو متفكر في أمر الطريقة وطقوسها ، وغاية ما يمكن منه هو مداراة أهل الطريقة ما دام فيهم . أو يقوم بالتأييد السلبي لها لإرضاء لأصحابها ذلك

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : رسالته إلى نيامي ٦

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : خطبته لمناسبة المولد النبوي سنة ١٣٨٣ هـ .

لأن الطريقة تحتاج إلى تربية خاصة شبه إنعزالية حيث يتدرب مریدها على التعصب لها وحدها ولا يعرف إلا إياها ولا ينظر إلى أي شيء آخر إلا من خلال منظارها كما تحتاج - من أتباعها أيضاً - إلى سداجة عقلية نوعاً ما ، وأما الذي قطع مراحل التعليم النظامي إلى نهايته العالية فقلما تجده يتفرغ للتعصب الطائفي الجزئي كما أنه من الصعوبة بمكان أن تجد السداجة في ذهنه مكاناً خالياً تحتله .

وإن دل كل هذا على شيء فأنما يدل على أن الشيخ إبراهيم إنياس قد قل اهتمامه بالطريقة في المرحلة الأخيرة من حياته ، وغیر منهاجه من الدعوة إلى الطريقة التجانية إلى الدعوة الإسلامية العامة ، ولعله من أجل ذلك بعث بأبنائه كالهم إلى الشرق الأوسط والمغرب للتعلم ، وهو ملم بالثورة التي قام بها الذين أنتموا دراستهم قبلهم في تلك البلاد على الطرق الصوفية وشيوخها ويؤيد كل ما قررنا أن الشيخ إبراهيم عندما وقع على الرسالة التي نحن بصدد كتابها (إبراهيم إنياس الكواخي رئيس الاتحاد الإسلامي الإفريقي) بدلا من إبراهيم بن الحاج عبدالله التجاني كما تعود أن يكتب في رسائله الأولى مع أنه يرد على الذين يظنون أنه قد تخلى عن الطريقة التجانية .

ومهما يكن من رأي فإن الشيخ إبراهيم إنياس قد حدد أهداف دعوته الأخيرة في مقابلته مع ذلك الصحفي الحجازي دعنا ننقل عباراته بحروفها ثم نقارنها بما جاء بعد سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م السنة التي أعلن فيها توبته - من خطبه ومواظله وإرشاداته لنرى أكانت مواظله تسير حسب هذا المنهج الجديد أم لا تزال تسير على المنهج القديم المختص بالطريقة التجانية والشيخ التجاني ؟ .

سأل الصحفي الشيخ بقوله : « فهل لكم يا فضيلة الشيخ أن تلخصوا لنا أهداف دعوتكم » ؟ .

فأجابه الشيخ بقوله : « بكل سرور أنها » .

أولا دعوة غير المسلمين بكل وسيلة ممكنة ليدخلوا في دين الله تاركين الوثنية أو المسيحية وهي :

ثانياً الحد والاجتهاد في توعية المسلمين ونصحهم وإرشادهم بمختلف الوسائل

حتى يستمر سيرهم إلى الله وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم وهي :

ثالثاً تجنيد كل الطاقات الممكنة لنشر لغة القرآن وهي :

رابعاً الدعوة إلى تعميق الشعور بالأخوة الإسلامية ففي ظلال هذه الأخوة يتم
تسامح التحرر من قيود النزعات الإقليمية والعنصرية . والإسلامية وهي :

خامساً ربط الدعوة بالحركات والهيئات الإسلامية في العالم ، لأن هذا التعاون من
مقتضيات الأخوة الإسلامية وهي :

سادساً التصدي للقوى التي تسعى لفتنة المسلمين من تبشيرية مسيحية ومن صهيونية
متسرة وغيرها .

هذا والمهتمون بقضايا الإسلام في بلادنا يعرفون الكفاح الاصلاحى لجماعتنا
المسلمة في شتى المجالات والله الموفق .

الناظر لهذه الأهداف الستة التي حددها الشيخ والتي تقوم عليها دعوته يدرك أنه
لا يفكر في طائفة معينة ، وإنما كانت همته موجهة نحو الإسلام وحده ، والاصلاح
العام للمجتمع الاسلامي على اختلاف طوائفه ومذاهبه ، وتوحيد صفوفه ، وجمع
كلماته ليتخلص من التعصبات الطائفية والعنصرية والإقليمية من جهة ولينتقوى للتصدي
للقوى التي تسعى لفتنته من جهة أخرى .

ومن أعجب الأشياء وأدلها على الرأي الذي نقرره أن الشيخ ابراهيم في هذه
المقابلة الصحفية قد صرح ببراءته من أن يكون مؤسس حزب أو زعيم طائفة .

فقد سأله الصحفي بقوله : « هل لكم إحصاء لعدد أولئك الذين دخلوا الإسلام
بفضل دعوتكم .

فأجابه الشيخ بقوله : « لا أعلم عددهم ولم أحاول ذلك فالذي يهمني بالدرجة
الأولى هو أن يهدي الله فرداً أو أفراداً إلى دينه الحق على يدي أو على يد غيري (ولست
مؤسس حزب ولا زعيم طائفة) إلا أنهم كثيرون جداً ومن جميع المستويات من
الأفارقة وبعض الفرنسيين .

لعلك تدرك معي هنا أن الشيخ إبراهيم قد تبرأ من أن يكون زعيماً لطائفة معينة ، أو زعيماً لحزب سياسي ، ولعل معنى ذلك هو أنه يعتبر نفسه داعية إسلامياً بالمعنى الموافق للرأي العام الاسلامي ، ولعله من أجل ذلك جعل من أهدافه ربط دعوته بالحركات والهيئات الاسلامية في العالم ، وهذا كله مع أنه كان ملماً بأن دعوة ابن تيمية هي السائدة في العالم الاسلامي في الوقت الحاضر ، ولعل الكل يعرف أن حركة الوهابية في الشرق الأوسط قامت على أساس دعوة ابن تيمية ، وحركة السلفية في مصر والمغرب كذلك ، وما حركة الاخوان المسلمين التي عمت العالم الاسلامي كله إلا امتداداً لتلك الدعوة ، وكانت الحركة الاصلاحية التي قام بها السيد أبو الأعلى المودودي وجماعته في الشرق الأقصى مستمدة منها أيضاً ، وما كانت حركة الحاج أبي بكر جومي في نيجيريا إلا شعلة منها ، وما قامت حركة الطلاب السنغاليين - الآفنة الذكر - الذين اعلنوا ثورتهم على الطرق الصوفية وصرحوا بأن شيوخ الطرق قد حرفوا الدين الاسلامي ونادوا باصلاح الحركات الدينية والاجتماعية في البلاد إلا على ذلك الأساس أيضاً .

ويؤيد هذا الرأي الذي نقرره أيضاً أن الشيخ ابراهيم في بعض المناسبات كان يفر من ذكر الطريقة التجانية والانتساب اليها ، فمثلاً عندما سأله ذلك الصحفي الحجازي عن مقالة نشرت ضده هو وجماعته في غانة بقوله : « بهذه المناسبة أذكر أن جريدة الدعوة في عددها ٣٠٥ بتاريخ ٢٠ - ٤ - ١٣٩١ هـ قد نشرت رسالة من غانا بتوقيع شخص يدعى عمر ابراهيم إمام ذكر فيها أنه في معركة مع أتباعكم في غانا ، ونسب إليهم عقائد غريبة عن دعوتكم ، فهل اطلعتم على العدد المذكور ؟ وما تعليقكم عليه ؟ فأجابه بقوله : « نعم لقد اطلعت على العدد المذكور لأن رئيس التحرير جزاه الله خيراً يتفضل بإرسال الجريدة إلي وأما صاحب الرسالة فلا أعرفه فلعله على خلاف شخصي مع بعض قومه الذين أسلموا على يدي في غانا فاستجار هذا الأسلوب الغريب للنكاية بهم ، وله أن يقول ما يشاء على الفرقة الباطنية إذا وجدهم ، وأما نحن فمن جماعة المسلمين المالكين الأشعرين نوحده الله عز وجل في ذاته وصفاته وأفعاله توحيداً لا يرقى إليه شك أبد الآبدين فهو الرب ولا رب سواه ، وهو الإله فلا إله غيره فمن تقول علي أتباعي وحال التشهير بهم فهو المسؤول عن أفعاله ومساعيه

ولست أدري لمصلحة من ولماذا يصبر بعض الناس على إثارة الفتنة ، وعلى إلقاء المسلمين عن رسالتهم الحققة ، والرجل المذكور ليس الأول من نوعه ولن يكون الأخير ثم أن أنصار دعوتي منتشرون في أفريقيا من السنغال حتى إلى تشاد ، فلو فرضنا أن المذكور قد رأى منكراً من قول أو فعل فهلا عرف أنه كم إنسب إلى قوم من ليس منهم » .

وأنت هنا ترى أن الشيخ إبراهيم إنياس قد تكف عن ذكر الطريقة التجانية والانتساب إليها ، وبيّن أنه هو وأتباعه مالكيون أشعريون ليس إلا . وإن الذين يقولون أو يفعلون هذه الأمور التي عابها عليهم ذلك الرجل العاذ فليسوا من أتباعه ، مع أن الشيخ بإمكانه أن يقول إنه هو وأتباعه المنتشرون في طول غرب أفريقيا وعرضها تجانيون والطريقة التجانية صفتها كيت وكيت على النحو الذي مر في كتاب الرحلة الحجازية الأولى .

فلماذا أغفل الشيخ إبراهيم ذكر الطريقة التجانية والانتساب إليها ؟ ورفض أن يكون هؤلاء الذين يخاصمون عمر إبراهيم الغاز من أتباعه ولعله لجأ إلى ذلك لأنه يعرف أنه بمجرد انتساب نفسه إلى الطريقة التجانية لا يتردد الصحفي في قبول كل ما نسبته ذلك الرجل الغاني إليه هو وأتباعه من العقائد الزائفة والتصرفات الفاسدة ، وهذا أيضاً قد يفضي إلى توجيه الصحفي إليه أسئلة أخرى تمس عقائد الطريقة التجانية الموجودة في جواهر المعاني ، وهذا أمر - بطبيعة الحال - حرج عليه ولا سيما في مقامه بمكة .

وعلى أي حال فإن الصحفي لم يذكر لنا نوع هذه العقائد الغريبة التي نسبت إلى أتباع الشيخ إبراهيم في غانة ، إلا أن ذلك في الواقع ليس أمراً جديداً أي ليس عمر إبراهيم أول من نسب إليهم عقائد غريبة ينبوعها الذوق السليم لأننا وجدنا رسالة - تنسب إليهم مثل هذه العقائد - قد أوردتها الحاج باب الواعظ الكوماسي في كتابه (رسالة المنصور في الرد على رسالة دسيمة الانكار) كتبها رجل تعمد الحاج باب إغفال ذكر اسمه خوف انتشار الفتنة على حد قوله ، وقد كتبت الرسالة ١٣٦٦ هـ أي قبل ذلك بحوالي ٣٢ سنة فما هي الرسالة أنقلها برمتها كما نقلها المؤلف .

« الحمد لله الذي قال في كتابه (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : « أطلبوا العلم ولو بالصين » الحديث بعد التحية وأداء واجب الاجلال والتبجيل فأسألكم الله ولرسوله أنه قد ظهر بعض التلاميذ في هذا الزمان يقولون بملء فيه ما يأتي :

الأول إن الله تعالى في السماء السابعة بيته ودهليزه وأنه لا يعرف ذلك إلا من تربى :

الثاني إن عيسى قد مات وأن المهدي هو الشيخ ابراهيم الكولخي وأن طلوع الشمس التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة هو أيضاً شيخنا الكولخي .

الثالث إن باب التوبة مغلق اليوم إلا من توسل به وتربى أيضاً .

الرابع أن لا مذهب إلا ما أشار اليه الشيخ إذ المذهب جهل .

الخامس إن القرآن يحمل ظاهره وباطنه .

السادس أن علم الباطن أفضل من الظاهر .

السابع أن مقام الشيخ أعلى من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي

الثامن أن علم الشيخ أعز وأكثر من مالك وأن مذهبه خطأ كله .

التاسع أن هذا الورد أفضل وأعز من الصلاة المكتوبة .

العاشر أن من قال لا إله إلا الله مخلصاً يدخل الجنة ولو لم يصل .

الحادي عشر أن ما في الكتب كلها كذب وخطأ إلا ما دل عليه الشيخ فعظم على

هذا الشأن ودخل في جوفي الفرع فقلت عندي خبر وبخر يعرف هذه كلها أسأله عنها ،

أشفي أيها الأخ ولا تخف فإن رأيت سيلاً واضحاً أميل اليه وأترك مقالة الناس وخف

ما قال سيد البشر أن من كتم علماً أبحمه الله بالنار يوم القيامة وأعوذ بالله من الشيطان

الرجيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم .

هذا والسلام الباعث مالم فلان كوما سي » (١).

١ - السيد الحاج أحمد بابا الواعظ : رسالة المنصور في الرد على رسالة دسيسة الإنكار ٤٩ .

فلذا أنكر الشيخ ابراهيم - أو أحد أتباعه المدافعين عنه في غانة أو في أي مكان آخر - أن يكون هو الذي أمرهم بهذه العقائد الباطلة مباشرة يصدقه الباحث الذي وقف على شيء من حقائق أموره إلا أنه مع ذلك يجد صعوبة في تصديقه في رفضه أن يكون أصحاب هذه العقائد من أتباعه أو أن تكون هذه العقائد مبنية على أساس تعاليمه الأولى أو تعاليم الطريقة التجانية ، لأنه بإمكان الباحث المدقق أن يرد جميع هذه العقائد الفاسدة إلى أصولها في تعاليم الشيخ ابراهيم أو تعاليم الطريقة التجانية ، فلأنك لو رجعت إلى الفصل الذي فصلنا فيه مميزات دعوته الأولى تكاد تجد أكثر المبادئ التي تقرر هناك تطابق هذه العقائد المتضمنة في تلك الرسالة أو توثيدها .

ومهما يكن من شيء فلذا جاز لنا أن نصف أصحاب هذه العقائد بالجهل فلا يجوز لنا أن نصف الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي - أحد كبار أصحاب الشيخ ابراهيم لإناس في نيجيريا وأحد رجال العلم والفقه فيها أيضاً - بالجهل وهو قائل هذه الأبيات الآتية في مدح الشيخ ابراهيم لإناس :

أفلت نجوم هدى فما من مهتد	إلا يهدي من أبي إسحاق
بحر العلوم وقطب دائرة الفنا	نور الزمان وسابق السباق
نسخت به آياتهم آياته	لا نسخ يدخلها بقاء الباقي (١)

وقال في مدح الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية .

ومن كان حبا للتجاني وصحبه	وأهل طريقته يموت بإيمان
ومن لم يتب من بغضه مات كافراً	أعوذ برب الناس من بغض تجان
ولا تجلسن مع من يكون بغضه	ولا تأكلن معه كذلك شربان
وجالسه أي مبغض الشيخ هالك	سوى ما إذا قد تاب حقاً بسرعان
ولياك والصلاة أي خلف مبغض	ولو كان ذا علم تبوء ببطلان
تقيد أخي بورده فيه واجتهد	تفوز من الرحمن حقاً برضوان
طريقته فاقت جميع الطرائق	كما هو فاق الخلق طراً بعرفان (٢)

١ - الشيخ أحمد التجاني عثمان : ديوان مرقا العشا ١١ .

٢ - الشيخ أحمد التجاني عثمان : الثمرات الدواني في مدح الشيخ أحمد التجاني ٤

فاذا قرعت هذه الأبيات أسمع أولئك الغائبين أصحاب تلك العقائد السابقة أو أسمع كل من كان على شاكلتهم من جهال أهل الفيضة التجانية في أي مكان كانوا بماذا يفسرونها ؟ أو كيف يفهمونها ؟ .

أجل إن الشيخ إبراهيم قد أعلن براءته في غير ما رسالة من كل من يعمل ما يخالف الشريعة وينكب عن جادة السنة النبوية من أتباعه ومن ذلك قوله : « أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئاً من مخالفة الشريعة المطهرة باقتحام المحرمات وترك المأمورات فأشهد الله وأشهدكم أنني بريء منه اللهم أني بريء اليك مما صنع هؤلاء (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهكذا .

ولكن البحث العلمي مع ذلك كله لا يتكهن من تبرأته وتنزيه ساحته مما يصدر من أتباعه من هذه العقائد الزائفة والتصرفات الفاسدة ما لم يرتب هذه المبادئ والتعاليم التي قامت عليها دعوته الأولى والتي قرررها في كتبه ورسائله - والتي يبيي أتباعه عقائدهم على أساسها ، ويعتمد المفسدون منهم عليها في سلوكهم الأيامي - وأعلن براءته منها وحذر أتباعه من اعتقادها فمثلاً أن الشيخ إبراهيم قد أورد في كتابه (السر الأكبر) ما سماه بالدائرة الفضلية وقال إن الشيخ التجاني قال : إن الطريقة التجانية قد نشأت في تلك الدائرة فوصفها بقوله : « إن منشأ هذه الطريقة ... الدائرة الفضلية التي هي وراء الدوائر التي هي دوائر الأمر والنهي والجزاء خيراً وشرأ والاعتبارات واللوازم والمقتضيات فإن هذه الدوائر هي دوائر عموم الخلق وتلك الدائرة الفضلية هي دائرة اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى فيضعها لمن شاء من خلقه ، وهذه الدائرة جعلها سبحانه وتعالى عنده فيضعها فائضاً من بحر الجود والكرم لا يتوقف فيضه على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط ولا يبالي بمن كان فيها وفي بالمعهود أم لا ، انتهج الصراط المستقيم أم سقط في المعاصي في الطريق الوخيم ، ولا يبالي فيها لمن أعطى ولا على ماذا أعطى ، ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع ، وفيها كما قال شيخنا أوقع الله أهل طريقته فصارت عبادتهم محبة وشكراً (١) .

الناظر لهذه الدائرة بإمعان لا يعثره ريب في أن من أدرك حقيقة معنى هذه الدائرة وآمن بها وفهم أنه وقع فيها لا يتوقف عن اقتحام كل ما يشبع به شهواته النفسية ، ويروي به رغباته الغريزية ، إلا ما يتيقن أن المسلمين يثرون عليه : أو تحاكمه الحكومة بارتكابها فقط ، وهذه الدائرة وحدها تكفي أساساً لكل سلوك فاسد ، واعتقاد زائف ، وتوهّمات باطلة .

والراجع أن أكثر أتباع الشيخ إبراهيم يعتمدون عليها في كثير من سلوكهم وتصرفاتهم ، فمثلاً عندما شدد الشيخ الكبير على ما يصدر من أتباعه من السلوك القاسد والتصرفات الزائفة ، وأرسل إلى كبار مقدميه رسائل متتالية يتبرأ فيها من كل عمل يخالف الشريعة كتب إليه بعض كبار مقدميه المورثانيين وجاء في كلامه ما يلي : « إن الكتاب الذي رأينا على يد الخليفة السيد علي سبس بلغ في القلوب مبلغاً عجيباً حتى إن البعض صار يقول هذه براءة فقط أعاذنا الله من ذلك ، وأما أنا فلم أفهم من الكتاب إلا أنه في غاية كمال الدلالة على الله من حيث هو وكنت أفهم أن أكثر المجاذيب لا شعور لهم بالله لأن أعظميته اختطفتهم عنه ، وعلى كل حال فلاني أتوجه إليكم برحمانية رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحمانية الشيخ التجاني وبرحمانيّتكم أن تقبلوا علينا بمحض الفضل والرضى ، وأن تسامحونا في كل ما صدر إليكم منا ظاهراً وباطناً ، فوالله ما حملنا على دوام التعطش والتشوق إلا حسن الظن ولعلمنا بأن هذه الدائرة دائرة فضل لا يتوقف فيضها على شيء ، فلو كان فيضها معلقاً على شيء من الصدق والمحبة أو الأدب أو العبادة لما كان لنا رجاء به ، ولو اتصفنا بجميع هذه الأوصاف لما كان لنا رجاء أيضاً إلا بفضل الله علينا بكم وما نحن طأطأنا الرؤوس تحت تاب نعلكم ونطلب منكم التجديد وضمن أن نموت ونحن على عهدكم ومحبتكم ، وكفانا هذا من المطالب (١) .

وبإمكاننا ولو بالنظرة الخاطفة تلقاء هذه الرسالة أن نستنتج الأمور الآتية .

أولاً إنه فتح كلامه بالتعجب من رؤية رسالة الشيخ التي يعلن فيها براءته من كل عمل لا يسير على جادة السنة المحمدية ويطلب منهم على وجه التأكيد الاتصاف بأوصاف مخصوصة والاشتراط بشروط مضبوطة .

ثانياً : إنه ذكر الشيخ في الرسالة بأن المجاذيب - الذين تربوا - لا شعور لهم بالله لاختلافهم بأعظميته عنه ، كأنه يريد بذلك أن يقول إن الذي لا شعور له بالله لا يراقبه ، وبالتالي لا يؤخذ بكل ما صدر منه من المخالفات .

ثالثاً : إنه ذكر الشيخ في الرسالة أيضاً بأنهم أقاموا أمورهم كلها على أساس هذه الدائرة الفضلية التي لا يتوقف فيضها على ما يكررها في رسائله من الصدق والمحبة والأدب والعبادة وما إلى ذلك ويندد بكل ما تساهل فيها .

ومهما يكن من شيء فالذي نتوقعه من الشيخ عندما غيرَ منهاج دعوته أن يخرج هذه المبادئ والتعاليم ويكتبها في منشور عام يبعث به إلى جميع الأقطار التي اعتنقت تعاليمه ، معلناً أنه رجع عنها ويطلب من أتباعه الرجوع عنها أيضاً ، ولكنه للأسف ما فعل ذلك حتى مات ، بل إنه بدل ذلك أوصى لكافة أصحابه بالتمسك بالطريقة التجانية التي وصفها بكثرة الأحياء والأموات من دون أن يخرج منها تلك المبادئ والتعاليم ، وعلى هذا فإن الشيخ مكبرج العياشي التجاني كان على جانب عظيم من الصواب حيث قال : « وطلب المتصدر للشيخوخة للاخذ بيد الكثير من المريدين بادعاء التربية منه لهم يفضي إلى سوء الظن به وهلاك جم غفير على يده من المؤمنين الذين لم يصيروا معه على حال مع أنهم كانوا في غنى عنه بعدم التقيد بحبل عهده وكانوا بأداء فرائضهم دون سيطرته عليهم في سلامة في قربه وبعده كما يجد هذا من نفسه من عامل الله صادقاً ومن اختبر نفسه وخبر ما عليه المريدون لا يدخله ريب فيما قلناه » (١)

بذلك ندرك أنه لولا هذه التربية لما تجاسر الشيخ نفسه على الإدلاء بكثير من مبادئ وتعاليمه تلك ، لسمو أخلاقه وما يتمتع به من فهم في الفقه الاسلامي ، وميله

١ - الشيخ أحمد سكبرج : تنبيه الاخوان ١٠٧

الظاهر إلى الإصلاح كما أن أتباعه خصوصاً ذوي العلم والدين منهم ربما يجدون حرجاً شديداً في قبولها منه لولا هذه التربية أيضاً .

وعلى أي حال فإنه لا يسعنا إلا أن نصدق الشيخ إبراهيم تصديقاً جازماً في أن من أهداف دعوته الجديدة بث الشعور بالأخوة الإسلامية في أوساط المسلمين وربط دعوته بالحركات والهيئات الإسلامية في العالم ليتحقق التعاون الذي كان من مقتضيات هذه الأخوة الإسلامية ، والشاهد على ذلك أن الحاج أبا بكر جومي كان معروفاً بمخالفته للشيخ إبراهيم وجماعته ، ولما اجتمع به في المدينة المنورة سنة ١٣٨٤ - ١٩٦٤م وتحدثنا حول التعاون النشيطي للدعوة الإسلامية في نيجيريا فمجرد أن آنس الشيخ إبراهيم رغبته في هذا التعاون كتب فوراً إلى أتباعه النيجيريين يحثهم إليهم توحيد حركاتهم مع جمعية الحاج أبي بكر جومي ليكونوا قوة واحدة للدعوة الوثنيين إلى الإسلام ، وسد طغيان التبشير المسيحي في البلاد ، وجاء في الرسالة ما يلي : « فلاني هنا بالمدينة أمام الرسول الأعظم أسأل الله تعالى لي ولكم الهداية والتوفيق والنصر والتأييد على خدمة الإسلام والأخذ بأيدي الإخوان والسير بهم على الصراط المستقيم وأرجو الله أن يوفق بين قلوب المسلمين ونسعى في ذلك ولا نألوا جهداً ، وهذا وعندكم جمعيات للتعاون على خدمة الدين ونشر الدعوة وتحدثنا مع الأخ قاضي قضاة نيجيريا الشمالية فرأيت منه رغبة في تعاون جمعياتكم مع جمعياتهم لتكون قوة كافية للقيام بدعوة الوثنيين إلى الدين ولاني لا أرى بأساً في ذلك بعد مشاورتكم ومشاورة كبيركم الحاج محمد السنوسي وأنا مهما اتفقتم على شيء معكم والشاهد يرى ما لا يرى الغائب » (١).

هذا وإذا رجعنا إلى خطبه وإرشاداته التي تلت سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م نجدها كلها تسير حسب هذا المنهج الجديد الذي حدده للصحفي ، فقلما نجده فيها يتعرض للدعوة إلى التجانية كحالته في أول أمره بل نكاد لا نجده يذكر التجانية أو الشيخ التجاني إلا عرضاً لمناسبة تدعو إلى ذلك فمثلاً إنه قال في خطبته التي ألقاها سنة ١٣٩١ هـ

١ - الشيخ إبراهيم أنيس : جواهر الرسائل ٢/ ١٢٣ .

١٩٧١ م لمناسبة عيد المولد النبوي : « وعليكم جميعاً التسليح بطرق الصوفية الأبرار عباد الله المقربين الأتقياء الذين أناروا طريق السنة المحمدية وحموا بيضة الإسلام عن أيدي الطغاة الغزاة المستعمرين باعتراف هؤلاء وإقرارهم والحق ما شهدت به الأعداء ومن المؤسف حقاً أن يوجد اليوم متعاملون جهلة يشنعون على الصوفية ويدكرون السنة ويدعون الغيرة عليها وهل السنة إلا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من يتناول على طريقتنا التي ما نسبت إلى الشيخ الختم التجاني إلا تجوزاً وإلا فإن صاحبها قد كان يصفها بأنها محمدية إبراهيمية وهي الاستغفار والصلاة على رسول الله بأي صيغة ولا إله إلا الله تذكر صباحاً ومساءً » (١).

وإذا نظرنا إلى أصناف الناس الذين اجتمعوا في هذه الحفلة نرى أن الشيخ كان مدفوعاً إلى ذكر الطريقة والدفاع عنها بضرورة الحال لأن الحفلة قد ضمت تلاميذه القادمين إليه من كل صوب من أنحاء إفريقيا الغربية وضمت أيضاً وفداً من المملكة العربية السعودية وفداً من الجمهورية العربية المتحدة الذين يمثلون المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، وفداً من المملكة المغربية وأن الجمع أيضاً يضم بعض هؤلاء الطلاب السنغاليين الذي يتادون بتطهير بلادهم من الطرق الصوفية ، وقد رأينا كيف كان الشيخ أحياناً يفر من الانتساب إلى الطريقة التجانية إذا اشتبك مع بعضهم في مسائل دينية ودعوية وإذا كان لا بد له من الانتساب إليها يلجأ إلى رأي واحد وهو أن الطريقة التجانية إن هي إلا الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله فحسب ونرى هنا أن بعض هؤلاء الذين يباحثونه في أمر الطريقة قد حضروه في مستقره ووجدوا أن الطريقة قد كانت تقام فعلاً في مسجده ، ولا بد له إذن والحال هذه من البيان والدفاع عن ذلك كما أن هناك تلاميذه الذين لا يعرفون شيئاً إلا الطريقة ولا ينظرون إلى أي شيء من أمور الدين إلا من خلال منظار الطريقة فلا بد له أيضاً أن يقوهم ويشجعهم ، وهناك أيضاً بعض أبناء وطنه هؤلاء الذين ثاروا على طرق آبائهم ونددوا بها وبأشياخها على أنهم يقرقون وحدة المسلمين في البلاد ويحرفون الدين الإسلامي السمع وإلى هؤلاء وأمثالهم - في

١ - الشيخ إبراهيم انياس : خطبته لمناسبة عيد المولد سنة ١٣٩١ هـ .

أغلب الظن - يوجه الشيخ كلامه : « ومن المؤسف أن يوجد اليوم متعاملون جهلة يشنعون على الصوفية » .

لعلك هنا تدرك معي أن الشيخ إبراهيم استعمل أسلوبه الحكيم في الدفاع وهو ملم بأن جمهور المسلمين التقليديين آمنوا بالتصوف ككل وأن انكارهم إنما يكاد يكون مركزاً على التجانية أكثر من غيرها من الطرق ، ولذلك فتح كلامه بذكر الطرق الصوفية قاطبة ومدحها بما يرى أنه أفعل في قلوب السامعين وأشد اجتذاباً لعواطفهم إليها وهو كونها منيرة لطريق السنة المحمدية وحامية للبيضة الإسلامية عن أن تعث بها الطغاة الغزاة المستعمرون ، ثم تخلص أخيراً إلى الطريقة التجانية التي كانت هي الغرض الرئيسي لهذا الدفاع وذكر أنها منسوبة إلى النبي حقيقة وإلى الشيخ التجاني مجازاً لأنها عبارة عن الأذكار الثلاثة فحسب .

وهذه الأمور التي ذكرها الشيخ في دفاعه عن الطرق الصوفية هي محل الخلاف بينه هو ومن كان على شاكلته من مشايخ طرق الصوفية من جهة وبين أبنائهم الطلبة الذين تعلموا في الخارج من جهة أخرى وهم الذين يصفهم الشيخ بأنهم متعاملون جهلة . فهؤلاء الطلبة السنغاليون يصمون شيوخ الطرق بتحريف الدين الإسلامي ، والشيخ يقول إن الصوفية الأنقياء الأبرار أناروا طريق السنة المحمدية وهم يعيبون هنا شيوخ الطرق أيضاً بمخالفة الفرنسيين المستعمرين بل يذهبون إلى أبعد من ذلك فيصفونهم بأنهم أيضاً مستعمرون ، والشيخ يقول إن الصوفية حموا بيضة الإسلام من أيدي الطغاة الغزاة المستعمرين .

هذا يجعلنا نشعر أنه من الأهمية بمكان في هذا الصدد أن نجعل بعض تعاليم الشيخ إبراهيم الأولى - الذي كان يعتبر أكثر اعتدالاً في حركته من بقية زملائه أشياخ الطرق الآخرين - في كفة ثم نضع بعض مآخذ هؤلاء الطلاب على شيوخ الطرق في كفة أخرى كي يظهر الأمر جلياً .

١ - قال هؤلاء الطلبة السنغاليون إن شيوخ الطرق قد جعلوا النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً آخر غير الإنسان ، وهو نظير ابن الله تعالى مع أن النبي صلى الله عليه وسلم

ما ادعى قط أنه شيء آخر أكثر من نبي انسان أرسله الله إلى الناس كافة (١).

وقال الشيخ ابراهيم : « وأشهد الله ورسوله والشيخ أي التجاني أن عقيدتي التي أتعبد بها وأطلب من الله أن ألقاه عليها أنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله واحد في الألوهية ليس معه شيء أصلاً وأوجد رسوله سيدنا محمداً قبل جميع الكائنات إيجاداً منه بلا واسطة مخلوق وجعله أصل الكائنات ووسيلتهم والسبب في وجودهم » (٢).

٢ - قال هؤلاء الطلاب إن شيوخ الطرق قد نصبوا أنفسهم قساوسة الذين يكونون واسطة بين الله وبين عباده وليس في الاسلام مثل هذه الواسطة إذ لا رهبانية في الإسلام » (٣).

وقال الشيخ ابراهيم واعلموا أن المراد بالمشايخ التوسل بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الوسيلة العظمى » (٤).

٣ - قال الطلاب إن عبادة أتباع الطرق لشييوخهم يناقض المبادئ الأساسية للدين الاسلامي ، وإن استغلال هؤلاء الشيوخ لأتباعهم هو الذي أدى إلى الرجعية والركود السياسي والاجتماعي والاقتصادي في أوساط المسلمين في البلاد » (١).

وقال الشيخ ابراهيم :

مرادهم سعادة ومالوا	إن الذين خدموني نالوا
مات يفز وذاك كل الزمن	من عاش شاهداً عياناً ومن
بل هوراحة لمن قد رشد(٢)	والموت لا يضر من قد سعدا

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٥٧

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية ٩

٣ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٥٧

٤ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٧٧/١

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٥٨

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الكناكرية ١٣

وقال أيضاً : « والتزموا خدمة المشايخ ومحبتهم فإنهم يقولون من استخدمناه قدمناه (٣) ».

٤ - قال الطلاب إن شيوخ الطرق يؤيدون الفرنسيين المستعمرين الذين يجرمون المسلمين حقوقهم الوطنية ، ويقومون علناً بتأييد الكنيسة الكاثوليكية المسيحية وتكفلها بالمساعدات المالية على حساب حقوق المسلمين الكادحين (٤).

وقال الشيخ إبراهيم : « ولا بد من زجر الأحزاب عن كل عمل يخالف قوانين أرباب الدولة الفرنسية ، فموافقتهم واجبة فإنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم يسمعون في الائتلاف وصيانة النفوس وعافية أهل البلاد (٥) ».

٥ - قال السيد عبد العزيز سي رئيس الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الإسلامية السنغالية السابق ذكره : « لا بد من تعميم التعليم لجميع الوطنيين المسلمين في السنغال حتى يعرف الجميع أن عبادتهم لله تعالى لا تتطلب وساطة هؤلاء الشيوخ (١) ».

وقال الشيخ إبراهيم : « وأوجد (الله) شيخنا أي التجاني وجعله واسطة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . بحيث لا مطمع لنا فيما من الله إلا بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فكذلك) هو أي الشيخ التجاني الواسطة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم فلا مطمع لنا في شيء خارج عن هذا (٢) ».

٦ - وقد بين السيد عبد العزيز تأسفه وخيبة أمله من تفرق المسلمين في السنغال إلى فرق وطوائف ، وفشو الجهل في أوساطهم وهو يرى أن سبب هذا التفرق هو طرق الصوفية (٣).

٣ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢٠/١

٤ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٦٦

٥ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢٧/١

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٦٧

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٩

٣ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٦٦

وقال الشيخ ابراهيم : « والعزلة لا أحسن منها إلا إذا كنت مفيداً أو مستفيداً ، مراداً أو مريداً ، ومن كان يصحب مراداً أو مريداً فليكتف بالصداق في الصحبة الحقيقية ، فمن لم يكن له تعلق بالشيخ أي التجاني فصحبته تقطع المريد وتغرق (عن) المراد ، فإن بعض الاجتماعات الدينية والطريقة السر فيها القاح المريد » (٤).

وأمثال ذلك كثير ، فلنما جئنا بهذا القدر القليل للتمثيل فقط ، وكل ذلك قد مر بنا بعضه في الفقرات السابقة آنفاً ، وبعضه في الفصول التي تقدمت .

لعل سبب تعرض الشيخ ابراهيم لذكر الطريقة التجانية والدفاع أصبح واضحاً ، ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه قد اضطر إلى ذكر الورد التجاني والتحريض عليه لحضور بعض الأتباع الذين لا يعرفون إلا الطريقة. يقة التجانية بل ما جاءوا إليه إلا لأجلها ، أو بعبارة أخرى أن الطريقة هي الرابطة التي تربط بينهم وبينه فقال : « إنني أجدد لكم وصيتي بالجد والاجتهاد في المحافظة على الفروض والسنن والأدب والاذكار والأوراد فإن كثرة الإعراض عن الله والغفلة عن ذكره تشاغلا واكتفاء بقوة الأشباح عن قوة الأرواح (تسقط شرف الإنسان) إذ لا شرف للإنسان ولا كمال إلا بذكره لله تعالى ، إذ هو الحبل الذي يصل بين العبد وبين ربه ، وقد رفضوا صحبة الصالحين والمشايخ والأولياء والعلماء الأتقياء ، وأنا أرى أيها الأحباب أن من تمسك بالأوراد اشتغل بذكر الله عز وجل ومحبة أوليائه المقربين ، ومن رفض الأوراد ترك ذكر الله وعادى أولياء الله ، وقد خرج البخاري ورفع (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) وأعني بالأوراد الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الله هذا بعد ما تيسر من القرآن فهو أفضل الأوراد » (١).

وأنت هنا ترى أن الشيخ ابراهيم لم يصرح بذكر الطريقة التجانية وصرح بدل ذلك بأنه يريد بالأوراد الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله

٤ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢٧/١ .

١ - الشيخ ابراهيم انياس : خطبته بمناسبة عيد المولد سنة ١٣٨٠

هذا بعد أن يقرأ الانسان ما تيسر من القرآن الكريم لأنه أفضل الأوراد ، نستنتج من كلامه هذا أمرين :

أولهما : أنه يحرض الحاضرين على ملازمة الأوراد وهي الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله من غير قيد ولا شرط ولا عدد ولا ضبط .
وثانيهما : أنه ينصح الشارع في هذه الأوراد أن يبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن أولاً لأنه أفضل الأوراد .

ومعنى كل هذا أن الشيخ ابراهيم في الظاهر — لا يريد بهذا الورد الطريقة التجانية لأنه لو كان يريد لها لقال بكل سهولة : « أعني بالورد أوراد الطريقة التجانية المعروفة بشروطها المشروطة وبدليل قوله أيضاً : « هذا بعدما تيسر من القرآن فهو أفضل الأوراد » . لأنه ليس من ترتيب الورد التجاني أن يبدأ الانسان بقراءة القرآن أولاً وأما في الباطن فالأمر يبدو أنه يريد بكلامه أوراد الطريقة التجانية بدليل قوله : « إن من تمسك بالأوراد اشتغل بذكر الله عز وجل ومحبة أوليائه المقربين ، ومن رفض الأوراد ، ترك ذكر الله وعادى أولياء الله ، إذ أنه لا لزوم أبداً بين ذكر الله ومحبة الأولياء الصوفية كما لا لزوم بين ترك الذكر ومعاداتهم .

ومعنى كل هذا أنه يريد بالأوراد الأذكار التي تؤخذ من الأولياء المتصوفين أمثال الشيخ التجاني ومن إليه .

فهنا بنا الآن نقارن هذا الكلام الذي قاله الشيخ ابراهيم في سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م مع قوله لأتباعه سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م أي قبل ذلك بحوالي ثلاثين سنة أو يزيد : « لا تضيعوا حقوق الرب ، فجل الله من أن يخل العبد بحقه وخصوصاً الصلوات الخمس بمراعاة شروطها في أوقاتها في الجماعة والأوراد اللازمة للطريقة وتؤكدت الوظيفة وشروطها الجماعة فمن فعلها وحده مع إمكان الجماعة لم تكفه وبها قوام التجانية للمرء ، فمن لم يحافظ على ما ذكر فليس بتجاني ، وإذن لم يشم رائحة الفقر

لماذا استعمل الشيخ ذلك الأسلوب المتلون ؟ أو بعبارة أخرى لماذا ورى الشيخ في كلامه بهذه التورية الضمنية ؟ .

ولا شك أن لذلك أسباباً منها : أن المحفل بجانب أتباعه الذين جاءوا لأجل الطريقة قد ضم أصنافاً آخرين من الناس ينظرون إلى الطريقة بالنظر الشدر ، كأمثال الوفود الذين يحضرون من البلاد العربية لإحياء ليالي المولد النبوي تكريماً للشيخ باعتباره داعية كبيراً من دعاة الإسلام في العصر الحاضر فهو لاء طبعاً يتعجبون إذا وجدوا أنه من أتباع الطريقة التجانية ، لأنهم يعتبرونها بدعة وخرافة وكفر ، وقد أخبرنا الشيخ إبراهيم نفسه أن علماً في مكة نصحه بأن يأمر أتباعه بترك الطريقة التجانية لأنها بدعة وخرافة وكفر (٢)، كما أن في المحل أيضاً جماعة من الشبان السنغاليين المثقفين الذين ثاروا على طرق الصوفية وشيوخها وربما كان إليهم يرمز الشيخ بقوله : « وقد رفضوا صحبة الصالحين والمشايخ والأولياء والعلماء الأتقياء ». كما مر ، هذا ما كان من جهة المجتمعين والشيخ طبعاً يحسب لكل طائفة منهم حسابها ، وأما من جهة نفسه فيبدو أن موازين الطريقة أخذت تخف عنده ، وبدأت موازين الدعوة الإسلامية العامة تثقل مكانها ، فاعل من أجل هذا استعمل الشيخ أسلوبه الحكيم هذا ليرضي الجميع ويرضي نفسه أيضاً .

وأما فيما عدا أمثال هذه المناسبات فإن الشيخ قلما يتعرض لذكر الطريقة أصلاً ، فيدعو إليها مادام في وطنه السنغال ، ولذلك إذا استعرضنا خطبه ورسائله التي تلت سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م نجدها كلها تكاد تسير حسب منهاجه الجديد الذي حدده للصحفي دعنا فيما يلي ننقل من خطبته التي ألقاها سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م كنموذج لما كنا نقرره في هذا الصدد . قال الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي في مدينة كولخ :

« الحمد لله الذي بعث لنا محمداً خيراً خلقه ، نحمده ونشكره على عظيم امتنانه بخلق ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو

١ - الشيخ إبراهيم إنياس : جواهر الرسائل ١/١٠ ٢ - انظر جواهر الرسائل ١/٦٠ .

كره الكافرون . قال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . وقال : لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته .

فهو صلى الله عليه وسلم منّة الله على العالمين عامة وعلى الإنسانية خاصة وعلى المسلمين بوجه أخص ، فتذكراً لهذه المنّة والرحمة العظمى يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، وبهذه المناسبة أتحدث إليكم أيها السادة الأعزاء فأقول : « إن الإسلام عقيدة راسخة توجب أقوالاً وأفعالاً ونيات وأخلاقاً جاء بها النبي العربي الأمي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين ريثف رحيم . » والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . » ثم خاطبه ممتدحاً : « وإنك لعلی خلق عظیم . »

الإسلام أيها السادة أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الإسلام طهارة بدناً وثنوباً ومكاناً وصلاة ، وهي أعظم فريضة نزلت ، وصيام وزكاة المال ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، وصبر على امتثال جميع الأوامر ، وصبر على اجتناب النواهي دائماً وأبداً ، وشكر على نعم الله تعالى التي أعظمها الإيمان بالله ، ولا بد من تعلم العلم ، وقدم الأهم فالأهم ، ولا بد من عمل مواظب ، عمل للدين وللدنيا ، واتباع غير مشوب بالابتداع .

فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع

اتبع ولا تبندع ، واتضع ولا ترتفع ، واترع ولا تتسع ، والإسلام أيها السادة دين السلام ، والله يدعو إلى دار السلام ، ودين الحرية والمساواة والأخوة ، كلكم من آدم وآدم من تراب ، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إنما المؤمنون أخوة ، والإسلام دين الوحدة اتقوا الله حتى تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون والإسلام دين العمل فإذا فرغت فانصب ، إن الله يكره العبد البطال كلاً على الناس ، والإسلام دين العدالة ، أعدلوا هو أقرب للتقوى ، حتى مع العدو ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على

أن لا تعدلوا ، ودين مكارم الأخلاق كلها ، بعث لأتمم مكارم الأخلاق ودين الكرم والإيثار ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ودين الكفاح والجهاد ، فالمسلم لا يذل نفسه ، ودين التناكح والتناسل ، ولولاها لخربت الدنيا ، ودين الوفاء ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها .

أيها السادة إن الإسلام اليوم محاط بأخطار جسيمة من قبل أعدائه وخصومه ، وهم أقوياء مسلحون بالأموال ، وهي في هذا العصر أقوى من القنابل والصواريخ ، ضد الإسلام والمسلمين ، التبشير المسيحي وإسرائيل والاستعمار والشيوعية اللادينية والفرق الضالة داخل دائرة الإسلام على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة كما في الحديث الشريف . والخطر الأكبر متولد من تلك الفرق ، فهي أشد على الإسلام من أعدائه السافرين ، ترى شيخاً يتبعه خلق كثير باسم الدين ، وكل تصرفاته في هدم قواعد الإسلام ، وكل عدو للإسلام يحمله جنداً من جنوده الأوفياء ، وأصل هذا الداء العضال هو الجهل الذي اتصف به رؤساء الإسلام ، فهم جهلة يفتون بغير علم ضلوا وأضلوا .

أيها الشبيبة أبناء الإسلام هبوا من الرقاد ، وشمروا لكي تداركوا فإن هذا العصر لا يتأتى أن يبقى فيه أبناء المسلمين جهلة فتنافسوا في العلم ، علم الدنيا والآخرة ، فنحن في عصر الصواريخ وعصر غزو القضاء ، بفضل العلم الحديث ، فلا تقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا التقدم البشري ، وإن تقدم العلم والصناعة وإطلاق الصواريخ في الجمهورية العربية المتحدة المسلمة لما يدعو إلى الفخر والاعتزاز ، كما أن ذلك يرد أساطير أعداء الإسلام الزائفة أن الإسلام ينافي العلم فحفظ الله الرئيس العربي المسلم جمال عبد الناصر وحقق لنا به كل أمل للإسلام وللعرب وإفريقيا .

وأنت ترى أن الشيخ هنا قد ظهر على المسرح الإصلاحية الاجتماعي بالمعنى الإسلامي العام ، وهو يشارك المسلمين جميعاً في شعور الفرح والترح ، ويعترف بجميع المسلمين بالإسلام ، وأنهم كلهم إخوة لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالقوى ، بعد أن كان يرى أن كل من ليس له علاقة محبة بالشيخ التجاني هالك لا نجاة له أبداً (١)

وهو يحدد الإسلام على ما هو عليه في الحقيقة ، نابذاً الطريقة التجانية وراءه ظهيراً كأن لم يكن في خلده فكر عنها قط ، بعد أن كان يرى أن من ليس له ورد مثل الطريقة التجانية لم يكن من عبيد الله ظاهراً وباطناً (١) وهو يعترف بأن الإسلام دين الوحدة والاتحاد وقرأ : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » . إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، بعد أن كان يرى أن صحبة كل من ليس له تعلق بالشيخ التجاني تقطع المرید عنه أو تعوقه عن مراده » (٢) وهو يهاجم المستعمرين وبعدهم من أعداء الإسلام والمسلمين « بعد أن كان يرى أن موافقتهم وطاعتهم واجبة لأنهم مصلحون للبلاد » (٣) وهو يهاجم شيوخ الطرق الصوفية المتطرفين وبعدهم شراً على الإسلام من أعدائه السافرين ، كأنه عضو في جمعية أولئك الطلاب السنغاليين الثائرين على شيوخ الطرق .

ومع ذلك كله فإن الشيخ إبراهيم إنياس قد عاش تجانياً ومات تجانياً إلا أن التجانية عنده في أيامه الأخيرة صارت محصورة بين جدران الزاوية كما سبق أن قلنا يأتي إليها في أوقاتها أو في مناسباتها ، ولذلك كان مع سمو أخلاقه ، ووفور علومه ، ومعارفه ، وغزارة ثقافته ، وتجاربه ، وشدة حماسه في الدعوة إلى الإسلام ووحدة المسلمين ، وتنديده بالخرافات المثبطة لتقدم المسلمين إذا خلا مع أتباعه التجانيين وخدمهم ينزل إليهم ويروج في أذهانهم من الأخبار الخرافية وأساطير المتصوفين التي لا مغزى لها إلا الدعاية للتجانية فحسب ، وأكثر ما يفعل ذلك في نيجيريا البلاد التي أعتبرت المظهر الحقيقي لفيضته ، ومن أمثلة ذلك أنه قد زار نيجيريا وزار فيها مدينة زاريا ، وذلك بسنتين أو ثلاث قبل وفاته ، وألقى فيها محاضرة على تلاميذه الذين اجتمعوا هنالك وجاء فيها ما يلي :

« وإذا اجتمعنا عند الله تبارك وتعالى أقرب العباد إلى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأصحاب الشيخ

١ - الشيخ إبراهيم إنياس : نفس المصدر ٢٢/١

٢ - الشيخ إبراهيم إنياس : نفس المصدر ٢٧/١ ٣ - الشيخ إبراهيم إنياس : نفس المصدر ٢٧/١ .

التجاني ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عددهم من أصحابه ، أنا أي الشيخ إبراهيم لا أسمع لأي وني أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إلا الشيخ التجاني فقط ، ولا أسمع لأي تجاني أن يكون أقرب إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أصحابي ، وكأني أنظر إلى ذلك الوقت واعلموا أنه آت إن شاء الله وإذا جاء (الوقت) وكان هذا الذي قلت كذباً ترون ذلك أرجو الله أن ينفعكم جميعاً وأنتم طالما كنتم تزوروننا من هذه الأماكن البعيدة اليوم زرتكم أنا ، الزيارة في الله شيء عظيم ينفع سواء (كان) الزائر كاملاً أم ناقصاً (وسواء) كان المزور كاملاً أم ناقصاً أعطيكم مثالين على ذلك :

الأول اجتمع نفر من اللصوص فتشاوروا فيما بينهم فقالوا إن الشيخ القلاني يأتيه جماعة من الزوار نمشي إليه موهمين له أننا أتينا لزيارته حتى إذا تشاغل الزوار نسرق أموالهم وأمتعتهم ، فوصلوا إلى دار الشيخ قبل وصول الزوار ، فقالوا نحن جئناك زائرين ، فرحب الشيخ بهم ، وصنع لهم طعاماً فبعدما أكلوا طلب منهم أن يغسلوا أيديهم في طست قدمه لهم ، فغسلوا فأخذ الغسالة إلى ابن له مريض ، فشرب الغسالة ، ومسح بها على جسده ، فبرئ في الحال فجاء إليهم الشيخ فقال لهم أبشروا ، فإنه ببركة زيارتكم لله قد داويت ولدي الذي أعيا الأطباء مرضه بغسالة أيديكم فقط ، فجعل اللصوص ينظر بعضهم إلى بعض ، ثم أجمعوا أخيراً على التوبة فتابوا فأخبروا الشيخ بحقيقة أمرهم ، فهذا دليل على أن الزائر ولو كان فيه نقص له فضل من الله تبارك وتعالى حيث شفى المريض بغسالة أيدي هؤلاء اللصوص الفجرة .»

والمثال الثاني هو قصة عبد العلي كان عبد العلي ولياً مشهوراً بتربية المريدين في زمانه ، فسمع به مريد يحب الله تبارك وتعالى فخرج من بيته بكل ماله إلى عبد العلي ، ولما وصل البلدة سأل عن منزل عبد العلي فدلّه الناس على رجل فاستق اسمه عبد العلي لا يشتغل إلا بأنواع المحرمات من خمر ونحوها ، ولكن الشوق قد غلب على هذا المريد ، فلم يطلع على فسق عبد العلي فسأله أنت عبد العلي فقال نعم أنا ، فقال المريد وهبت لك نفسي ومالي كله ، ومرني بما تشاء ، فدلّه على عمل من أعماله ، واستمر

المريد يعمل ليلاً ونهاراً فمات ولي قبل الشيخ التجاني وإذا مات ولي فلا بد من أن ينتخب له خليفة فاجتمع الأولياء لاختيار الخليفة لهذا الولي واتفقوا على أن هذا الذي يخدم هذا الفاسق حياً في الله هو الذي يكون الخليفة ، فجذبه الله إلى حضرته وصار خليفة للولي الذي مات وبعدما فتح عليه تبين له أن هذا الرجل الذي كان يخدم فاسق عدو الله تعالى ولكنه انتفع بنية لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه نرجو الله تبارك وتعالى أن يحقق ظنكم الجميل في العبد الحقير (يعني نفسه) ويجعلنا جميعاً من المتحابين فيه ، ويجعلنا خاصة أصحاب الشيخ التجاني ، ومن كان من أصحاب الشيخ التجاني - وهذا الذي أقول أحبه من أحبه وكرهه من كرهه - لا يعذب بالنار ولا يعذب أولاده ، ولا أزواجه ، ولا والديه ، ولا أصهاره ، ومن لم يأخذوا الطريقة ولا يحاسبون من أغماض عينهم إلى دخولهم الجنة لا يرون شيئاً يسوءهم وهذا ضمنه رسول الله وهو قوي على أداء هذا الذي ضمن .

كان شيخ من أشياخنا يقال له عبدالله ولد الحاج أحكي لكم حكاية موته قبل أن أحكي لكم قوله .

وكان في سفر عندما أصابه المرض الذي مات فيه ، فأمر بأن يحمل إلى حيه فكان كلما مر بجي يقول لهم تعالوا لتشهدوا كيف يموت أكابر التجانيين ، فاجتمعت القبائل فقال : دخل الموت قلبي وصل الموت إلى ركبتي ، بلغ الموت صلبي ، ثم قال لمقدم يجنبه جدد لي طريقة الشيخ أي التجاني فجدد له ، فقال : أرسلكم إلى أهل طريقة الشيخ التجاني فإن الموت الآن قد وصل إلى حلقي ، وهذا وقت صدق الفاجر ، الفاجر لا يقول في هذا المقام إلا الحق ، وقولوا لهم لاني قلت لهم إن جميع ما قال الشيخ التجاني في الطريقة التجانية حق السلام عليكم .

الآن أحكي لكم هذه القصة التي نقلتها من هذا الشيخ الذي مات على الكيفية السابقة : قال لأبي يوماً وأنا صغيراً إذ ذاك لا أدري هل أخذت الطريقة التجانية حينئذ أم لا : « قل لولدك هذا يدعوني أن أموت على الطريقة التجانية » قلت له أنا ضمنت ذلك ، فقال لي حاجة أخرى ، قل لربك يجعل عليّ جميع كباثر أمة محمد صغارها وكبارها وأنا أحملها إذا مت في الطريقة التجانية ولا يضرني ذلك .

وقال لي مرة أخرى : إن من كرامات الطريقة التجانية أن إبراهيم سالم صار من أهل الجنة مع كونه أميراً ظالماً كافراً فاسقاً في غنار فقال : سلوني لم ؟ قلنا له لم ؟ فقال لأنه اغتصب بنت عمر سالم وهي حرام عليه لأنها متزوجة بغيره ، فترعها من زوجها بقوة وعاشرها معاشرة غير شرعية حتى مات ، ولكن تلك المرأة أخذت الطريقة التجانية ، وعحق أنها لا تذكر أورادها ولكن ذلك ليس رفضاً لها بل كسلاً فقط ، فبسبب هذه المرأة صار ذلك السلطان الكافر من أهل الجنة .

فقال الشيخ إبراهيم بعد أن روى هذه القصة : « هذا شيء يبهر العقول ، ومن لا يحب أن يسمع هذه القصة أقول له كما قال الشاعر :

عبد شمس جدي لأن كنت غضبي فاملاً وجهك الجميل عمشا (١)

وإن دلت هذه القصص على شيء فإنما تدل :

أولاً على سعة نطاق ما نسجه خيال شيوخ الطرق من هذه الأخبار الخرافية التي كان الهدف منها الدعاية لطرقهم وتسخير أتباعهم لاستغلالهم مادياً .

ثانياً إن مثل هذه القصص لا تلقي إلا في بيئة خاصة التي كان أكثر أفرادها بسطاء العقول ، والمغفلين الذين لا يستطيعون الاحتجاج والاستدلال ، بدليل أن الشيخ إبراهيم - كما رأينا آنفاً في خطبه التي يلقيها على المجتمع السنغالي الذي يتمتع بشيء لا يستهان به من الوعي الديني بفضل جهود شبابه المثقفين الذين ثاروا على خرافات شيوخ الطرق - كان لا يدعو إلى الطريقة التجانية صراحة في مثل هذه المحاضرات العامة فيستعمل مثل هذه القصص .

ثالثاً : يبدو أن الشيخ هنا قد تكلف الإتيان بمثل هذه الخطبة التي شحنها بهذه الأحاديث الخرافية إرضاء لأتباعه البسطاء ، الذين لا يتذوقون منه إلا إياها لعل هذا هو سبب كون لغة الخطبة ركيكة جداً . بحيث أكثر عباراتها لا تستحق أن تنقل بحرفها وألفاظها وتراكيبها إلا بعد إدخال التعديلات فيها ، وذلك طبعاً بخلاف

١ - الشيخ إبراهيم انياس : محاضراته في زاريا ١٣ وهكذا جاء هذا البيت فيها .

ما تعودناه في خطبه من القوة والجزالة ، كما تتسم أيضاً بالنشاط الظاهر والحماسة
الشديدة إلى الدعوة إلى الإصلاح ورفض كافة أنواع البدع والخرافات .

أنظر إلى الخطبة التي ألقاها في مدينة كولخ سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م والتي ألقاها
هناك أيضاً في سنة ١٣٨٣ هـ هل تتوقع أبداً أن من ارتقى إلى هذه القمة السامية من
الدعوة إلى الإصلاح الديني يتنزل بعد ذلك بحوالي عشر سنوات إلى الحضيض الأسفل
هكذا ويدعو على رؤوس الأشهاد أن ملكاً كافراً فاسقاً ظالماً يدخل الجنة من غير
إسلام ولا إقلاع عما كان فيه من الفسق والظلم بتوبة نصوح بل لأجل أنه مع كفره
وفسقه وظلمه اغتصب امرأة تيجانية متزوجة بغيره وعاشرها طول حياته معاشرة غير
شرعية فقط ولكن لا عجب في كل هذا لأننا قد قررنا آنفاً أن الشيخ إبراهيم قد عاش
تيجانياً ومات تيجانياً وأوصى لجميع أهل بيته وكل من يسير على نهجه أن يموت تيجانياً ،
ومن أجل ذلك لا نذهب في التعليق على قصصه هذه فنضعها في كفة ميزان الشرع
أو في محك العقل ، لأننا باحثون عنه ولسنا خصومه .

الباب الخامس

الشيخ ابراهيم انياس بين تلاميذه وخصومه

العلاقة بين الشيخ ابراهيم انياس بين تلاميذه - في واقع الأمر - روحية خالصة تقوم على أساس ودي عميق ، واعتقاد جازم فليست كلها مادية كما يظنها كثير من الناس ، فإن تلاميذه قاطبة في أي مكان كانوا يوالونه موالاة صادقة ، ويحبونه محبة خالصة ، بقلوبهم وقوالبهم ، ويعتقدون اعتقاداً قاطعاً لا تردد فيه أنه هو قطب هذا العصر ، وغوث هذا القرن ، وأن مفتاح الجنة في يده ، ومن خرج عن دعوته وخلع زمام طاعته فهو هالك لانجاة له أبداً . بل لا يبعد عنه إلا من ختم الله عليه بخاتم الكفر والضلال كائناً من كان ، كما أن من كان من أتباعه وأهل مودته وقربه استراح من ضنك الدنيا وضيق الآخرة وسعد سعادة لا شقاء بعدها أبداً .

حلفت يميناً إنني لا يحبني سوى أسعد والعكس في حال بغضيا (١)
ومن يحبني ومن رآني في جنة الخلد بلا بهتان (٢)
قد فاز أحبابي مدى الأزمان تفضلاً وعداً من الرحمان (٣)

لذلك كان أفظع ما يخافونه ويتقون شره ويسألون الله السلامة منه ويستعيذونه منه هو الخروج من عهده ، والانسلاخ من أوساط حزبه ، والبعد عن جنبه ، وقد مر بنا

١ - الشيخ ابراهيم انياس : مجموع الدواوين سلوة الشجون ٩٩

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الكناكرية ١٣ ٣ - الشيخ ابراهيم انياس : رحلة نيل المفاز ١١

أن الشيخ محمد المشري الذي كان شريفاً علوياً وابن شيخ الشيخ ابراهيم نفسه كتب إليه يطلب منه أن يحدد له عهده ، ويضمن له هو وأهل بيته أن يموتوا على عهده ، ومحبه ، وصرح بأنهم إذا فازوا بذلك كفا هو جميع المطالب (٤).

ولذا كان تعظيم التلاميذ لشيخهم يتبين في متابعتهم إياه في الأقوال والأفعال والمبادرة إلى امتثال أوامره بكل اخلاص ، وافتخارهم بالإنتساب إليه ، وتكريمهم كل من ينتمي إليه ، وإشادتهم بذكره ، وإفاضتهم في تقيضه ، ومبالغتهم في تقديره وتبجيله ، فقد كان الشيخ ابراهيم أنياس يتمتع بهذه الأمور كلها من قبل تلاميذه ، بشكل يدعو إلى العجب وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

قال الشيخ محمد الثاني الكافنغي الكنوي : « وأما والد أرواحنا وشفاء جروحنا فهو شيخ الإسلام وبهجة الأيام مربّي المريدين ومرقي الواصلين ، خليفة رب العالمين ، ومحبي سنة سيد الأنبياء والمرسلين ، مجدد الملة والدين ، وحاميه من محدثات علماء السوء اتباع الشياطين ، صاحب الفيضة النجانية ومدير كوؤسها العرفانية مولانا الشيخ ابراهيم الكولخي ، فسح الله في حياته وأنالنا أو فر نصيب من بركاته » (١). وقال أيضاً : « وأنا الآن في حجر شيخ الإسلام ، وبهجة الأنام ، غوث العصر ، وحجة الدهر ، مربّي المريدين ، ومرقي الواصلين ، مجدد الملة ، والدين ، ومحبي مائندرس من سنة سيد الأولين والآخرين ، من طار ضيته إلى الآفاق ، واتضح لأحبابه علوم الحقائق والدقائق والأذواق ، مولانا الشيخ الحاج ابراهيم الكولخي ، ارتضع من ثديه واهتدي بهديه ، نفعنا الله به ، وأماننا على عهده وحبّه ، وفسح في حياته ، وأعاد علينا من بركاته في حياته ر (بعد) عماته آمين » (٢). وقال في معرض تعدادها لما أنعم الله عليهم : « ومنها إننا وجدنا شيخاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة كفانا في الباطن كما كفانا في الظاهر وهو مولانا الشيخ ابراهيم الكولخي نفعنا الله به ، وأماننا على عهده وحبّه ، فمن أراد معرفة الله تعالى والعمل الصالح فليفر إليه في كولخ ويسلم له القيادة تنفتح عليه أبواب الخيرات ، وتغلق عنه مسالك المضرات ،

٤ - الشيخ ابراهيم أنياس : جواهر الرسائل ١ / ٨٥ - الشيخ محمد الثاني الكافنغي : سبيل الرشاد ٣٧

٢ - الشيخ محمد الثاني الكافنغي : مرآة الحق ٢

ويعتلى صدره بالعلوم الدينية ، والعلوم الحقانية ، والاسرار الربانية وتفيض عليه
الأرزاق الحسية والمعنوية ، ويبارك له في جميع معاملاته ، ويحفظ من محرمات شهواته ،
وتنقاد له الناس من جميع جهاته ، فيقودهم إلى طاعة ربه ، فيفوز بقربه ويكونون في
ميزانه في الآخرة يفوز بحبه ربه ورضوانه ، فإن لم يستطع الفرار اليه فليفر إلى من شاء
من خلفائه المتمسكين بالكتاب والسنة الذين لا يأخذهم في الله لوم الألسنة وهم
موجودون في كل بلد من بلاد المسلمين خصوصاً نيجيريا . (١) وقال كذلك :
« إن الشيخ أي ابراهيم إنياس نفعا الله به مجدد في قرننا هذا جدد لنا الرجوع إلى
الشريعة على العهد الذي كانت عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، نرفع أيدينا في
المواطن الأربعة ونضع إيماننا على شمائلنا في الصلاة ونكرر قد قامت الصلاة مرتين
ونجهر بآمين وغير ذلك مما نبهنا عليه فجراه الله عنا خيراً وأطال عمره فينا يسوقنا
إلى ربنا ويقودنا إلى متابعة نبينا في سرنا وجهرنا بِحَمْنِهِ وَفَضْلِهِ آمِينَ » (٢).

وقال الشيخ أبو بكر عتيق الكشناوي الكنوي : نحن قد خصنا الله تعالى مع مالنا
من الإذن الصحيح والنيابة عن الشيخ أي التجاني بالسند المتصل الذي لا شك فيه
بظهور هذه الفيضة الأحمدية في وقتنا ، والله الحمد وهي التي أخبرنا الشيخ التجاني
بوقوعها وظهورها ، فصار أكابر خلفائه من بعده ينتظرونها ، ويتمنون وقوعها في
زمانهم ، وقد رزقنا الله بذلك بمنه وكرمه ، وله الحمد والشكر ومن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر .

ومن أتى فمرحباً ومن تولى فإلى

ومن شاء فليؤمن ومن يك جاحداً فالحق بان لعارف يقظان (٣)

وقال الشيخ الحاج عثمان القلنسوي الكنوي :

ثم وصلنا لمدينة العلا مدينة الفيض وسعدنا علا
هناك أديننا صلاة الجمعة يؤمننا الغوث العظيم الرفعة

١ - الشيخ محمد الثاني : مرآة الحق ٤٣ .

٢ - الشيخ محمد الثاني : فصل المقال ٢٧ ٣ - الشيخ أبو بكر عتيق : الصارم المشرقي ٢٢ .

قدمنا الشيخ علي السيس لحضرة المعظم الرئيس
 هناك سلمنا فكاد الشوق يطيرنا بل هو سحق محق (١)
 وقال الشيخ يهوذا بن سعد أحد فقهاء زكرك المشهورين يمدح الشيخ ابراهيم انياس
 وإن رمت أولي خير ثقة وزهاداً ونقاداً وعاة
 وأشياخاً غطاريفاً سراً وإن رمت الصلاح والنجاة
 بساحة كولخي برء الكليم
 تفاخر بالجلود للغبى فخذ ذكراً صلاة كل حين
 وفي الأخرى ترى عين اليقين فخار المرء بالتقوى ودين
 ويبس الفخر بالعظيم الرميم
 بشيخي نسبي شيخ تقى إمام هدى وذى علم ولي
 وزهاد السورى قطب ذكي وعزى وافتخاري بكولخي
 ان افتخروا بقیس أو تمیم
 فلا تطلب سوى من راحتيه ولا تنزل سوى في ساحتيه
 ونظرك فليكن في وجنتيه فخذ إذنأ وأسراراً لديه
 وما قد خذت كن بالمستديم
 وإن صافيته فأخذت عنه وإن خالده رضىت عنه
 وإن جالسته وحببت منه وإن لاقيته فأخذت منه
 سلمت من الأباليس الوصم (٢)

يقول في هذه الأبيات باختصار : « إذا أردت أيها الأخ أن تجتمع بقوم فضلاء
 ثقة زهاد حفاظ مدققين وأشياخ غطارفة كرام وإذا أردت أن تفوز بصلاح الأمور
 والنجاة من غواية الشيطان اللعين فعليك بساحة الشيخ ابراهيم انياس بحضرة كولخ
 وهنالك تبرأ من كل ما تقاسبه من الداء العضال .

١ - الشيخ عثمان القنسوي : الروائع العنبرية ٧ ٢ - الشيخ يهوذا بن سعد : القصيدة الميمية ٩

ولا تفتخر بالآباء والأجداد حتى يعوق ذلك دون وصولك إلى هذا الشيخ العظيم ، فإن ذلك من عادات السفهاء ، فاشتغل دائماً بالأذكار التي تأخذها منه فإنك في النهاية سوف تفوز بالعلم اليقيني لأن المسلم لا يفتخر إلا بالدين والتقوى لا بالعظم الرميم .

وإذا فهمت كل ما تقدم ، فاعلم أن انتسابي أنا إلى شيعي الحاج ابراهيم إنياس ذلك الشيخ التقى والإمام المتهدي ذي العلم الغزير الولي الزاهد والقطب الذكي ، بهذا الامام الكولخي اعترافاً واعتزراً وأفتخر أن افتخر غيري بأبائه وأجداده .

فإذا نزلت بساحة هذا الإمام العظيم فلا تطلب سوى الله تعالى منه ، ولا تنظر إلى غيره أبداً فليكن نظرك مصوباً إلى محياه الوسيم المعبر عن طلعته البهجة ، فاطلب الإذن والاسرار من لدنه وحده ثم عض بالنواجذ على ما أخذت عنه حتى لا يفلت منك .

فإذا لاحظت العناية الربانية قد خلعت في سلك من يصادقه المحبة والوداد ويرضى عنه حتى ظفرت بالإذن منه ، سلمت من ابليس اللعين الكثير المثالب .

ولعل خير من أخلص المدح وصدق الحب في الشيخ ابراهيم من تلاميذه النيجيريين هو الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي فقال في رحلته الكولخية .

خادمه الطيب قد دعاني	قال أجب للشيخ يا تجاني
لما أتيت خرج المعشوق	فقم إجلالاً له المرموق
شيخ الشيوخ قطب القطوب	رمز الوجود منبع المرغوب
باب نجاة اللائذ العصي	ومظهر لا عدل الوصي
فقال لي يا أحمد التجاني	أهلاً وسهلاً مرحباً تجاني
فمد لي يمينه يا بشراي	قبلتها صافحت مع يميني
آنسني بسألني عن أهل	بلدنا وما جرى في أهلي
فعد ذا أمر بالمأكول	من جنس ما يأكله مأمولي
أمرني بأكله ناولت	بين يديه حبذا ما نلت
وهكذا وقع لي الأكل معه	بإذنه حقاً مراراً فاسمعه (١)

١ - الشيخ أحمد التجاني بن عثمان : النفحات الإلمية ٣ .

وهو في هذه الأبيات يستبشر بمصافحة يد الشيخ وتقبيله إياها كما يفتخر بأنه قد
ظفر بالأكل معه مراراً من نفس الطعام المعد له وإن الشيخ قد باسطه وآنسه ويقول
في قصيدته الميمية في مدحه :

صاح عج نحو الهمام	ذي الفيوضات السوامي
فيضه قد عم حتى	نالـه كل الأنعام
قد سرى بـراً وبحراً	بين حيوان وجم
في فتوح وكشوف	وقنون العلم نام
فاض في ملك ومال	فهو مروي كل ظام
كم خديـم صار مخدو	مأ وشيخاً صار عامي

إلى أن قال :

إن رضيتم فمرادي	في رضاكم ومرامي
فصلوني وصلوني	دائماً هاكم زمامي
حبكم حقاً براني	ومحاني عن مقامي
فهو روحي وهو راحي	وشرابي وطعامي
ذكركم قوت لروحي	فهو فكـري وكلامي
لا يرى ذكر سواكم	في ضميري ولثامي
إنني مهما تراني	شغلي في ابراهامي
فهو قلبي ولساني	وجلوسي وقيامي
حركاني مع سكوني	ومـيري ومقامي
واضطجاعي وفراشي	يقظني ومسامي
شاهدي وهو غيوبي	ثم سمعي ومسامي
وهو ذوقي وهو لمسي	وهو نظري واشتامي
وهو فوقني وهو تحي	وورائي وأمامي
وهو كلي وهو جزئي	وصلاتي وإمامي

وهو مأمومي وفذي وزكاتي وصيامي
وهو مالي وكفائي الـ شيخ مال الانتعامي (١)

وقال في قصيدته الرائية في مدحه أيضاً :

ورؤيته فوز كبير ومغم وسعد لراء لورآه كفور
محبه سعد وصحبته هدى يثوب وما غاب البشير نذير
فأهلاً بشمس أشرقت من مشارق مشارق أنوار الغيوب تنير
فأولاً بخير خير وسلامة لنشر ديانات الإله يسير
وتبين مغموض وكشف للابس فأفصح أمي وأبصر عور
ليحيي القلوب القاسيات بفيضه بهزم جيوش الغير حين يغير
يوطن دنيا قد تنرب في الوردى فطوبى لقاف والبيض حقير
فيارب بلغه المراد وابقنا على عهدته ثم الحسود يبور

إلى أن قال :

فكن لي أيا شيعي ولياً وناصرأ حفيأ معينأ فالعهدو كثير
رموني وواشوا بي وسبوا وزندقوا بتزويرهم لاني اليك فقير
بدون ذنوب غير أني أحبكم واثركم قساف ومالي غير
وقفوى لكم قفولطه أحقه على ذا من الأعداء بأن نكير
فكونوا لنا دنيا وأخرى تفضلاً بلا سبب منا تلين صفور (٢)

وقال في القصيدة الواوية المقصورة :

وفي ذكر ابراهيم من لاله شروى فلاح وسعد والنجاة من الأسوا
ولي جميع الأولياء بـسره تولوا مقامات لحم فيضه أروى
وتذكّار لإبراهيم ذكر لأحمد وطه وربّي إنه المسند الأقوى
ويكفي سلوكاً عند أهل بصيرة وجذباً بنيل الحب فوق الذي يهوى

ويحتني قلوب العاشقين ويجمع
يكاشف محجوباً يعرف واصلاً
ثناء أبي إسحاق سبر مريده
تنزه به في ذاته وصفاته
إذا رمت ذاتاً تجده وإن ترم
لقد جل معنا أن يحاط بكنهه
غزيرات امدادات مكنون سره
نتائج فكر القوم طراً كقطرة
وقد تم في حاله معنى وصورة

وهكذا إلى أن قال :

عليك به فهو المرادات كلها
فأحضره في الأذكار والورد والصلاة
.....

تضرع له واخضع وعززه ملقياً
فدونك فالزم بابيه بشهادة
وكن في ضمان منه إن ضمانه
وكن معه لله في الله لا تكن

وقال في القصيدة القافية :

قف بالديار وسل عن السباق
وكنوسهم وشراهم والمتدى
والوارد المورد كل قد مضوا
غاضت بحيرتهم ونار القبس قد
أفلت نجوم هدى فما من مهتد
بحر العلوم وقطب دائرة الفنا

على الله جرب كي تصان من الأهوى
يرقى أولى العرفان في الجهر والنجوى
فلا تقترن عنه إذا تبغى الأضوا
معانيه أن البحر قد أعجز الدلوا
ه وصفاً وآثار الصفات فلا غروا
وآياته تنبيك ما فيه قد يطوى
على نسخ كل السابقات لها يقوى
ببحر فراخ القطب ذي الرتبة القصوى
وزاد تماماً لا يرام ولا يروى

ولا تلتفت عنه به تلق ما تهوى
به كل حين عمر المحق والصحوا
.....

قياد اتفق من فاق كي تحمد المثوى
وغيب فعند العضلات ترى النجوى
ينجني ويكفي مبتغيه لدى الشكوى
لغير فإن الشيخ لا يقبل اللهوا

ما بين مستقيهم والساق
ثم الندام أحاسن الأخلاق
لسيلهم لم يبق منهم باق
طفئت وسيم بدورهم بحاق
إلا يهدي من أبي إسحاق
نور الزمان وسابق السباق

نسخت به آياتهم آياته
شمس الطريق دليلها خريتها
كأس الشراب رحيقه المختوم
فالزم حماء أخى واقتبس الهدى
إن كان قد سبقوه وقتاً قد غدا
إن كان صيت عم قطراً في المنا
ففيوضه أسرارهِ في أيسر الـ
عرباً وعجماً بالمشارك والمغا
لا نسخ يدخلها بقاء الباقي
ومحط سالكها بدون شقاق
سم نديمه كل الندامى ساقى
واستشف من بلواك بالترىاقى
في فيضه أعلى الأعالي راقى
ت من السنين لغير ذا الفواق
أيام عممت سائر الأفواق
رب قلده لوره البراق

وقد ألف السيد الياس بن محمد تكرر الكشناوي قصيدة يستغيث فيها بالشيخ ابراهيم
إنياس وسماها كشف الغموم بالاستغاثة بصاحب فيضة القطب المكتوم مولانا الشيخ
ابراهيم بن الحاج عبدالله الكولخي وجاء فيها :

أي سيدي يا عدتي يرهاما
نصرأ وعونأ مائنا من ملجأ
ركبت على لوازم عن حملها
برزت على نوائب لو أنها
يا منقذ اللفهان يا غوث الورى
لطفأ عميمأ فوقه لطفان في
طب أنت نفسأ وقر عينأ لي فقل
يا سر سر السر يا ختم علا
فعليك يا برهام ربك قد وفى
لولا قيامك عابدأ وخليفة
ما أن دعا أحد بأى مكانه
يا من أفاض الله عنه نعيما
قد كدت ظلمأ أن أكون غريما
جبل يدك مكانه مهدوما
برزت على الأيام عدن عديما
عونأ لنا كي لا أصنام يتيما
فضل وجود أن أكون مقيما
بشراك يا الياس كنت نديما
يا عين جود الله يا مكتوما
ذاتأ ووصفأ ثم زاد نعيما
ليصير هذا الكون منه عديما
إلا وكنت مجييه وعليما

أيضام عبد في حماك ولم يزل
يا شيخنا برهام لم أك يائساً
شمس بدت من بعد ظلم قد دجى
أنت الصفي أفضت فيضاً لم تزل
آياته أن لا يبرد يد الفتى
اشتد هذا الأمر مالي حيلة
ناجيت بالإسم الكريم ولم تزل
ها أنت يا دستور يا قطب الاجل
هو من ينجي الغريق ولم يزل
أقبل وعجل في الإغاثة سيدي
لك سيدي كل الأمور جميعه
عاهدت يا برهام طوعاً بالهدى
فالمعقود كالمحلول منك عموماً
إذ أنت عين عقيدتي معصوماً
لله درك راحماً ورحيماً
بركاته عم الورى ترحيماً
صفاً وحاشي أن يرد حميماً
إلا التوسل والدعاء صميماً
الطافه بي جامعاً معصوماً
حكماً وتصريفاً ملكت زعيماً
يحيي القلوب وينجد المظلوماً
فتحاً قريباً كالفيوض علوماً
عيناً وغيباً منك كل فهموماً
أبدأ المدي إذ لن يزال حريماً (١)

لعلك تدرك هنا أن الأخيرين قد أسبغا على شيخهما كثيراً من صفات الله تعالى
وخصائصه دون أدنى لإكتراث .

ولعل خير ما ألفه النيجيريون في مدح الشيخ ابراهيم بلغة هوسا هي القصيدة
المسماة بـ (غوررفيرا) أي كأس الفيضة ألفها رجل اسمه الحاج ابراهيم بالاربي ابن
قاضي جيغا من أهل سكتو وبلغ من أهميته هذه القصيدة عند أتباع الشيخ ابراهيم
أن لا تخلو مدينة أو قرية مشهورة ممن يحفظها رأساً بل قلما تجد بيتاً من بيوت أشياخ
التجانية الكبار إلا وفيه من يحفظها أو يقرأها بطلاقة والقصيدة تحتوي على ما يزيد على
مائتي بيت ولم يغادر المؤلف شيئاً مما كان يدور في خلده من مناقب الشيخ ابراهيم
ومآثره إلا وقد أحصاه في القصيدة بأسلوب أدبي جذاب وجاء فيها :

يَا بَيْتَنَا مِنْ تَرْبِيَا كَمَرَدَ أَكِي ثَنَ زَامَنِينَ شَيْخُنَا تَجَانِ مِيْ أَنْيَا
مُنْسَاتَمَ لِبَيْنَ طَرِيقَا يَنْدُ بَاوْ هَلَا دَاثَنَ غَنِيَّتْ مَكِي أَرْيُوْثِي كُوْ بُجِيَا

نَصَى صَرِيحِي إِذَنْ يَأْسَامُ أَنْكَرَقَا
يَأْصَاحِبِي كَأَمَّ تَرْيِيًا كَسَامِ رَبُّو
أَمَّا إِذَنْ كَيَّ كَلَّا دَاكََا بَرْتَسْ دَكِي
كُوَمَا كَسُوسُ دَوَامَا بِالشَّكْرِ رِيو
حَدَّثَكَ إِنْ بَاكَ إِيكَنْ بِي فِكْرَ كَمَسَا
دُومِنْ أَكَنْ عَسْكَيَا سَبْكَي ظَاهَرْتَسَا
وَأَزَى طَيَّا إِجْتَهَادِي دَنْ بَطْرُ أَنِيَا
وَوَتَرُ ضَعِيفَنْ تُكِينَتَ كَرْتَسَا كَفِيَا
أَيَّ وَرْطُكَنْسُ سَيَّ سَرَى يَبُوطَ جِيَا
دُنِيَا وَأُخْرَى دَمَاتَا يَكَّ هَرْدُ طَيَّا
دَوَوْتَدَ بَتَجَادَ سَوِيَا فَاطِ يَاكَرِيَا
سَيَّ جَاهِلِي كَمَبُوبَا كُو دَلِيلَ طَيَّا

ومعنى الأبيات باختصار هو : (أن الشيخ ابراهيم) قد بين لنا التربية على ما كانت عليه في عهد الشيخ التجاني ، ففزنا نحن الآن بلباب الطريقة بدون مشقة ، بينما لم يكن حظنا منها قبل ظهوره إلا مطالعتها في الأسفار أو سماعها في الشفاه ، فالنص الصريح إذا جاء لم يبق إلا الأخذ به وطرح الاجتهاد جانباً .

يا صاحبي خذ التربية كي تفوز ولا يسدلك عنها سفاهة ضعفاء أهلها ، وليكن نظرك إلى أكابر أهلها لتحظى بما يفتح عليك من أسرار الفهم بل إن حبههم فقط يكفيك فلاحاً في الدنيا والآخرة ، أنت وأسرتك وإن لم تستطع ذلك فجدك الذي يلزمك الوقوف عنده هو السكوت التام وعدم الإنكار لأن كل من نازع هؤلاء فغايته السقوط والتكسر ، لأنهم كانوا على الحق الصريح فإنه لا ينكر بلا برهان إلا الجاهل .

وعلى هذه الشاكلة استمر أتباع الشيخ ابراهيم يفيضون في مدحه وتقريظه وبيالغون في تقديره وتبجيله وتфанوا في حبة بشكل — كما قلنا آنفاً — يدعوا إلى العجب ، بل قد سبق أن قلنا إن الشيخ ابراهيم نفسه قد تعجب مما قابله علماء نيجيريا به من التكريم والتبجيل والوداد الخالص ما لم يكن يتوقعه حتى قال في ذلك :

حين نزلت ثم قد دهانسي
وقد تيقنت بأن الله
صرت أقول أين ذا الشيخ الذي
واين برهام وما برهمام
ما لم يكن والله في حسابني
يجري الأمور كيفما يراها
تعنو له رقبة كل جهيلذي
حتى فنوا في حبه وهاموا

لقد بلغ من احترام هؤلاء النيجيريين للشيخ ابراهيم انباس وتفانيهم في حبه ،

ومبالغتهم في تقديره وحرصهم الشديد على رفع مقامه فوق جميع المقامات أن عملوا إلى ما لحقه بايرو ثنب لكتاب كنز الأولاد والذراري الذي ألفه والده محمد ثنب بن أحمد بن مجيل فنقلوا منه أبياتاً نظمت في اللغة الفلانية ، ونسبت إلى الشيخ عثمان بن فودي وقد جاء فيها ذكر إبراهيم شرف الدين فأشاعوا أنه شيخهم إبراهيم أنياس وأن الشيخ عثمان بهذا قد بشر أهل بلاد هوسا بظهوره وبالتالي إنه هو مجدد هذا العصر فمن أجل ذلك كتبوا هذه الأبيات مع تفسيرها باللغة العربية في كتيب بعنوان (بشرى الاحباب والخلان بما ثبت في أن الشيخ إبراهيم أنياس هو المجدد في هذا الزمان) .

جاء إبراهيم شرف الدين هذا إلى نيجيريا أو بعبارة أخرى إلى أرض هوسا في سنة ١٢٧٢ هـ ١٨٣٧ م أي بعد وفاة أمير المؤمنين محمد بل بحوالي ثماني عشرة سنة ويبدو أن الفوديين في سكتو هم الذين لقبوه بشرف الدين كما لقبه شوا عرب في برنو بأبني شعر ولقبه الكانوريون هنالك أيضاً ؛ (مالم دابا) (١) وكما بلقب في بعض الجهات بالمعلم أبو ذباب (٢) جاء هذا الرجل من الغرب أي من إقليم ماشن في جمهورية مالي حالياً وممر ببلاد هوسا في طريقه إلى الشرق يتبعه جماعة كبيرة من الناس ، ذلك لأنه ظل يعلن للناس - في جميع البلاد التي مر بها - أن وقت ظهور الإمام المهدي قد قرب ، ويدعوهم إلى اتباعه إلى مكة حيث يتوقع ظهوره ، فأصابته دعوته آذاناً صاغية ، وقلوباً طائعة ، فتبعه عوام الناس في بلاد هوسا ، خصوصاً الذين يريدون التخلص من ويلات الدنيا وتكاليف الحياة الشاقة ، وقادهم نحو الشرق ماراً ببرنو ، حيث مكث في مقاطعة ألو برهة من الزمن يدعو الناس إلى اتباعه ، فانضم إليه لآلاف العوام وأخذهم محترقاً ببلاد باغرم ، في توجهه نحو الحرمين ، فحاول سلطان باغرم عبد القادر بن عثمان بن بركو أن يجعل حداً لتقدم سيره هذا ، ولم يتمكن من ذلك ، حيث هزمه شرف الدين ، وبعد أن تقدم قليلاً نصب له بعض القبائل الوثنيين كميناً فقتلوه في جنوب باغرم ، فتشتت بعض أتباعه هنالك ، واستمر طائفة منهم في سفرهم إلى الحجاز حيث استقروا أخيراً في شرق السودان المصري ، ورجعت فئة منهم إلى

١ - الاستاذ محمد الحاج : The Mahdist Tradition in Northern Nigeria 94

٢ - السيد الطيب عبد الرحيم محمد : بحث عن القبائل الفلانية وعلاقتها بالفكرة المهدية ٤٤ .

بلادهم » (١).

وقد ذكر السيد ابراهيم صالح - وهو من كبار تلاميذ الشيخ ابراهيم إنياس في برنو - قصة إبراهيم شرف الدين هذا في كتابه (تاريخ الاسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم - برنو) ولكنه للأسف لم ينبه - بعد ذلك لإخوانه أهل الفيضة على خطأ ما أفاضوا فيه من إشاعة هذه الدعوى التي لا أساس لها من الصحة أمام أنظار أهل العلم والفكر ، وهو نفسه يقول في كتابه ذلك : « وأمر أبي شعر أي شرف الدين أشهر من نار على علم يعرفه الصغير والكبير إذ لا يزال كثير ممن حضروه باقين على قيد الحياة » . (٢).

وقد جاء ذكر قصة ابراهيم شرف الدين هذا في كتاب تسديد الخواطر للسيد سليمان بن أحمد وقد ذكر القصة أيضاً G. Nachtgal في كتابه الصحراء والسودان صفحة ٧٢٠ - ٢٣ وجاء ذكرها كذلك في كتاب Tomlimson & Lethem صفحة ٢٦ (٣).

ويتضح من هذا أن هذا مثل أكثر أمورهم مبني على الوهم والتخمين فحسب ، لأن لفظ (شرف) فقط هو الذي يدل على التاريخ المراد في البيت وهو سنة ١٢٨٠ هـ وهذا التاريخ مشهور عند علماء القرن العاشر الهجري وما بعده على أنه هو تاريخ ظهور الإمام المهدي ، وقد روى أمير المؤمنين محمد بل في كتابه (القول المختصر في أمر الإمام المهدي المنتظر) عن الشيخ أحمد بن عثمان الشرنوبلي المتوفي ٩٩٤ هـ إن خاتم الولاية - الذي يعني به المهدي - يظهر عام (شرف) من الهجرة النبوية وهو عام ثمانين ومائتين وألف » (٤) وقد أيد هذا أيضاً ما جاء في قصيدة للشيخ عثمان باللغة الفلاتية حيث صرح بأن هذا التاريخ يعني (شرف) مروي عن الشيخ الشرنوبلي وهو قوله :

١ - الاستاذ الدكتور محمد الحاج : المصدر السابق ٩٤ - ٩٥ .

٢ - السيد ابراهيم صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب في برنو ١٣٣ .

٣ - الاستاذ محمد الحاج : المصدر السابق ٩٤ - ٩٥ .

٤ - أمير المؤمنين محمد بل : القول المختصر في أمر الإمام المهدي المنتظر الورقة ٨

حتى (شرف) كنتك عن تغنيتي تمكه يو تو نب أسفا ني—تي
علا تيو كنتك وعسا ختام الولئن الله ب—دو نظ—ام
نون تبليلد أحمد الشرنوبي تداد تون تكاشف الغيوب

يقول في الأبيات : هو (المهدي) يظهر سنة ١٢٨٠ هـ وهو المراد : (شرف) في مكة هناك يبايع فهو الذي يكون خاتم أولياء الله على النظام — الذي — في قول أحمد الشرنوبي الذي أطلعه عليه كاشف الغيوب . وجاء أيضاً في قصيدة كرامات المهدي للشيخ حياة الدين بن سعيد بن أمير المؤمنين محمد بل قال : المتوقع أن يكون ظهور المهدي في عام شرف وهو ١٢٨٠ هـ .

وأما أهل الفيضة أتباع الشيخ إبراهيم إنباس فقد أدخلوا لفظ كنتك — الذي معناه (هو) في اللغة الفلاتية — في الرمز فظهر لهم أن ١٣٧٠ هـ هو التاريخ المعني في البيت ، وظهر بذلك أيضاً جهلهم حتى بتاريخ ظهور فيضتهم نفسها أو بعبارة أخرى ظهور شيخهم إبراهيم أنباس كصاحب الفيضة التجانية فإنه قد أظهر أمره في سنة ١٣٤٨ هـ وقال الشيخ الهادي — الذي تولى القيام بالتربية التجانية الإنباسية في نيجيريا نيابة عنه — في كتابه (ارشاد السادة إلى مطلع السعادة) « أن الله تعالى قد أمطر أرض القلوب مطر رحمة وسعت كل شيء بظهور صاحب الفيضة عام ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف » . وقد جاء التصريح بهذا التاريخ أيضاً في كتاب جواهر الرسائل ج ١ — ص ١٣٥ وأما إذا كانوا يريدون بذلك ظهوره في نيجيريا فهو خطأ أيضاً لأنه ظهر في نيجيريا كما سبق سنة ١٣٦٤ هـ (١) .

هذا كله قل من كثر مما كان يدور في أوساط أهل الفيضة التجانية النيجيريين من النشاطات الواسعة المدى في الاعتقاد بالشيخ إبراهيم إنباس واعتناق تعاليمه ومبادئه ، والتحمس في مدحه ، والدعوة إليه ، والدفاع عنه ، ولكن هذا لم يقتصر على أهل الفيضة النيجيريين وحدهم بل شمل غيرهم في الأقطار الأخرى أيضاً ، وخصوصاً المورثانيين وقد فتح الشيخ الهادي السابق ذكره كتابه المذكور آنفاً بعرض رسالة كتبها

١ — السيد الطيب عبد الرحيم : المصدر السابق ٨١ ٢ — السيد الطيب عبد الرحيم : المصدر السابق ٦٥ .

إلى أسرته بمورتانيا عقب خروجه من بيت التربية وجاء فيها : « ولما أتيت إلى كولنج
لقيت طبيباً ماهراً عارفاً بجميع الأمراض الظاهرة والباطنة ذلك الشيخ بجميع مرتبه ،
ولسان وقته ، ونور زمانه ، ونسيج وحده ، محل نظر الله من خلقه ، والباب المفتوح
لكل من يريد الولوج لحضرة قدسه ، فريد دهره في العلم والدين ، وشيخ أوانه في
تربية لمريدين ، علم المهتدين ، وخاتمة المحققين في القرن الرابع بعد الألف ، بهجة
الليالي والأيام وحجة العارفين الاعلام غرة الأمة المحمدية وناصر الطريقة الأحمدية
الإبراهيمية الحنيفية وزبدة رجالها ، الأجلة مطلع شمس العلوم والمعارف ، ومجمع
بحري الحلوم والعارف ، الحرز المنيع ، والكهف الرفيع ، درة تاج الصديقين الكرام ،
وواسطة العقد النفيس من الأقطاب الاعلام ، الرافع رايات المكارم بين الأنام ،
الجامع لما اقترف من علوم القوم بأسرها من أول الأمة إلى آخرها ، أخي الأخلاق
الحسنة المرضية ، والشماثل القدسية المحمدية ، المنتهي في العلوم الحقانية الوهية ،
والمعارف الربانية الرحمانية ، إلى المرتبة التي يقصر عن وصفها الأطناب والاسهاب ،
فضلاً وتفضيلاً من الكريم الوهاب ، عديم النظر والمثال في الحال والمثال ، من تسنم
قنن المجد والصفاء والكمال بالوراثة المحمدية ، والتربية الاحمدية الختمية ، المتوج
بتيجان الجواهر الحسنة الأنيقة ، صاحب الاشارات الخفية ، والافادات العظيمة ،
والعبارات المفهمة ، شيخنا ووسيلتنا إلى الله القطب الفرد الرباني والعارف الكبير
الصمداني الشيخ ابراهيم بن الحاج عبدالله التجاني » .

أسامي لم تَزده معرفة وإنما لذة كتابها (١)

وقال الشيخ من أب المعروف (بالشيخان) العلوي المورتاني الذي يعتبر أكبر
تلميذ للشيخ إبراهيم في مورتانيا يمدحه وقد زارهم وما وصل إلا في الليل :

شمس بدت بالليل طالعتها سعد	وما كان شأن الشمس بالليل أن تبدو
أم المزن يحدوها النسيم لسقيناً	ولا برق فيها تحتشيه ولا رعد
أم الكل شيخ العصر من عم هديه	جميع الورى ابيضوا جلوداً أواسودوا

به قد أنت مسلين تسلي بقربه
 ألا أيها الشيخ الذي بقدمه
 دنوت دنو الشيخ بالنور فأنجلت
 وقربك قرب الشمس والشمس قربها
 وبعذك بعد في الحقيقة مثلها
 وإن تكن الافراد لفظاً تعددوا
 وانت الذي بالغيب كنت تمدهم
 وإن سدت الأشياخ أبواب فيضهم

فؤاد الذي من بعده شفه الوجد
 تولى ظلام الجهل واتضح الرشد
 بنورك أسباب بها يبلغ القصـد
 إلى الأرض قرب كان في طيه البعد
 وللشمس نور عن حقيقتها بعد
 ففهم لعمرى انك الواحد الفرد
 بما تقتضي امدادهم حينما سدوا
 فأنت من الأبواب فاتح ماسدوا (١)

لقد سبق أن قلنا إن الشيخ ابراهيم ولد في قرية طيب انيسين بمحافظة سين سالوم
 في جمهورية السنغال ولما انتقل والده الحاج عبدالله إلى داخل مدينة كولخ صارت
 القرية شبه خراب وبعد ظهور الفيضة زارها الشيخ يوماً ومعه تلميذه من آب هذا
 فوجدوها دراسة ليس فيها الحيوية المرجوة فوجد لذلك (من آب) وأنشأ هذه
 القصيدة التالية :

هاج في القلب كل شجو دفين
 برزت من حشاي حيث بدا لي
 ولقلبي لديـه منه احتراق
 صاح قف بي به أعفر خدي
 إن من تربيه بدا كل تسرب
 أيها المولـد الكريم فلاني
 إن تكن خاملاً فإنك باع
 أو يكن فيك بعض رين فكم عن
 مولد الشيخ إن بينك يـدو
 طلعت فيك برج السعود متى ما
 وتقى واستقامة وانتحال
 حيث للشيخ كنت مسقط رأس

مولد الشيخ عند طيب انيسين
 زافرات منوطـة نأـنين
 ولد معي تحلب من جفون
 وجفوني من تربيه وجبين
 وتبدى من (يونه) كل (يون)
 بك ذو لوعة وشوق رهـين
 بارز منك كل راء وسين
 كل قلب بك انجلي كل رين
 مع كل البقاء أعظم بـون
 قد بدا فيك شمس علم ودين
 للمساكين كل شيء سـمين
 وابتهاج لعالم التكوين

ولعين البطون عين ظهور
ولعلم اليقين عين يقين
مولد البرزخ الذي جل ما أب
بك قلبي يبقى قطيناً إذا ما
فساك الإله كل حبي
وصلاة على البطون الذي قد

وعين الظهور عين بطون
ولعين اليقين عين يقين
لديت من خمم ومن ثغين
عندك الجسم كان غير قطين
جاء يحدوه كل رعد هتون
كان موجوداً قبل كاف ونون

ثم بعد ذلك بنى الشيخ القرية من جديد ، وشيد فيها قصرأ فخماً جميلاً ، ومسجداً
فسيحاً ، ودوراً حسنة ، فزارها مرة أخرى ومعه تلميذه (من أب) هذا فقال له
الشيخ : هذا هو المحل الذي كنت تبكيه من قبل ، يعني بالقصيدة السابقة فأنشأ
القصيدة الآتية :

لربي الحمد حيث أقر عيني
وكان لرسمه من قبل محو
وقد ما جثته فبكيست حزناً
وصرت ومنيتي أن أرى عياناً
وجثت مع الحبيب إليه أبغي
أشارت قامة الجدران منه
وبت به قرير العين أسقى
سقاني الكاس مـرعة نديمـا
يساقطنـا الحديث به شبيها
عبرنـا من عبارته بحورا
فلله الحميد الحمد في ذا
فعين العبد حا والباء مـيم
به طيب أنيسين تحوز فخرا
فمطلع بدر طلعتـه لديـها
فحدثنـا بأن الله لـما

بقصر الشيخ في طيب انيسين
بلـاي ما يـمين لمستبين
بدمع بين أرسمه سخين
عمارته كما قد أرى بعين
برؤيته شفا القلب الحزين
إلى كنز اليتيمين الدفين
على ظلم بكأس من معين
مع النحوى عيني القرين
بدر من تساقطه رسين
من العرفان منه على سفين
بعين حميد أو محمود عين
بلا كيف يقيده أو أيـن
لساكن سالم أو بلاد سين
ومنبت عود نباته المكين
أراد به الظهور من البطون

رأت أمه به قمرأ تدلى فكان لها بمنزلة الجنين
فقبل لها اكتمى رؤياك فيها له سر لثائسه بشيين
بها لعدوه موت بغيط وخزي للمعانيد عن يقين (١)

ولا شك أن الشيخ كان يعرف لتلاميذه هذه المحبة الصادقة التي يخلصونها لجنابه،
ويقدر لهم ذلك أيما تقدير ، وببالغ من أجل ذلك في الحفاوة بهم حتى كاد لا يدعو
جماعة منهم أينما كانوا إلا بالأحباب :

وقال في أهل كنو نيجيريا :

جئت كانـ وا وبها الأحباب من طيب ختم الأولياء قد طابوا
وقال أيضاً :

حين علوت كانوا من دعائي بورك في كانوا مدى الإثناء
فهم أحبتي وهم أبصاري بقوا مدى الدهر يفيض جاري
وقال في أهل زاريا نيجيريا :

حلقت فوق زاريا وقلت وددت لو أني بها قد قالت
كبيرهم م حيينا يهوذا قد فاز من كان له تلميذا
وقال في أهل كشنة نيجيريا :

ثالثة البلدان وهي كشنة مفر جعفر بها سنه سنه
الياس قد بدغ لي من كشنة بيعة من قد أيقظوا من السنة

وقال في أهل أدماوا نيجيريا وقد بعث اليهم الشيخ أحمد التجاني بن عثمان
الكنوي : « أمرتك وضممتك ذهاباً وإياباً تسافر من فورك إلى أحبابي أهل أدماوا » (٢).
وقال في أهل مورتانيا :

١ - أخذت هذه القصائد عند تلميذه الشريف علي المورتاني بإذنه .

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : رحلة نيل المفاخر مخطوطة .

الحمد لله بعام كانا سـرت إلى حي مرادي كانا
حي به يفخر كل حي أسراراه فائدة للحس
بجبهه أحيى ويحيى حيي فحيه وحي من يحيي
حي بني علي بن الزاهراء أصل طريق شيخنا الغراء (١)

ويقول في منشور له « أما بعد فسلام سني وتحية حسنى يؤمان جناب أجبانا
حيث قطنوا وأخص منهم أهل مرتان يليه بعد السؤال عن أحوالكم والدعاء لكم
أن يحفظكم الله ويحفظ أولادكم ومن تعلق بأذيالكم من مكاره الدنيا والآخرة
وأن هؤلاء الرجال إخواني في الله وأولاد روعي وأصحابي وأحبائي يسوؤني
ما يسوؤهم ويسرني ما يسرهم أولهم الشيخان فكل الوجود يعلم مكانته عندي قبل
أن أتخذة نائباً عني وقائماً مقامي في تبليغ أمانة الشيخ رضي الله عنه ولا أحتاج إلى
هذا التصريح كما أنه لا يحتاج إليه .

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وكذلك السيد الهادي وسيد جول ومحمد بن النحو وسيد محمد المشري وخلفاء
الشيخ في جيب الشيخ محمد عبدالله ، وفي تندغ محمد بن الطلب وفي تجانت أبناء
محمد سيدي فمن أخذ عن واحد منهم بغير واسطة أو بوسائط فكأنما أخذ عني
وعن الشيخ أي التجاني . (٢)

هذا وكثيراً ما يدعو أهل الرسوخ والتمكين من كبار تلاميذه بأولاده كما رأيت
في المنشور السابق فمثلاً إنه كتب إلى الشيخ من أب (الشيخان) المذكور آنفاً وفتح
كلامه في الرسالة بقوله : «جناب ولدي الغطريف الشريف المنيف الشيخان من
أب» (٣) وكتب إلى أخيه الأكبر منه الشيخ محمد زينب ابن الشيخ عبدالله انياس
وكان يعتبر من تلاميذه لأنه قد تربى على يده وقال : « فيصل الكتاب إلى يد أعز
الناس وأعلامهم مكانة عندي محل العلوم والأسرار وولدي وعهدي الشيخ بجميع

١ - الشيخ ابراهيم انياس : ذيل رحلة نيل المفاخر ١٠

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢٨/١ ٣ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١٤/١ .

المراتب صاحب غرائب الاذواق والعجائب من ألهمه الله رشده .» (١) وكتب إلى الشيخ أحمد التجاني ابن عثمان الكنوي فقال : ولد الروح وشفاء الكبد المجروح العلامة العارف بالله الحاج أحمد التجاني ابن عثمان الكنوي .» (٢) بل إن الشيخ لم يكتف بأن تكون العلاقة بينه وبين تلاميذه روحية فحسب حتى جعلها بكل نجاح صلة نسب ومصاهرة .

ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الحقيقة لم تفت الشيخ محمد الثاني الكافنفي الكنوي حتى لاحظها فقال . « فنيجيريا صهر السنغال والسنغال صهرها لتزوج الشيخ منا وتزوجنا منه كما أن العرب أيضاً أصهاره لتزوجهم منه فالعرب - اذن والهاوساويون والسنغاليون متصاهرون .» (٣)

هذا وبماكاننا أن نقسم أتباع الشيخ ابراهيم إلى ثلاثة أصناف تقريباً .

أولاً : - قومه السنغاليون ويدخل فيهم طبعاً أهل جامبيا وفي حكمهم أيضاً أهل مالي وغينية لمجاورتهم وتقاربهم في العادات والتقاليد والتزعات .

ثانياً : - الموريتانيون وخصوصاً سكان الولاية السادسة منهم .

ثالثاً : - النيجيريون ويدخل فيهم أهل غانة ومن على شاكلتهم لأن أكثرهم كانوا من الهوساويين الذين نزحوا إلى هنالك لأجل التجارة والمغامرات واستوطنوا وفي حكمهم أيضاً أهل جمهورية نيجير ومن إليهم من الكمريين والتشاديين لاتحادهم بالنيجيريين في اللغة والعادات والتقاليد والتزعات بل وتلمذهم للنيجيريين أيضاً .

فأما قومه السنغاليون فقد أشرنا فيما سبق إلى أنه ورثهم من أبيه أي أن أكثرهم كانوا من تلاميذ أبيه فاستمروا بوالونه بعده وقد أتعبه هؤلاء كثيراً فهم على ضربين .

١ - ضرب عوام يكادون لا يفهمون مراده فيما يلقي إليهم من المبادئ والتعاليم ، فهم ينظرون إليه غالباً نظرهم إلى أبيه من قبل يقبلون أقواله على علائها من دون أن

١ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١١ - ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/١٣٢ .

٣ - الشيخ محمد الثاني الكافنفي : مرآة الحق ٤٣

يجلدوا لذلك شيئاً في نفوسهم فإذا قال لهم مثلاً إنهم وقعوا في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي كانت من وراء دوائر الأمر والنهي والجزاء وهم ناجون من عذاب الله على أي حال سواء أطاعوه أم عصوه وسواء كانوا على الصراط المستقيم أم تنكبوا عنه (١) لا يفهمون من هذا الكلام إذا استطاعوا أن يفهموا منه شيئاً إلا أنهم جاز لهم أن يعيشوا كما يشاءون من دون مراقبة الله في أوامره ونواهيه ماداموا تجانيين ، وإذا قال لهم أنهم هم الطائفة التي ذكرها صاحب منية المريد أن أقطاب أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلهم إذا اجتمعوا لا يزنون شعرة واحدة من شعر رأس واحد منهم يشير بذلك إلى ما سبق من قول منية المريد :

طائفة من صحبه لو اجتمع أقطاب أمة النبي المتبع
ما وزنوا شعرة من فرد منها فكيف بالامام الفرد (٢)

قد لا يفهمون المراد بذلك إلا أنهم يراد منهم أن لا يحترموا عالماً مسلماً كيف كان ، ومهما بلغ ، ولا يقبلوا منه شيئاً ما لم يكن تجانياً ، وإذا قال لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر للشيخ التجاني في وضوح النهار يقظة لا مناماً وأخبره بأن كل من أخذ ورده يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويقضي عنهم جميع حقوق عبادته التي كانت على رقابهم من خزائن فضله لا من حسناتهم ، وأن الله يرفع عنهم الحساب من وقت موتهم أن يدخلوا الجنة غداً وهم آمنون من كل سوء (٣). لا يفهمون من هذا إلا أن حقوق الناس التي كانت عليهم صارت حلالاً لهم لا يطالبون بها في الآخرة وهكذا ولا بد إذن والحال هذه أن تظهر نتيجة هذه التعاليم وهضمهم إياها في سلوكهم وتصرفاتهم شأن غيرهم من العوام الذين اعتنقوها بعد ، وهذا من شأنه طبعاً أن يزعج الشيخ إبراهيم الذي - فيما يظهر - لا يريد منهم بهذه المبادئ والتعاليم التي يلقيها عليهم إلا أن يفرحوا فقط بهذه الفضائل الجملة البعيدة المدى التي خصصهم الله تعالى بها من دون سائر المسلمين لأجل تعلقهم بالشيخ التجاني ، وهذا طبعاً يدفعهم إلى العض على الطريقة التجانية بالنواجذ والمبالغة في حب الشيخ التجاني وتقديسه هو

١ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٣٤ والسر الأكبر الورقة الرابعة .

٢ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٦ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٣٤ .

وجميع خلفائه ورفعهم وإياهم فوق الناس جميعاً ماعدا النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر ، ولكنهم يا للأسف أساءوا فهمه وأفاضوا في سلوك زائف ففزع الشيخ لذلك فذهب يحاول ردهم إلى الحادة بقوارع العظات على نحو ما مر في بعض الفصول السابقة.

٢ - وضرب متعلم وهو طبعاً بحكم المعاصرة والمجاورة واتحاد اللغة والتقاليد لا ينظر إلى الشيخ إبراهيم نظر المورتانيين والنيجيريين إليه بل لأنهم لا يرونه إلا إبراهيم ابن الشيخ عبدالله إنياس وإنما يوالونه لموالاتهم لأبيه ويسلمون له بتسليمهم له أيضاً على طريقة تكاد تكون تقليدية وهؤلاء بعدما تربوا بدأوا يشعرون بأن لأماع لهم من التصدر للمشيخة كما تصدر لها هو إذ لا فرق بينه وبينهم في كل شيء في نظرهم وهذا أمر من شأنه أن يجعل الأمر قوضي ولا يرضى به الشيخ إبراهيم طبعاً فذهب جراء ذلك كل مذهب في ردهم إلى الحادة ودعوتهم إلى الخضوع تحت النظام مستعملاً جميع الوسائل الممكنة على نحو ما مر في بعض الفصول السابقة ، ومن أجل ذلك كان إذا ظفر منهم بصادق الإرادة يكاد يطير فرحاً ، مبالغاً في الحفاوة به ، ومسبغاً عليه من الخصوصيات ما ترضيه ، كما هو شأن من سماه بالمفسر علي جازك واليه كتب يقول : « وفرحت بوصول كتابكم فرحاً توجهت به همتنا إليكم وقد جددت لك الورد اللازم والوظيفة المعلومة وذكر يوم الجمعة بالإذن الخاص من الشيخ أي التجاني وهنيئاً لك فقد قال الشيخ أي التجاني من وضعنا عليه طابعنا يهناً منه » (١).

وأما المورتانيون فالعلاقة بينهم وبين الشيخ إبراهيم ودية خالصة واحترامية متبادلة فإنه يضمهم لهم الاحترام ، ويبالغ في الحفاوة بهم ، لأنهم أبناء شيوخه ، وشيوخ أبيه ، فقد مر بنا أن شيخه الذي ربا به هذه التربية وأذن له بتربية المريدين ، ورشحه لمنصب صاحب الفيضة التجانية مورتاني ، فصار صغار أبنائه وحفدته كلهم تلاميذ له في التربية ، وكان يعد إقرار بعض المشايخ المورتانيين - مثل الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بد ، والشيخ محمد عبد الرحمن ابن شيخه المذكور آنفاً والشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، والشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ والشيخ محمد الأمين بن الشيخ أحمد بن محمد بد - له بمقام صاحب

١ - الشيخ إبراهيم إنياس : جواهر الرسائل ١/٢٦

الفيضة التجانية من علامات صدقه في دعواه للمقام ، وقد مر بنا كذلك أنه طلب الإجازة في الطريقة التجانية من هؤلاء المشايخ وكان من أجل هذا كله يقدر لأبنائهم هؤلاء إيمانهم العميق بالطريقة ومبادئها إذ أنهم لولا ذلك لما سلموا اليه قيادهم في تربية ولا في غيرها لبنوتهم لأولئك الأشياخ الأجلاء الناشرين الأولين للطريقة التجانية.

وهذه الحقيقة يشعر بها الجانبان كلاهما ، فقال الشيخ محمد الهادي في معرض بيانه لاطلاع الشيخ إياه على مرضه الروحي : « وأكرمني الله تبارك وتعالى بأنه أي الشيخ ابراهيم أطلعني على مرض نفسي بعدما أخفاه عني مدة فمكثت أياماً تنازعني نفسي وتغرنني كما كانت تفعل بي من قبل وتقول لي إني ليس بي مرض واني لا أحتاج إلى طبيب ولاني يكفيني كوني إبناً لسيدي مولود قال والشيخ محمد الحافظ وهما من مشايخ الطريقة وساداتها الناشرين الأولين لها في هذه البلاد وهكذا » (١). وقال السيد علي سيس : « هنئناً ثم هنئناً هؤلاء السادات الأعلام أي تلاميذ الشيخ المورتانيين لما تعلقوا بأذيال هذا الشيخ المرشد الربوبي المرقى الهمام أي الشيخ ابراهيم ، ولم تحجبهم النبوة للمشايخ عن كامل العصر والوصول اليه » (٢) ومهما يكن من شيء فإن رسالة الشيخ ابراهيم إلى تلميذه الشيخ من آب المتقدم ذكره تدل بوضوح على مدى تكريمه لتلاميذه المورتانيين واعترافه بما كان لأبائهم عليه من اليد الطولى وقد جاء في الرسالة ما هذا نصه : « فإلى الحبيب القدير الشيخان (من آب) الخليفة ابن الخليفة محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ .

أوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال

.... وجددت لك في كل ما اشتملت عليه طريقتنا التجانية أخذاً وإعطاء تلقيناً تقديماً مطلقاً من غير قيد وأسأل الله تعالى أن يريك قرة العين في أنجالك الكرام علماً وعملاً ومعرفة وتحققاً ورزقاً وعافية هذا وقد وعدتني حكومة نييجيريا بمقاعد في طائفة الحج وكتبت لإسمكم على رأس القائمة وإن وفيت بالوعد فاستعدوا للحج

١ - الشيخ الهادي : ارشاد السادة إلى مطلع السعادة ه

٢ - السيد علي سيس : تصدير كتاب كاشف الالباس .

أو عينوا من شتم من أنجالكم وفق الله الجميع والسلام : (١).

هذا ما كان من جانب الشيخ وأما ما كان من جانب المورتانيين فإنهم يعظمونه، ويبالغون في تبجيله ، والوقوف عند إشارته ، والمبادرة إلى امتثال أوامره ، والاعتراف بشيوعته بكل إخلاص ، وقد سألت كثير منهم عندما زرت مورتانيا في أغسطس سنة ١٩٧٧ م ما الذي أعجبهم بالشيخ إبراهيم حتى سلموا له قيادهم . بهذا الإخلاص العجيب ؟ فكانت إجاباتهم كلها تكاد تتفق على أنهم آمنوا به وسلموا له قيادهم لما يتصف به من غزارة العلم وسمو الأخلاق وصحة الدين هذا بالإضافة إلى مافتح الله على يده من معرفته فأكدوا لي أنهم يتبعونه لوجه الله وحده لا لأجل أي شيء آخر ، ولا شك أن سلوكهم ووعيمهم الديني يدلان بوضوح على صدق مقالهم ، بل صرح لي بعضهم أنهم يعتبرون تسليمهم للشيخ إبراهيم من كراماته التي أكرمهم الله بها ، لأنهم لم يكونوا يتوقعون أن يتلمذ العلويون لرجل أسود مثله أبداً ، وذلك عندما سألتهم هل كانت محبتهم إياه لأجل أنه أحياء لهم تراث آبائهم وأجدادهم من المعارف الآلية والعلوم الربانية فقال : من أماتها حتى يحببها هو ؟ .

وأما النيجيريون فلا علاقة ولا معرفة بينهم وبين الشيخ إبراهيم قبل مجيئه إلى بلادهم ، لأنه ما زار نيجيريا إلا بعد ظهور فيضته بحوالي ست عشرة سنة ، وكان ما يتوقعه منهم أن يعارضوا دعوته بشدة ، لكونه غريباً وأسود مثلهم وأنهم فقهاء تجانيون وهذا غاية ما يكون هو في ظاهر الأمر هذا ، بالإضافة إلى كونهم محترمين في مجتمعهم والمتوقع من كل من كانت هذه حاله أن يعارض كل سلطة من شأنها أن تكتسح سلطته ، ولكن الشيخ وجدهم بالعكس مستعدين لتصديق جميع دعاويه من دون سؤال ولا تهمة وسلموا له قيادهم تسليمًا مطلقاً ، بشكل يدعو إلى العجب فقد صرح الشيخ إبراهيم نفسه بتعجبه من ذلك كما تقدم .

فلم تمض مدة طويلة من مجيئه إلى نيجيريا حتى صار الرأي السائد في جميع أوساط أهل الفيضة في كولخ وغيرها أن نيجيريا هي مظهر فيضته ، وهذا حق ظاهر ، وقد

١ - وجدت الرسالة عند - شيخان - في مقابلي معه في التاريخ السابق .

لاحظ ذلك أحد كبار تلاميذه النيجيريين، وهو الشيخ محمد الثاني الكافني الكنوي السابق ذكره فقال : « فليفر أي المريد إلى من شاء من خلفائه أي الشيخ ابراهيم ... » وهم موجودون في كل بلد من بلاد المسلمين أي في أفريقيا الغربية خصوصاً نيجيريا التي هي بلاد الشيخ أي ابراهيم أطال الله عمره ورفع أمره فلا حظ لغير التجاني الإبراهيمي فيها أي نيجيريا فليذهب إلى جميع الدول من أراد أن يذهب ويأت بالمساعدات ليصرف أهلها عن الشيخ فلا يجد إلى ذلك سبيلاً بحوله تعالى فينيجيريا للشيخ أحب أم كره (الضمير هنا يرجع إلى الذي يذهب إلى الدول ليأتي بالمساعدات لا إلى الشيخ) (١) ويدل على صحة هذا الرأي الذي تقرره أيضاً قول السيد علي سيس الذي يلقبونه بقلم الفيضة وبابها : « وخصوصاً سكان نيجيريا وشرق الأنوار السنية محل العلم والسر أهل التي فيها كنو عاصمة الفيضة التجانية الفضل والخير » (٢).

وهذا حق لا شك فيه لأننا إذا مشينا مع الباحثين الذين يذهبون إلى أن أتباع الشيخ ابراهيم في نيجيريا كانوا أكثر من عشرة ملايين (٣) ندرك بذلك أن تلاميذه في نيجيريا أكثر من سكان السنغال كلهم مسلمهم وكافرهم وطينهم وغريهم أربع مرات تقريباً لأن عدد سكانه حسب الإحصاء القائم سنة ١٩٦٥ ثلاثة ملايين وبضعة آلاف ، ثم أن البلاد مقسم إلى سبعة أقاليم (٤) وأتباعه منتشرون في إقليم سين سالوم فقط الذي كانت مدينة كولخ عاصمته وهو مع ذلك يقتسم السكان مع غيره من شيوخ الطرق هذا بالإضافة إلى أن هناك عدداً من المسيحيين والوثنيين ثم أن الدلائل تشير إلى أن أتباعه في ذلك الإقليم أيضاً هم الأقلية وهذا يتضح لك بجلاء إذا رجعت إلى الفصل الذي قدمنا أول الباب بعنوان (الطريقة التجانية في السنغال وكذلك في موريتانيا فإن عدد السكان كلهم مليون واحد وأتباعه هنالك كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق منتشرون في الولاية السادسة التي تتاخم السنغال وإن دل كل هذا على شيء فلأنما يدل على مدى أهمية نيجيريا عند الشيخ ابراهيم وخلفائه وبالتالي على صحة كونها مظهراً لفيضته

١ - الشيخ محمد الثالث الكافني : مرآة الحق ٤٢ - ٢ - السيد علي سيس : ارشاد الإخوان ٣

٣ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١١٩

٤ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٥١

ومركزها الرئيسي ومن أجل ذلك كنا نرى جميع كتبه وخطبه ورسائله ومنشوراته تنشر في نيجيريا تقريباً ثم توزع منها إلى جميع الأقطار الواقعة في أفريقيا العربية حتى السنغال نفسه ، والشيخ ابراهيم نفسه لا يقوم بالدعوة إلى الطريقة على طريق شيوخ الطرق إلا في نيجيريا ومنها تنشر إلى جميع الأنحاء حيث أهل الفيضة التجانية ، فمثلاً إن قصة قربه هو وأتباعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم القيامة وقصة اللصوص مع الولي وقصة عبد العلي ذلك الرجل الفاسق مع المريد الذي انتخبه الأولياء لمنصب الولاية أثر موت ولي وتصريحه أي الشيخ ابراهيم لأتباعه بأنهم لو اعتقدوا في حجر لنفعهم وقصة كيفية موته شيخه وقصة دعائه وهو صغير لذلك الشيخ ايموت على الطريقة التجانية وأنه بذلك يتمكن من تحمل جميع كبائر أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأسرها ، وقصة الملك الكافر الفاسق الظالم الذي دخل الجنة لأجل أنه فسق بإمرأة تجانية متزوجة بغيره (١) قد أدلى الشيخ بها كلها على أتباعه في نيجيريا بحوالي ثلاث سنوات فقط قبل موته ، وذلك بعد أن كان يتحاشى أن يجاهر بالدعوة إلى الطريقة في قلب وطنه وبعد أن كان يفر من ذكر الشيخ التجاني نفسه والانتساب إلى طريقتة في مناسبات كثيرة (٢).

وبعد فقد عثرنا على خطاب كتبه الشيخ ابراهيم لبعض تلاميذه النيجيريين الذين زاروه وهو في غانة يومئذ ومن وقف على هذا الخطاب يكاد لا يشك في أنه كان يلاحظ من تصرفات بعض أتباعه النيجيريين محاولة الحصول على حفظ نفسية وقضاء مآرب إنسانية من وراء انتمائهم إليه وتحمسهم في التقرب إليه فقد جاء الخطاب على الوضع الآتي :

« الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد زارنا صفوة أحبائنا من كثر المقدم البركة فلان والمقدم فلان والمقدم فلان وبصحبتهم الشبان الراجحان فلان وفلان ولاني أسأل الله لهم التوفيق ودوام المدد والانتصار والقوة والتأييد لخدمة الإسلام وإنهم في ضمانني وإنهم في عين الرضى والسلام ابراهيم انياس » (١) بغير تاريخ .

فصور الخطاب في ذلك الخط المقدس الذي كل من رآه لا يشقى أبداً في بطاقات توزع على الاخوان .

فيجدد بنا ههنا أن نقدم أسئلة طفيفة بين يدي هذا الواقع .

أولاً : فإلى حضرة من كتب لهم الشيخ هذا الخطاب أو بعبارة أصح هذه الشهادة.

ثانياً : إذا كان الشيخ يعتقد - قماً أن هؤلاء زاروه لله بالله في الله كما يقولون لأنه وليه المعظم لماذا يكتب لهم هذه الشهادة ؟ أليست شهادة الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء والذي زاروه لأجل ابتغاء مرضاته تكفي من شهادة الناس ؟

ثالثاً : إذا كان الشيخ قد تفضل وكتب لهم هذه الشهادة وهم يعتقدون أنهم زاروه لوجه الله ، لأنه وليه لماذا يصورونها في بطاقات يوزعونها على الناس ليعرفوا أنهم زاروه وفازوا بهذه الشهادة المتضمنة ضمان الشيخ لهم ؟ .

يجاب عن هذه الأسئلة بأجوبة مختلفة ولكن الذي تقتصر عليه نحن هو أن هذا الخطاب يدل بكل جلاء على عظيم موقع الشيخ ابراهيم في نفوس أتباعه النيجيريين وقوة اعتقادهم فيه .

السفر الى كولخ لزيارة الشيخ ابراهيم انياس

لقد أشرنا في بعض الفصول السابقة إلى أن زيارة الشيخ ابراهيم قد تطورت إلى شيء ذي أهمية كبرى عند جميع أتباعه العلماء والأمراء والدهماء على السواء بل هو عندهم بمنزلة الحج الأصغر .

الواقع أن الشيخ ابراهيم هو الذي وضع لهم الأساس الأول لهذه الزيارة ، وأكدها تأكيداً ، وقد جاء في منشور له طويل ضمنه أكثر مبادئ دعوته وتعاليمها : « فيجب على المريد السر إلى من هو كامل العصر للاخذ عنه والتأدب بين يديه وتأكيد العهود المحمدية الاحمدية الابراهيمية وإن خالف والديه في ذلك وقد روى أن السري السقطي أمر الجنيد بأمر وأمره والده بأمر فقدم ما أمر به الشيخ وكان يقول ما أظني

ربحت إلا بذلك لأن الشيخ هو الوالد الروحاني يربي المريد ويرقيه حتى يرده إلى أصله ويقول له ها أنت وربك ولذلك كان حقه أكبر .. فلا بد للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أن الفيض لا يجيء إلا بواسطته ، وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين ، وقد قالوا أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته ، فربط القلب بالشيخ أصل كبير في الاستقامة والعمدة القوية وعليكم بكثرة المجالسة مع الأولياء ، وقد رأى بعض الصالحين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله عن أفضل الاعمال فقال عليه الصلاة والسلام وقوفك بين يدي ولي قدر حلب شاة أو ناقة قال قلت حياً أو ميتاً قال حياً كان أو ميتاً :

ومفتاح أبواب الهداية والخير	زيارة أرباب التقى مرهم يبري
وتشرح صدرأ ضاق من سعة الوزر	وتحدث في الصدر الخلي ارادة
وتكسب معدوماً وتنجبر ذا كسر	وتنصر مظلوماً وترفع خاملا
.....
وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر	عليك بها فالقوم باحوا بسرها
تأدب مملوك مع المالك الحر	فزر وتأدب بعد تصحيح نية
مرب ومجنوب وحي وذئ قبر	ولا فرق في أحكامها بين سالك

وتعطيل المريد الزيارة في غالب الزمان دليل قاطع على عدم صدقه ، وعدم ازدياد المحبة ، وإلا فالمرید نفعه بقدر محبته ، ومواصلته للشيخ ، فعلى المريد الصادق أن يراجع حضرة شيخه للزيادة والاستعداد من فيوضاتها ، والاقتباس من أنوارها ، والاجتناء من ثمراتها ، والتلقي لما يرد منها من المعارف والتجليات والأسرار والانتفاع بها ، وبذلك يفتتح نتائج الحضرة صادقا في طريق الإرادة ، فاعلموا أن المريد لا يترقى بتقرب مثل الزيارة والخير كل الخير فيها والحرمان كل الحرمان في إهمالها لأنه علامة لوقوف السير (١).

ثم بنى على هذا الأساس الذي أرساه الشيخ ودعّمه أيما تدعيم السيد علي سيس

خليفته وأمين سره الملقب عندهم بقلم الفيضة وبابها حيث ألف في ذلك كتاباً خاصاً بعنوان (ارشاد الاخوان إلى ما يجمع القلوب على الرحمان) وجاء في الكتاب مايلي : « وأوجه اليكم هذه التهاني يا معشر الأحباب عموماً وخصوصاً سكان نيجيريا التي فيها كنو عاصمة الفيضة التجانية ومشرق الأنوار السنية محل العلم والسر أهل الفضل والخير الذين قال في حق ساكنيها من لا ينطق عن الهوى وهو صاحب الفيضة أي إن الشيخ إبراهيم إنياس (هو الذي لا ينطق عن الهوى) !!! »

يكانو لي أحبة ركانوا أهل هداية ردين كانوا

والقائل :

ومن يحبني ومن يراني في جنة الخلد بلا بهتان
فهذا غنم ما غنم وفزتم بما فزتم ولا بد من تكرار الترحال إلى حضرة صاحب
الوقت لمن له قدرة عليها ولو مع شق الأنفس لتجديد العهد والمحبة وبه تزداد المحبة
وبقدرها يكون النفع ويحصل المدد والمراد قال صاحب الفيضة :

بقدر ما تحبه تنال أمداه فالقوم هذا قالوا

فلا تعوقكم عن تلك العلائق ولا الهموم ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا
لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) وقد مدح الله الصحابة بقوله : (رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وقال : (واذكر ربك إذا نسيت) .

لا شك ولا وهم أن المريد إذا حضر بين يدي الشيخ لا بد من أن يتذكر الله بقلبه
وروحه وسره ، وذلك قصارى ما يطلب من المريد في زيارة شيخه ، قال تعالى :
(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
تواباً رحيماً) وهذه تدل على أن المستفيد المسترشد هو الذي يجيء إلى المرشد المفيد
فزوروا لرويته والاستمداد منه والتخلق بأخلاقه الكريمة فائزين بالنفع الخاص بمجرد
وقوع نظركم عليه ولتجديد الرابطة بينه وبينكم وتجديدها واجب ما تجددت الأحوال ،
وهو تعالى كل يوم هو في شأن وتجدون العدوى منه عند المراقبة ويخلو وجهه لكم وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال جلوسك بين يدي ولي قدر

حلب شاة واعلموا أن المحبة جسم وروحه الزيارة فعلى هذا لا يشغلكم عنها شاغل ، ولا يحول بينكم وبين هذه المنقبة العظيمة التي هي عين الترقى حطام الدنيا وشهواتها... وقد كان القدماء يتفاخرون ويتنافسون برواية أولياء الله الكرام ، لما فيها من السر الجامع بين العبد وربه وقد حكى أن شخصين اجتماعاً في طريق ضيق فقال أحدهما للآخر تقدم فقال له بما استحق التقدم عليك قال لأنك صحبت الجنيد نصف يوم فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم فضيلة يستحق بها المتقدم عليه وقال بعضهم وقع جذب في بعض البلدان فاستسقوا فلم يسقوا ، وخرج إنسان وقال يارب بحق ما في هذا الرأس اسقنا فسقوا وارتوتوا فقال له بعضهم وما في هذا الرأس قال عينان رأنا أبا يزيد ، فقال له ذلك القائل أنت إذن أحق مني بالإجابة .

فكيف بقلب احتشى بحبه وجواره وكيف بحواس لم تزل ممتلئة بقربه فكأن أيها الطالب محباً لياكل تزينت بهذه القلوب ومبغضاً لأبدان حرمت هذه المحاسن التي ابعدت عن الذنوب .

ويا أيها المحب الصادق السامع لهذه الدقائق عمرك نفس واحد فاجتهد أن يكون لك لا عليك وأن الماضي قد فات والآتي من المؤخرات ، وليس لك إلا الوقت الذي أنت فيه ، فهل أنت مؤثر مولاك بالطاعة ؟ (١) .

بهذا استطاع الشيخ إبراهيم أن يكسب السفر إلى كولخ لزيارته قداسة روحية ويلبسه ثوب الوجوب الديني ، ثم طور ذلك السيد علي سيس ، ودعا إليه بحماسة لا تعرف الهوادة ، كما رأيت ، وأمعن في ذلك حتى جعل له ضوابط وكيفية فقال : « وينبغي أن ينوي المتوجه للزيارة جميع حوائجه عند انتقال رجله اليمنى ، فإنه مجرب لذلك حسبما صرح به غير واحد من الشيوخ ، فلك أيها السيد الماجد والأخ الصادق أن تعمل عليه وجهتك هذه المباركة إن شاء الله يظهر لك أثره ، وتحمد مسعاك فيه بإذن الله ، وكان الله على ذلك مقتدرأ فإذا تراءت معالم الديار فإذن سر ثم أطاب الضيافة من الله ، تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن شيخك على الحد الذي

عرفته ، ثم تقدم على بركة الله إلى الدخول للحضرة الميمونة جازماً بأنك تحظى في ذلك الدخول بما لا غاية له من وجوه الرضا والقبول والعطف التام الكفيل بقضاء كل سؤال ، وبلوغ كل مأمول ، ولا تنس بالفضل منك أن تستحضر نافي باللك وتشاركنا في مقاصدك وآمالك وعلى الله قصد السبيل » (١).

ولا شك أن دعوته هذه أصابت آذاناً سامعة ، وقلوباً طائعة ، قلبي أهل الفيضة التجانية الدعوة واقبلوا من جميع الأقطار الواقعة في إفريقيا الغربية على السفر إلى كولخ ، باعتقاد جازم ، حتى صار يلي السفر إلى الحرمين لأداء المناسك في الأهمية عندهم ، وقد قدمنا أن بعض تلاميذه النيجيريين قد صرح بذلك في معرض رده على من نقدم في ذلك حيث ألف كتاباً خاصاً لهذا الغرض وأسماه (جواب السائل في كون زيارة الولي قرية عظيمة وأفضلها اليوم بعد الحج والمدينة النبوية زيارة صاحب الفيضة في مدينته الكولخية ».

وقد عد الشيخ محمد الثاني الكافني الكنوي زيارة الشيخ ابراهيم في كولخ من جملة ما أنعم الله به عليهم فقال : « ومنها أن المواصلة والزيارة بيننا وبين شيخنا ما انقطعت ، فكنا نزوره وهو أي الشيخ ابراهيم أو أحد أولاده وخلفائه يزوروننا في أمن ، فحكومتنا أيدها الله تعالى وحفظها من كل شر وكيد ، ما سدت طرق المواصلة بيننا بل تساعدنا وتعين . يا حكومتنا جدي وابدلي جهدي في إرضاء الشيخ وخلفائه فإنك إذا فعلت هذا لا شك بمشيئة الله ترأسين على جميع الدول وتنقاد لك وتسمع جميع أوامرك ونواهيك ، والظن بك جميل فالله يساعدك ويؤيدك ويجعل خطاك إلى الأمام ويبارك فيك بمنه وفضله » (٢).

وقال الشيخ الحاج أحمد بابہ الواعظ الكوماشي في كتابه (توضيح الأدلة) في باب عقده بعنوان (انكار السفر إلى كولخ لزيارة الشيخ أي ابراهيم إنياس) .

« وما على المسافر إلى كولخ لزيارة العالم الولي الكامل والخليفة الاعظم جناح إلا الأجر والامثال ، ومن المعلوم في هذا الزمان أنه لا توجد بقعة أو بلد يحتفل فيها

١ - الشيخ الحاج بابہ الواعظ : توضيح الأدلة ٩٨ ٢ - الشيخ محمد الثاني الكافني : مرآة الحق ٤٥

الناس فوجاً فوجاً مثل الحج وزيارة الرسول إلا في كولخ ، فترى الوفود متراكمين ومتحركين لله في الله في مدينة كولخ ، وهناك ليس إلا الصلاة والذكر والوعظ وقراءة القرآن .

ثم أن هذا الشيخ لا يزال برقيق بهمته وعمله إلى أعلى المقامات ، وكذلك أكابر أصحابه وأولاده يوسعونك ترحيباً وسروراً فجزاهم الله عنا خيراً ... وقد اتفق أكثر العلماء العاملين العارفين في هذا الزمان على أن الشيخ إبراهيم الكولخي عبدالله ابن عبدالله تلميذ عبدالله ولي وصالح وغوث وعامل بالسنة وشيخ الزمان وخليفة الشيخ التجاني ، فواجب علينا محبته وزيارته والاحسان اليه وقال صلى الله عليه وسلم إن روح الاسلام حب الله وحب رسوله وحب الصالحين من عباده » والشيخ إبراهيم من الصالحين ... ولا شك ولا جدال أن الشيخ إبراهيم ولي وصاحب الفيضة إن رضي المنكر أو أبى .

وإن في السر عشرة أوجه ، أولها : زيارة الشيوخ وهي أعظمها بعد الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لما فيها من زيارة فيض الامداد واكتساب الأوصاف المحمودة ، والتخلص من الأوصاف المذمومة ، مع اقتباس العلم والحال ، وفي ذلك من الخير ما لا يعلمه إلا الله ، وكل ذلك أيها الأخ حاصل في زيارة الشيخ إبراهيم بكولخ كما شاهدنا ذلك والله الحمد » (١).

الشيخ إبراهيم انياس وشيوخ الطرق في السنغال

إذا رجعنا قليلاً إلى المقدمة التي قدمناها بين يدي الباب الثاني — من هذا الكتاب — المخصص لحياته نرى كيف قسم شيوخ الطرق جمهورية السنغال بينهم وجعلوا أهلها شيعاً وأحزاباً كل شيخ يختص بفرقة أو أخرى ويسيطر على إقليم أو آخر وعلى هذا فلا تقع مصادمة بين شيخ أو آخر إلا إذا تدخل أحدهما في منطقة سيطرة الآخر أو استهوى إلى جانبه أتباع ذلك ، وهذا أمر قليل الوقوع في السنغال ، لأن حياة السكان

١ - الحاج بابو الواعظ : توضيح الأدلة ٩٤ - ٩٨ .

تكاد تسير على نظام طبقي دقيق بحيث يصعب على الفرد أن يخرج من طبقته إلى طبقة أخرى أو من بيئته إلى بيئة أخرى، أو من وسطه إلى وسط آخر، هذا وقد أشرنا فيما سبق إلى أن تلاميذ الشيخ ابراهيم في السنغال كانوا في الغالب من تلاميذ والده ، وكلهم يسكنون في إقليم سين سالوم تقريباً ومن أجل ذلك يبعد أن يقع التصادم المكشوف بينه وبين شيخ آخر ، وهذا هو سر وقوع هذا الإصطدام بينه وبين بعض إخوانه من رؤساء أسرته لأنه أراد أن يقاسمهم هؤلاء الأتباع .

ومهما يكن من شيء فإن العلاقة بين الشيخ ابراهيم وبين الشيوخ الآخرين هي صداقة وحسن التفاهم نسبياً إلا ما كان من أمر الشيخ أحمد دم الفلاتي كما سيأتي فسرعان ما جعل الشيخ ابراهيم حداً لتفاهم الأمر بينهما لحسن سياسته ، ومما يدل على صحة ما قررنا أن الشيوخ السنغاليين إذا اجتمعوا على أمر جامع من أمور الدين أو ما يمس الحياة الاجتماعية السنغالية يجعلون الشيخ ابراهيم سكرتيرهم ، وهو الذي يكتب التقرير على ما اجمعوا عليه ، ثم يقدمه لهم للتوقيع ، وبعد التوقيع ينفذه نائباً عنهم واليك طرفاً من التقرير الذي كتبه إلى الحكومة السنغالية بلسان علماء السنغال وومشايخها وقد فتحه بقوله : «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،

وبعد فهذا موقف الاسلام من دستور الأحوال الشخصية في السنغال فإننا نحن جماعة الشيوخ المسلمين المؤمنين الموقعين على هذه الوثيقة بعد ان اطلعنا على جانب كبير من مشروع القانون الخاص بتنظيم أحوال الأسرة والذي اعدته حكومة سنغال ووزع علينا السيد رئيس الوزراء نسخاً منه لكي نتدارسه ونبدى رأينا فيه قبل أن يصبح قانوناً ساري المفعول .

وبعد مشاورات عدة بيننا في هذا الموضوع الذي يهم كل سنغالي لا سيما المسلمين نظراً لأن قوانين هذا الموضوع تتناول أحوالهم قبل الميلاد واثناء الحياة في الدنيا وبعد الممات ، وهي أحوال تناولتها شريعة الاسلام بشمولها ، ومرونتها وربانيتها ، وخلودها ، وحرصاً منا على التعاون مع كل من يعمل لخدمة الشعب السنغالي وتسهيل اسباب التقدم السليم له ، تعاوناً مبنياً على التجرد والصراحة والاخلاص لله ولرسوله ، واستجابة منا لرسالة الاسلام التي يتحمل العلماء في ظلالتها مشولية نصبح الامة وارشادها ، نظراً لما وفقهم الله له من فقه تعاليم الدين والتفرغ لحمل

تراث الانبياء والمرسلين ، كما تخصص غيرهم من افراد الشعب في الطب والهندسة وغيرها من الفنون مثلا

ووفاء للجماهير السنغالية المسلمة الذين وضعوا فينا ثقتهم الكاملة لقيادتهم في الطريق الى الله عزوجل ناقلين اليهم تعاليم الاسلام سليمة أصيلة كما تلقيناها عن السلف رضوان الله عليهم ، نقول بناءً على هذه الاعتبارات العامة قررنا ما يلي :

أولاً لإننا نقدر الجهود الكبيرة التي بذلت في سبيل إعداد هذا المشروع الذي يحتوي على ثمانمائة وأربع وخمسين مادة كما نشجع الحكومة على اخذها بمبدأ الحوار والشورى مع المشايخ والعلماء قبل البت في قضية اساسية حساسة كهذه.

ثانياً نلتمس من الحكومة السنغالية أن تترجم لنا مشروع القانون بنصه الكامل إلى اللغة العربية ترجمة دقيقة لكي يدرسه كل واحد من علماء السنغال مباشرة ، بلغة ثقافية ، ونحن نعتبر هذا الملمس جذيراً بالاستجابة العاجلة ، حرصاً منا على الاستيعاب الذي لا يحيد عنه إذا أريد لحوارنا أن يعطى ثمرته العلمية الكاملة .

ثالثاً ومع تقديرنا للجهود المذكورة وفي انتظار صدور الترجمة العربية للمشروع نبادر لتسجيل الملاحظة التالية وهي :

إن من جملة ما طالعنا من مشروع القانون أبواباً ومواد تتعلق بالنكاح والطلاق ومدة الحمل والميراث وثبوت النسب وهي قضايا واحكام قد فصلت في الشريعة الاسلامية تفصيلاً لا مزيد عليه ولا داعي لتطويله ولا يجوز لمسلم الخروج فيها عن دائرة الشريعة الاسلامية في مصادرها الأربعة المعروفة الكتاب والسنة والاجماع والقياس على تفصيل في ذلك يعرفه أهل الاختصاص إلى آخره وهو طويل ثم وقع عشرة من المشايخ السنغاليين على التقرير وهم على الترتيب الآتي

- ١ - أكبر مشايخ السنغال الحاج سعيد النور طال .
- ٢ - الخليفة العام التجاني الحاج عبد العزيز حمد .
- ٣ - الخليفة العام المريدي الحاج الشيخ أمبك .
- ٤ - الامام الأكبر بدكار الحاج أحمد الأمين جين .

٥ - القاضي الأكبر الحاج شمس الدين جاج .

٦ - كبير الطريقة القادرية الحاج علي سك غوران .

٧ - كبير التجانيين بكاسماس الحاج محمد سعيد .

٨ - كبير آل الامام لاي الحاج مجون لاي .

٩ - شيخ آل جاسان الحاج السيد الأمين كنت .

١٠ - أحد العلماء الحاج ابراهيم إنياس .

فلن دل هذا على شيء فلنما يدل على رفعة شأن الشيخ ابراهيم عند هؤلاء المشايخ ومدى ثقتهم به .

هذا وقد بذل الشيخ ابراهيم - فيما يبدو - مجهوداً لا يستهان به في ملاطفة بعض الشيوخ والتآلف معهم ، وتطبيب خواطرهم بالبشائر الجذابة لاكتساب ثقتهم به ، ومحبتهم إياه ، وخلق حسن التفاهم بينه وبينهم ، قدر الامكان ، ومن أمثلة ذلك حسب ما أخبرني به الشريف العلوي محمد فال ابن دهاه أن الشيخ ابراهيم قد عاد صديقاً له مريضاً وهو من شيوخ الطريقة القادرية في المستشفى فقال له الشيخ ابراهيم لا شك أن الرابطة التي تربط بينك وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني قوية جداً لأنني رأيته معك عندما جئت هنا ففرح الشيخ المريض فرحاً شديداً وقال الآن لا أخشى من الموت ، ثم أوصى وأكد بأن الشيخ ابراهيم هو الذي يصلي عليه إذا مات (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً أن الشيخ أحمد دم الفلاتي السابق ذكره كان يعادي الشيخ ابراهيم ويكتب لأجل الطعن فيه هو وأتباعه فحضر الشيخ تفسيره تكريماً له ، ففرح بذلك ، وسكنت ثائرته ، وكف عن الكتابة وعن نشر ما كتب ، واستراح الشيخ منه (٢) .

ومع ذلك لا تفقد هنات بين الشيخ ابراهيم وبين كبار بيوت الطريقة التجانية في

١ - في مقابلتي معي في التاريخ السابق .

٢ - أخذت هذه المعلومات من السيد ابراهيم جوب في مقابلتي معي في التاريخ السابق .

السنغال وربما كان الشيخ ابراهيم نفسه هو سببها وقد مر بنا أن أكبر بيت للطريقة التجانية في السنغال هو بيت السيد مالك سي ، وبيت الشيخ سعيد النور طال ، وقد رأينا فيما سبق كيف قام السيد مالك سي بمجهود جبار في جمع كلمة شيوخ التجانية وإيجاد رابطة الصداقة بينهم ، وكيف استطاع أن يقنع الشيخ عبدالله إنياس والد الشيخ ابراهيم ليزوره في مقره بتاون فاعتبرت الزيارة بمثابة بيعة من الشيخ عبدالله إنياس للسيد مالك سي فاستمرت هذه الصداقة بين البيتين فمضى بيت الشيخ عبدالله يعترف لبيت السيد مالك بالخلافة العامة للطريقة التجانية في البلاد كلها شأن غيره من بقية بيوت التجانية .

وأما الشيخ سعيد النور طال فقد سبق أن قررنا أن السيد مالك هو الذي رباه صغيراً بوصية والده حتى بلغ أشده فزوجه ابنته فكانت أهميته في السنغال يتبلور من ناحية أنه هو رئيس قبيلته تكولا (الطورية الفلاشية) وهو أيضاً حفيد الشيخ عمر القوني الناشر الأعلى للطريقة التجانية لا في السنغال فحسب بل في غرب إفريقيا بأسرها ، وعلاوة على هذا فإن الحكومة الفرنسية قد عينته رئيساً لجميع التجانيين الكاثنيين تحت سيطرتهم في إفريقيا الغربية (١).

والشيخ ابراهيم نفسه يشعر بعلو مرتبة البيتين من بين بيوت التجانية في السنغال ويتبين ذلك بكل جلاء في تقريره السابق حيث كان أول من وقع عليه هو الشيخ سعيد النور هذا بلقب أكبر مشايخ السنغال ثم الحاج عبد العزيز سي بلقب الخليفة العام التجاني . ولكنه مع ذلك كله انتقد منصب الخليفة العام الذي يحتله عبد العزيز سي ابن السيد مالك بحجة أنها ليست خلافة شرعية واجبة الاتباع بحيث أن من نزع يده في طاعتها يعد خارجاً عليها ومن ثم رفض أن يعترف بسلطة هذا البيت كما نقد أيضاً بشدة وبصرامة المناورات السياسية التي يقوم بها الشيخ سعيد النور طال (٢).

وهذا من شأنه طبعاً أن يخلق كراهية شديدة بينه وبين البيتين ، ولا يد إذن والحال هذه من قيامهما والمنتمين إليهما برد فعل شديد تجاه تصرفه هذا نحوهما ثم بدعاية

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٩٣٣

٢ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٩٣٣

عدائية ضده على نحو ما قرره الشيخ أبو بكر عتيق الكشناوي الكنوي بقوله « ولو دخل الواحد بلاد السنغال وسأل عن أهل التربية لدل على حضرة الشيخ إبراهيم مالم يكن المسؤول من منكره وحسدته ، لأنهم كثيرون هنالك بل هم الغالب فقلما دخل بلاد السنغال زائر الشيخ من غير أن يجتمع بهم وذكر واه من المعائب التي هو بريء منها فلا يزالون به حتى ينسلخ عن عقيدته (١) » .

خصوم الشيخ إبراهيم انياس

يعتبر الشيخ إبراهيم انياس من القلائل الذين كتب الله لهم الشهرة وانتشار الصيت من دون أن يقاسوا عناء شديداً من قبل الحساد والمنافسين ولم يكن له حتى في قلب وطنه ناقد أو منافس يعتد به إلا قليل جداً ، وربما كان ذلك للسبب الذي قدمنا آنفاً ولأن سلوكه أيضاً وسمو أخلاقه وسعة خبرته ومهارته في إجراء الأمور ومعرفته - كما يقال - من أين توكل الكتف وتأخر أكثر خصومه عنه - فيما يبدو - علماً بالإمور التي يدعيها وعدم إلمامهم بحركة الإصلاح الديني الدائرة في المغرب ومصر وجميع أنحاء العالم الإسلامي قد ساعد على سد أفواه خصومه وكف أيديهم . ومع ذلك فبإمكاننا أن نقسم خصوم الشيخ إبراهيم إلى ثلاثة أنواع :-

١ - خصومه من أسرته .

٢ - خصومه من قومه السنغاليين .

٣ - خصومه من خارج السنغال .

فأما خصومه من أسرته فإن الشواهد تدل على أنه ما قاسى عناء شديداً وقلقاً عظيماً مثل ما قاساه من عداوة إخوته له ، وقد بلغ به الحال إلى أن يتمنى الموت حيث صرح بأنه قد شتم الحياة ، وقد جاء في رسالة له رد بها لرسالة كتبها إليه أخوه السيد محمد الهادي مع بعض تلاميذه فقال : « حضرة الأخ الولد العارف بالله الهادي ابن الحاج عبدالله التجاني سلام ممتزج بالشوق أنت ومن معك من الأحباب محمود جوف وأحمد سام وأبو بكر مريم لتعلم بأنني وقفت على كتابكم وما هالككم مما شاهدتم وسمعتم

١ - الشيخ أبو بكر عتيق : الجواب الغالص الصميم ٢

من المنكر والسحر فاعلموا أنني - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سمعت من لسان من لا ينطق عن الهوى أن لا يضرني مخلوق أصلاً كائناً من كان ، وقد أعطيت من العمر أطول مما أعطي لوالدي رحمة الله عليه ، وهذا لولا كوني مراداً لله فلا أحبه أي طول العمر لأنني سئمت من هذه الدار لما فيها من الأكدار ، لكن الخير فيما اختاره رب العالم ، وأبشركم بهذا لتعلموا أنه لا يقع بي شيء إلا ما تحبون » (١) .

فقد بدأ توتر الحال بينه وبين إخوته بمشاحنة قلبية في خلافة الحاج محمد إنياس يشعر به الشيخ ابراهيم ومن معه من قبل الأول تظهر أحياناً في بعض تصرفاته مثل الحجر على استعمال ما هو من قبيل المرافق العامة المشتركة بين الجميع كالكتب المحبوسة من جهة الوالد على الأبناء جميعهم ، وربما كان سبب ذلك غيرته على ما يتمتع به الشيخ ابراهيم من القبول المشوب بالاحترام ، والاعتراف الذي لم يقتصر على بعض تلاميذ والدهم فحسب ، بل قد شمل بعض الأخوة أبناء الشيخ عبدالله أيضاً ، واستمر الحال على ذلك حتى توفي الخليفة الأول الحاج محمد إنياس ، وعندما تسلم الحاج عمر إنياس عرش الخلافة اندلعت نار الفتنة بين الأخوين ، ذلك لأن نفوذ الشيخ ابراهيم قد تزايد منذ قبيل موت الحاج محمد إنياس ، فحاول الحاج عمر إنياس أن يجعل حداً على تزايد نفوذ أخيه الصغير القوي هذا حتى لا يطغى على سلطته ويقضي عليها من أساسها فتتفقم الأمر حتى أفضى إلى القتال المكشوف المباشر سنة ١٩٥٧ م ١٣٧٧ هـ وكان مع الحاج عمر الخليفة أبنائه وأبناء أخيه الخليفة السابق ، وربما كان معه أيضاً بعض الأخوة وبعض التلاميذ طبعاً ويؤيد الشيخ ابراهيم تلاميذه وبعض إخوته أيضاً وقد عدهم كالآتي : « الحاج محمد زينب والسيد محمد محمود ومحمد الهادي ومحمد الشفيع وأبو بكر » (٢) . وكان النصر في هذه الآونة حليف الحاج عمر الخليفة حيث تمكن من دحر الشيخ ابراهيم وأنصاره واخماد ثورته ، ثم اصطالحا أخيراً فثاب السلام إلى الأسرة من جديد واستقامت أواصر المحبة وصلة الرحم بينهما حتى كان الخليفة الحاج عمر إنياس يحضر المهرجان الذي يقيمه الشيخ ابراهيم لإحياء ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم (٣) .

١ - الشيخ ابراهيم إنياس : جواهر الرسائل .

٢ - الشيخ ابراهيم إنياس : نفس المصدر ١١٣/٢

٣ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ٧١

وقد جاء ذكر هذه الأمور كلها في بعض أشعار الشيخ إبراهيم صراحة أو تلميحاً ومن ذلك قوله :

لائمي فارت لحالي	قد دهاني ما دهاني
كم خليل قد جفاني	لغرامي ورماني
رب صنو كنت أرجو	وصله ثم جفاني
ونهاني ولحاني	وشجاني ونفاني
ليس لي اليوم خليل	غير ما منك أثناني
غير هذا قد قلاني	عاذلاً لي كل مان
مزقور جلدي جهارا	أخرجوني من مكاني
دون ذنب غير أني	حب طه في جناني
وأراني لست ألقى	تائباً مر الأواني
وأراني لست ألقى	تائباً مر الأواني
وأرى لو مزقوني	بمواضي الهندراني
لم ينالوا ما أرادوا	قد مضى ذا وكفاني (١)

ويقول أيضاً مخاطباً أتباعه :

لا تضربوا أبداً لا تشتموا أبداً	وان ضربتم فصبراكم صبر
إذا نظرتكم إلى من قبلكم من تقا	ة قد عفوا وصفوا إذ غيرهم مكروا
هديتم لصراط النصر فاصطبروا	فالنصر في الصبر والأعلون من عفروا
إذا منعنا مساجد الإله فما	هذا بأوله والقوم قد صبروا
نخذو كخذو الذين قبلنا فلننا	بالمصطفى أسوة والحق ينتصر (٢)

هذا وقد عد الشيخ إبراهيم مأخذ إخوته عليه في رسالة له إلى الحاج سلم مقدم زاوية فاس حيث قال : « واعلموا أنني على صغر سني وقصور علمي وضعفي في الدين أوديت في الله حق الإذابة ورموني بالكفر والتفسيق وتحليل الحرام وقطع الأرحام وإفساد طريقة الشيخ أي التجاني بإدخال ما ليس فيها وافتراء الكذب على الله والسحر

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : مجموع قصائد المولد ١٦

٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ٥٢/١

والجنون وفعل بي من الأفعال ما لا يفي بها قلبي فصبرت لله واحتسبت » (١) :
وأما خصومه من السنغاليين فقد أشرنا آنفاً إلى من يسمى بالشيخ أحمد دم الفلاتي
وكان هذا الشيخ يسكن في قرية (سوكون) وكان من الذين جاهدوا الشيخ ابراهيم
بالعداوة من شيوخ السنغال وقد ألف الشيخ أحمد كتاباً وسماه تنبيه الغافلين
وكان يعني بذلك الشيخ ابراهيم وأتباعه وأرسل بالكتاب إلى الحاج محمد إنياس الخليفة
فقرظ الكتاب ، ثم أرسل الكتاب مع تقرّظ الخليفة إلى الشيخ ابراهيم فكتب إليه
الأخير ما يلي : « فإلى الأخ العلامة الحاج أحمد دم السلام علينا وعليكم وعلى عباد الله
الصالحين يليه أن تعلم أنني رأيت تأليفك ولم أنتفع به لتناقض مبانيه ومعانيه ، بادي
الرأي ورأيت نقل كلام الكتب وسباً مخصوصاً بطائفة لا أدري من تعني بهم فإن كان
أنا العبد الجاني فأحمد الله كثيراً على ستره الجميل والله حسيب المفترى وإن كان
أصحاب الشيخ التجاني الذين معي هم المعنيون بذلك فالحمد لله الذي غض بصري
عن مشاهدة ما تدعي عليهم ورزقني حسن الظن بالله وبعباده في سائر البلاد ، إلا أنني
أعلمك بأنني لا أرى لكتابك جواباً ولو سألتني عما أشكل عليك لكان الجواب واجباً
أو تقرر شيئاً مخالفاً للكتاب والسنة ليس افتراء وأنا أتضرع إلى الله متوسلاً برسول الله
وأصحابه وآله وأسأله أن يحق الحق ويبطل الباطل وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وسلم وتسلمت ما كتب الخليفة الحاج محمد في شأنك وشأن كتابك وعلى الله قصد
السبيل ومنها جائر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » (٢).

وعلى أي حال فإن تلاميذ الشيخ ابراهيم قد أفاضوا بحماسة شديدة في الرد على
الكتاب ولكن رأى أن المصلحة في ملاطفة الشيخ الفلاتي فزاره ليسمع تفسيره بطريقة
تعبّر عن الإكرام فكف بذلك عن إظهار العداوة واختفى الكتاب كما قدمنا .
وأما في نجيريا التي تعتبر مظهر فيضة الشيخ ابراهيم ومركز دعوتها فالظاهر الذي
يبدو أنه ليس فيها خصم ظاهر ينقده صراحة إلا الحاج أبا بكر جومي وحده فيما
وقفت عليه حتى الآن .

لقد زرته يوم السبت ٢٧ مايو ١٩٧٨ م بمقره في كدونه ولم يكن يعرفني من قبل

١ - الشيخ ابراهيم إنياس: نفس المصدر ١٩/١ . ٢ - الشيخ ابراهيم إنياس: جواهر الرسائل ١١٥/١

فعرفته بنفسه ثم أخبرته بأنني باحث من قسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو بكنو
أكتب رسالة الماجستير عن الشيخ ابراهيم إنياس الكولخي التجاني ومن أجل ذلك
جئت لأقف على حقيقة رأيك فيه .

فقال : « أنا لا أريد أن تدخلني في هذا الأمر » .

فقلت : « أنت أدخلت نفسك فيه أكرمك الله ولذلك لا أتمكن الآن من إخراجك
منه ، ذلك لأنك قد اجتمعت به كثيراً وانتقدته هو وطريقته في غير ما مرة ، وعلى
هذا فكان من اللازم أن أقابلك قبل أن أقرر أي رأي في هذا المجال .

ثم قلت له أريد من فضلك أن أعرف حقيقة رأيك في الشيخ ابراهيم وحركته في نيجيريا .
فقال : « رأيي فيه أنه لم يدخل نيجيريا بنفاق أبداً وإنما دخلها بكفر صريح
مكشوف ينادي به علناً وعلى رؤوس الأشهاد » . ثم طفق يشرح لي وجهة نظره في
ذلك وأوقفني على مسائل في جواهر المعاني والرواح وفي بعض كتب الطريقة التجانية
وما قرره الشيخ ابراهيم نفسه ، وفي كتب تلاميذه ، وذلك كله يكفر معتقده في نظر
السيد أبي بكر جومي ، وقد أوردت بعض ذلك في بعض الفصول السابقة وانظر
أيضاً كتابه العقيدة الصحيحة (١) .

ثم قلت له هل كانت بينك وبين الشيخ ابراهيم صداقة من قبل ثم فسد ما بينكما
فيما بعد ؟ لأنني وقفت على رسالة كتبها الشيخ ابراهيم إلى تلاميذه الكنويين مضمونها
أنك اتصلت به في المدينة المنورة وأبديت له رغبتك في الاتحاد مع تلاميذه أولئك
لتوسع مدى الدعوة الإسلامية التي تقوم بها الرسالة مؤرخة بـ (١٣٨٤ هـ) أي بحوالي
أحدى عشرة سنة من الآن .

فقال : « ومن عاداتي أن أتصل بكل من بلغني أنه عالم لأستفيد منه وهذا هو
سبب إتصالي بالشيخ ابراهيم وعندما تبين لي أنه كافر تبرأت منه ، وابتعدت عنه ،
وأما اتخاذ حركتي مع حركة تلاميذه والتعاون معهم فلا أرى أنني أحتاج إلى ذلك حتى
أطلب إليه أن يكتب بذلك إلى تلاميذه لأن حركتي هي جماعة نصر الإسلام وهي
ليست لي وإنما هي لجميع المسلمين ، وكل من يريد أن ينصر الإسلام فالباب مفتوح
لا يحجبه شيء » .

ثم قلت له ما هو رأيك في قول الشيخ ابراهيم : « إن الله تعالى قد ساق الوجود بأسره مساق الهلاك في هذا الزمان فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني » (١).

فقال : « إنه يريد بذلك أن يقول ومن يتبع غير التجانية ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ».

ثم قلت له ما رأيك في قوله أيضاً أي الشيخ ابراهيم إن جبريل مجاز لا حقيقة والكتاب في يدي فأريته المحل فلما قرأه هز رأسه متعجباً متأسفاً ولم يحر جواباً (٢). وأنت هنا ترى أن السيد الحاج أبا بكر جومي قد شدد في نقده لحركة الشيخ إبراهيم حتى كفره صراحة ولكن ليس هو أول من كفره وإنما كفره قبل ذلك منافسوه من قومه حسب ما قرره بنفسه في رسالته السابقة إلى السيد سالم مقدم زاوية فاس هذا من جهة وإذا نظرنا إلى ردود فعل الشيخ ابراهيم نفسه تجاه خصومه من جهة أخرى ندرك أن السيد الحاج أبا بكر جومي قد رد عليه بالمثل أو بعبارة أخرى كال له بمثل ما يكيل هو لخصومه ، والأمر إذن من قبيل ما يقال فكما يدين تدان ، حيث إن الشيخ إبراهيم نفسه لا يتورع عن تكفير خصمه إذا يئس منه أياً كان فقد كفر رجلاً مورتانياً يدعى الشيخ كابر لأنه ينكر عليه ، وذلك عندما بلغه أن الشيخ كابر هذا قد ورد إلى نيجيريا وخاف من أن يفسد عليه أتباعه الهادئين فكتب منشوراً هاماً إلى كافة أتباعه في نيجيريا وجاء فيه : « ولي مقدمون في هذه الأقطار كل واحد منهم كنار على علم بآرك الله فيهم فمن أخذ عن واحد منهم فكأنما أخذ عني وأما الدجاجلة المطوفون على البلاد للتكالب على الدنيا (ككافر) لا أقول (كابر) وأمثاله فليس يبيي وبينهم شيء » (٣).

فأنت هنا ترى أن الشيخ ابراهيم قد جعل الشيخ كابر من جملة الدجاجلة الذين يطوفون على البلاد للتكالب على الدنيا ثم كفره حيث دعاه كافراً بدلاً من كابر . وهذا لا ينبغي أن يصدر من مثل الشيخ ابراهيم ولو في جانب مسلم عادي ولا

١ - الشيخ ابراهيم اتياس جواهر : الرسائل ١/ ٨

٢ - جاء تصريح الشيخ ابراهيم بهذا الكلام في الجزء الأول من كتاب جواهر الرسائل صفحة ٨٧ .

٣ - منشوره العام الذي كتبه لتكفير كابر

سيما في جانب رجل عالم مثل الشيخ كابر .

الشيخ كابر هذا شريف حسني نجاني من أهل شنجيت وهو عالم كبير اجتمعت به شخصياً وأنا في (أزري) حينئذ وذلك في حدود ستينات هذا القرن الميلادي ، وأعجبت بعلمه ، ودينه ، وقد رحل من (أزري) إلى (أدماوا) عندما ورد منشور الشيخ ابراهيم ذلك ، فبدلاً من أن يتقرز هؤلاء الشيوخ من هذا الأمر البشيع الذي صدر من شيخهم من تكفير مسلم بغير حجة شرعية ذهبوا يهزون رؤوسهم إعجاباً بشيخهم إبراهيم إنياس قائلين إن أمره في الولاية عظيم حيث استطاع أن يتصرف على حفيد النبي صلى الله عليه وسلم ويسلب إيمانه .

ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه أي الشيخ ابراهيم قد جعل رجلاً في جامبيا يدعى (بيرانجاي) عدو الله ورسوله لأنه يعاديه ، وقد قال في رسالة له إلى تلاميذه هنالك : « إلى إخواننا وأحبابنا الذين قطنوا بنجل ذكورا وإناثاً صغاراً وكباراً أخص منهم ولدي الأرضي وخادمي المرتضى القائم بأمر المسلمين سيدي ابراهيم جمعتم حفظه الله وكذلك منزلي الكريم داود جاك ومحبي قديماً عبدالله انجاي والحسين طور وكيبيا وأحمد جنق و ابراهيم شك ومصل سل ومن في معناهم كل باسمه وعينه رضيت عنكم رضى تاماً وأوصيكم أن تقوموا على ساق البلد في إصلاح ذات بينكم وأترك العدو الذي يسعى في تفرقة جماعتكم (عدو الله ورسوله بيرانجاي) أخزاه الله تعالى وما قال كل ما قال سوى أنه يعاديني ويحاربي فقد كذبوا : « سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه بلغه أن رجلاً من تلاميذ والده يدعى سعيد آو قال فيه كلاماً مكروهاً فكتب إليه رسالة شديدة اللهجة يدعو عليه فيها بدعوات سيئة وكتب الرجل إليه يلاطفه ويرأى مما نسب إليه من أكاذيب السعاة وينصحه بأن يتخلق بأخلاق والده الحاج عبدالله إنياس فلانت بذلك عريكة الشيخ وهدأت ثائرته وكتب إلى الرجل مرة أخرى يلاطفه ويقبل عذره ويرأى مما أشيع عنه ويؤمنه من تأثير دعائه عليه لأنه أطلقه أي الدعاء لأجل المحبة لا لاعداءه ، وقال في الرسالة : « وقد برأتك مما زخرفه الناس عنك وما اتهمتك قط منذ عرفتك ، وأما الاسطتان فما فيهما كبير شيء لأنهما

صيفتان للنهي والدعاء ، وكل ذلك باعته مني محبتي فيك ... وإذا خلوت مع بعضهم ولو لم تقل لهم شيئاً إذا خرجوا يشيعون بأن أو هذا قال كذا وكذا وإذا سمعه من له تعلق بي يكتب إلى بما قال هؤلاء عنك وهو محض كذب وما كتبت إليك ما كتبت إلا بعدما تعين على لأن الناس يكادون يسيئون الظن فيك إنك لست من أحبائي وأما وصيتك لي فنعمت الوصية هي من أخ صالح بارك الله فيك وزاد في أمثالك والتخلق بأخلاق والذي هو غاية مطلبي .

ولا شك أن هذا القدر الذي قدمنا يعطي صورة صادقة لردود فعل الشيخ ابراهيم تجاه خصومه ومنتقديه ، فإذا كان هو نفسه شديداً على خصومه الذين ينس منهم ، فلا مانع إذن من أن يشدد عليه بعضهم .

الشيخ ابراهيم انياس والسياسة الوطنية في السنغال

إذا نظرنا إلى حياة الشيخ ابراهيم انياس نرى أن السياسة عنده تكاد تكون غريزة فطر عليها ، بل لا شك أنه سياسي محنك موهوب ، إذ لا يتأتى لمن لم تكن له موهبة سياسية وحنكة قيادية أن يكون لنفسه مركزاً دينياً هاماً ، ويستهوئ إلى جانبه أتباعاً كثيرين من شتى القبائل ومختلف الأجناس ، يحملون اسماً خاصاً بهم اخترعه لهم وقادهم بكفاءة فائقة منذ أن كان ابن ثمان وعشرين سنة حتى وفاته وهو ابن خمس وسبعين .

لقد استطاع الشيخ ابراهيم بهيمته العالية وعزيمته القاهرة وبصيرته الناقدة أن يجعل بينهم في صفوف البيوت المشهورة في السنغال بشكل لم يستطعه والده وأخواه من قبل حتى صار يتسامى بيت السيد مالك سي وبيت الشيخ أحمد مبا وغيرهما من البيوت البارزة ، فأكسبه نفس الاعتبار الذي تتمتع به تلك البيوت الرفيعة ، ثم بعد ذلك كله أخذ البيت وزج به في ثبج غمار السياسة الوطنية السنغالية حتى علا صوته في مقاعد البرلمان ولجان الوزارات ، مثل كل بيت عال في البلاد ، ولم يكتف بذلك حتى أعلن ثورته المكشوفة على منصب الشيخ سعيد النورطال حفيد الشيخ عمر القوتي نفسه وخليفته .

وعندما رأى الشيخ ابراهيم أن أمره ينتشر بسرعة وأتباعه يتكاثرون بتزايد خرج من بيت أبيه وكون مركزه خارج مدينة كولخ في مكان سماه المدينة الجديدة كما سبق ثم أسس جمعية باسم جماعة أهل الفيضة النجانية ، فكان الأساس الذي بنيت الجمعية

عليه هو أن الشيخ ابراهيم هو مجدد الطريقة التجانية في هذا القرن حيث إن لكل قرن مجدداً ولما كثر أتباعه في داخل السنغال وخارجه أسس جمعية أخرى باسم جمعية أنصار الدين (١).

لقد بدأت مساهمة التجانيين في الحياة السياسية السنغالية منذ أواسط ثلاثينات هذا القرن الميلادي ، عندما أيدوا جلندو ديوف الممثل السنغالي في مجلس الأمة الفرنسية الذي تم انتخابه للمرة الأولى في مايو سنة ١٩٣٤ م عقب موت بلايس دياغني أول ممثل سنغالي لإفريقي في ذلك المجلس ، ثم أعيد انتخاب ديوف هذا في ١٩٣٦ م مقابل ديوف تأييد التجانيين له بالحسن حيث استمر يدافع عنهم عند الحكومة ويقوم على تحقيق مصالحهم في غير ما مرة .

وما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهي حتى ظهرت على مسرح سياسة السنغال جمعيتان متنافستان وهما الجمعية التي أسسها جلندو ديوف المذكور آنفاً التي تتمتع بتأييد التجانيين والحكومة الفرنسية والجمعية الاشتراكية السنغالية بزعامة لمن غاببي التي يؤيدها المريدون (٢).

ثم انفصل ليوبود سنغور من جمعية لمن غاببي الاشتراكية وأسس جمعية أخرى مستقلة باسم الجمعية الديمقراطية السنغالية فصارت تعارض الجمعية الاشتراكية التي يرأسها لمن غاببي .

وعندما أسس ليوبود سنغور تلك الجمعية أعلن خليفة التجانية العام الحاج أبو بكر سي تأييده لها ذلك ليستمر في معارضته للجمعية الاشتراكية التي يرأسها لمن غاببي بتأييد المريدين حيث أن جمعية جلندو ديوف انحلت وتلاشت بموته وكان بين الخليفة التجاني وبين أخويه السيد محمد المنصور سي والسيد عبد العزيز سي عداوة لدودة كالتى بين الشيخ ابراهيم انياس وبين أخويه كما سبق فأظهرا تأييدهما للجمعية الاشتراكية التي يؤيدها المريدون ليسيئا إلى أخيهما الخليفة بمخالفتهما لإياه وانضم اليهما الشيخ ابراهيم انياس مؤيداً الجمعية الاشتراكية لأجل سوء التفاهم الذي كان بينه وبين الخليفة التجاني أيضاً ، فلما كان الخليفة لا يريد أن يتدخل في نزاع سيامي مكشوف انقطع

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٤٦ ٢ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٤٧

عن الحركة السياسية في الظاهر وتقدم ابنه الشيخ أحمد التجاني سي مكانه معلناً تأييده التام لجمعية سنغور تلك التي يميل إليها والده الخليفة .

ولكن الشيخ سعيد النورطال حفيد الشيخ عمر القوتي وخليفته وأكبر شيخ للطريقة التجانية في السنغال على الإطلاق الذي تربى صغيراً في حجر السيد مالك سي والد الخليفة العام التجاني أعلن تأييده التام للشيخ التجاني سي ابن الخليفة ، ولذلك لما جاء الانتخاب سنة ١٩٥١ م نجحت جمعية سنغور الديمقراطية لما تتمتع به من تأييد الخليفة وابنه بمساندة الشيخ سعيد النورطال على جمعية لمين غايبي الاشتراكية التي يؤيدها المريدون والشيخ ابراهيم انياس وأخوا الخليفة السيد المنصور سي والسيد عبد العزيز سي .

ثم حدث انتخاب آخر في مارس سنة ١٩٥٢ م فتجدد النزاع الذي بين الخليفة ومؤيديه الذين كانت هواهم مع جمعية سنغور من جهة وبين أخويه ومعهما الشيخ ابراهيم انياس الذين يميلون إلى جمعية لمين غايبي من جهة أخرى ، ولكن الشيخ سعيد النورطال مع الخليفة طبعاً فانتصر جراء ذلك ليوبود سنغور على لمين غايبي أيضاً فزاد هذا النجاح والانتصار من هبة الخليفة التجاني عند الشعب السنغالي (١).

وعندما مات الخليفة العام الحاج أبو بكر سي في ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ م أراد ابنه الشيخ أحمد التجاني سي السابق ذكره أن يخلفه معتقداً أن الرئيس ليوبود سنغور طبعاً يؤيده في تحقيق أمنته لموالاته هو وأبيه إياه ولكن سنغور طبعاً لا يريد أن يتدخل في أمر يكاد يكون دينياً صرفاً كهذا وهو غير مسلم فخلى سبيله فانتصر عليه عمه السيد عبد العزيز فصار خليفة بعد أخيه فاغتاز لذلك الشيخ التجاني سي فسيب جمعية سنغور وأراد أن يستقل بنفسه سياسياً فوافقه على ذلك الشيخ ابراهيم انياس وأيده .

وهناك أيضاً رجل تاجر مهم في كولخ يسمى الحاج ابراهيم سعيد أندو وكان يشاطر الرأي مع الشيخ ابراهيم انياس في تأييد جمعية لمين غايبي الاشتراكية ثم غير رأيه وانضم إلى جمعية الرئيس سنغور فتخلى عنه الشيخ ابراهيم انياس وكان هذا الرجل

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٤٩

ينافس رجلاً آخر يدعى (فلديوديو انداي) في جمعية سنغور على كرسي الحاكم المدير لولاية سين سالوم التي كانت مدينة كولخ عاصمتها فمال الرئيس سنغور إلى الأخير وضعف جراء ذلك ثقة الحاج ابراهيم سعيد به حتى انفصل عنه أخيراً وأسس جمعية سياسية مستقلة باسم جمعية اتحاد السنغاليين فانضم اليه الشيخ ابراهيم انياس والشيخ التجاني سي (١).

ولإذا نظرنا إلى الشيخ ابراهيم انياس نرى أنه انضم بالأمس إلى السيد المنصور سي والسيد عبد العزيز سي ضد أخيهما الخليفة العام الحاج أبي بكر سي وابنه الشيخ التجاني صديقه هذا واليوم عندما صار السيد عبد العزيز سي صاحبه بالأمس الخليفة العام تخلى عنه فجعل ينصر عليه ابن أخيه الشيخ التجاني سي الذي كان ضدهما معاً بالأمس .

لماذا كان الأمر كذلك إذن ؟ .

السبب واضح فإذا رجعنا إلى الوراء قليلاً نرى أن الشيخ ابراهيم انياس لا يخاصم أحداً في السنغال إلا الخليفة العام والشيخ سعيد النورطال ذلك لأن كل من صار خليفة في بيت السيد مالك سي ينظر إلى جميع التجانيين في السنغال — ماعدا الشيخ سعيد النورطال — تحت سيطرته بطبيعة الحال بما فيهم الشيخ ابراهيم نفسه وأهل بيته جميعاً وهو لا يرضى بذلك طبعاً لأنه يعتقد أنه هو شيخ جميع التجانيين في العالم على الإطلاق والشيخ سعيد النورطال هو المسؤول عن جميع التجانيين الذين يعيشون تحت سيطرة الفرنسيين بأسرهم في إفريقيا الغربية السنغاليين وغيرهم والشيخ ابراهيم طبعاً لا يرضى بذلك أيضاً لأنه يرى نفسه أحق بهذا المنصب من جميع شيوخ الطريقة التجانية قطعاً .

ومهما يكن من شيء فإن الجمعية التي أسسها الحاج ابراهيم سعيد اندو الكولخي بتأييد الشيخ ابراهيم انياس والشيخ أحمد التجاني سي لم تنجح قط ولذلك اضطر الأخير إلى أن يظهرها ولأهلهما للرئيس ليوبود سنغور حتى لا يفوت كثير من مصالحهما

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٤٩

فأعلننا للجمهور أنهما يواليانه الشيخ ابراهيم انياس للمرة الأولى والشيخ التجاني سي
للمرة الثانية (١).

فكان ليوبود سنغور هو رئيس الدولة السنغالية وهناك أيضاً رجل آخر مسلم
يدعى محمود ديا وهو رئيس الوزراء فحدث شقاق بين الرئيس الكافر ورئيس الوزراء
المسلم لأجل المحاولة على السيطرة على زمام الحكم بصفة انفرادية نسبياً فاستعمل سنغور
مناورة سياسية فأبعد مؤيدي محمود ديا من الحكومة وأبقى مؤيديه فقط ثم دعا المجلس
إلى التصويت لعدم الثقة بالحكومة ولما رأى محمود المكيدة التي دبرها سنغور لإسقاط
حكومته خل البرلمان وذهب إلى شيوخ الطرق يستنجد بهم على منافسه الغير المسلم ،
ولكنه لسوء حظه بدأ بخليفة التجانية العام السيد عبد العزيز سي فأيده فعلاً وإن كان
هو لا يريد أن يتدخل في أمور سياسية علناً ولما فهم خليفة المريدية العام الشيخ فضل
أمبك أن خليفة التجانية قد أيدته تخلى عنه وناصر الرئيس سنغور وهكذا حتى انتهى
الأمر بالقاء القبض على رئيس الوزراء المسلم ، في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٦٦ م فهاجت
البلاد وماجت وبدأ الأمن يضطرب ولما رأى ذلك الخليفة المريدي الشيخ فضل أمبك
ذهب تَوّاً إلى الإذاعة الوطنية وأعلن للجمهور الشعب أنه يوالي الرئيس سنغور ضد
خصمه رئيس الوزراء وتبعه في ذلك الشيخ ابراهيم انياس فأعلن هو الآخر تأييده
لسنغور ضد محمود ديا وربما كان بين محمود ديا وهذا وبين الشيخ سعيد النور طال سوء
التفاهم ولذلك انضم هو أيضاً إلى مؤيدي سنغور فأعلن أنه يوالي الحكومة التي يرأسها
الرئيس فتمكن بذلك من الإطاحة بـمنافسه المسلم بتأييد رجال الدين المسلمين فخلا الجو
لسنغور بحكم البلاد وحده تقريباً حتى الآن (٢).

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ٩٥

٢ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٠٢

البَابُ السَّادِسُ

أثر الشيخ ابراهيم انياس وانجازاته
ولا سيما في نيجيريا

لقد تأثر التجانيون النيجيريون بالشيخ ابراهيم انياس وحركته تأثراً عميقاً ذلك لأنهم اعتقدوا قطبا نيته اعتقاداً جازماً لا تردد فيه والقطب موقعه عظيم عند جميع أتباع الطرق الصوفية ولا يقل في بعض الأحيان عن مقام نبي إذ يجعلونه معصوماً (١). ولذلك ذهبوا يقلدونه في جميع حركاته وسكناته ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، ومن أجل ذلك جاء تأثرهم به من طريق مباشر أحياناً ومن طريق غير مباشر حيناً آخر ونريد بالطريق المباشر ما أخذوه عنه مباشرة من أفعاله وأقواله أو ما سطره في كتبه ورسائله ومنشوراته ، وبالطريق غير المباشر ما أخذوه جراء احتكاكهم بأسرته وتلاميذه السنغاليين والموريتانيين الذين يردون إلى نيجيريا بشكل يكاد يكون مستمراً وزياراتهم هم الآخرون إلى الديار السنغالية أيضاً وما نتج فيهم من طول ممارستهم لتعاليمه واختصاصهم به وما يقرع أسماعهم دائماً من المحاضرات الدعائية المتتالية .

ولما كانت محاولة إحصاء جميع الأمور التي تأثر فيها التجانيون النيجيريون بالشيخ ابراهيم تكاد لا تدخل في حيز الامكان نكتفي باثبات أهم الأمور الشائعة الذائعة التي يعرفها العام والخاص بحيث لا نضطر إلى الإدلاء بالحجج والبراهين لتحقيقها ولا

١ - الشيخ عمر الغوتي : رماح حزب الرحيم ١١٧/١ و ١٢٧ .

تلجأ في إثباتها إلى تعيين المراجع والمصادر وأما غير ذلك من الأمور السرية التي لا يطلع عليها إلا الخواص فلا شأن لنا بها ولا نتعرض للبحث عنها ، فضلاً عن إثباتها في هذا البحث ، ومهما يكن من شيء فإن هذه الأمور تنحصر حسب ما يمكننا إبراده في النقاط التالية : -

١ - أ - قبض اليدين في الصلاة (١) .

ب - رفع اليدين في المواضع الأربعة (٢) .

ج - الجهر بالتأمين للإمام والمأموم (٣) .

د - تكرار قد قامت الصلاة مرتين في الإقامة (٤) .

هـ - والجلوس على أطراف القدمين عند التشهد (٥) .

لقد ألف الشيخ ابراهيم كتابه رفع الملام عن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام أيؤكد لتلاميذه التمسك بالقبض واليدين من الأمور التي سبق ذكرها إلا أنه قد تكلم في الكتاب على القبض والجهر بالتأمين ورفع اليدين في المواضع الأربعة وبعض موضوعات أخرى وسكت عن تكرار قد قامت الصلاة في الإقامة وعن الجلوس على أطراف القدمين عند التشهد .

وعلى أي حال فإن هذه الأمور الخمسة كلها لم يتعودها النيجيريون علماؤهم وعوامهم لأن ظاهر المذهب المالكي لا يشجعها وكان ذلك من أسباب حدوث هذه الضجة العظيمة التي تفاقمت بين القابضين والسادلين في نيجيريا وقد سبق أن الشيخ

١ - وهو وضع باطن كف اليد اليمنى على ظاهر كف اليد اليسرى عندما استوى المصلي قائماً وقبل أن يشرع في القراءة ويستمر كذلك إلى أن ينتهي من القراءة حيث يرفع يديه حذو منكبيه ثم يهوي للركوع .

٢ - وهو أن يرفع المصلي يديه حذو منكبيه عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع منه وعند القيام من التشهد الأول .

٣ - وهو أن يرفع المأموم صوته بقول آمين جهراً عند قول الإمام ولا الضالين آمين في آخر الفاتحة .

٤ - وهو قول من يقيم الصلاة قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة مرتين .

٥ - وهو أن ينصب المصلي ركبتيه وأطراف أصابع رجليه إلى الأرض ويفضي باليمنى على عقب قدميه .

محمد الثاني الكافني الكنوي قد عدها - ماعدا الجلوس على أطراف القلمين - من الأمور التي جددها لهم الشيخ ابراهيم إنياس .

٢ - الاقتعاط (١) في التعمم وكان التحنك (٢) وهو الشكل السائد عند النيجيريين ولما جاء الشيخ ابراهيم وكان يقتعط في اعتمامه قلده في ذلك الكثيرون من أتباعه على عاداتهم معه .

٣ - ارسال اللحية .

وكان ارسال اللحية عند بعض مسلمي نيجيريا يكاد يكون جارياً على مقتضى العادات والتقاليد ، فإن الرجل لا يرسل لحيته أو بعارة أخرى لا يترك حلقها إلا إذا تقدم به السن حيث بدأ يشعر بأنه ينبغي له أن يتعد عن اللعب والعبث اللذين لا يصدران غالباً إلا من أحداث السن ومن أجل ذلك كثيراً ما تجدد بعضهم يريد لإرسال لحيته ويمتنع من ذلك كون أخيه الأكبر أو أحد أعمامه أو من في حكمهما من أفراد أسرته وأقرانه لم يرسلها .

ولما ظهر أمر الشيخ ابراهيم في نيجيريا فشا لإرسال اللحى في أوساط أتباعه حتى صار من الشارات المميزة لهم عن غيرهم لعلهم اتجهوا إلى هذا الاتجاه ليمتازوا عن غيرهم أولاً وليحققوا دعواهم أن الشيخ ابراهيم جاء ليحيي السنة النبوية ثانياً . وقد مر بنا الكلام على القبض وما إليه وقال السيد محمد المصطفى كما مر في معرض رده

١ - هو أن يتعمم الرجل ولا يدير طرف العمامة تحت حنكه .

٢ - وهو أن يتعمم الرجل ويديرها تحت حنكه وهو ما يسفل من مقدم اللحين ويفهم من عبارة الشيخ محمد فتحا بن عبد الواحد النظيفي أن التحنك واسدال العذبة سنة والاقتعاط مكروه (كتاب طيب الفاتح ص ١٥) وقد أثار هذه المسألة أيضاً الشيخ محمود السبكي المصري وكفر كثيرين من العلماء المعاصرين له تركهم ارسال العذبة في التعميم بدعوى أنهم أخطوا بسنة سيد الأولين والآخرين ورد عليه أحد تلاميذه وهو الشيخ مصطفى أبو يوسف الحسامي حيث قرر أن كلا النوعين من التعمم سنة لأن النبي صل الله عليه وسلم قد فعله بل أن السواد الأعظم من الصحابة كانوا لا عذبة لهم ومنهم الشيخان أبو بكر وعمر ولم يتنقل فعلها إلا عن أفراد من الصحابة والتابعين (كتاب استكشاف السر المقصود ٥٦) وجاء في كتاب احياء السنة للشيخ عثمان بن قودين : « اقتعاط العمامة هو أن يعم الرجل بالعمامة دون حنك وهو بدعة مكروهة لمخالفته فعل السلف الصالح » (١٩٨) .

على الشيخ الناصر الكبراوي الكنوي : « ألم يكف من الشيخ كرامة كثرة أتباعه في كافة أنحاء العالم الإسلامي وكثرة أتباعه للسنة المظهرة » (١).

٤ - التشيخ .

الشيخ في اللغة العربية هو من استبان في السن وظهر عليه الشيب ويطلق على سبيل المجاز على زوج المرأة وعلى الأستاذ والعالم وعلى كبير القوم ورئيس الصناعة وعلى من كان كبيراً في أعين القوم علماً أو فضة أو مقاماً أو نحو ذلك (٢).

والشيخ عند المتصوفين هو الإمام الذي يرجع اليه في كل أمر وخصوصاً أمر العربية والمعارف الآلهية أو كما عرفه الشيخ ابراهيم انياس : « وأما حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقيناً » (٣).

التشيخ هو ادعاء هذا المقام وقد يكون المدعى محقاً وقد لا يكون وقد حذر كثير من شيوخ التجانية المريدن التجانيين من ادعاء الشيوخه ، وقد نقلنا فيما سبق كلامهم من هذا القبيل ولما ظهر الشيخ ابراهيم كان كل من دخل تحت تربيته إذا أذن له هو الآخر بالقيام بتربية تلاميذه صار شيخاً ، وعلى هذا النحو كثرت الشيوخ في نيجيريا

١ - السيد محمد المصطفى : قول السداد ٤١ .

٢ - لعل كلام أئمة الفقه الإسلامي لم يختلف في أن ارسال اللحية من السن النبوية التي ينبغي للمسلم مراعاتها وقد جاء في رسالة الامام ابن أبي زيد القيرواني : « وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تعفى اللحية وتوفر ولا تقص قال مالك ولا بأس بالأخذ من طولها إذا طالت كثيراً وقاله غير واحد من الصحابة والتابعين . (نشر أحمد أحمد أبو السعود وعثمان طيب ٥٠٠) .

وقال الشيخ عثمان بن فودين : « ومن طريق السنة اعفاء اللحي وجوباً وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهكوا الشوارب واعفوا اللحي (احياء السنة ١٨٧ نشر الحاج عبد البار) وجعلها بعض علماء أصول الفقه من سنن العادات فقال الاستاذ محمد أبو زهرة : « وهناك أمر يعدم الناس من قبيل المندوب وهو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في شؤونه العادية التي لم تكن ذات صلة بالتبليغ عن ربه وبيان شرعه كلبسه عليه السلام ومأكله ومشربه وارسال لحيته وقص شاربه الكريم - محمد أبو زهرة كتاب أصول الفقه ٣١) .

٣ - اللويس معلوف : المنجد المعجم المدرسي للغة العربية ٤٢٢ .

بشكل مربع ، بحيث لا تخلو مدينة أو قرية مشهورة من شيخ أو شيوخ ، ولا شك أن بعض هؤلاء الشيوخ يستحقون مقامهم لغة واصطلاحاً ، والشيخ إبراهيم نفسه كان يحذر المتشيعين بلا إذن من تلاميذه من سوء مقبة إدعاءاتهم (١).

٥ - زيارة الشيوخ لقرى مريديهم لإلقاء الخطب عليهم وعقد المجالس العرفانية فيهم وجمع الهدايا والتبرعات منهم ولم تكن هذه العادة منتشرة في نيجيريا قبل ظهور الشيخ إبراهيم وأما بعد ظهوره وبعد انتشار التربية فكان لكل واحد من كبار الشيوخ كما سبق منطقة اختصاص سيطرته ويعتبر المريدين المستوطنين هناك تلاميذه وخصوصاً إذا كان أكبر المقدمين في هذه المنطقة قد تربى في يده ومن أجل ذلك يظل الشيخ يتعهدهم من وقت لآخر ليجدد لهم النشاط بمواعظه وارشاداته .

٦ - استعمال اللغة العربية في محاضراتهم العامة .

كان الشيخ إبراهيم وتلاميذه السنغاليون الذين يردون إلى نيجيريا لا يعرفون اللغة المحلية النيجيرية خصوصاً لغة هوسا ومن أجل ذلك كانوا يخاطبون الناس باللغة العربية التي كانت لهم فيها شيء لا يستهان به من الطلاقة بفضل ثقافتهم الإسلامية ومعلوماتهم العربية العامة والناس يعجبون بهم لكونهم سوداً يتكلمون العربية وهذا طبعاً أكسبهم قبولاً واحتراماً عند الناس ولعل هذا هو الذي حمل بعض من يأنس في نفسه بقوة الارتجال في اللغة العربية من تلاميذه النيجيريين على إلقاء محاضراتهم على أتباعهم - الذين كانوا هوساً وبين مثلهم - باللغة العربية يترجمها لهم أحد تلاميذه ليكسب كلامه رواجاً وقبولاً ولشخصيته مهابة وإجلالا .

٧ - رفع الصوت بالهيللة في بيوت الشيوخ .

كان ذلك في أول انتشار التربية فكان هناك طائفة من المريدين الذين تخصصوا في هذا النوع من الذكر في بيت كل شيخ من كبار شيوخ التجانية حتى كان وجودهم من العلامات الدالة على أن الشيخ من شيوخ التربية الذين كانوا مقصد السالكين ، وكان

١ - الشيخ إبراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١ .

الذاكرون في أغلب الأوقات يذكرون قياماً بصوت مرتفع يسمع من بعيد ، وكان هذا أمراً جديداً في نيجيريا لم يعرف ، إلا بعد الشيخ ابراهيم وانتشار تربيته ، والناس غير التجانين أو بعبارة أخرى غير أهل الفيضة يتضايقون بذلك كثيراً لعدم تعودهم به ، وكثيراً ما أرسلوا إلى أهل مصر يستفتوهم في ذلك ، فتأتي إجابة المصريين موافقة لما يهواه منكرو الذكر ، فيستغلون ذلك للهجوم على الذاكرين ، فتجرد لهم الشيخ أبو بكر عتيق فكتب رسالة في ذلك سماها (إفادة المعتقدين بأدلة صحة ما عليه عمل الذاكرين) وأورد فيها من أدلته ما يشجع به الذاكرين ويقوي عزيمتهم على الاستمرار في ذكرهم قياماً وقعوداً وفي الطرقات والاسواق وهلم جرا .

٨ - انتشار ألفاظ عربية جديدة في لغة الهوسا متداولة بين أهل الفيضة مثل :

١ - أهلي = الأهل .

وهو لقب يطلق على كل فرد من أتباع الشيخ ابراهيم وعلى هذا فإن التجاني الذي لم يسلم له بالازعامة في الطريقة التجانية أو لم يرض بقطبانيته لا يسمى (أهلي) .

٢ - منكري = المنكر .

وهو من لم يرض بصحة الطريقة التجانية أصلاً ويشمل في عرف أهل الفيضة التجاني الذي لم يذعن لسلطة الشيخ ابراهيم الروحية .

٣ - شيهي = الشيخ .

هو لقب يطلق على الشيخ ابراهيم كما يطلق أيضاً على كثيرين من كبار تلاميذه .

٤ - غوسي = الغوث .

هو لقب لا يطلق إلا على الشيخ ابراهيم وحده .

٥ - مريدي = المريد .

وهو كل فرد من أفراد أتباع الشيخ ابراهيم حتى كبار تلاميذه بالنسبة إليه وهم بالنسبة لتلاميذهم شيوخ لا مريدون .

٦ - فيرا (١) = الفيضة .

هي لقب لحركة الشيخ ابراهيم انياس بأسرها .

٧ - ين فيرا (٢) = أهل الفيضة .

هم أتباع الشيخ ابراهيم لإنياس وحدهم دون بقية التجانيين .

٨ - مجلسي = المجلس .

وهو الحلقة التي يعقدها أحد الشيوخ الزائرين ليذاكر فيها مع الأخوان الحاضرين أمور الطريقة ، حيث يدعو إلى الطريقة التجانية بكل ما يستطيع به من قوة ، ويشيد بذكر مآثرها ومناقبها وفضلها على جميع الطرق الصوفية ، وفضل مؤسسها على جميع الأولياء ، وفضل أتباعه على جميع الناس ، ثم ينحى عادة على المنكرين عليهم باللائمة ، بحيث يسفه أحلامهم ، وينعتهم بالغباوة ، وطمس البصيرة تارة ، وبالحد والحقد طوراً ، وهكذا ثم يظهر لهم - إذا أمكنه - مواهبه العلمية والعرفانية والذوقية ومدى تجاربه في الحياة التصوفية ، حيث يدخل فيهم النشاط والتصميم على التمسك بأهداب الطريقة التجانية بعزم وحزم وهكذا .

٩ - واسلي = الواصل .

وهو كل مرید تجاني سلك التربية ونجح في الوصول إلى الغاية المنشودة وقد عقدنا فيما سبق فصلاً مستقلاً عن التربية .

١٠ - ممتني = الممتحن .

وهو الذي وكله الشيخ على أمر التربية فيتعهد السالكين الذين لا يزالون تحت تربية الشيخ ويلقى اليهم الأسئلة من وقت لآخر ليقف على تطورات أحوالهم وما يحتاجون إليه من توجيهات .

١١ - عارفي = العارف .

وهو الرجل الواصل الذي أبدى شيئاً من الذوق والذكاء في فهم اشارات آيات

١ - تقرأ بتفخيم الراء

٢ - تقرأ بتفخيم الراء كذلك .

الذكر الحكيم والحديث وكلام القوم وهلم جرا .

١٢ - فنائي = الفناء .

وهو الفناء الصوفي الإصطلاحي المشهور وهو فقدان شعور الفاني بوجود نفسه لاصطلامه في ذكر الله .

١٣ - بقائي = البقاء .

وهو رجوع ذلك الفاني إلى الشعور بذاته ووجود نفسه مع بقاء تجاربه التي أكسبها في حال فنائه (١) .

١٤ - هالي = الحال .

وهو ما يتتاب المرید في حال اصطلامه في ذكر الله حتى يفقد وعيه وشعوره .

١٥ - ذكري = الذكر .

المراد به رفع الصوت بالهيللة جماعة أو وحدانا .

١٦ - هديا = الهدية .

وهو كل ما قدم للشيخ من الهدايا والتبرعات على سبيل التبرك والتطبيب لخطره .

١٧ - ين قبر (٢) = أهل القبض .

وهم الذين يقبضون أيديهم في الصلاة والمراد بهم أتباع الشيخ إبراهيم ويقابلهم (ين سدل) أي الذين يسدلون أيديهم في الصلاة وهم الذين لا يخضعون لسلطة الشيخ إبراهيم غالباً .

١٨ - تبركي = التبرك .

هو طلب البركة من الشيخ بتقديم الخدمة له بدنياً كان أو مالياً .

١٩ - هدماء = الخدمة .

١ - انظر السر الأكبر الورقة التاسعة

٢ - تقرأ بتفخيم الراء .

هي الخدمة التي يقدمها المرید طلباً لبركة شيخه كما تقدم آنفاً هذا معروف في أوساط المتفقهين قبل ظهور الشيخ ابراهيم في نيجيريا ، إلا أن ظهوره وانتشار تربيته قد أكسب الكلمة لوناً آخر جديداً ، حيث خصصت بجانب شيخ التربية فحسب إذ أن شيخ التعليم لم يكن يعتبر شيخاً بعد .

٢٠ - سلماوا - التسليم .

يقال عادة لمن كان عالماً له جماعته وأتباعه ثم دخل في زمرة الشيخ ابراهيم .

٩ - تفاقم أمر مهرجان ذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإن إقامة المهرجانات لذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم أمر عريق في نيجيريا ، ولا زال يعد عيداً عظيماً في بعض جهاتها حتى الآن ، وكان الهوساويون يسمونه (تآكتها) لقد جاء هذا المولد في كتاب إحياء السنة للشيخ عثمان بن فوديبى حيث بين حكمه شرعاً فقال : إذا خلا عن كل معصية فهو بدعة مكروهة على قول ، وبدعة حسنة على قول آخر ، وصوب هذا الرأي الأخير . ومشى على عكس ذلك صاحب المدخل فقال : « إن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين وأتباع السلف أولى بل هو أوجب (١) » .

وعلى أي حال فإن ذكرى المولد النبوي هذا لم يكن فاشياً في أوساط التجانيين في نيجيريا قبل ظهور الشيخ ابراهيم وإنما كان يقوم به سنوياً بعض الحكومات المحلية التي ذكرنا آنفاً أنها اتخذته عيداً لها ، وكذلك بعض المدارس الحكومية أيضاً فإنها تقوم بذكرى المولد فتدعو بعض كبار العلماء لإلقاء المحاضرات في السيرة النبوية والأمور الدينية لتلاميذهم وهكذا .

ولما ظهر الشيخ ابراهيم كانت ذكرى المولد النبوي من أهم المواسم الدينية عنده ، حيث يجتمع بحضرته جماعة كبيرة من تلاميذه القادمين إليه من شتى الأقطار لسماع محاضراته ومواعظه ، فذهب تلاميذه التجانيون يقتدون به في ذلك ، فكان أكثرهم يقومون بذكرى المولد سنوياً على شاكلة ما يفعله الشيخ ابراهيم ، فانتشرت ذكرى

المولد على هذا الشكل حتى عم جميع الأوساط في ديار نيجيريا التجانية وغيرها، فكانت كل فرقة تقيم المولد في محلها ، فكانت حركة المولد تبتدىء من اليوم الثاني عشر لربيع الأولى حتى آخره تقريباً في بعض المدن الكبار .

١٠ - كتابة الرحلات :

لقد تعود الشيخ ابراهيم انياس - أن يقيد كلما سافر - الاحوال والأحداث التي وقعت له في سفره وأحياناً كان يكتب ذلك نثراً ومن ذلك رحلته الأولى إلى الحجاز ولكن أكثرها يكتبها نظماً ومنها رحلته الموسومة بنيل المفاز التي نظمها ليلخص فيها ما وقع له في رحلته الثانية إلى الحجاز التي مر فيها بنيجيريا ونظم أخرى ابيان سفره إلى الديار المورتانية وسماها ذيل نيل المفاز .

وقد تأثر به في ذلك كله تلاميذه النيجيريون فنظموا رحلاتهم على نمطه ، فكتب الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي رحلته إلى كولخ وسماها (التفحات الإلهية في الرحلة الكولخية) وفتحها بقوله :

الحمد لله على الفرار إليه من توهم الأغيار
أشكره إذ جعل الفرار لكامل العصر له فرارا

أي إن سفره إلى كولخ كان فراراً من النفس والشيطان إلى الله كما قال الشيخ ابراهيم في كتاب السر الأكبر : « والفرار إلى الله هو الفرار إلى كامل العصر » (١).

وله أيضاً أرجوزة أخرى نظم فيها سفره إلى برننكد وسماها الفتوحات العلوية في السباحة الكدوية فتحها بقوله :

حمداً لمن أمر بالمسير للاعتبار ثم بالتذكير
وجعل الجهاد باللسان مساوي الجهاد بالسنان
ثم صلاته على من أسرى به وبحراً للعلوم أجرى
ثم الرضى عمى إلى الصحاري غداً إذا مسافراً مزارا

١ - انظر كتاب السر الأكبر في الورقة الثانية .

شيخني إمامي أحمد التجاني وحجتي حقاً لدى الرحمان
 ثم على الشيخ أبي اسحاق خليفة التجاني بالإطلاق
 عزمت يومي الخروج من كنو لحبي من حبه قد ركنوا
 همتهم قد جذبت ذا الجاني لحبهم في شيخنا التجاني
 مودعاً أهلي بيوم الجمعة مرتحلاً بعد صلاة الجمعة
 أقصد برنكد فيما ظهرا وقصدي الإله فيما استترا

ونظم الحاج الشيخ عثمان القلنسوي الكنوي رحلته إلى كولخ أيضاً وسماها
(الروائع العنبرية في بيان الرحلة القلنسوية وجاء فيها :

ثم وصلنا لمدينة العلا مدينة الفيض وسعدنا علا
 هناك أدينا صلاة الجمعة يؤمننا الغوث العظيم الرفعة

فكتب الشيخ أبو بكر عتيق الكشناوي كتابين تبيان سفره إلى مدينة فاس ازيارة
الشيخ التجاني وسمى الكتاب الأول نشر طيب الآس في الرحلة ازيارة سيدنا أبي
العباس بفاس) وضمنه أخبار سفره الأول والثاني ثم كتب كتاباً آخر وسماه تفريح
قلوب أطايب الأنفاس بذكر العودة ازيارة القطب المكتوم سيدنا أبي العباس أحمد
ابن محمد التجاني بفاس واحتوى الكتاب على أخبار سفره الثالث إلى مدينة فاس أيضاً.

١١ - اعتقاد أن الشيخ الذي تربيت على يده خير من الشيخ الذي أخذت عنه
العلوم الشرعية .

فإن اعتقاد أن شيخ التربية أفضل من شيخ التعليم ليس أمراً جديداً في نيجيريا ،
أي لم يكن من اختراع الشيخ ابراهيم ، بل لم يكن من نظريات الطريقة التجانية وحدها ،
ولمّا هو من المسائل التي كاد أن يجتمع عليها الصوفية المتأخرون قاطبة ، لذلك عندما
أراد الشيخ ابراهيم أن يقرر هذا الرأي في كتاب كاشف الالباس ما وسعه إلا أن ينقل
من الذين سبقوه ، فنقل من الشيخ أبي مدين وابن عطاء الله الاسكندراني ، ومن أجل
ذلك قسموا الشيوخ إلى ثلاثة : شيخ التعليم ، وشيخ التربية ، وشيخ الترقية ، وقد
مر بنا أن الشيخ عثمان بن فودي قد تبرأ من أن يكون شيخ التربية أو شيخ الترقية

وبين بكل صراحة أنه شيخ التعليم ليس إلا .

والظاهر أن علماء التجانية النيجيريين كانوا ملمين بهذه التقسيمات الثلاثة قبل ظهور الشيخ ابراهيم ، إلا أنه لا يسعهم إلا أن يؤيدوا وجهة نظر الشيخ عثمان في أنهم كلهم شيوخ التعليم فحسب لبعد مرام مقام شيخ التربية والرقية في نظرهم عندئذ .

وعندما جاءهم الشيخ ابراهيم بالتربية وأذن لهم في تربية تلاميذهم ، أدركوا فوراً أنهم دون أدنى شك في ذرى قنم هذا المقام السامي ، ومن ثم ذهبوا يقررون لتلاميذهم آداب شيوخ التربية ويطالبونهم بتطبيقها عليهم ، وهي أن يكون المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله ، وأن لا يسأله بليم وكيف لأن من قال لشيخه لم لا يفلح أبداً ، وأنه لا يجوز لأحد أن يبدل شيخه المربى بشيخ آخر ، وإن علم الظاهر أنزل من علم الباطن بدرجات ، لاجل ذلك قد يكون المريد أعلم من شيخه المربى ، ولكن لا يعترض على شيء من تصرفاته حتى مالا يتفق والمبادئ الشرعية (١) ، بل إن الشيخ أبا بكر عتيق ذهب إلى أبعد من ذلك حيث قرر أن الولي أى شيخ التربية ربما تقع منه المعصية ظاهراً فيما بيننا وبينه وفي باطن الأمر ليست بمعصية (٢) .

إنجازات الشيخ ابراهيم

وأما إنجازات الشيخ ابراهيم فلا تعدو في ظاهر الأمر هذه التأثيرات التي تركها في اتباعه ، حيث انه نفسه لا يرى أنه أثناهم بشيء أكثر من تربيته التي يعبر عنها بالفتح ثارة ، وبالفيسة طورا ، وبالمعرفة حيناً ، ومن ذلك قوله كما سبق :

١ - الشيخ ابراهيم انياس : ذيل كاشف الالباس ٤٨ .

٢ - انظر كتابه مفيد الخلان ١١ - هذا من تعاليم الباطنية دون شك انظر الجزء الأول من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة صفحة ٦٥ - ٦٦ ولكن الشيخ أبا بكر عتيق في أغلب أخذ ذلك من كتاب الرماح للشيخ عمر الفتوي حيث قرر أنه إذا أراد الله تعالى شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخره الله سبحانه فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شاكلتهم وليس كذلك حتى أنه يتصور في صور الولاية أي يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنون أنه شارب الخمر وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرأة ج ١ - ص ١٢٧ .

« والذي رفع (الآن) من كثرة الفتح في اصحاب الشيخ - التجاني - ويريد بذلك اتباع طريقته والمعرفة بالله والاستغراق في الله برفض كل ما سواه ما وقع (مثله) في طريقنا قط فيما اعلم منذ بروزها إلى يومنا هذا . » (١) وإلى ذلك أيضا يرمي بقوله : « والحكمة في ظهور هذه الفيضة في هذا الزمان الفاسد ، ضعف الإيمان في قلوب الناس وكثرة الفرق الضالة المضلة وهذه الامة امرحومة فأفيضت عليهم المعارف والحقائق كى يرجعوا لأصل فطرة الايمان قافهم . » (٢)

ويعني بالرجوع إلى أصل فطرة الايمان التربية والوصول فيها الى اعتقاد وحدة الوجود ، وهذا مأخوذ من جواهر المعاني حيث قال المؤلف كما تقدم : « إعلم أن علماء الشريعة والطريقة لما رأوا أن الوجود نزل من الوحدة بالتجلي الى منتهى النزول ، فحصلت الكثرة ورأوا أن الأهم والاتم هو العروج إلى البداية ليتم ظهور الكمالات الاسمائية اشتغلوا في بيان ما هو الأهم من كيفية اصلاح العروج عاجلا أو آجلا . » (٣) وقد بينا في تعليقنا على هذا الكلام أن هذا ليس من عقيدة الاسلام في شيء فيدعو اليه علماء الشرع الاسلامي وإنما هو عقيدة الفلاسفة الذين يعتقدون بقديم العالم وأنه الواجب الوجود ، وأن الله اسم فكري فقط وأن هذه الكثرة المشاهدة من العالم إنما حصل من طريق الفيض والصدور الذهني ليس إلا (٤) وقد انفق أهل السنة من علماء الشرع الاسلامي على أن من اعتقد هذا كافر قطعاً (٥)

ومن ذلك أيضا قوله اى الشيخ ابراهيم يدافع تهمة السذاجة عن اتباعه : « ومن ظن بهم السذاجة والطيش وظن أنهم على استعداد للتخلي عن خبرات تحققوها ويقين تشربته قلوبهم فأقل ما يقال فيه إنه لا يعرف المجتمع الافريقى . » (٦)

١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٤٠ .

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٤١ .

٣ - السيد علي حرازم : جواهر المعاني ١ / ١١٩ .

٤ - انظر المدخل لفلسفة ابن سينا لتيسير شيخ الأرض ٢٢٦ .

٥ - انظر الفرق بين الفرق ٣٢٨ - وانظر أيضاً جواهر الإكليل شرح مختصر الجليل ٢٧/١ .

٦ - الشيخ ابراهيم انياس : رسالته إلى نيامي ٥ .

ومرادہ بخیرات تحققوها و یقین تشریت قلوبہم ہوہذہ التریبہ وما تتضمنہ من مباحث وحدۃ الوجود الی یسمونها العرفان ،

ومن ذلك أيضا قوله للسيد عبد الكريم تيازي مراسل جديدة البلاد بمكة المكرمة في مقابلته معه عندما سأله عن اهداف دعوته : « ومنها الجهد والاجتهاد في توعية المسلمين ونصحهم وارشادهم بمختلف الوسائل حتى يستمر سيرهم الى الله ، وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم . » ولا يريد بالحملة الأخيرة إلا الترييقومعارفها الباطنيةوهكذا لو تتبعنا أقوال الشيخ ابراهيم لرأينا أنه لايعتقد أنه أنى لاتباعه بخير أكثر من تربيته هذه . وعلى هذا فإنه لم ينجز شيئاً جديداً في حياته أكثر من نشر التريبة التجانية لاتباعه ، ولايفتخر إلا بذلك ، ومن أجل ذلك عندما ذهب الشيخ محمد الثاني الكافغني الكينوى ليعدد ما استفادوا منه لم يجد ما يكتب بجانب التريبة إلا القبض في الصلاة ، ورفع اليدين وتكرار قد قامت الصلاة في الاقامة ، والجهر بأمين خلف الامام ، فمثلاً إنه قال في تعداده لما اسبغ الله عليهم من نعمه في كنو : ومنها أننا وجدنا شيخاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة كفانا في الباطن كما كفانا في الظاهر ، وهو الشيخ الجامع والمرشد النافع العالم المحقق المدقق والمجتهد المطلق مربى المريدين ومرقى الواصلين محمى السنة والدين وخليفة رب العالمين مولانا الشيخ ابراهيم الكولجى نفعا الله به واماتنا على عهده وحبه ، فمن اراد معرفة الله تعالى والعمل الصالح فليفر اليه في كولخ ويسلم له القيادة تنفتح عليه ابواب الخيرات وتنغلق عنه مسالك المضرات ويمتلئ صدره بالعلوم الدينية والعلوم الحقانية والاسرار الربانية وتفيض عليه الارزاق الحسية والمعنوية ، ويبارك له في اوقاته وفي جميع معاملاته ويحفظ من محرمات شهواته وتنقاد له الناس من جميع جهاته . « (١)

وانت ههنا ترى ان الشيخ محمد الثاني لم يبين لنا ما استفادوا من شيخهم غير هذه التريبة وسعة الارزاق الحسية والمعنوية وانقياد الناس اليهم من جميع الجهات » ويستفاد أيضاً من كلام الشيخ ابي بكر عتيق كما سبق أن الشيخ ابراهيم لم يزد لهم شيئاً على ما كان عندهم الا هذه التريبة التي سهاها بالفيضة وهو قوله : « قد حصنا

الله تعالى مع ما لنا من الاذن الصحيح والنيابة عن الشيخ - التجاني - بالسند المتصل الذي لا شك فيه - بظهور الفيضة الاحمدية في وقتنا والله الحمد وهي التي اخبر الشيخ - التجاني - بوقوعها وظهورها فصار أكابر خلفائه من بعده ينتظرونها ويتمنون وقوعها في زمانهم . » (١)

ولما وصف الشيخ محمد الثاني الكافنغى شيخه الحاج ابراهيم انياس بالمجدد ذهب لينسب اليه أعمالا توهله لمقام التجديد في الدين ولما لم يجد إلا إحياء قبض اليدين في الصلاة ورفع اليدين وتكرار قسمة الصلاة والجهر بآمين فقال : « ان الشيخ نفعا الله به اى الشيخ ابراهيم مجدد في قرننا هذا جدد لنا الرجوع الى الشريعة على العهد الذي كانت عليه زمن النبى صلى الله عليه وسلم نرفع ايدينا في المواطن الأربعة أيماننا على شمالكنا في الصلاة مرتين ونجهر بآمين وغير ذلك . » (٢)

والذي يفهمه القارئ من عبارته أن الشريعة في عهد النبى صلى الله عليه وسلم هي هذه الأمور الأربعة التي عدّها والتي استحقّ شيخه في نظره - أن القرن بإحيائها ودعوتهم إلى إقامتها والواقع أن الأمر ليس كذلك فإن هذه الأمور ليست ذات أهمية في الدين بحيث يعدّ القائم بها سنيا وتاركها بدعيا وبالعكس حتى يأتي شيخ عظيم لتجددها ودعوة المسلمين إلى إحيائها والقيام بها ومن أجل ذلك ردّ عليه السيد علي الكماشي بقوله : « هذا جهل بما يصح أن يكون تجديدا واسمع ما قاله المحققون أن أكثر صور الاختلاف بين الفقهاء لا سيما في المسائل التي ظهر فيها أقوال الصحابة في الجائز مثل الأذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الأيدي فيها ووضع الأكل فوق الأكل ومثل التمتع والافراد والقراءة في الحج وتكبيرات التشريق وتكبيرات العيدين ونكاح المحرم وتشهد ابن عباس وابن مسعود والاختفاء بالبسملة وبآمين وبالإشفاق والابتار في الإقامة ونحو ذلك إنما هو ترجيح أحد القولين وكان السلف لا يختلقون في أصل مشروعية ذلك وإنما خلافتهم في أفضل الأمرين وأولادها وموجز القول أن النصوص الشرعية قسمان عند الأئمة راجح ومرجوح لا يعتبر أحدهما نص شرعي والآخر بدعي . » (٣)

١ - الشيخ أبو بكر عتيق : الصارم المشرقي ٢٣ ٢ - الشيخ محمد الثاني الكافنغى : فصل المقال ٢٨ .

٣ - السيد علي الكماشي : دليل السادل ٢٧

ويقول السيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي : « ألم يكف من الشيخ كرامة كثرة أتباعه في كافة أنحاء العالم الإسلامي وكثرة أتباعه للسنة المطهرة وكثرة أمداحه للنبي صلى الله عليه وسلم بالدواوين المتعددة وظهور القيوضات الربانية في الطريقة التجانية على يديه وانتشار القبض وحياء سنته في هذه البلاد على يديه » (١).

فيمكننا إذا جمعنا كلام هؤلاء المؤلفين من تلاميذ الشيخ إبراهيم أن نحصر انجازات الشيخ إبراهيم في نظر تلاميذه في النقاط التالية : -

١ - ظهور التربية التجانية على يديه .

٢ - احياء سنة القبض ورفع اليدين في المواضع الأربعة والجهز بآمين وتكرار قد قامت الصلاة مرتين .

كثرة أمداح النبي صلى الله عليه وسلم .

٤ - كثرة الاتباع في العالم الإسلامي .

٥ - وفور رغد العيش والرفاهية عند كبار تلاميذه من جراء انتشار فيضته فيهم بما يقدقه عليهم الاتباع من الهدايا والتبرعات .

هذا وبإمكاننا أن نزيد رقمين آخرين على الخمسة التي استنتجناها من كلام تلاميذه.

أولاً : تشجيعه للغة العربية فلا شك أن الشيخ إبراهيم قد شجع اللغة العربية في أوساط أتباعه بما يكتبه لهم من الرسائل والخطب والمنشورات وتعلموا من جراء ذلك كثيراً من الكلمات العصرية الحديثة فمثلاً زار الشيخ الحاج آدم الدمغراوي رحمه الله (٢) مدينة كنو يوماً ونزل كعادته في بيت صديقه المرحوم الشيخ أبي بكر عتيق وزرته هنالك فبينما نحن جلوس والشيخ آدم يقرأ بعض رسائل الشيخ إبراهيم اذ عثر على

١ - السيد محمد المصطفى : قول السداد ٤١ .

٢ - هو الحاج آدم بن أبي بكر الدمغراوي من دماغرم (زندد) في جمهورية نيجير وهو من حفاظ القرآن المجيدين الذين يكتبونه عن الذاكرة دخل نيجيريا منذ عهد شبابه وسكن قرية (أزري) في ولاية بوش إلى وفاته وقد ترك أولاداً كباراً وأحفاداً وكان جل تعليمه في كنو متردداً بين مدرسة مداو ومدرسة المعلم محمد سلفا وقد زار مدينة زاريا للتعليم أيضاً .

تعبير (نيجيريا المتحدة) وهو لا يعرف معنى كلمة المتحدة فسأل الشيخ أبا بكر عتيق عنها وفسرها له بلغة هوسا وقال : (مَكْطَيْشِيَا) أي واحدة فدل هذا على أنه أيضاً لا يعرف معناها بالضبط وهذا من الشواهد الواضحة على أنهم استفادوا من قراءة رسائله ومنشوراته وخطبه كلمات عصرية جديدة كثيرة كما شجعهم ذلك أيضاً على الكتابة للدفاع عن طريقتهم أو للدعاية لها أو لإصلاح ذات بينهم وهكذا .

ثانياً : يعتبر الشيخ ابراهيم انياس من الذين لعبوا دوراً فعالاً في الدفاع عن الإسلام وساهموا بقسط كبير في الدعوة اليه وإلى احترام مقدساته وقد ألف كتابه الموسوم بنجوم الهدى في كون نبينا محمد أفضل من دعا إلى الله وهدى ليرد به الشبهات المضلة التي بدأ بعض جهال المسلمين غير المخلصين لدينتهم ينسجونها حول شخصية الرسول الأعظم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وفي ذلك الكتاب يقول : « ان التفاضل بين الأنبياء مذكور في القرآن العزيز ومحمد أفضل الأنبياء والمرسلين وهذا أوضح من النهار فلا يحتاج للدلالات قال الشاعر :

فكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتساج النهار إلى دليل

وحيث أن المخاطبة مع غيبي من الأغبياء نكتب مجازة مع غباوته بنصب الدلائل والآيات فنقول نص القرآن أن محمداً رحمة للعالمين وصح أنه الشفيع فيهم يوم القيامة وسيد ولد آدم ، قادم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وأنه خاتم النبيين وامامهم ، ودينه أفضل الأديان ، وأمته أفضل الأمم ، وكتابه أفضل كتاب نزل من السماء ، انه أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يدخل الجنة ، وله الوسيلة ، وعظمه الله بما لم يعظم به غيره ، ورفع ذكره ، وفتح له ، وغفر له ، وأذهب الرجس عن أهل بيته ، وأسرى به وأقسم بحياته ، وعصره ، وبلده ، وأعطاه الكوثر ، وبقيت آياته مستمرة ، ونسخ دينه الأديان ، وبعث إلى كافة الخلق » (١).

ومن ذلك أيضاً رده على رئيس أساقفة دكار ليفير الذي نشر مقالة في المجلة الفرنسية المسيحية في ديسمبر سنة ١٩٥٩ م يهجم فيها على الإسلام ، وجاء في معرض

١ - الشيخ ابراهيم انياس : نجوم الهدى ٢

رده ما يلي : « فلاني وقفت على خطاب مفاجيء كتبه رئيس أساقفة دكار لفيفر ونشرته مجلة (فرنسا المسيحية) في شهر ديسمبر الجاري عام ١٩٥٩ م بمناسبة عيد الميلاد المحترم خطاب يحس كرامة الإسلام ، وكرامة الوطن ، أعني افريقيا السوداء ، وقد أمنت النظر في بعض فقراته ، فإذا هي في غاية التعصب والتعسف ، وبدأ في رد تلك الفقرات بذكر شيء من آي الذكر الحكيم : « دستور الملة الإسلامية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم ايها تعبدون . قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

فبالآية الأولى يتحقق الإنسان أن الملك لله في افريقيا وغيرها يولي من يشاء ويعزل من يشاء وكذلك بالآية الثانية وزيادة أن العاقبة للمتقين وبالتالي رفض كل ما سوى الله سواء في ذلك الكوكب والقمر وأخرى الصليب والآيات الأخيرة أنه تعالى الواحد الفرد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وهكذا يتحقق أن الباري تعالى وهو المنان لأفريقيا وغيرها وهو الشافي والمعافي ولكل وطن قوم ولكل قوم وطن ونحن قوم افريقيا فافريقيا لنا ونحن لإفريقيا وكل وطن سوف يحكم فيه أبناؤه ان عاجلاً أو آجلاً مهما تأمر أعداء الجنسية الإفريقية .

فهذا القرن العشرون تدفق فيه تيار الحرية والوطنية ولا يقف أمام هذا التيار شيء فإذا البلاد كلها سوف بتولي حكمها أهلها سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو شيوعيين والشعوب أقوى من الحكومات فعلى كل حال حكم الأجانب في بلاد الأجانب مضي الى غير رجعة فافريقيا للأفريقيين .

على أن تولي الحكم شيء والتمسك بالديانة شيء آخر وأن رجعنا الى الديانة فهذا اعلان القرآن آخر كتاب جاء من عند الله ان الدين عند الله الإسلام ومن لم يؤمن بإعلان القرآن فيؤمن بالله وحده كما قدمنا يؤمن بشيء لا يسمع ولا يبصر جماد من صنع الله

أو من صنع الإنسان نفسه كالصليب والصور المجسدة لله أكبر !!

ومن أراد أن ينصف يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال فالرجال في كل دين فيهم الكمل والناقصون وإن ألحقت نقائص بعض المسلمين بالإسلام فذلك جور وتعد ، وظلم وعدوان .

وأما أن الشيوعية توجد حيث يوجد الإسلام فإن ذلك بهتان عظيم فإن الشيوعية أشد انتشاراً في البلاد التي لم تعتنق الإسلام بعد والحق هو أن الإسلام ضد الشيوعية والشيوعية ضد الإسلام ، وهل الشيوعية في أوروبا سببها الإسلام ؟ كلا فالشيوعية ما طرأت في إفريقيا - إن فرضنا أنها طرأت فيها - إلا من تلك البلاد التي أهلها غير مسلمين وبلادنا هذه دخلها الإسلام إن لم نقل نشأ فيها - عدة قرون قبل دخول الأوروبيين وما دخلتها الشيوعية بل ولا المسيحية إلا بعد تمكن الأوروبيين فيها ، فعلى هذا فتحرر البلاد من حكم غير أهلها لا يحقق وجود الشيوعية فيها بل العكس .

وأما استعباد الناس فتسائل هل بعض الأوروبيين المسيحيين الذين غزوا إفريقيا واستعمروها هم الذين حاولوا استعبادهم أم العكس ؟ وإن كان بعض بني الإنسان يستعبد بعضاً فهذا لإعلان القرآن دستور الإسلام (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) .

وإن كان بعض الامتيازات لبعض أبناء الجنس من ملوك وشيوخ هو المعبر عنه باستعباد الناس فإن الامتيازات في غير إفريقيا وفي غير المسلمين سواء من جهة الملك والحكم أو الدين أشد وأعظم خطراً على الضعفاء والعمال .

قال كاتب مسيحي : « هل أقبح حد المساواة في الغرب إلا بعد الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان ثم قال » ألا يزال للملوك امتيازات والأشراف امتيازات ولأصحاب الرتب والألقاب امتيازات ولرجال الدين امتيازات ولحاشية الملوك والأشراف تفضيل وامتيازات أمام القانون العام ؟ .

ألا ينسج هؤلاء أمام القانون العام - أثواب غير الأثواب التي تنسج للشعب المسكين ؟

ان هؤلاء لا يدفعون المكوس والضرائب ، ثم قال ألا تحسون أن تلك الدول الغربية تميز فريقاً كبيراً من رجال الدين بملكون ثلث أرض البلاد وثلث عقارات الوطن أرضهم معفاة من مكوس الجمر كيعفون منها وتحمل اليهم مستورداتهم ضعف أضعاف ليتاجررا بالزيادة ويجمعوا ذهباً هذا ما قاله كاتب مسيحي ، وهكذا استعباد الناس فالعمال المساكين والفلاحون البائسون يدفعون الضرائب المتزايدة والرهبان الكسالى البطالون توفر أموالهم لهم حتى ان لكل واحد منهم أكثر مما عند ألف مواطن من أبناء الشعب ، هذا مع دعوى العدل والإنصاف والمساواة فشتان ما بين هذا وبين فرض الزكاة على الأغنياء رردها الى الفقراء .

وأما التعليم والتربية والثقافة التي بذلها رسل المسيحية كما يدعي الكتاب - فعشرة في المائة بالنسبة الى تعليم مشايخ الإسلام في أكثر نواحي إفريقيا اللهم الا اذا كان لا تعليم الا تعليمهم ، ولا تربية الا تربيتهم ، ولا ثقافة الا ثقافتهم ، والا فالمساجد والجمامع والمدارس التي يدرس فيها المتطوعون ضعف أضعاف الكنائس ، ولا يوجد في كل مساعدات الحكومات بل اعتماد المسلمين في كل ذلك على الله وعلى أنفسهم ، بخلاف مدارس غير المسلمين فهكذا المساواة ومراعاة حقوق الانسان .

ولقد صرح كاتبه من غير استحياء بما نصه : « فالتقليد الأعمى والتبعية الحمقى واستعباد الضعفاء هي تقاليد الإسلام » .

فحبك الشيء حجاب عن مساويه ، وبغضك الشيء حجاب عن حسناته ، ولهذا وصف الإسلام بوصف دينه فهم الذين قالوا الدين فوق العقل حباً منهم لانقياد الناس لهم ، ولا يبحثون عن حقائق دينهم بل تقليد أعمى وتبعية حمقى « (١) .

البَابُ السَّابِعُ

الشيخ ابراهيم انياس كشيخ التربية في الطريقة التجانية

وقبل أن نخوض في صميم هذا الموضوع يجدر بنا أولاً أن نناقش التربية الصوفية في الطريقة التجانية قبل الشيخ ابراهيم .

التربية في اللغة مصدر ربا وربى وأربى يقال ربوت ، وربيت ربوت في بني فلان أي نشأت فيهم وربيت في حجره أي غذاني واعتنى بي حتى كبرت والى هذا المعنى يهدف الشاعر بقوله :

فمن يك سائلاً عني فلاني بمكة منزلي وبها ربييت

ويقال ربيت فلاناً أربيته تربية وتربيته وربيته وربيتته بمعنى أي غذوته وهذا مطرد في كل ما ينمو كالولد والزرع ونحوه .

وأما في الاصطلاح الصوفي فهي كما عرفها السيد عبيدة في ميزاب الرحمة : « ان التربية عبارة عن تلقين الشيخ مريده أو الأخ أخاه دينه شيئاً فشيئاً لإزالة حجبه الحاجبة له عن مشاهدة مولاه فيأفقياً بمداواة أدواء نفسه حتى يتقيأها على حسب تطوراته طوراً فطوراً .

أي فكما أن تربية الولد تأخذ وقتاً طويلاً حسب نموه الجسمي وتطوراته العقلية والروحية الى أن يبلغ أشده ويأتيه رشده ، كذلك التربية الصوفية قد لا يتم في مدة

وجيزة ، ولا بد من أن تقطع مراحل متعددة قبل أن ينتهي المريد الى الغاية المنشودة ،
فعلى هذا ان الفرق بين التربية الاصطلاحية الصوفية وبين التربية العادية موضوعي .

ومهما يكن من شيء فيبدو أن فكرة التربية الصوفية هذه قد نشأت في أوساط
التصوفين المتأخرين خصوصاً أهل الطرق منهم ، وقسموا المشايخ جراً ذلك الى
ثلاثة : شيخ التعليم ، وشيخ التربية ، وشيخ الترقية ، وقد نفى الشيخ عثمان بن فودين
اشاعات بعض الناس عنه أنه شيخ التربية الصوفية وقال في كتابه (تحذير الإخوان
من ادعاء المهديّة) وأما التربية فغاية ما عرفته في نفسي أنني أربي الناس على باب
التقوى ، الذي هو امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وعلى باب الاستقامة الذي هو
التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما القول بأنني أربي الناس على باب
الكشف كما يفعل الكمل من الأولياء فباطل قطعاً ، والشيوخ كما قال العلماء ثلاثة شيخ
تعليم وشيخ التربية وشيخ الترقية (١) وان دل كلامه هذا على شيء فإنما يدل على
الأمور التالية : -

١ - ان فكرة التربية الصوفية كانت معروفة في نيجيريا قبل أن يؤسس الشيخ
تجاني طريقته ، وليست الطريقة التجانية اذن أول طريقة تصوفية أدخلت الفكرة
في نيجيريا .

٢ - ان هذه التربية أمر في غاية الغموض حيث تبرأ الشيخ عثمان منها وعزاها
الى الكمل من مشايخ الصوفية .

هذا ومما هو جدير بالتنبيه عليه هنا هو أن كلام الشيخ عثمان السابق من شأنه أن
يرهم القارئ أنه لم يكن ملماً بالتربية الصوفية وما يدركونه فيها من علومهم الباطنية
لا ، وكلا فإن الشيخ كان ملماً بذلك المأماً تماماً حيث فصل الكلام - في كتابه أصول
الولاية - حول التربية وشروط الشيخ المربي وشروط آداب المريد ، وكيفية السلوك
والرياضة ، وكيفية تدريب المريد في المجاهدات والرياضات ، وآداب المريد مع الشيخ

١ - الشيخ عثمان بن فودين : كتاب تحذير الإخوان من ادعاء المهديّة الورقة ٢٠ .

والإخوان ، واذكار أهل التصوف التي يستعملونها في مقصودهم وما الى ذلك (١).

وعلى أي حال فإن لم يكن في الكتاب الا قوله : « ان أصول الولاية مبينة على ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمان المشايخ وروية اعدام الخلق والمداومة على الأوراد وترك الرخص (٢) يكفي به دليلاً على ما قررناه .

٣ - ان الشيخ عثمان يعتبر نفسه شيخ التعليم ليس الا ، من أجل ذلك بين وظيفة شيخ التعليم حتى لا يختلط الأمر على العامة والطلاب .

وأما في الطريقة التجانية فإن السيد عبيدة بن محمد الصغير بن انبوجه قد قسم التربية الى ثلاثة أنواع في كتابه ميزاب الرحمة .

النوع الأول : من طريق أذكار الورد التجاني ويتحقق ذلك بالتدريج من مقامات الدين الثلاثة يعني بها الإسلام والإيمان والإحسان .

الثاني : من طريق السلوك بالصلوات الخمس .

الثالث : من طريق السلوك بصلاة الفاتح .

ويذهب المؤلف الى أن هذه الطرق الثلاثة كلها كانت مأخوذة من كلامه الشيخ التجاني لأن الطريقة الأولى جاءت حسب ترتيب الورد التجاني والثانية مندرجة في اطار الورد التجاني على سبيل الإجمال لا على سبيل التنصيص وأما الثالثة فقد أشار الشيخ التجاني اليها بإشارة موجزة ثم فضل المؤلف الطريقة الأولى التي تتحقق بواسطة الورد التجاني على الطريقة الثانية التي تتم من طريق السلوك بالصلوات الخمس ، وعلى الطريقة الثالثة أيضاً التي تكون من طريق السلوك بصلاة الفاتح ، وحجته في ذلك أن الطريقة الأولى هي الباعثة للمريد رأساً على الدخول الى حضرة الشيخ التجاني (٣).

اذا رجعنا الى تعريف المؤلف للتربية نرى أنه يعبر عنها بتلقين الشيخ مريده أو الأخ أخاه دينه لعله يريد بالدين هنا ما نعتة بمقامات الدين الثلاثة وهي الإسلام والإيمان

١ - الشيخ عثمان بن فودين : أصول الولاية ١٦ - ٢ - الشيخ عثمان بن فودين : أصول الولاية ٢ .

٣ - الشيخ عبيدة النشقي : ميزاب الرحمة ٥٧ - ٥٨ .

والإحسان كما مر وربما كان يهدف في كلامه الى أن التربية تبدأ بتدريب المرید في مقام الإسلام أولاً حتى اذا أتقنه ترقى به شيخه الى مقام الايمان واذا رسخت قدمه فيه أخذ بيده الى النهاية وهي مقام الإحسان .

وحقيقة هذه التربية كما بيّنها هي حمل السالك على ما ليس فيه مشقة من أمور الدين وأعمال العبادة وتدريبه على ضبط النفس وكفها عن الإنهماك في ملذات العوائد والزامه عدداً من الاذكار التي يجب عليه في أثنائها أن يصور في نفسه صورة مقدمة الذي يتربى على يده ثم يشخص الشيخ التجاني جميع المتقدمين الذين كانوا في سلك سلسلة سنده الى الشيخ التجاني ويعتقد أن مدده يأتيه من عندهم وأن اعتقاده نفس اعتقادهم .

ويبدأ هذا السالك بالإستغفار ، يقول استغفر الله فقط لا يزيد على ذلك حتى يتم عدداً معلوماً يحدده له مقدمه حسب القواعد المرسومة عنده ولكن لا يستغفر بسرعة بل يراخى بين كل استغفار ريشما يقول له مرشده قل أي كأنه بين يدي ملقنه بأمره بالاستغفار في كل مرة ولكن يشترط عليه أن يشرع في هذا الاستغفار بنية التوبة من المخالفات حتى اذا ختم عدد الاستغفار يدخل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ولكن يجب عليه أن يقتصر في الصلاة عند سيدنا محمد ولا يزيد على ذلك حتى يأتي بعدده المعلوم حسب ما يحدده له ملقنه ومرشده واذا انتهت من الصلاة يأخذ ثوباً في الهيلة يقول لا اله الا الله فقط ولا يزيد على ذلك ويعتقد عندما يدخل في الهيلة أنه يخرج بها من الكسر الى الإسلام كما يعتقد بصلاته أنه يتوسل بها الى الله في قبول توبته واجابة استغفاره ورفع الحجاب عنه .

هذا ما يلتزمه السالك من الأذكار عندما كان في تربية مقام الإسلام ولمقام الإسلام هذا ثلاثة مواقف .

الموقف الأول موقف التوبة المراد بها هنا الرجوع من كفران النعم بالمخالفات بشكرها بالطاعات وهي على ثلاثة أقسام :

توبة من تضييع الواجبات بفعلها .

توبة من التلبس بالمحرمات بتركها .

توبة من حمل المظالم بردها شكراً .

الموقف الثاني من مواقف تربية الإسلام (الاستقامة) وهي على قسمين : -

١ - استقامة خاصة وهي استقامة السر نحو المشاهدة من غير التفات لغير الله تعالى ،
وليست هذه المقصودة هنا ، لأنها مخصوصة بالذين بلغوا مرتبة المشاهدة .

٢ - استقامة عامة وهي اعتدال السر نحو السنة بإقامتها من غير إنحراف عن سواء
السييل ، من غير تبديل ولا تغيير ، وهذه هي المقصودة هنا لأنها من شروط التمكين
في هذا الموقف .

الموقف الثالث من مواقف الإسلام (التقوى) فالتقوى على ثلاثة أقسام :-

١ - تقوى الإسلام بحراسة الجوارح من العصيان اتقاء سخط الملك الديان .

٢ - تقوى الإيمان بحراسة الباطن من العدوان ابتغاء رضا الرحمن .

٣ - تقوى الاحسان بحراسة السر مما سوى الله تعالى مع الانفاس .

وهذا القسم الثالث هو المختص بأهل هذا الموقف هذه المواقف الثلاثة التوبة
الاستقامة ، فالتقوى هي الأحوال التي تجب على السالك وهو في تربية مقام الإسلام أن
يحققها ويحافظ عليها حتى تكون له غريزة ، وإذا اتقن مقام الاسلام وتمكن فيه أخذ
مرشده بيده ويطرق به إلى مقام الإيمان ولهذا المقام أيضاً ثلاثة مواقف يجب عليه وهو
فيه أن يحققها ويحافظ عليها زيادة على أحوال مقام الاسلام وهي : -

أولاً : الإخلاص وهو تصحيح الوجهة إلى الله تعالى في جميع الحركات والسكنات .

ثانياً : الصدق وهو صفاء المعاملة مع الله تعالى من امتزاج الخواطر الجلية والخفية

ثالثاً : الطمأنينة وهي هدوء تسود نفس السالك لتيقنه بالوصول إلى المراد لشمه

رائحة توحيد الصفات .

وهذا أول قدم يضعه السالك في مقام تربية الاحسان وإذا تم له الرسوخ والتمكن

في تربية مقام الإيمان بموافقة الثلاثة ترقى به مربيه إلى تربية مقام الاحسان وهو أيضاً
على ثلاث مراتب .

الأول : المراقبة وهي عبارة عن تمكين يقن الروح بإطلاع الله عليه فينتجه نحو الله دائماً مرتقباً كشف الحجاب عن وجه القلب ومن هنا ينتقل إلى المشاهدة وهي : -

الثانية : المشاهدة عبارة عن رؤية الحق من غير ريبة ولا تهمة وذلك كما يقال أن الروح إذا تطهرت وصفت من جميع آثار الأوهام انجالت مرآتها بحيث لا ينعكس عليها إلا السر الإلهي القدسي المصون فعندئذ تشرق شمس المعرفة في سمائها بكامل ضيائها وتنقش أسرار المشاهدة باهرة فينجلي الحق سبحانه لمرآة الروح من غير تحديد ولا تكيف ولا تشبيه ولا إحاطة ولا مقابلة حتى إذا استقر في هذا الموقف يترقى إلى المعرفة وهي :

الثالثة : - المعرفة وهي المرتبة الثالثة والأخيرة من مراتب تربية مقام الإحسان ، المعرفة عبارة عن تمكن حال المشاهدة بحيث لا يستطيع التفرقة بين صفات الله وذاته وهو تحقق عن الجمع المعبر عنه بالخلاص التام .

وكان لكل مقام من المقامات السابقة شروط وأداب أضربنا عن ذكرها مخافة التطويل ومجانبة الإسهاب والإطباب ولكننا هنا نرى أهمية ذكر شروط مقام المعرفة وآدابها إتماماً للفائدة ولأنها هي الغاية القصوى في كل ما نقرره حتى الآن فنقول إن للمعرفة أربعة شروط .

الأول : ملازمة القرب من الله بحيث لا يشهد غير الله تعالى ولا يرجع إلا إليه سبحانه .

الثاني : العجز المؤذن بالإدراك .

الثالث : المحافظة على حفظ الرسوم الشرعية وإقامة الوظائف الدينية .

الرابع : صيانة ما حصل عليه من المعارف بحيث لا يتحرك ولا يسكن ولا ينطق ولا يسكت إلا بالله وعن الله وفي الله وإلى الله ومع الله .

وأما آدابها فأربعة أيضاً وهي :

١ - مخاطبة الناس على قدر عقولهم .

٢ - حفظ أسرار الحق حيث يكون مع الخلق بحسبه ومع الله بالله .

٣ - الرجوع إلى البقاء بعد الفناء التام للقيام بوظائف العبادة .

٤ - العطش الدائم إلى زيادة الترقى في الله إلى أقصى الغايات في المعارف وكشف الأسرار القدسية (١).

الناظر لهذا الباب وما جاء فيه من المقامات وكيفية تدرج السالك فيها بطريق مصطلح منظم قد يذهب إلى أن هذه الطريقة التي رسمها الشيخ عبدة للتربية هي طريقة التربية في الطريقة التجانية من أيام الشيخ التجاني وإلى هلم جرا والواقع أن الأمر ليس كذلك بل إن الشيخ التجاني وأصحابه الأقربين إليه لم يكونوا ملمين بهذه الطريقة قطعاً وإنما هي طريقة التربية عند الشيخ الساحلي فنقلها الشيخ عبدة برمتها في كتابه ميزاب الرحمة الربانية وعزاها إلى الطريقة التجانية بعد أن أوتها بلونه الخاص وألبسها لباس الطريقة التجانية وقد صرح في نهاية الباب الخامس بصفحة ١١٦ بأنه قد اعتمد في غالب الأحوال على كتاب الساحلي الموسوم ببغية السالك ثم أدرك أنه بهذا التصريح قد ناقض نفسه في عزو الطريقة إلى الطريقة التجانية إذ أنها في الواقع حسب تصريحه طريقة التربية عند الشيخ الساحلي لا طريقة التربية في الطريقة التجانية ، ولذلك رجع إلى نفسه ثم فكر وقدر واخترع أموراً سبعة - كلها خالية أو تكاد تكون - تميز في نظره طريقة التربية التي رسمها في ميزابه عن طريقة التربية التي قررها الساحلي في بغيته وقد صرح بذلك أيضاً في نفس الصفحة وقال ما هذا معناه إن الفرق بين التربية بالطريقة التجانية وبينها بطريقة الساحلي سبع مسائل حسب ما وقف عليه بعد طول التفتيش وبذل المجهود في البحث والتنقيب وهاهي قد فصلتها في الجدول التالي : -

طريقة الساحلي

طريقة السيد عبدة التجانية

- ١ - الخوف مبنى هذه الطريقة
- ٢ - هذه الطريقة تعتمد على الخلوة
- ٣ - المريد في هذه الطريقة يتوقع الفيض من الله
- ٤ - المريد في هذه الطريقة يغمض عينيه عند الذكر لاستحضار الفكر
- ٥ - يستحضر المريد معنى ما يذكره من الأوراد من أول الأمر في هذه الطريقة
- ٦ - لهذه الطريقة أنواع من الأذكار حسب تطور المريد من مرتبة إلى أخرى
- ٧ - إن نهاية هذه الطريقة الوقوف على حقائق المعارف الربانية من غير تصريح بمعرفة بعض أسرار الحقيقة المحمدية وما في معناه
- ١ - وهذه تبنى على الشوق
- ٢ - وهذه لا تعتمد عليه بل تخلو منه.
- ٣ - وأما في هذه فيكفيه أن يستحضر صورة الشيخ التجاني ويرفع إليه شكواه.
- ٤ - وأما في هذه الطريقة فطلعة هيئة الشيخ تكفي في امداده بالفكر .
- ٥ - وأما في هذه الطريقة فلا يكون الاستحضار إلا بعد أن يقع ما يلفظه اللسان في السمع .
- ٦ - وأما في هذه الطريقة فإن الإذكار في الغالب تكون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٧ - وأما الغاية في هذه فهو ما أشار الله الشيخ التجاني في آخر جوهرة الكمال من قواه صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه.

الناظر لهذه الفروق والمميزات التي رسمها السيد عبدة يدرك بكل سهولة أنها كلها تقع خارج إطار الطريقتين كلتيهما إذ أنها كلها تكون نظرية خيالية بحتة حيث إنها لا تهتم ركناً من أركان الطريقة الساحلية أي أنها لا تتطرق إلى تغيير شيء من المقامات والاحوال التي رتبها الساحلي بل الظاهر أن الشيخ عبدة قد أدرك أن الطريقة التجانية كانت خالية خلواً تاماً من نظام قائم للتربية فظن أن هذا يعد غصاً للطريقة التجانية وطلب من أخيه الأكبر الشيخ محمد بن محمد الصغير الشنيطي التشبيهي أن يضع نظاماً خاصاً للتربية بالطريقة التجانية موطاً للسالكين من مريدي التجانية

ولم يظهر له أخوه حماسة ولا ميلاً إلى إسعاف طلبه بل ربما كان ممن يذهب إلى أن التربية ممنوعة في الطريقة التجانية لعله من أجل ذلك كان يحببه بإجابة فيها شيء من الغموض وعدم الوضوح إذ يقول له : « إنه تستزوج من هذا الشرط » (١). وقد فسر الشيخ عبدة قول أخيه فقال : « يعني المحافظة على الصلاة تربية الشيخ التجاني للمريدين به » (٢). وإن دل كلامه هذا على شيء فإنما يدل على الأمور التالية :

١ - إنه ليس للتربية في الطريقة التجانية نظام مصطلح معروف مأثور عن الشيخ التجاني .

٢ - إن الشيخ التجاني كان يربي مريديه بالصلاة .

٣ - إن الشيخ عبدة لم يضع طريقة تربيته هذه إلا بعد أن ينس من إسعاف أخيه وشيخه لطلبه .

٤ - وإنه هو الآخر لم يستطع أن يجد للطريقة التجانية صيغة للتربية خاصة بها ولذلك اضطر إلى أن يأخذ طريقة الساحلي ويلبسها لباس التجانية .

الراجح أنه ليس للطريقة التجانية نظام مصطلح خاص للتربية أي ولم يؤثر عن الشيخ التجاني نظام أو صيغة معينة للتربية غير أوراد الطريقة اللازمة وبوكد ذلك قول السيد العربي ابن السائح « ومدار التربية والتزكية في طريقتنا هذه على إقامة الورد الأصلي المعلوم وكذلك توابعه من الأذكار المشمول بالزوم معه وهي الوظيفة المعروفة وذكر الهيئته بعد عصر يوم الجمعة والمحافظة على الصلوات الخمس بآدابها على الحد المحدود لها شرعاً ثم عمارة ما يقدر على عمارته من الأوقات والساعات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً بصلاة الفائح لما أغلق على طريقة المحبة والشكر والاعتماد على الفضل المحض من غير التزام خلوة ولا كثرة مجاهدة ولا غير ذلك مما اصطلاح عليه في التربية من بعد الصدر الأول إذ هذه هي طريقة سيدنا يعني الشيخ التجاني التي سلكها وأمره بالسلوك بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم » (٣). أي

١ - السيد عبدة النشبي : ميزاب الرحمة ١٢٣ . ٢ - السيد عبدة النشبي : ميزاب الرحمة ١٢٣ .

٣ - السيد العربي ابن السائح : بغية المستفيد ١٧٢ .

إن هذا الذي رتبته السيد العربي هو كل ما في الطريقة التجانية من نظام للتربية والسلوك وبالتالي لا ينبغي للتجانيين أن يتركوه إلى نظام آخر لما فيه من سوء الأدب وترك الصيغة المأثورة عن النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم إلى صيغة أخرى وضعها غير المعصوم.

ومع كل هذا كان لزاماً على شيوخ الطريقة التجانية اللاحقين أن يستنبطوا لأنفسهم نظاماً إضافياً لتربية مريديهم حيث ثبت أن أوراد الطريقة وحدها لا تفي بالغرض المنشود .

ولعل خلو الطريقة التجانية من أي نظام تربوي مصطلح مأثور عن الشيخ التجاني وتصريح الشيخ التجاني نفسه بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره بالاقتصار على الترتيب الذي قدمه ابن السائح آنفاً المبني على المحافظة على الصلوات الخمس وأداء الأوراد اللازمة للطريقة جعل بعض شيوخ الطريقة التجانية القدامى يذهب إلى أن التربية ممنوعة أصلاً في الطريقة التجانية ولكن السيد العربي قد شدد النكير عليه (١).

موقف شيخ التربية في نظر شيوخ الطريقة القدامى

أول ما نلاحظه هنا قبل أن نخوض في صميم الموضوع هو أن الشيخ إبراهيم أنياس قد علّق أهمية كبرى لظهوره على الفيضة التجانية التي بشر الشيخ التجاني أصحابه بإتيانها ، وأنه أي الشيخ إبراهيم إنما جاء ليظهرها وينشرها بين أهلها ، وأن الفيضة في نظره عبارة عن كثرة الفتح على أهل الطريقة التجانية ، ولا يتم هذا الفتح إلا من طريق التربية ، والتربية إذن هي العمود الفقري للفيضة التي جاء بها الشيخ إبراهيم أنياس .

فالشيخ إبراهيم إذن شيخ تربية قبل أن يكون مفّص فيضة فيجدر بنا والحال هذه أن ننظر إلى موقفه كشيخ التربية في الطريقة التجانية في نظر شيوخ الطريقة التجانية الذين سبقوه .

يقول السيد العربي بن السائح : « إن التربية في طريقتنا ليست ممنوعة وإنما المنوع التظاهر بدعواها على رسم المتشيعين في هذه الأزمنة وقبلها ... وأن ترك العارفين ،

١ - السيد العربي ابن السائح : بغية المستفيد ١٧٢

فتح هذا الباب في هذا الزمان هو الصواب فلا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدعين للمراتب المتنازعين » إلى أن قال : « وحاصل هذه المسألة أن هذه الطريقة المحمدية يوجد في أفرادها من يفتح له في التربية بها ، أي بتلقين وردها وجميع أذكارها ، بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة ، بحيث لا يخرج عما حده الشيخ في ذلك مما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم » (١).

ولقد اعتنى القاضي الحاج سكيرج العياشي من متأخري شيوخ التجانية بأمر التربية وفصل الكلام - في كتابه تنبيه الإخوان - حول التربية والرقية وموقف الشيخ التجاني والمقدمين التجانيين منها وطبعة الطريقة التجانية في التربية والرقية وحالهما فيها وهكذا .

ومن أجل ذلك يجدر بنا أن ننقل من عباراته ما يساعدنا في تحقيق القول فيما نقرره من إراء في هذا المجال قال : « والقائمون بأعباء التربية في طريقتنا والحمد لله كثيرون ، ولم يخل منهم منذ توفي الشيخ رضي الله عنه زمان ولا قطر ، بل ظهر منهم عدد في حياته رضي الله عنه كما لا يخفى ، إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لما لا يخفى من حكم الوقت فلا يعثر عليهم إلا من قبض الله له الانتفاع بهم وذلك لما خصوا به ببركة أستاذهم من حالة الكمال المسماة عند أهل التحقيق من أهل هذا الشأن بالغيرة على الحق وهي كتمان السرائر والأسرار وهي حالة الأخفياء الأبرياء من الملاماة المجهولة مقاماتهم » (٢).

وقال : « وكلما ارتقى مقام الشخص في المعرفة باعد نفسه عن مزاحمة الشيخ الذي انتسب إليه في التظاهر بالمشيخة ، وكل شيخ ثابت القدم نصح لمريديه بأنه لا يدعوا المشيخة في طريقته ولهذا لا تجد من يدعي المشيخة في الطريقة التجانية مع أنهم باعتبار تلقائهم للمريدين شيوخ وهم في الطريقة مقدمون لا غير ، ولو بلغوا ما بلغوا في المعرفة بالله ، لكون الدعوى لا يقبلونها ولا تقبلهم ، وكلهم في السلوك على قدم واحد ، وإن كان لهم تساوت في المرتبة والخصوصية ، وأن التسليك المعروف بالاصطلاح

٢ - السيد العربي ابن السائح : نفس المصدر ١٩ .

١ - القاضي سكيرج العياشي : كتاب تنبيه الإخوان ١٦٧

مفقود من جل الشيوخ المتصدرين للتربية منذ زمان خصوصاً فيمن تصدى للأخذ بيد العدد الكثير من المريدين فلم يبق التسليك إلا لأقل القليل لأقل قليل وطلب المتصدر للشيوخه للأخذ بيد الكثير من المريدين بادعاء التربية منه لهم يفضي إلى سوء الظن به وهلاك جم غفير على يده من المؤمنين « (١) ».

وقال : « وليست تعطى هذه الطريقة لمريدي الدخول فيها على وجه التبرك كما توهمه غير أهلها ، وإنما تعطى على سبيل التربية القلبية ، بالهمة والحال والترقية الباطنية ، ولا ننكر على من تظاهر بالتربية بالاصطلاح فيها أو في غيرها من الطرق ، وإن قيل بانقطاع ذلك كما تقدم التنبيه إلا أن الإنكار منوط بجانب من خرق صف ذوي الكمال العارفين بأحوال الرجال ، فاعتمد المرور بين يدي المصلين في مضمار السلوك في طرق الجلد ، تبعاً لأوهام عارضة في يقظة أو منام » (٢) .

وقال : « إن الطريقة التجانية ليس فيها إذن على وجه التبرك وإنما هي طريقة سلوك وتربية بالهمة والحال ووردها الخاص لها كقيل بالترقية » (٣) .

فإن هذه النصوص المنقولة من كتاب تنبيه الإخوان للقاضي سكيبرج العياشي تدل بوضوح على الأمور التالية .

١- إن التربية موجودة في الطريقة التجانية ، وإن القائمين لها في الطريقة كثيرون موجودون في كل زمان ومكان .

٢ - إن القائمين بتربية المريدين في الطريقة التجانية مستورون ولا يتظاهرون للعامة ، ولذلك لا يعرفهم إلا من قدر الله له الانتفاع بهم

٣- إن هؤلاء المريدين في الطريقة كانوا على قدم الطائفة الملامية من الصوفية الذين يعاشرون العامة ويخالطونهم كأنهم منهم وهم على أعلى المراتب في المعارف الإلهية لأن مقامهم مجهولة ومستورة عن إدراك العامة .

١ - القاضي سكيبرج العياشي : نفس المصدر ١٠٦ ٢ - القاضي سكيبرج العياشي : نفس المصدر ١٦ .
٣ - القاضي سكيبرج العياشي : نفس المصدر ١٢٩

٤ - إن التظاهر بالمشيخة من أتباع طريقة ما يعتبر مزاحمة لمقام شيخ هذه الطريقة ولأجل هذا لا يوجد من يدعي المشيخة في الطريقة التجانية .

٥ - إن التربية بالاصطلاح المعروف مفقود من أكثر المتصدرين للتربية قديما وحديثا ، خصوصا عنا من تصده للأخذ بيد العدد الكثير من المريدين والتربية إنما توجد عند عدد قليل من المشايخ يربون عدداً قليلا من السالكين بالهمة والحال لا بالاصطلاح

٦ - المدعي لمقام الشيوخة والتصدر للأخذ بيد الكثير من المريدين للتربية غاية إهلاك جماعة عظيمة من المؤمنين واضلال طائفة كبيرة من المسلمين .

٧ - التربية في الطريقة التجانية إنما تكون بالهمة والحال لا من طريقه الاصطلاح المعروف ، ومن ادعى القيام للتربية من طريق الاصطلاح في الطريقة التجانية أو في غيرها يناط به الأفكار والملام من جانب كونه خرق صفوف ذوي الكمال العارفين بأحوال الرجال .

إذا نظرنا إلى هذه النقاط السبعة التي استنتجناها من النصوص المنقولة من كتاب تنبيه الإخوان ندرك أن شقة الخلاف واسعة بين القاضي سكيرج العياشي التجاني وبين الشيخ إبراهيم أنياس السنغالي التجاني في شأن التربية في الطريقة التجانية .

أولا - ان القاضي سكيرج يرى أنه لا يجوز لأحد من أتباع طريقة ما أن يسمى نفسه شيخا مهما ارتقى مقامه في المعرفة حتى لا يزاحم شيخ الطريقة التي ينتمي إليها في مقامه ، ونزه جانب التجانيين قاطبة من ادعاء المشيخة وصرح بأنهم في الطريقة مقدمون لا غير ولو بلغوا في ميدان المعارف الآلهية ما بلغوا .

وأما الشيخ إبراهيم أنياس فلا يرى ما ارتآه سكيرج بل إنه يذهب إلى أن كل من اشتهر من علماء التجانية شيخ وليس مجرد مقدم وان أعجبه فقطب يقول مثلاً بعد ان نقل كلاماً للشيخ عمر الفتوى : « تأمل كلام هذا القطب الفتوى » . ويقول

في شأن شيخه : « القطب الرباني الحاج عبد الله بن الحاج العلوي. » (١)
فإن الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي ذهب إلى أن القطب الغوث هو الذي يمد
الاقطاب الذين يقعون دون مطاره وهو يستمد من خضم بحر النبي صلى الله عليه
وسلم بواسطة روحانية أربعة من الانبياء

ولكن الشيخ ابراهيم انياس يرى أن هذا الرأي الذي ذهب اليه الحاتمي خطأ
وجهل منه بمقام الشيخ التجاني ، فإن الحق في المسألة كما يراها هو أن القطب الغوث
يستمد من النبي صلى الله عليه بواسطة الشيخ التجاني الذي هو القطب المكتوم .

ومعنى كل هذا أنه أي الشيخ ابراهيم هو القطب الغوث في هذا الزمان
واستمداده يكون من الشيخ التجاني مباشرة لا غير كما توهمه الشيخ الحاتمي في نظره
(٢) وقد صرح بذلك في آخر كتاب كاشف الالباس بقوله : « وانتسبنا اليوم حقا
وسندنا عن الشيخ الختم التجاني من غير وسطة إذ هو والله الحمد حاضر معنا دائما .
(٣) وقد اشار ايضا بذلك لتلميذه وخليفته بالمورثانيا الشيخات من آب في آخر رسالة
له إليه فقال : واما عمدتي في طريقتنا فانظر آخر كاشف الالباس وافهم جدا . » (٤)

والى تحقيق كل ما تقدم يهدف بقوله في منظومة رحلته الموسومة بنيل المفاز .
وجدت عند كلهم مباشرة تكون لي طول الحياة تذكرة
رأى الحفيدان من أرادا الشيخ التجاني ادرك المراد
ها هو في مكة يومي حاضر وهو يشير لى وانى شاكر
وبعضهم يقول قد رايت أحمد عند القطب ثم جئت (٥)

أي ان في هذه الابيات رويتين مفادها أن الشيخ ابراهيم انياس هو خليفة الشيخ
التجاني وبالتالي هو قطب هذا العصر

وقال في منظومة رحلته الموسومة بالكناكرية

-
- ١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ١٣ - ١٦ .
٢ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ٧٥ ٣ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١٠٩ .
٤ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١٣/١ ٥ - الشيخ ابراهيم انياس : رحلة نيل المفاز ١٤ .

قد خصنى بالعلم والتصريف ان قلت كن يكن بلا تسويق
لوشئت عم فيضه البسيطة وادركوا أسرارهم المحيطية
إلى أن قال

ومرة أخرى ترون العجبا من سر ذا الختم الامام النجبا
علم ذلك فلان وفلان كذا فلان ما السماع كالعيان (١)
ومعنى هذه الأبيات أنه هو القطب الغوث الذي كان في يده تصريف الأمور
الكونية والشئون الخلقية .

وقد ايدى في هذه الدعوى جميع تلاميذه وقال أمين سره وخليفته بعده السيد
على سيس في ترجمته له : « فهو الشيخ بجميع مراتبه ولسان وقته . . . محل نظر
الله من خلقه والباب المفتوح لكل من يريد الولوج لحضرة قدسه صاحب الاشارات
الخفية والافادات العظيمة والعبارات المفهمة شيخنا ووسيلتنا إلى الله القطب الفرد
الربانى والعارف الكبير الصمدانى الشيخ ابراهيم بن الحاج عبد الله التجانى » (٢)
وقرر الشيخ أحمد التجانى بن عثمان الكنوى هذا المعنى في قصائده التي مدحه
بها وقال في القصيدة الميمية

كم نصارى اسلموا من فيض ذا القطب الامام
وقال في القصيدة الرائية

فك به علم رجاء وامرة وغوثية فالخير فيه غزير

وقال في القصيدة الواوية المقصورة

نتائج فك القوم طرا كقطرة ببحر فراخ القطب ذى الرتبة القصى
فإن مقام الختم والكتم ذاقه خلافة من لم ينح غير له نحوا

١ - الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الكناكرية ٦ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ١

ومن رام لإحداثا لغير الذي جرى به حكم وقت فاتهها هنا الجدوى
فإذا جهله والشيخ جهل مركب واجهل منه من له يقصد المحوى
وقال في القصيدة القافية

فالنفس تلك هي المراد فإن صفت يسرى الصفاء لساثر الاعواق
إن كان في الكون المجازى كشفهم فمريده ذا الغوث عن ذاواقى (١)

وإذا نظرنا إلى هذه الابيات ندرك إن السيد احمد التجانى بن عثمان لم يكتف
بتنفيذ شيخه مقام القطبانية والغوثية فحسب بل نقله نفس المقام الذي اختص به
الشيخ التجانى وهو الختمية والكتمية المقام الذي تفوق به في نظرهم على جميع أقطاب
أمة النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأقطع من هذا كله أنه حلف به .

وهذا كله خلاف للقاضى سكيرج العياشى الذي يرى أن الشيخ ابراهيم ومن
سبقه ومن سيأتى بعده من اساطين الطريقة التجانية لم يكونوا ولا يكونون ولن يكونوا
للامقدمين لتلقين الطريقة ليس إلا، ولا يستحقون لقب الشيخ حتى لا يزاحموا
الشيخ التجانى في مقامه كشيخ الطريقة

ثانيا - إن الشيخ العياشى سكيرج يوافق الشيخ ابراهيم في أن القائمين بالتربية
في الطريقة التجانية كثيرون وموجودون في كل زمان ومكان ولكنه يخالفه في أنه
يرى أن كثرتهم إنما هي لوجودهم في كل زمان ومكان من عصر الشيخ التجانى إلى
يومنا هذا وذلك يتحقق بوجود واحد فقط في كل زمان أو مكان والى هذا يرمى
بقوله في الفقرة السابقة : « فلم يبق التسليك الا أقل القليل لأقل قليل » .

ثالثا ان الشيخ ابراهيم انياس يرى أن كثرة تسليك اهل الطريقة التجانية في
التربية وتقديمه لخواص أصحابه للقيام بها علنا في كل قطر من تمام انتشار الفيضة
التي بشر الشيخ التجانى اهل طريقته بإتيانها اليهم : والى كل هذا يهدف بقوله
« وقد دخل الناس في هذه الطريقة أفواجا ور بما كان المراد بنسخها للطرق الصوفية

الأخرى إنما يكون بخلو هذه الطرق ممن يقوم بالتربية فيها وقد شاهد الناس في هذا العصر من الضيق والشدة ما لم يشاهده كثير من أكابر التجانيين الذين أدركناهم وقد تحققت الفتح في أهل الطريقة التجانية ووصل كثير منهم إلى مرتبة المعرفة بالله والاستغراق فيه ورفض كل ما سواه بشكل لم يتحقق في هذه الطريقة قط فيما أعلم منذ ظهورها إلى يومنا هذا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم « (١) كما نسب أصحابه الذين قدمهم في الأقطار لتسليك المريدين في التربية إلى نفسه بدلاً من نسبهم إلى الطريقة التجانية ويقول في بعض رسائله : « ولي مقدمون في هذه الأقطار كل واحد منهم كنار على علم بارك الله فيهم فمن أخذ عن واحد منهم فكأنما أخذ عني » (٢) .

ويبدو أن الشيخ إبراهيم كان ملماً بهذه النزعة الإستقامة في شأنه فقام بتبرير ذلك واستخدم لهذا الغرض بعض أجوبة الشيخ التجاني في هذا الصدد كما استشهد أيضاً بقول الشيخ محمد الحافظ لتلميذه الشيخ مولود قال : « ان قلت أن الشيخ التجاني شيخك فهو شيخك وان قلت أنا شيخك فما ضللت » (٣) . إلا أن الشيخ التجاني في هذا يؤيد وجهة نظر القاضي الحاج سكيرج العياشي حيث قال بصراحة - إثر مشاحنات وقعت بين كبيرين من أصحابه فأثر ذلك في أتباعهما حتى رفعوا الأمر إليه - : « من يعرفني يعرفني وحدي » (٤) .

لعل هذه النزعة الاستقلالية الظاهرة في حركة الشيخ إبراهيم هي التي جرت له الانتقاد الشديد من قبل المنافسين له من إخوته حيث وصموه بإفساد الطريقة التجانية وتشجيعها بما ليس فيها وقد صرح بذلك في رسالة له كتبها إلى أهل مدينة فاس : « واعلموا أنني على صغر سني وقصور علمي وضعفي في الدين أوديت في الله حق الإذابة ورموني بالكفر والتفسق وتحليل الحرام وقطع الأرحام وإفساد طريقة الشيخ

٢ - انظر الذي أرسل به عقب عودته من الحرمين .

٤ - انظر نفس المصدر ٧ .

١ - انظر كاشف الالباس ٤٠

٣ - انظر رسالة النجاة من الضرر ٩

بإدخال ما ليس فيها وإفراء الكذب على الله والسحر والجنون وهلم جرا» (١) .

هذا كله خلاف للقاضي سكبرج العياشي الذي يذهب إلى أنه يجب أن يكون المربون في الطريقة التجانية مستورين لا يعثر عليهم إلا أفاذا قليلون ممن كان لهم الاستحقاق لهذا الشأن ، وبالتالي يرى أن الأخذ بيد الكثير من المريدين في التربية لا يؤدي إلا إلى إلقائهم إلى التهلكة ويقول في هذا الصدد : « المتصدر للشيخوخة والأخذ بيد الكثير من المؤمنين الذين لم يصيروا معه على حال مع أنهم كانوا في غنى عنه بعدم التقيد بجبل عهده وكانوا بأداء فرائضهم دون سيطرته عليهم في سلامة في قربه وبعده ، كما يجد هذا من نفسه من عامل الله صادقا ومن اختبر نفسه واختبر ماعليه المريدون لا يدخله ريب فيما قلناه » (٢).

ويقول أيضاً : « لو أنكرنا من عندياتنا على من قام يدعى أنه شيخ تربية في هذا الزمان وبعده بل وقبلة بزمان مضى وأتينا في هذا البساط بالدليل لقام علينا بالكبر كل من ادعاها من كبير أو صغير ولو وجد أعواناً وأنصاراً ممن على شاكلته يؤيدون مقالهم ليتأتى لهم ولمن حام حول حماهم ادعاء الحصول على مقامها » (٣).

هذا يفضي بنا إلى ظاهرة هامة يجب أن لا نغفلها في هذا الصدد وهي أن الشيخ سكبرج لا يعرف بوجود هذه الفيضة التي يدعيها الشيخ ابراهيم إنياس ولا يعرف صاحبها الذي تظهر على يده ولا وقت ظهورها وطبيعتها إذا ظهرت وهكذا .

رابعاً : - لقد قرر الشيخ أحمد زروق أن التربية بالاصطلاح قد انقطعت منذ سنة ٨٢٤ هجرية ولم يبق إلا الافادة بالهمة والحال وانكر ذلك عليه الشيخ ابن عجيبة الحسي في شرح المباحث الاصلية وانكر عليه أيضاً الشيخ المختار الكنتي في كتاب جنة المريد وأيدهما الشيخ ابراهيم (٤) .

ولكن الشيخ سكبرج العياشي يخالفهم جميعاً ويؤيد زروق تأييداً تاماً وذهب إلى أن التربية بالاصطلاح قد ارتفعت بنص مقرر من المشايخ المعبرين عمدة لهذا الشأن وأن

١ - الشيخ ابراهيم إنياس : جواهر الرسائل ١٩/١

٢ - انظر تنبيه الإخوان ١٠٧

٣ - انظر كاشف الإلباس ٤ وذيله ٢ .

٤ - نفس المصدر ٣٤

من ادعى وجود التربية بالاصطلاح في الطريقة التجانية أو في غيرها من الطرق كان مثله مثل من مرّ بين يدي المصلين عامداً لأنه خرق صفوف ذوي الكمال العارفين بأحوال الرجال ، وقرر جراء ذلك أن التربية في الطريقة التجانية من أصل وضعها إنما تكون بالهمة والحال ، لا بالاصطلاح ويقول في هذا الصدد : إن الطريقة التجانية طريقة سلوك وتربية بالهمة والحال ووردها الخاص بها كفيل بالترقية « (١) .

وقال أيضاً : « ان الشيوخ نصوا على انقطاع التربية بالاصطلاح لانغلاق بابها في وجه المدعي ، ولم يبق إلا شيخ الترقية بالهمة والحال في طرق الشيوخ المقتدى بهم بشروط مقررة كل من خلا من واحد منها فهو مدع يستحق النكير عليه » (٢) وقال أيضاً : « وأما شيخ الطريقة وهو المربي بالهمة والحال مثل هذه الطريقة الأحمدية التجانية فهي طريق ترق وتربية بالهمة والحال من الشيخ أي التجاني ولو بواسطة أو وسائط إلى يوم القيامة » (٣) .

هذا رأي القاضي سكبرج العياشي في انقطاع التربية بالاصطلاح وقد سئل الشيخ التجاني عن ذلك فأدلى باجابة تؤيد وجهة نظر سكبرج من جهة كما تؤيد حركة الشيخ ابراهيم التربوية من جهة أخرى جاء في كتاب (الجامع لما افترق من درر العلوم الفائض من أسرار القطب المكنوم) للسيد محمد بن المشري أحد كبار أصحاب الشيخ التجاني . قال : « سئل وسيلتنا أي الشيخ التجاني عن قول القطب سيدي أحمد زروق انقطع شيخ التربية وعن قول سيدي ابراهيم التازي في قصيدته اللامية .

وقد عدم الناس الشيوخ بقطرنا وأخرهم شيعخي ومعظم إجلالي
وقد قال لي لم يبق شيخ بغربنا وذا منذ أعوام خلّسون وأحوالي

فقال : « هذا كان في سنة أربعة وعشرين من القرن التاسع ، وأما الآن فما بقي إلا الإفادة بالهمة والحال ، لكون الله تعالى سامع النفوس فيما تخوض فيه ، وغفر لها ، ومع هذا يقع لهم الفتح والوصول ، مع أن الأوائل كانوا لا يسامحون التلميذ في أقل

١ - القاضي سكبرج العياشي : تنبيه الإخوان ١٢٩ ٢ - القاضي سكبرج العياشي : نفس المصدر ٣٤

٣ - القاضي سكبرج العياشي : نفس المصدر

قليل ولو وقع منه فلتة لطردوه إلا أن تدركه عناية إلهية يعامل بالتوبة ، غير أهل هذا الوقت فلمنهم يسامحون في الأمور العظيمة ، ولم يقع لهم طرد فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء كما شاء من عبادة ، يختص برحمته من يشاء ، لا يسأل عما يفعل ، لا لعله سبقت ولا لأجل مانع بل بمحض الفضل والجود والكرم » (١).

هذا والناظر إلى العبارات السابقة المقتطعة من كتاب تنبيه الاخوان للقاضي سكيرج قد يذهب إلى أنه كان يعرض في كلامه بالشيخ ابراهيم وحركته ، كلا فإنه لا يعرض به لأن الطبعة الأولى من الكتاب قد ظهرت والشيخ ابراهيم انياس في التاسع عشر من عمره ، سيما وقد صرح سكيرج بأنه ألف الكتاب رداً على رجل آخر إلا أنه جد ممكن أن يكون الشيخ ابراهيم ملماً بالكتاب وبما يحتوي عليه من الآراء ، وكان جراء ذلك على وعي تام بالخلاف الدائر بينهما في وجهة النظر حول مسائل كثيرة في الطريقة خصوصاً إذا نظرنا إلى أن الشواهد تدل على أن سوء التفاهم كان يلمح من ستار شفاف بينهما في أول أمر الشيخ ابراهيم ، وإن كان ذلك قد زال تماماً فيما بعد ، وقد ناقشنا ذلك بشيء من التوسع في محله » (٢).

التربية عند الشيخ ابراهيم انياس

هذه وجهة نظر شيوخ التجانية السابقين تجاه التربية في الطريقة التجانية وأما الشيخ ابراهيم فإنه يرى أن التربية تبتدىء من يوم انتبه المريد من نوم غفلته ، وهذا الانتباه عبارة عن تفقد المريد أحوال نفسه ، والنظر إلى علاقته مع خالقه ، فيدرك أن الحضرة الإلهية تطالبه بتحقيق العبادة لها بإخلاص ، كما تطالبه في نفس الوقت بملازمة التقوى في الظاهر والباطن ، حتى إذا تم له ذلك ، يبدأ بالبحث عن الوسيلة التي يتوصل بها إلى الله تعالى ، وهذه الوسيلة في رأيه تدور على ثلاثة أقطاب : -

الأول : متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل .

٢ - انظر هذا البحث صفحة ١٢٠ .

١ - السيد محمد بن المشرى : الجامع .

الثاني : ملازمة الذكر بالإذن الصحيح من الكمل .

الثالث : مصاحبة العارف بالله .

فلماذا تم للمريد كل هذا تعظم رغبته في الانخراط في سلك الطريقة التجانية ،
فبذلك يحصل له كمال اليقظة ولم يبق له بعد ذلك إلا الفرار من النفس ، وهوها ،
والدنيا والشیطان إلى الله ، والفرار إلى الله هو الفرار إلى كمال العصر ، فيأتي إلى خليفة
الشيخ التجاني الذي ورث أسرارہ ، وينسلخ من جميع إرادته ويتأدب ظاهراً وباطناً
ويلتزم الوفاء بكل ما أُلقي إليه من الشروط باعتقاد صحيح سليم من الانتقاد والإعراض
والسؤال بلمّ وكيف والحاصل أن كل من كانت هذه حاله يجب عليه أن يلقي نفسه
بين يدي هذا الخليفة الكامل العارف بالله كالميت بين يدي غاسله لا حركة له إلا
بتحريكه إياه ، ولا إرادة ولا اختيار ، وليس له إلا الطاعة العمياء والسكوت التام ،
فيأخذ عنه الورد اللازم للطريقة التجانية وهو الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ولا إله إلا الله ثم آيات قرآنية يحتم بها ، ويداوم على هذا الورد بالغداة
والعشي وهذا أول قدم يضعه المريد في التربية بالطريقة التجانية ثم قرر أيضاً أن هذه
التربية في الطريقة التجانية تقوم على أسس ثلاثة وهي :

١ - إقامة الصلوات الخمس بشروطها المشروطة .

٢ - وإدامة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم آتاء الليل وأطراف النهار .

٣ - التزام الورد التجاني اللازم من دون الترام خلوة ولا مجاهدة كبيرة ولا غير
ذلك من وجوه الرياضات المعروفة في اصطلاح من بعد الصدر الأول .

فإن المريد إذا داوم على ذلك على الوجه الموصوف فإن فتحه يكون على ضربين :

الأول : أن يفاجأه الفتح أو يهجم عليه هجوماً مباغتاً .

الثاني : أن يمن الله تعالى عليه برفع الحجاب عن عيني قلبه فيصير يجتمع بروحانية
الشيخ التجاني أو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا تكون تربيته إما من
طريق الاستفاضة من أحدهما أو منهما معاً .

وهذا الفتح يحصل للمريد على حسب صدقة في الطريقة فالصادق ربما قطع العقبات في لحظة أو ساعة أو يوم أو يومين أو قليل من الأيام ، ومنهم من يقطعها في شهر أو في سنة أو سنتين أو سنين ، ومنهم من يقطعها في سبعين سنة ، وذلك كله بحسب الصدق .

والصادق في الطريقة التجانية على حد تعبيره هو من أراه الله الورد اللازم للطريقة التجانية ، هو أكبر الأسرار والشيخ التجاني عين السر فلا ينشوق إلى الغرائب والغيوبات ، فإن حصل هذا الصدق قطع المقامات آمناً من العثرات في أسرع مدة ممكنة ، والمقامات هي لإسلام وإيمان وإحسان ، أو إن شئت فقل شريعة وطريقة وحقيقة ثم أن هناك تسعة منازل كل مقام يختص بثلاثة منازل : مقام الإسلام يختص بالتوبة والاستقامة والتقوى ، ومقام الإيمان يختص بالصدق والاخلاص والطمأنينة ، ومقام الاحسان يختص بالمراقبة والمجاهدة والمعرفة .

وقد شرح هذه المنازل بقوله وحقيقة التوبة من التوبة ، وحقيقة الاستقامة البقاء بعد الفناء ، وحقيقة التقوى عدم خطور السوي بالخاطر ولو لحظة ، وحقيقة الصدق لإفراد الوجهة إليه ، وحقيقة الإخلاص أن ترى أن العمل لا منك ولا إليك ولا لك ، وحقيقة الطمأنينة أن لا تمنى زوال ما كان ، ولا وجود ما لم يكن ، وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائماً ، وحقيقة المشاهدة رؤية الحق عياناً ، وحقيقة المعرفة شهود الكمال الذاتي .

ثم صرح أخيراً بما يفيد أن هذا الذي رتبته لإنما هو طريقته الخاصة للتربية ، ولم ينقله عن أحد ، وإنما أنزله الله على قلبه لإنزالاً من طريق الوارد (١).

وهذا الانتباه من نوم الغفلة يقتضي للمريد الفرار من النفس والشیطان والدنيا إلى الله ، وهذا يوجب له أن يطلب شيخاً محققاً مرشداً ، الذي انتهى من تأديب نفسه وتخليصها من الهوى ليصاحبه ويسلم إليه نفسه ، ويلتزم طاعته ، والانقياد إليه ، في كل ما يشير به عليه من غير ارتياء ، ولا تأويل ، ولا تردد ، لأن القاعدة المطردة عند القوم تقول إن من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان .

١ - الشيخ إبراهيم إنياس : السر الأكبر الورقة الثانية كاشف الإلباس ٥٩

وهذا الشيخ يجب أن يكون شيخاً واصلًا ، وولياً كاملاً دل الله المرید عليه ، وأطلعہ علی ما أودعه من الخصوصية لديه ، فطوى عنه شهود بشريته في وجود خصوصيته ، فلقى اليه قياده ليسلك به سبيل الرشاد ، ويعرفه برعونات نفسه في كمائنها ودفائناتها ويدله على الجمع على الله ، ويعلمه الفرار عما سوى الله ، ويسايره في طريقه حتى يوصله إلى الله ، ويوقفه على إساءة نفسه ، ويعرفه بإحسان الله اليه ، فيستفيد من معرفة إساءة نفسه الهرب منها وعدم الركون إليها ، ويستفيد من العلم بإحسان الله اليه الإقبال عليه والقيام بالشكر اليه ، والدوام بين يديه على عمر الساعات .

وأنت ربما تشعر بصعوبة الحصول على هذا الشيخ ، ولذلك عرفك بشخصيته ثم نفحك بعلامات يمكنك أن تستدل بها على العنور عليه ، وقال : « الشيخ الواصل هو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية ، نظراً عينياً ، وتحقيقاً يقينياً ، وبإمكانك أن تقف عليه بسهولة إذا كنت صادقاً في طلبه ، لأنه يهديك لأنه يهديك بأخلاقه ، ويؤدبك بإطراقه ، وينير باطنك بإشراقه ، ويجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، بحيث تشهد له ذاتك بالتقديم ، وسرك بالتعظيم ، لأنه جمع علماً صحيحاً ، وذوقاً صريحاً ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة نافذة .

ولما رأى أن الشيوخ انقسموا إلى شيخ التعليم ، وشيخ التربية ، وشيخ الترقية ، وفهم أنه ربما يلتبس الأمر على المرید فيذهب إلى أن شيخ التعليم هو المقصود بهذا الأمر الجسيم وليس هو بين له الأمر على وجهه حيث صرح بأن الشيخ التعليم ليس هو المعتبر وإنما المراد هو شيخ التربية فقال :

« ليس شيخك من سمعت منه وإنما شيخك من أخذت عنه .

وليس شيخك من واجهتك عبارته ، وإنما شيخك الذي سرت فيك إشارته .

وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، وإنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب .

وليس شيخك من واجهك مقاله ، وإنما شيخك الذي نهض بك حاله .

شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى .

شيخك هو الذي ما زال يحاو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك .

شيخك هو الذي نهض بك إلى الله فنهضت إليه .

شيخك هو الذي سار بك حتى وصلت إليه .

شيخك هو الذي لازال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه .

شيخك هو الذي زج بك في نور الحضرة فقال لك ها أنت وربك .

وهذا النوع من الشيوخ هو الذي تشق المهامه من أجل طلبه لأنه هو الذي نال كمال الاذن من الحق سبحانه إذناً خاصاً في هداية عبيده ، وتوليته عليهم بارشادهم إلى الحضرة الإلهية ، وهذا الشيخ هو المعبر عنه عند القوم بالكبير ، ومتى عثر المريد على من هذه صفته فالواجب عليه أن يلقي نفسه بين يديه كالليت بين يدي غاسله لا اختيار له ولا إرادة ولا إعطاء له ولا إفادة ومتى أشار إليه بفعل أو أمر فليحذر من سؤاله بلم وكيف ؟ وعلام ولاي شيء ؟ فإنه باب المقت والطرد وليعتقد أن الشيخ أعرف بمصالحه منه ، وأي مدرجة أدرجه فيها ، فإنه يجري له في ذلك كله على ما هو الله بالله بإخراجه عن ظلمة نفسه وهواها .

والشيوخ المتصفون بهذه الصفات كثيرون ، وأغلبهم في المدن الكبار فإنها مقرهم ، وأما معرفتهم والاتصال بهم فإنه عسير ، أغرب وجوداً من الكبريت الأحمر ، لأنهم اختلطوا بصور العامة ، وأحوالهم ومن سألهم عن هذا الحال نفروه وطردوه وحلفوا له ما عندهم من هذا الأمر شيء والعلة الموجبة لهم بهذا أنه قد فسد نظام الوجود بمشيئة الحق سبحانه وتعالى التي لا منازع لها ، وليس لكل آدمي إلا السعي في أغراضه وشهواته ، بالاعراض عن الحضرة الإلهية ، وما تستحقه من توفية الحقوق والآداب ، وليس للعامة في هذا الوقت من السعي للأولياء إلا لأغراض فاسدة يريدونها من التمتع بالدنيا ، ولذاتها وشهواتها (١) .

ويجب على المريد إذا من الله عليه بالوصول إلى هذا النوع من الشيخ أن يلزم الأدب ، وهو أن لا يمشي معه وفي رجله نعل ، وأن لا يلبس شيئاً من الثياب التي تدل على الرفاهية إلا باذنه له لعذر ، ولا ينام معه في بيت واحد ، ولا يصق ولا يتمخط ولا يمد رجله ولا يكثر الالتفات بحضرته ، ولا يجلس على بساطه ولا يتنفس

نفساً إلا بإذنه ، ومعنى كل هذا أن يطيع المريد هذا الشيخ طاعة عمياء ، ولا يخالفه في شيء ، لأنه من يخالف شيخه سراً أو جهراً لا يشم رائحة الصدق ، فإن صدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه الشيخ إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه .

ومن الآداب المطلوبة أيضاً احترام كل ما ينسب إليه ولو كلباً ، وحب مريده ، وقرابته ، وأحبابه ، ومحبوباته ، حتى من المطاعم والملابس ذلك لأن كل تعظيم واحترام لهذا النوع من الشيوخ فهو لله على الحقيقة .

ويجب على المريد أن يستحضر النية في قلبه عند ملاقاته مع هذا الشيخ وكذلك عندما يسمع شيئاً منه ، وإذا امتحنه وجب عليه أن يثبت تحت مرارة امتحانه حتى يكون الشيخ هو الذي ينقذه من سجن الامتحان ، كما أن علم المريد بأن امتحان الشيوخ هو عين المنة يسهل له احتمال مضض امتحانهم .

ثم إنه يجب على المريد أن يعلم أنه لا بد من صدور أربعة خصال من هذا الشيخ وهي الأذى ، والاكرام ، والإساءة والإحسان فيقابل :

١ - أذاه بالصبر لا بالجزع .

٢ - وإكرامه بالثناء من دون إطراء .

٣ - وإساءته بالعذر من غير نزاع ولا ازدراء .

٤ - وإحسانه بالموافقة من غير توقف .

ويستحب للمريد أن يتبرك بثياب الشيخ وفضل وضوئه وريقه الشريف ، وعرقه ودابته ، وإناء شربه ، ومواضع صلاته ، وخلواته ، ويعتقد أن فيها تأثيرات في دفع الأدواء الجسمانية والاسواء الروحانية .

هذه التربية التي يقوم بها هذا الشيخ لا تنقطع أبداً لأن الله تعالى قبل أن يبعث سيدنا محمداً عليه صلوات الله وسلامه كان يرسل الأنبياء بالتربية ، فكان كلما خلا رسول يأتي بعده آخر بالتربية من الله تعالى ولما بعث الله خاتم الرسل والأنبياء صار يبعث الأولياء الكاملين أولي الإذن الخاص بهذه التربية ، فكما مضى ولي عارف

كامل مرشد جاء بعده آخر وهلم جرا ، إلى أن يرث الأرض خالفها ، ومصدق ذلك أن الأرض قد بكت حينما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا لمحي وسيدي صرت بوفاة خاتم أنبيائك لا يمحي على ظهري نبي إلى يوم القيامة ، فأوحى الله تعالى إليها أن اصبري فسأجعل على ظهرك من هذه الأمة عباداً لي كانت قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تخلين منهم إلى يوم القيامة (١).

هذا موجز رأى الشيخ إبراهيم انياس في التربية الصوفية بالطريقة التجانية وإذا أمعنا النظر فيه ندرك أنه كان متردداً بين رأى الكتاب التجانيين الذين أبدوا رأى الشيخ زروق الجازم بانقطاع التربية الصوفية بالاصطلاح انقطاعاً كلياً وبين رأي بعض الشيوخ المتصوفين غير التجانيين شددوا الكبير على الرأى الذي يقرر انقطاع التربية بالاصطلاح ذلك لأننا قد قررنا في الفقرات السابقة أن السيد عبيدة بن محمد الصغير ابن أنبوجة الشنقيطى قد حاول أن يأتى بنظام مضبوط للتربية في الطريقة التجانية إلا أنه لم يستطع أن يأتى بجديد ، حيث عمد إلى كتاب الساحل الموسوم ببغية السالك ونقله نقلاً يكاد يكون كلياً ثم جاء بعده السيد العربى ابن السائح وصرح بأن الطريقة التجانية كانت خالية من أى نظام مصطلح للتربية من النوع الذى حاول أن يدخله فيها السيد عبيدة وقرر أن الورد اللازم للطريقة وحده كفى للتربية في الطريقة وليس فيها الخلوة واعتزال الخلق والمجاهدات وغير ذلك ثم جاء بعده القاضى الحاج احمد سكيج العياشى وأيده وصرح هو الآخر بانقطاع التربية بالاصطلاح وقرر أن التربية في الطريقة التجانية إنما تكون بالهمة والحال لا بالاصطلاح المعروف عند السادة الصوفية القدامى

فجاء الشيخ إبراهيم انياس بعد هؤلاء كلهم ووقف على أوجه نظراتهم المختلفة واضطربت أقواله في امر التربية بالطريقة التجانية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ، والذي يفهم من أقواله في مقدمة كتاب كاشف الالباس وكلامه في مقدمة ذيله أنه يؤيد ابن عجيبة في الفتوحات الآلهية شرح المباحث الاصلية والشيخ المختار الكنتى في كتابه جنة المرید في أن التربية بالاصطلاح لا تزال قائمة إلى ان يرث الارض ربها . وكان

مفاد كلامه ان زروق وشيخه إما إنها لا يريد ان بكلامها ظاهره واما انها غطآن (١) ثم عقد فصلا في الكتاب نفسه حيث ايد فيه رأى السيد العربى ابن السائح المصرح بأن التربية في الطريقة التجانية كانت خالية من كل صفات التربية القديمة المصطلحة ، القائمة على اساس المجاهدات والرياضيات والخلوات واعتزال الخلق وهلم جرا وإنما هي قائمة على اسس ثلاثة وهى إقامة الصلوات الخمس ومداومة الصلوات على النبى صلى الله عليه وسلم وملازمة الورد التجانى ثم كرر ذلك في كتاب السر الاكبر (٢)

ولعل الشيخين ابن عجيبة والمختار الكنتى كانا لبعد عصرهما عن عصر التربية بالاصطلاح والدراسة اندراسا يكاد يكون تاما لا يدركان حقيقته وذهبا جراء ذلك يظنان أن المراد بالاصطلاح هو هذه الالفاظ الصوفية المصطلحة مثل المقامات والاحوال ومثل القبض والبسط والهيبة والانس والتواجد والوجد والجمع والفرق والفناء والبقاء والغيبة والحضور والصحو والسكر والذوق والشرب والمحور والاثبات والستر والتجلى والمحاضرة والمكاشفة والمجاهدة والمعاينة وهلم جرا كما يدل عليه مضمون رد ابن عجيبة لتصريح زروق بانقطاع التربية بالاصطلاح ، بل إن القارئ ربما يتعجب إذا رأى كيف اساء الأول فهم عبارة الثانى مع وضوحها وخلوها من التعقيد والغموض حتى على غير الصوفي سيما شيخ جليل من الشيوخ المتصوفين مثل ابن عجيبة ، وإلا فإن الشيخ زروق لا ينكر - فيما نقل عنه ابن عجيبة ، نفسه وجود التربية الحرة المطلقة ، ولا استمرارها إلى ما شاء الله ، كما أنه لا ينكر وصول السالك أيا كان إلى الحضرة القدسية أو حضرة الطمس والعمرى كما كانوا أحيانا يقولون وإنما ينكر وجود هذه التربية بالاصطلاح الذي كان يعرفه ربما أكثر من كل من انكر عليه . (٣) بل ربما كان إنكار الشيخين لرأى زروق في انقطاع التربية بالاصطلاح ليس مبنيا على أساس جهلها بحقيقة الاصطلاح الذي يهدف إليه وإنما كانا مدفوعين إلى الإنكار بضرورة أن تأييدها لرأيه قد يفضي إلى هدم شخصيتهما ، كشيخى تربية

١ - الشيخ ابراهيم إنياس : نفس المصدر ٤

٢ - الشيخ ابراهيم إنياس : نفس المصدر ٥٨

٣ - الشيخ احمد بن عجيبة : الفتوحات الإلهية بحاشية ايقاظ الهمم ١٢٦ .

إن ربما يسمى المريدون فهم المراد بانقطاع التربية الاصطلاحية ويذهبون إلى أن التربية قد انقطعت انقطاعاً يكاد يكون كلياً ، حيث لا يكون لها وجود البتة ، وبالتالي لا وجود للشيخ الذي يقوم بها ، سيما أن زروق قد أكد كلامه بما يؤهم ذلك حيث أخذ بلحيته وقال لا شيخ بعد هذه اللحية يريد نفسه (١)

ولا غرو اذن والحال هذه أن يعيل الشيخ ابراهيم انياس إلى رأي الكنتى وابن عجيبة لأنه كان مدفوعاً إلى ذلك بمثل دافعها إذ أنه لو لم يؤيدسها لوجب عليه أن يترك التربية للورد اللازم للطريقة التجانية ويصير موجهاً أو ممتحناً بحكم مقدميته في الطريقة فحسب ، هذا على رأي السيد العربى ابن السائح (٢) ولا يستحق حتى لقب الشيخ فضلاً عن قطب أو غوث على مقتضى رأى القاضى سكيرج العياشى لأن التربية في الطريقة التجانية كما يصورها تقوم بهمة الشيخ التجانى وحاله في حياته وبعد مماته ، بل إن الشيخ التجانى لا يموت في عقيدة القاضى سكيرج فجميع المقدمين في الطريقة يعتبرون وسائط ليس إلا ، ولذلك لا تلقن الطريقة منذ البداية الا بقصد التربية الخاصة بالورد اللازم لا غير (٢)

والشيخ ابراهيم طبعاً لا يسلم لجميع الآراء وهو يهدف إلى كل مقام يتمتع به جميع المنتهين في الطريقة الصوفية بما فيهم الشيخ التجانى نفسه ، لأنه يرى حسب ما تقدم أنفاً في رأيه في التربية أن مقامه هذا جاء من الله تعالى والنبي عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى كان يرسل الانبياء بالتربية ، ولما بعث خاتم الرسل والانبياء صار يرسل الأولياء العارفين ، وروى لنا حديثاً بشر فيه الأرض بإتيان هؤلاء الأولياء واستمرار مجيئهم وبقائهم عليها إلى الابد الآباد وهو يعتقد انه منهم (٣)

وقد تلقى أصحابه وتلاميذه ذلك منه بكل إيمان وبكل اخلاص ونقلوه جراً كل مقام احتله كل امام متصوف حتى مقام الختمية التي تخص - في نظر التجانيين الشيخ التجانى وحده كما قدمنا في الفقرات السابقة .

١ - القاضى سكيرج العياشى : تنبيه الإخوان ٣٨ ٢ - القاضى سكيرج : تنبيه الإخوان ١٦٦
٣ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ٨٥

ويبدو أن الشيخ ابراهيم قد فهم هو الآخر الاصطلاح هو هذه الالفاظ الاصطلاحية كما فهمه ابن عجيبة فقرر أن المريد التجاني السالك في التربية يقطع مقامات ثلاثة ، وكل واحد منها يقع دون ثلاث مراحل لا بدله من قطعها أيضا قبل الوصول إليه ، ونفسه في غضون ذلك تتطور حسب تنقلاتها من مقام إلى آخر ، ومن مرحلة إلى أخرى ، فتصير أماراة بالسوء ، ثم لوامة ، ثم ملهمة ، ثم مطمئنة ، ثم راضية ، ثم مرضية ، ثم كاملة ، وان المريد لا يحتاج في حال قطعها إلى كثرة المجاهدات النفسية ، وإنما يكفيها فقط أن يكون صادقا ، وهذا الصدق كما يصوره عبارة عن اعتقاد المريد أن الورد اللازم للطريقة هو أكبر الاسرار ، كما يجزم بأن الشيخ التجاني هو عين السر فإذا حصل له هذا النوع من الصدق يقطع المقامات في اسرع وقت ممكن حسب صدقه هذا (١)

ولكن الشيء الذي يدعوا إلى العجب والذي لا يسعنا إغفاله هنا وهو أن الشيخ ابراهيم قد صرح بأن الوارد هو الذي انبأ بهذه المقامات والمنازل التي رتبها في كتابه السر الأكبر كأنه يريد بهذا أنه لم يسمعه من أحد ، ولم ينقله من كتاب أحد ، مع انها ليست أمراً جديداً مبتكراً ، وكتب المشايخ الصوفية طافحة بذكرها وتفصيل الكلام عليها ، كما أننا لا نبعد أن يكون قد نقلها من كتاب ميراب الرحمة للسيد عبيدة الشنجيطي ، ومهما يكن من شيء فإن هذا الكلام يدل على الامور التالية : -

اولا - على صدق ما قررنا في الفقرات السابقة من ان الشيخ التجاني لم يضع نظاماً مضبوطاً خاصاً بالتربية في طريقته ، فكان من أجل هذا يلزم كل من يأنس في نفسه بقوة السمو الى مرتبة شيخ التربية من شيوخ التجانية أن يخترع لنفسه منهجاً ينهجه في تربية مریديون ثم لا حرج بعد ذلك أن ينسبه إلى التجانية ما دام هو نفسه ينتمى إليها

ثانياً - إن ورد اللازم للطريقة التجانية وحده لا يكفي في تربية المریدين التجانيين بل لا بد من إضافة بعض الاذكار الية وانتهاج طريقة خاصة لذلك مع استخدام بعض

١ - الشيخ ابراهيم إنياس : السر الأكبر الورقة الرابعة .

الوسائل التي من شأنها أن تساعد في الوصول الى الغرض المقصود .

ثالثاً - إن نظام التربية التي رسمها الشيخ ابراهيم انياس في كتاب السر الاكبر وكاشف الالباس تعتبر طريقته الخاصة به وان كانت ملفقة من عدة مصادر لأنها تمثل حقيقة مذهبه في التربية دون اى مذهب من المذاهب التجانية وغيرها، ذلك لأن التجانيين - كما تقدم - انقسموا نحاه التربية في الطريقة التجانية الى قسمين قسم ينكر وجودها في الطريقة بناتا وقسم ينكر إنكارها وجودها ويذهب الى انها موجودة إلا أنها كانت تجري في الخفاء تحت ستار كثيف بحيث لا يستطيع أن يطلع عليها من ليس من أهلها .

رابعاً - إن الشيخ ابراهيم كان يعتبر نفسه شيخاً مستقلاً في آرائه ومذاهبه ولعل هذا هو مراده بأنه استلهم هذه الطريقة التربوية - التي نظمها - من الوارد بل ربما الى ذلك يهدف بقوله في وصف الفصل الرابع من كتاب السر الاكبر ولم أسلك فيه مسلك المصنفين من جلب كلام المحققين لأنه ليس موضوعاً للمستقدين بل إنما هو للمحققين المحققين المعتقدين ولا أقرر فيه إلا ما حدثني به قلبي عن سري عن ربه تعالى بارتفاع الوسائط .

وهناك أيضاً حقيقة واحدة لا يسعنا إغفالها في هذا الصدد وهي أن الشيخ ابراهيم انياس لم يتصدر للأخذ بيد المريدين للتربية والإرشاد إلا بعد صدور الإذن إليه من شيخه ومريه الحاج عبدالله بن الحاج العلوي المورتاني ، وقد جاءت هذه العبارة في صلب الإجازة « فقد أمرني شيخني ووالدي ومرشدي الحاج عبدالله بن الحاج أن أكتب لابراهيم ابن الحاج عبدالله أنه أذن له في إرشاد الخلق وتربيتهم بالقول والعمل ثم ختمها بقوله وكتب شاهداً على جميع ذلك محمد عبد الرحمن ابن الحاج عبدالله ابن الحاج عام ١٣٤٥ هـ . ٥٢ أي كان ذلك والشيخ ابراهيم في الخامس والعشرين من عمره .

الشيخ عمر بن سعيد الفتوي وقال في معرض إجابته عن سؤال وجهه اليه الشيخ أحمد ابن محمد العلوي : وأما الفيضة فأرجو من الله اليكم أن يكون المراد بها أنا العبد الفقير والامام الفاطمي رضي الله عنه ، وادعاها لنفسه أيضاً الشيخ محمد الحافظ بن خبير العلوي ، وقال في نظم له مشيراً إلى بعض أوصاف صاحبها :

هب أنني أنا الذي قد ظهرنا من الألى أمرهم قد اشتهرنا
وصاحب الفيضة آخر الزمان وفائق الرجال في علم القرآن
وأفردني في الثلاثين سنة وأيقظ القلوب بي من السنة

وإدعاها لنفسه كذلك الشيخ الحاج عبدالله بن الحاج العلوي قال إنه كوشف له عن الفيضة ورآها لنفسه وصار يطلبها في كل من وجد من التلاميذ ، ولما علم بقرب وفاته ولم تقع ، علم أنها تبقى في تلامذته فصار يكثر التقديم حرصاً على التوسط فيها وذلك سبب جولانه « (١) » .

وعلق الشيخ إبراهيم في كاشف الالباس على أجوبة الشيخ الفتوي قائلاً : « ووقفت على زيادات السيد العربي بن السائح على أجوبة الشيخ عمر حيث قال : « فقد رأينا أصحاب الشيخ الكبار الذين أدركناهم يختلفون فيها هل وقعت أم لا ؟ وكان بعض من مال إلى أنها وقعت ، يقول : هي التي وقعت ببلاد شنجيط على يد الشيخ محمد الحافظ ، وكان الآخرون يقولون إنها لم تقع لأن الشيخ قال : يدخل الناس في طريقتنا أفواجاً ولم يخص بلداً ولا إقليمياً بذلك ، والكل متفقون على أنه كان يستبعد زمنها والذي نتعقله فيما بلغنا عن الشيخ أنها إلى الآن لم تقع وإنما يكون وقوعها عند ظهور المنتظر حيث تصير الطرق طريقاً واحداً » (٢) .

هذا هو حال الفيضة التجانية قبل الشيخ إبراهيم ، وهذه أوجه نظر شيوخ الطريقة التجانية تجاهها ، ولما جاء الشيخ إبراهيم ادعى أنه هو صاحب هذه الفيضة الحقيقي ، وأن كل من ادعاها قبله فلانما ادعاها مجازاً فقط ، وألف لأجل ذلك كتابه المذكور آنفاً وقال كما سبق : « قال لي الشيخ الهمام والعارف الإمام السيد عبد الله بن الحاج

٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ٤٠

١ - الشيخ إبراهيم أنياس : نفس المصدر ٤٠

العلوي : « تأتي الفيضة على يدك حقيقة لا مجازاً ، وعلى يد غيرك من كل من يديها مجازاً ، وترى من الحسد ما لم يره أحد قبلك ، وقال لي : أنت كبير الطريقة التجانية في زمانك ، وأشياء كل قلبي عن كتبها حياء ، وهو كلامه يبرز من حسن ظنه بربه وبعباد ، وإلا فما أنا إلا عبد جان متلطف بالخرائب والاوزار » (١). ثم استمر يعدد أسماء مشايخ التجانية المورتانيين المعاصرين له الذين اعترفوا له بتسلم هذا المقام الرفيع ، وقطعوا له بظهور الفيضة على يده ، وقال : « ومن جزم بوقوع الفيضة التي ذكرها الشيخ العارف بالله السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الملقب ببدي حسان الطريق ، ومنهم السيد الأجل محمد عبد الرحمن بن الحاج العلوي المتقدم الذكر ، ومنهم الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، وأما الشيخان الأكبران الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد حافظ والشيخ محمد الأمين بن أحمد بن محمد حسان الطريق ، فما صرح كتصريح هؤلاء ولكنهما أقراناً على ما نحن عليه وحمداً الله على ما بلغنهما وأمد بالدعاء وبكل مدد متعنا الله بهما » (٢) .

ولما تم له ذلك التفت نحو الذين أنكروا عليه أن يكون هو صاحب هذه الفيضة فأنحى عليهم باللائمة وقال : « هؤلاء هم مشايخ الاسلام ورجال طريقنا فمن عداهم عيال لهم وكلهم أقرؤا بوقوع الفيضة على يد العبد الجاني جامع هذا المجموع المبارك التجاني فأنشد لسان حالي :

ما كنت أهلاً وهم رأؤني لذلك أهلاً فصرت أهلاً

ثم استمر يقول : « هؤلاء الذين وقعت فيهم هذه الفيضة شغلهم دائماً الله ورسوله والشيخ التجاني استغرقهم الشيخ استغراقاً كلياً ، فلا يفعلون إلا له وبه ، وهم القائمون بتعمير زواياه بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، بالذكر والصلاة على قدوتهم العظمى ، ووسيلتهم الأسمى ، وتتبع سنته وأخلاقه وآثاره وآدابه ، قد عيرهم أهل الغفلة الذين لم يرفعوا الشأن الامام رأساً وليس لهم من التجانية إلا مجرد الأخذ بأنهم ليسوا بالتجانيين فاستغربت ضحكاً وقلت كما قال الشاعر المعري :

إذا عير الطائسي بالبخل ما در وعير قسا بالفهاهة باقل

١ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤٣ . ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤٤ .

وقال السها للشمس أنت صغيرة وقال الدجى للبدر ضوءك آفل
فيا موت زران الحياة ذميمة ويانفس جدي إن دهرك هازل

ثم جلب آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأرغمها على تأييد وجهة نظره في المسألة وقال : « وأما الدليل من الكتاب فقد قال تعالى « ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا » (١) وقال تعالى « فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » (٢) وقال : « فَتَقَدَّرَ وَكَلَّنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ » (٣) وقال : « وآخرين منهم لما يَلْحَقُوا بِهِمْ » وقال : « إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ » (٤). وقال : « وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (٥) ثم أعقب ذلك بقوله فهنا إشارات لمن نور الله بصيرته تؤيد ما تقدم وإليك استخراجه وسلم تسلم ».

ثم طفق يأتي بالأحاديث قائلًا : وأما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيأتي زمان للعامل فيه أجر خمسين قالوا يا رسول الله منا أو منهم ؟ قال : بل منكم » (٦) وقال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن يأتي أمر الله » (٧) وعن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . وقال : « أمتي كالمنطق لا يدري الخير في أوله أم آخره » (٨). وقال : « خير أمتي أولها وآخرها وفي الوسط الكدر » (٩) وقال والذي نفسي بيده ليدركن عيسى ابن مريم في أمتي خلفاً من حواريه . « (١٠) وغير ذلك من الأحاديث .

١ - البقرة ٢ : ١٠٦

٢ - الأتعام ٦ : ٨٩ ٣ - الجمعة ٦٢ : ٣ ٤ - النحل ١٦ : ٨

٥ - لم أجده لهذا الحديث مصدراً حسب بعثي .

٦ - البخاري وأحمد عن معاوية : كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢ / ٥٢٩ .

٧ - الترمذي وأبو يعلى والدارقطني .

٨ - الطبراني يلفظ بخيار أمتي وأخر نهج أعوج ليسوا مني ولست منهم .

٩ - لم أجده لهذا الحديث مصدراً من كتب الحديث .

والظاهر أنه لاحظ أن القارئ قد يستشعر بأن الآيات والآحاديث قد أرغمت على حمل معان لا يدل عليها ظاهر ألفاظها فبادر إلى استدراك ذلك ، ونبه القارئ عليه : « وإن لم تدرك يا أخي حقائق الآيات المستجلبة والآحاديث فلا يصدنك ذلك عن تلقيها بالقبول قال شيخنا أي التجاني كما في جواهر المعاني : « فعليك بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنة ، إن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن لظاهر الآية أو الحديث مفهوماً بحسب النام وتفاوتهم في الفهم ، فمن المفهوم ما جلب له الآية أو الحديث ودلت عليه في عرف اللسان ، وثم أفهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه ، إذ قد ورد في الحديث النبوي أن لكل آية ظاهراً وباطناً وهدى ومطلعاً إلى سبعة أبطن وإلى سبعين .. » (١) فافهم يا أخي ولا يصدنك عن تلقي هذه المعاني الغريبة عن فهم العموم من هذه الطائفة الشريفة قول ذي جدل ومعارضة » (٢).

ثم تسلي في خاتمة مطاف كلامه في الموضوع بذكر طائفة كبيرة من المشايخ الصوفية الذين اجتازوا امتحان تحمل انكار المنكرين ونقد الناقدين واضطهاد المضطهدين وقال بعد أن نقل كلام أئمة التصوف : « إذا تحرر هذا وثبت فهمه في ذهنك فاعلم أن الرجل مبتلى على حسب دينه ، فلكل نبي وصديق عدو فقد كان لآدم إبليس ، ولداوود جالوت ، ولإبراهيم نمرود وهلم جرا (٣) .

ولكن يجدر بنا أن نرجع قليلاً لنلقي نظرة ولو عابرة تلقاء ما يذهب إليه الشيخ في كاشف الإلباس من تفسير صاحب الإفادة للفيضة وإجابة الشيخ عمر الفتوي على شأنها وتعليق السيد العربي بن السائح على الإجابة الفتوية كي نستخرج من مضمون كل ذلك أموراً كانت على جانب من الأهمية تجاه هذا الموضوع ، إذ عليها تنبئ أكثر المعاني التي تأتي في الفقرة التالية من هذا الباب .

١ - الشيخ إبراهيم أنيس : كاشف الإلباس ٤١ .

٢ - بحث في جواهر المعاني ولم أعثر على هذا الكلام وربما كان موجوداً في بعض الصفحات فراغت عنه البصر ولكن الحديث موجود في الجزء الأول من كتاب أحياء علوم الدين للقرطبي في صفحة ٩٩ وكذلك أيضاً جاء في كتاب سر الأسرار للشيخ عبد القادر (٢٠) .

٣ - الشيخ إبراهيم أنيس : نفس المصدر ٤٩ .

- ١ - إن معنى هذه الفريضة هو كثرة الفتح على اتباع الطريقة التجانية .
- ٢ - إن من علامات وقوعها دخول الناس في الطريقة التجانية أفواجا في وسط شدة وضيق .
- ٣ - إن زمن وقوعها بعيد عن عصر الشيخ التجاني حسبما فهمه أكثر أتباعه من سياق كلامه .
- ٤ - إنها على رأي السيد العربي بن السائح لا تقع إلا عند ظهور المهدي .
- ٥ - إن صاحب الفريضة ليس شخصاً واحداً لإقرار الشيخ عمر الفوتي بها لنفسه وللإمام المهدي الفاطمي المنتظر (١).

١ - انتشرت بين المسلمين - بعد انحراف الحكم فيهم عن طريق العدل - فكرة ظهور المهدي المنتظر فظهرت أولاً بين طائفة الشيعة من العلويين والعباسيين والملويون يزعمونه منهم والعباسيون يزعمونه منهم حين آل الأمر إليهم ولهم فيه أحاديث مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد استوفى ابن خلدون في مقدمته الكلام عليها وأثبت فيها ضعف أسانيدنا ولكنها مع هذا اشتهرت بين جمهور العامة حتى تناقلوها فيما بينهم أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبهم المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة على أثره ثم ينزل عيسى عليه السلام من بعده فيقتل الدجال . وقيل إنه ينزل معه ويساعده على قتله ويأتيه به في صلاته وذكروا أن اسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم وأن اسم أبيه يوافق اسم أبيه (أنظر كتاب المجددون في الإسلام) وعلى أي حال فقد اهتم علماء القرن العاشر الهجري بأمر المهدي وألفوا في ذلك كتباً ومنهم الحافظ السخاوي في كتاب ساء (ارتقاء الغرف) ومنهم ابن حجر الميمني في كتاب ساء (القول المختصر في أحوال المهدي المنتظر) ومنهم الشريف نور الدين السهودي في كتاب ساء (جواهر المقدين في فضل الشريفين) ومنهم السيوطي في كتاب ساء (المرو الوادي في أخبار المهدي) ومنهم الشعراني في كتاب (اليواقيت والجواهر) في بيان عقائد الأكابر (وأفراد الشريف البرزنجي له باباً واسعاً في كتاب) الإضاءة لأشراط الساعة « وكذلك الشربنجي في كتاب (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار) ومن هؤلاء أخذ الشيخ عثمان بن قودين مواد كتبه في ظهور المهدي وأشراط الساعة .

هذا موجز تاريخ فكرة المهدي عند عامة المسلمين قبل الشيخ التجاني ولما جاء أخبر أتباعه بأن المهدي إذا جاء يأخذ عنهم بعد موته ويكون أحماً لهم في الطريقة أنظر الباب الأول من هذا الكتاب =

٦ - إننا إذا جمعنا كلام القوي وابن السائع حسب ما جاء في كاشف الالباس نخرج بنتيجة أن المهدي المنتظر هو صاحب الفيضة الحقيقي وأن كل من ادعاها فلانما ادعاها مجازاً فقط .

٧ - إن شيوخ التجانية الذين سبقوا الشيخ ابراهيم والذين وصفهم بأصحاب الشيخ التجاني وخلفائه لا يعرفون حقيقة وقت وقوع هذه الفيضة ، ولا من تقع على يده ، بدليل اختلافهم في ذلك وانقسام آرائهم في أمرها إلى قسمين ، قسم يقول إنها وقعت ببلاد شنجيت على يد الشيخ محمد الحافظ ، وقسم يرى أنها لم تقع حتى الآن لأن الشيخ التجاني قال : يدخل الناس في طريقتنا أفواجا ولم يخص بلداً ولا إقليماً بذلك .

٨ - إن بعض شيوخ الطريقة الذين سبقوا الشيخ ابراهيم ادعوا هذا المقام لأنفسهم فلم تثبت لهم .

٩ - إن الطرق الصوفية كلها تنسخ وتصير مندجة في طريقة واحدة ، وهي الطريقة التجانية ، وبذلك تم الفيضة التجانية .

١٠ - إن دعوى الشيخ ابراهيم نفسه لمقام صاحب الفيضة التجانية مشكوك فيها لأنه لم يستند فيها على نص صريح من الشيخ التجاني ، وإنما اعتمد فيها على ما أخبره به شيخه الحاج عبدالله بن الحاج العلوي وهو واحد من هؤلاء الشيوخ الذين ادعوا مقام الفيضة لأنفسهم ، فلم تثبت لهم على رأى الشيخ ابراهيم ثم انه لم يقدم لنا حجة نعتد عليها في ترجيح كلام شيخه على كلام أولئك الشيوخ الذين سبقوه .

يبدو ان الشيخ ابراهيم كان متنبها لهذه الأمور ويدرك أنها قد تقف كحجر عثرة

- صفحة ٢٤ ولما جاء الشيخ ابراهيم إنياس أشار أولاً بما يفيد أنه المهدي نفسه ثم عدل عن ذلك وصرح بأنه هو شيخ الإمام المهدي ومرشده إذا ظهر انظر صفحة ٨٨ من هذا الكتاب أيضاً ولكنه للأسف مات قبل أن يبين الوقت الذي حدده لخروج المهدي في كتابه كاشف الالباس انظر مقدمة كاشف الإلباس صفحة ١٠ طبع دار البيضاء .

امام دعواه بمقام صاحب الفيضة وتشكل اعتراضاً لأدلته في تلك الدعوى، وهذا طبعاً من شأنه أن يضعف مركزه ويجعله في تناقض ظاهر ، ولذلك اندفع بحجبه عن كل نقطة الواحدة تلو الأخرى ، كل ذلك بلباقة فائقة ، تكاد لا تشعر بأنه يحجب عنها إذ جاء بها عرضاً في ضمن أدلته وأحياناً في معرض تقريره لمسألة أخرى ، واليك تفصيل ذلك .

إذا نظرنا إلى تفسير السيد الطيب السفيناني للفيضة التي رواها عن الشيخ التجاني ندرك كما سيأتي أنها مجموع أمرين هما حصول الفتح على عدد كثير من أصحاب الشيخ التجاني الذين عاشروه وعاشوا معه ، ودخول الناس أفواجا في الطريقة التجانية على أيديهم ، أي إن المراد بهذا الفتح هو كثرة دخول الناس في الطريقة التجانية على أيديهم وبذلك تتم الفيضة .

فهذا طبعاً لا يوعيده الشيخ إبراهيم في دعواه أنه هو صاحب هذه الفيضة الذي تظهر على يديه ، ولذلك حرف عبارة السفيناني وجعل معناه أن يكثر الفتح على اتباع الطريقة التجانية في آخر الزمان ، وهو يريد بالفتح هنا التربية والوصول فيها عكس معناه عند السفيناني (١) ثم ثنى بقوله : « وقد شهود في هذا الزمن من الضيق والشدة ما لم يشاهده كثير من الكبار الذين ادركناهم ، والذي وقع من الفتح كثرة في أصحاب الشيخ والمعرفة بالله والاستغراق في الله برفض كل ما سواه ما وقع في طريقتنا قط فيما أعلم منذ بروزها إلى يومنا هذا ، وذلك فضل الله يوئتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١) .

وأما عن كون علامة وقوع الفيضة أن يدخل الناس في الطريقة التجانية أفواجا فأجاب عن ذلك بكل سهولة وقال : « قد دخل الناس في الطريقة أفواجا . » (٢)

وأما عن احتمال أن يكون زمن وقوع هذه الفيضة بعيداً من عصر الشيخ التجاني فقد اعتبر أن عصره هذا زمن وقوعها المشار إليه وقال : « والحكمة في ظهور هذه الفيضة في هذا الزمان الفاسد ضعف الإيمان في قلوب الناس ، وكثرة الفرق الضالة والمضلة ، وهذه الأمة أمة مرحومة فأفيضت اليهم المعارف والحقائق ، كي يرجعوا

١ - انظر كاشف الالباس ٣٩ ثم انظر الافادة الأحمدية ٤٦ ٢ - انظر كاشف الالباس ٣٩

لأصل فطرة الايمان فافهم . (٣)

وأما عن النقطة الرابعة والخامسة والسادسة فأجاب عنها بإجابة واحدة توهم . أولا كما اشرنا إليه في الباب الثاني من هذا البحث - أنه هو الامام المهدي نفسه الذي يرفع به هذا الجور العظيم الذي خيم على العالم بأسره بسبب انتشار حضارة الأوربيين وأنه هو الذي يبطل أمرهم ابطالا تاما حتى يعيد الى العالم العدل والهدوء والرشاد ، وهكذا ثم رفض هذا الرأي وتبنى رأياً آخر أشد من الاول صرامة ، حيث صرح بأنه هو شيخ الإمام المهدي ومرشده بحيث لا يتصرف الإمام المهدي إلا في حدود إذنه وحير رضاه ، (٤) هذا كله بعد أن حدد وقت ظهور المهدي وعيسى عليه السلام تحديدا دقيقا (٥) .

والشيخ ابراهيم بهذا طبعاً يشير إلى انه هو صاحب الفيضة أولا وأخيراً وأن أمره سوف يستمر الى الظهور المهدي ونزول عيسى وأنه هو المحور الذي تدور عليه جميع أمورهما وبذلك تتم فيضته .

ثم جاء الى النقطة السابعة التي تقترح أن اصحاب الشيخ التجانى أى شيوخ طريقته لا يعرفون حقيقة وقت وقوع هذه الفيضة ولا من تقع على يده ، وأثبت ذلك وقال كما تقدم : « وهذه الفيضة التي ذكرها شيخنا قد تكلم أصحابه وخلفاؤه وورثة أسرارها بعده عليها وكثير منهم ادعاه لنفسه فوق في كلامهم اضطراب . (١) » وهذا بعينه هو الجواب عن النقطة الثامنة .

وأما عن النقطة التاسعة فيقول : « ولعل معنى نسخ الطرق هو عدم وجود من يقوم بالتربية فيها . » (٢)

وأما عن النقطة العاشرة والاخيرة فلم يكتف بما أخبره به شخه فحسب بل أورد أسماء جماعة من المشايخ العرب المورتانيين الذين أقروه على دعواه واعترفوا له بوقوع هذه الفيضة على يده ، ثم دعم ذلك بما جلبه من أشعارهم في مدحه هو وفيضته ثم سلى

١ - انظر كاشف الالباس ٤١ ٢ - انظر مجموع الدواوين ١٢٩ ٣ - مقدمة كاشف الالباس ١٠ .
٤ - انظر كاشف الالباس ٤٠ ٥ - انظر كاشف الالباس ٤٠

نفسه أخيراً عن ما يجده من مرارة انكار المنكرين عليه بذكر طائفة كبيرة من المشايخ
الصوفية الذين اجتازوا امتحان تحمل انكار المنكرين ونقد الناقدين واضطهاد
المضطهدين وهلم جرا (١)

هذا وقد جاء في قصيدة الياقوتة الفريدة في المناقب الطريقة التجانية ،
لشيخ محمد بن فتحا بن عبد الواحد السوسي النظيفي ما يويد ظاهره الشيخ إبراهيم
في دعواه إذ يقول فيها

تدوم وتبقى مع دهور طويلة وفي آخر الزمان يأتي بفيض
فيدخلها الورى أفوايج رغبة لما شاهدوه من لوائح وصلة
تعود إليها فيه كل الوسائل كما ملل غدت إلى الحنفية

(فيأخذها المهدي عند ظهوره) (لدى من له الإذن الصحيح بطيبة) (٢)

ولكنه قبل هذه الايات التي تشير بكل جلاء إلى ان الفيضة التجانية سوف تأتي
في آخر الزمان وان الامام المهدي يكون من رجالها - قال البيت التالي في نص القصيدة
المجرد عن الشرح

(وأسأل ربي أن يمن بفضله) (وفضل ورسوله علي بفيضه)
ولكن هذا البيت لم يرد في الشرح بل جاء بدله بيت آخر يضارعه في المعنى وهو
كالآتي

(عسى الله أن يفيض أحسن فيضة) (على به من بحر لدنية) (٣)

والظاهر أن المؤلف عدل الفاظ هذا البيت الأخير بعد فراغه من الشرح وأدخله
في نص القصيدة وأنت تلمح فرقا بسيطا في معنى البيتين إذ أنه في البيت الأول
يسأل الله أن يتفضل عليه بوجود الفيضة ، بينما يرجو ويتمنى من الله تعالى في البيت
الثاني أن يفيض عليه احسن فيضة من بحار فضائله اللدنية ، وفرق بين إعطاء الفيضة

١ - انظر كاشف الالباس ٤٩ . ٢ - الشيخ محمد فتحا النظيفي : قصيدة ياقوتة الفريدة ٩

٣ - الشيخ محمد فتحا النظيفي : الدرة الخريدة ١ / ٣٤ .

وبين إفاضة إذ يستطيع أن يتصرف فيها بالمعنى الأول ولا يستطيع ذلك بالمعنى الثانى ، وهل نفهم من ذلك أن الشيخ النظيفي عندما يؤلف الشرح كان يمتنى أن تغمره هذه الفيضة إذا ظهرت في آخر الزمان ويكون من رجالها أى من اصحاب صاحبها فضمن ذلك البيت هذا المعنى ؟ ثم قوى ظنه بعد الفراغ من الشرح حتى رجا ان يكون هو صاحبها الذي تظهر على يده فعدل من جراء ذلك الفاظ البيت وصاغه في قالبه الحالي ثم ادخله في نص القصيدة وهذا لاشك سؤال ليس من الميسور الاجابة عنه في هذه الآونة حتى نقف على كتابات النظيفي كلها .

ومع هذا كله فإن النظيفي لم يصرح في شرح هذه الابيات بشيء يشير الى أن هذه الفيضة تختص برجل واحد عند ظهورها أى لا يفهم من مضمون كلامه أن هذه الفيضة تظهر على يد رجل واحد من رجال التجانية وحتى الإمام المهدي إنما يفهم أن من تمام الفيضة أن يأخذ الطريقة التجانية عند ظهوره فقط وقد استدل هو الآخر على ظهور هذه الفيضة بما رواه السيد السقياني في الافادة الأحمدية عن الشيخ التجانى من قوله : « تأتي فيضة على أصحابي الخ . » كما استدل بها الشيخ ابراهيم أيضا ولكن يجب عليها أن لا يقيدا ظهور هذه الفيضة بأخر الزمان الا إذا كان لهما مصدر ظاهر ومرجع واضح يعتمد عليه غير هذه الرواية واما تصريحها بأن هذه الفيضة تأتى في آخر الزمان معتمدين على هذه فنوع من المجازفات لأن مضمون الرواية لا يدل على ان الفيضة المذكورة فيها تتعدى عصر اصحاب الشيخ التجانى الذين عاصروه وعاشروه .

ولكن ربما كان الشيخ النظيفي ينظر هو الآخر الى هذه الفضة بتلك العين التي ينظر بها اليها الشيخ ابراهيم أى إنه يرى أن الفتح ضئى أيامه لما يكثر على التجانيين بشكل يجدر أن يوصف بالفيضة التي يهدف إليها الشيخ التجانى ، وقد سبق أن نقلنا عن الشيخ ابراهيم قوله : « والذي وقع من كثرة الفتح على اصحاب الشيخ أى اتباع طريقته والمعرفة بالله والاستغراق في الله برفض كل ما سواه ، ما وقع مثله في طريقتنا قط فيما أعلم منذ بروزها الى يومنا هذا (١) »

١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٤٠

على أن رواية السيد الطيب السفيناني في كتابه الافادة الأحمدية جاءت واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض قال : « [الشيخ التجاني] تأتي فيضة على أصحابي حتى يدخل الناس في طريقنا أفواجا تأتي هذه الفيضة والناس في غاية ما يكونون عليه من الضيق والشدة . » ثم فسر ذلك بقوله : « وكان يعني بهذه الفيضة انه يفتح على عدد كثير من اصحابه وكان لا يستبعد زمنها . » (١)

ولكن للأسف مع هذا الوضوح الذي تتمتع به عبارة السيد السفيناني خالفه الشيخ ابراهيم والنظيفي حيث ذهب الى ان هذه الفيضة تأتي في آخر الزمان ، نعم ان رواية النظيفي في الدرة الحريدة لا تختلف عن رواية السفيناني في الافادة الا انه أى النظيفي أغفل تفسير السيد السفيناني لنص كلام الشيخ التجاني الذي يفيد أن هذه الفيضة تأتي في زمان أصحابه الذين عاشوا معه ولكن رواية ابراهيم في كاشف الالباس قد حرفت تفسير السفيناني في الافادة تحريفاً تاماً حيث وجهت معناه صوب ما يرمي الشيخ ابراهيم الى تحقيقه عن نفسه فحسب ، ويظهر ذلك جلياً بالموازنة بين العبارتين جاءت عبارة السيد السفيناني في تفسيره لكلمة الفيضة التي وردت في كلام الشيخ التجاني على الوضع التالي :

وكان يعني بالفيضة أنه يفتح على عدد كثير من أصحابه وكان لا يستبعد زمنها . (٢)

وجاءت عبارة الشيخ ابراهيم في كاشف الالباس على النحو الآتي « وقال صاحب الإفادة : « وكان يعني بالفيضة أن يكثر الفتح عن أصحابه وكان يستبعد زمنها . » (٣)

١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ٣٩ .

٢ - السيد الطيب السفيناني : الافادة الأحمدية ٤٦ ٣ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٣٩ .

هيا لنضع العبارتين في جدول تسهيلا للموارة

عبارة الافادة الاحمدية وكان يعنى بهذه الفيضة انه يفتح على عدد كثير
عبارة كاشف الالباس وكان يعنى بالفيضة أن يكثر الفتح

عبارة الافادة الأحمدية من اصحاب رضي الله عنه وكان لا يستبعد زمنها

عبارة كاشف الالباس عن أصحابه وكان يستبعد زمنها

واذا نظرنا إلى عبارة السيد الطيب السفينائي نرى أن معنى كلمة الفيضة عنده هو مجموع أمرين هما حصول الفتح على عدد كثير من اصحابه الشيخ التجاني الذين عاشروه وعاشوا معه ، ودخول الناس أفواجا في الطريقة التجانية على أيديهم أي إن المراد بالفتح عنده هو كثرة دخول الناس في الطريقة التجانية على أيدي اصحاب الشيخ التجاني وبذلك تتم الفيضة ، ومعنى ذلك كله هو أن الفيضة هي أن يدخل الناس في الطريقة التجاني وبذلك تتم الفيضة ، ومعنى ذلك كله هو أن الفيضة هي أن يدخل الناس في الطريقة التجانية أفواجا ، والفتح أن يكون ذلك على أيدي اصحاب الشيخ التجاني الذين عاشوا معه .

وأما معنى الفيضة في عبارة الشيخ ابراهيم فهو بكل سهولة أن يكثر الفتح على اتباع الطريقة التجانية في آخر الزمان لأنه زمان فاسد ضعف فيه الايمان في قلوب الناس ، وكثرت فيه الفرق الضالة والمضلة ، والامة التجانية مرحومة فأفيضت من اجل ذلك عليها المعارف والحقائق كي ترجع الى اصل القطر (١) وهو إذن يريد بالفتح كثرة التربية والوصول فيها خلافاً معناه عند السفينائي

وهناك شواهد تؤكد صحة الرواية التي جاءت في كتاب الافادة الاضمدية .

١ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤١ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٣٩ .

منها ان الشيخ ابراهيم نفسه قد أقر بأنه نقل تفسيره الذي اورده في كاشف الإلباس من كتاب الإفادة الاحمدية حيث قال « قال صاحب الافادة : (٢) ثم إننا لننفي ريب احتمال أن يكون التحريف إنما دخل في النسخة التي طبع منها الافادة فيمكن ان تكون النسخة التي في يد الشيخ ابراهيم هي الصحيحة قارنا بين ما جاء في نص الافادة الاحمدية مع ما جاء في كشف الحجاب للقاضي سكيرج العياشي — فوجدنا نسخة القاضي سكيرج توافق النسخة المطبوعة من كتاب الافادة الاحمدية التي في ايدينا بينما تخالف رواية الشيخ ابراهيم في كاشف الإلباس ، ولا يمكن أيضا احتمال ان يكون أنه أخطأ في النقل بمعنى انه لم يعتمد تحريف تفسير السفيناني لكلمة الفيضة لأنه قال ضراحة والكل متفقون على انه اي الشيخ التجاني كان يستبعد زمنها اي الفيضة (١) فهذا التصريح يدل بوضوح على ان هذا التحريف صدر عن وعي منه وإلا فلا معنى الإتفاق عنده إذن ؟ أو من هم هؤلاء الذين اتفقوا كلهم على ان الشيخ التجاني كان يستبعد زمن هذه الفيضة بعد ان اتفق السيد السفيناني راوي العبارة عن الشيخ التجاني والشيخ سكيرج أشهر كتاب التجانية المدافع عنها ، على ان الشيخ التجاني كان لا يستبعد زمنها ؟

ومنها ما روي عن الشيخ التجاني من انه قال : « اذا فتح الله على أصحابي فالذي يجلس منهم في البلد الذي أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك . » قال لهم ذلك بالاحد ثم قال يوم الاثنين : الخوف المذكور هو لمن أذن له من أصحابي في التصرف والتربية للخلق وأما غيره فلا خوف عليه جانبي . » (٢)

وكان السيد العربي بن السائح يرى أن ذلك هو سبب تفرق أصحاب الشيخ التجاني الكبار وارتحالهم عن حضرته مثل السيد على حرازم والسيد محمد بن المشري وقال بعد ذكر قضيتها : « وسافر عن الشيخ ممن كان حريصا على مجاورته والمقام لديه رجال آخرون يغلب على أنهم انما سافروا عنهم اي الشيخ التجاني من اجل ما ذكر .

وهذا من دون ريب من أسباب انتشار الطريقة التجانية وكثرة دخول الناس فيها

١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ٣٩ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ١٧٢

أفواجا انظر كيف انتشرت الطريقة على ييد صاحب الشيخ التجاني السيد محمد الغالي خاصة في افريقيا الغربية بواسطة مريده الشيخ عمر بن سعيد الفتوى بدرجة انه استطاع ان يؤسس أول حكومة تجانية في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى لعل ذلك هو السبب عدم ترده في غدو مقام الفيضة لنفسه عندما سأله احمد بن محمد العلوي عنها هذا ان صح ما قاله كاشف الالباس (١) « وقد لاحظ كل هذا القاضي سكبرج العياشي فقال في ترجمة السيد محمد محمد الغالي في كشف الحجاب : « فهو احد اركان طريقتنا ومن انتشرت على ايديهم بالمغرب والمشرق . » (٢)

ومنها ما روي عن الشيخ التجاني ايضا أنه قال : « إن طائفة من اصحابه لو اجتمع أقطاب الأمة المحمدية كلهم ما وزنوا شعرة مما اختص به الواحد منهم من المقامات الرفيعة والاحوال السامية وروى عنه كذلك أن عدد هؤلاء الطائفة تزيد على الستمائة وجاء عنه ايضا من طريق آخر أن عدد هم ستمائة من الانس وثلاثمائة من الجن (٣) وهذا وبإمكاننا أن نذهب حسب ما وقفنا عليه في امهات الكتب التجانية التي وصلت حتى الان- إلى ايدينا إلى ما روى هذه العبارة من اصحاب الشيخ التجاني أحد غير السيد الطيب السفياني وان كتاب الافادة هو منبعها الاصل ، ومصدرها الاول والاخير ، وأن كل من تكلم عن الفيضة التجانية بهذا المعنى فلنما استقاه من ذلك المنبع . وإذا كان الأمر كذلك فيجدر بنا أن نتساءل ونقول وهل صحيح أن الشيخ التجاني قال هذه العبارة (ثاني فيضة الخ...) وإذا صح أنه قالها فما مدى أهميتها عنده هو نفسه وعند أصحابه ومن تبعهم من شيوخ الطريقة التجانية خصوصاً أرباب القول والقلم منهم وأثر ذلك في أوساط اللاحقين بهم من الأجيال التالية ؟

فأما عن السؤال الأول فإن القاضي سكبرج قرر في كتابه الموسوم به (جباية المنتسب العاني فيما نسب بالكذب الى الشيخ التجاني) ما هذا نصه : « هذا الكتاب يعني الافادة الاحمدية مشهور بين الاخوان جامع لبعض المقالات الصادرة من الشيخ أي التجاني وأسبابها جمع فيه مؤلفها ما سمعه بنفسه من الشيخ أي التجاني مشافهة أو بلغه

١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٣٩ ٢ - السيد العربي بن السائح : بغية المستفيد ١٧٢ .

٣ - القاضي سكبرج العياشي : جباية المنتسب ٦١

على لسان من سمع منه ذلك ورتبه على حروف المعجم وقد أدخل جله السيد العربي بن السائح في بغيته وفي بعض مكانه كما فعل ذلك العلامة أكنسوس في بعض مؤلفاته مما يقول فيه غالباً بلغني عن سيدنا أي الشيخ التجاني وقد اختصرته في كشف الحجاب على وجه مناسب ، وجعلت عليه شرحاً لطيفاً سميت بالإجابة على الإفادة ، وقد اضطربت فيه أقوال المنتقدين ، ووجدوا مجالاً للقول فقالوا وتقولوا على حسب ما ظهر لهم والله حسيبهم وقد بلغني عن المقدم بصري المكناسي أنه جمع عدداً من نسخها لئلا ينتشر في يد العامة فيطلع عليها من لا يستحقها

ثم جاء في التعليق على هذا الكلام بأسفل الصفحة ما يلي : « ذكر السيد أحمد سكيرج أن السيد العربي بن السائح كان يرى أن السيد الطيب السفياي صاحب الإفادة روى بعض الكلام عن الشيخ التجاني بواسطة بعض الأصحاب ، وبعضهم لم يضبط كلام الشيخ التجاني بعينه ، فروى القدر الذي فهمه عنه ، ويصح أن يكون مقصد الشيخ غير ما فهم هذا الناقل عنه » (١) وكذلك جاء في التعليق بأسفل الصفحة ١٧٦ من كتاب كشف الحجاب للشيخ سكيرج ما نصه : « ذكر المؤلف أي سكيرج لبعض أصحابه أن السيد العربي ابن السائح صاحب بغية المستفيد كان لا يوافق على بعض ما جاء في الإفادة الأحمدية ويشك في أنه منقول بنصه عن الشيخ التجاني ولذلك كان المؤلف أي سكيرج لا يعتمد من الإفادة إلا على ما نقله السيد العربي في البغية (٢).

فبناء على هذا الذي سبق يمكننا أن نذهب إلى أن نسبة هذه العبارة إلى الشيخ التجاني مشكوك في صحتها لا سيما أن ما نقل عن الشيخ سكيرج في التعليق السابقين يدل على أنه لا يرى صحتها لتصريحه بأنه لا يعتمد في ما جاء في الإفادة إلا على ما نقله السيد العربي في بغيته ولم ينقل هذه العبارة فيها .

وأما عن السؤال الثاني فالظاهر الذي تؤيده الشواهد أن هذه العبارة ليست ذات أهمية عند أصحاب الشيخ التجاني لعدم تناولهم إياها أثناء مناظراتهم ومناقشاتهم للمسائل التي تكلم عليها الشيخ التجاني ، وسكوت أكثر أمهات كتبهم عن ذكرها

١ - الشيخ سكيرج العياشي : جنابة المنتسب ٦١ ٢ - الشيخ سكيرج العياشي : كشف الحجاب ١٧٦

والتعليق عليها ، كما يدل على قلة أهميتها أيضاً سكوت التابعين لهم من كبار شيوخ التجانية مثل الشيخ عمر الفوتي عن ذكرها في مؤلفاته وخصوصاً الرماح مع تصريح كاشف الالباس بأنه ادعاها لنفسه عندما سئل عنها ولعل سكوت الشيخ أحمد مكبرج العياشي عن ذكر هذه الفيضة حتى بالمعنى اللغوي في جميع كتبه التي وصلت إلى أيدينا مما يدل على عدم أهميتها عنده وبالتالي عدم أهميتها في أوساط شيوخ التجانية القدامى .

نعم إن الشيخ النظيفي قد اهتم كثيراً بكلمة الفيضة حتى ذكرها في أربعة مواضع في تائيته حيث صرح كلما مر بأن الطريقة التجانية تأتي بفيضة في آخر الزمان ولكنه بالأسف استدلل على ذلك في الدرة الخريدة بالعبارة المروية في الإفادة الأحمدية التي هي موضوع نقاشنا ولكن مضمون معنى العبارة كما قدمنا لا يدل على اختصاص الفيضة بالظهور في عصر متأخر جداً عن عصر أصحاب الشيخ التجاني .

والواقع أن المورتانيين من شيوخ التجانية هم الذين اهتموا بأمر هذه الفيضة ، وعنهم أخذ الشيخ ابراهيم فترة فيضته ، وقد سبق أن قررنا أن هذه الفيضة قد فشا ذكرها في بيت والده ، بدليل أنه ذكر شيخين علويين مورتانيين عاصرا والده وهما الشيخ محمد الحافظ بن خير العلوي والشيخ عبدالله بن الحاج العلوي (١) وكلاهما ادعى أنه هو صاحب الفيضة التجانية ، وقد أدركهما وهو صبي وتلميذ لأحدهما وهو الحاج عبدالله بن الحاج العلوي .

ولكن المشكلة تدور حول كلمة (أصحابي) الواردة في كلام الشيخ التجاني لأنه كثيراً ما يبشر أصحابه الذين يعاشره بما سيسبغه الله عليهم من المناقب والفضائل ، فيفهمون بطبيعة الحال أنه لا يهدف بأصحابه إلا إليهم وعندما جاء متأخروا شيوخ التجانية فرأوا هذه الفضائل والمناقب الحمة المتضمنة في البشارة ، شق عليهم أن يكون مبلغ حظهم في الطريقة أن يشتركوا مع عامة التجانيين في الفضائل العامة المخصصة لهم فحسب مع أن منهم من بلغ ما بلغ في علوم الطريقة بل منهم من يرى أنه قد أدرك أكثر بكثير مما أدركه بعض أصحاب الشيخ التجاني أنفسهم فذهبوا جراء ذلك إلى

فرض أن مراد الشيخ التجاني بأصحابه أهل طريقته قاطبة ، كي تعمهم المناقب المتضمنة في الكلمة بل ليتمكنوا من القيام بالدعاية لأنفسهم وللطريقة أيضاً ، ومن أمثلة ذلك أن الشيخ عمر الفوتي روى في رماحه عن السيد محمد الغالي أن الشيخ التجاني قال : « إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى الامام المهدي إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء » (١) وروى الشيخ النظيفي أيضاً في الدرة الخريدة عن السيد محمد الغالي أنه قال : « إن واحداً من أصحاب الشيخ التجاني قال له قد بعثت ولدي إلى معلم يعلمه فقال له الشيخ التجاني : ألا تخاف أن يذبحه الامام المهدي ؟ وقال الشيخ التجاني لم يذبحه ياسيدي ؟ فقال الشيخ التجاني إن الإمام المهدي يبدأ بذبح علماء السوء فقال للشيخ التجاني إن الإمام المهدي يذبحنا إذا ظهر ؟ فقال له له الشيخ التجاني : لا يذبحك لأنه أخ لكم في الطريقة وإنما يذبح علماء السوء ، ثم قال إذا جاء المنتظر يطلب من أصحابنا الفاتحة (٢).

القصتان كلتيهما مرويتان عن السيد محمد الغالي أحد أصحاب الشيخ التجاني المقربين إليه وأنه لفي مقدورنا ولو بالنظرة الخاطفة تجاههما أن نستنتج النقاط التالية :

١ - إن جميع الأولياء من أول الوجود إلى يوم القيامة يأخذون عن الشيخ التجاني ويدخلون طريقته وينضمون إلى زمرته وحزبه .

٢ - وأن الامام المهدي إذا ظهر يأخذ الطريقة التجانية .

٣ - وأن أخذ الإمام المهدي للطريقة التجانية يحصل على أيدي أصحاب الشيخ التجاني .

٤ - وإن ذلك يكون بعد وفاة الشيخ التجاني وانتقاله إلى دار البقاء .

٥ - إن الشيخ التجاني لا يشجع أصحابه على تعلم العلوم الشرعية إذ لا لزوم بين التعلم وبين كون الطالب من علماء السوء ولا سيما أن الشيخ التجاني لم يأمر صاحبه ذلك بأن ينقل ابنه إلى معلم آخر بحجة أن المعلم الأول من علماء السوء .

١ - الشيخ عمر الفوتي : الرماح ٢/ ٢٩ ٢ - الشيخ محمد فتح النظيفي : الدرة الخريدة ١/ ١٢٢ .

٦ - وان الامام المهدي يدرك ابن صاحب الشيخ التجاني ذلك .

٧ - إن ذبح علماء سوء يكون من المهمات التي يقوم بها الامام المهدي إذا ظهر .

٨ - وان المهدي لا يذبح التجانيين لأنه أخ لهم في الطريقة .

وأنت ترى أن في الروايتين ما يوهم أن الامام المهدي يأتي بعد وفاة الشيخ التجاني مباشرة تقريباً بحيث أنه يدرك بعض أصحابه حتى يأخذ الطريقة التجانية من أيديهم ، وهذا هو ما فهمه السيد محمد الغالي صاحب الشيخ التجاني ، ومن أجل ذلك رحل إلى المدينة المنورة ومكث هنالك منتظراً ظهور المهدي لينخرط في الطريقة التجانية على يده وقد جاء في كتاب الرماح للشيخ عمر الفتوي ما نصه : وقد أخبرني أيضاً ونحن بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة وازكى السلام بأنه إنما جاور الحرمين الشريفين لأمر منها أنه يترصد ظهور الإمام المهدي وهو حاضر لعل الله يمن عليه بأخذ الإمام المهدي هذه الطريقة على يديه وقد تركته هناك مجاوراً (١) .

ولا شك هنا في أن السيد محمد الغالي قد فهم أن الشيخ التجاني يهدف بكلمة (أصحابي) إليهم أصحابه الذين عاصروه وعاشوا معه ولما انسلخت السنون وانقرض أولئك الأصحاب ولم يظهر المهدي فهم التجانيون المتأخرون أن مراده بأصحابه أهل طريقته قاطبة .

وقد لاحظ هذا كله السيد العربي ابن السائح فقال : « الصاحب جمع صاحب ويجمع على أصحاب وصحابة والأصل في هذا الاطلاق أن يراد به من حصل له رواية ومجالسة ويطلق مجازاً على من يذهب بمذهب من مذاهب الأئمة فيقال أصحاب الشافعي وأصحاب مالك وأبي حنيفة وابن حنبل والمراد هنا الاطلاق المجازي فيشمل الاتباع وإن لم يحصل لهم معاصرة فضلاً عن الرواية والمجاورة (٢) .

١ - الشيخ عمر الفتوي : الرماح ٢ / ٤٤ . ٢ - السيد العربي : بنية المستفيد ٢٢٩ .

البَابُ التَّاسِعُ

مؤلفات الشيخ ابراهيم انياس
وأصول أفكاره وكراماته وتقديره ووفاته

مؤلفاته :

حدثني الشريف علي المورتاني عن بعض أقرباء الشيخ أنه قال : « إن الشيخ إبراهيم انياس قد مات وهو ابن خمس وسبعين سنة وخلف خمساً وسبعين ولداً ما بين الذكر والأنثى وألف خمساً وسبعين كتاباً ». ولكن ما مدى صحة هذه الرواية وهو نفسه لا يدري وأما كون الشيخ قد عاش خمساً وسبعين سنة فليس محل شك وإنما يحوم الشك حول عدد أبنائه ومؤلفاته فقط .

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ إبراهيم قد كتب كثيراً وهذا أمر طبيعي لكل من مدت الشهرة يمينها إليه في الدعوة الدينية وأحاط به طلاب الفرائد ورواد المنافع ، وكان كعبة الزائرين وقبلة المسترشدين ، إلا أن هذه الشهرة كثيراً ما تعوق عن القيام بأعمال علمية مهمة ، هذا بالضبط هو الذي حصل له حيث كانت أكثر مؤلفاته عبارة عن كراريس وكتيبات لا تتناول في الغالب إلا موضوعات تمس الطريقة التجانية والدعوة إليها ، أو منشورات عامة موجهة إلى الأتباع لغرض أو آخر أو لشرح وجهة النظر التجانية في المسائل الدينية ، وقلما تجده يتناول موضوعاً علمياً صرفاً في مؤلفاته

كما فعل غيره من الأشياخ المرشدين كالشيخ عثمان بن قودين ، والامام محمد بن علي السنوسي ، مثلاً ، بل لم يصل إلى علمي من كتبه ما ينحو هذا النحو إلا كتابين الأول الكتاب الذي سماه رفع الملام عن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام ، وهو أيضاً لم يكن قد توخى البحث العلمي المجرد في تأليفه ، وإنما كتبه ليحل لأتباعه مشكلة القبض والسدل في الصلاة ، تلك المشكلة التي اندلعت بين أتباعه الذين يقتدون به في ذلك ، وبين إخوانهم المسلمين الذين لم يتعودوا ذلك من قبل ، ومع ذلك إن الكتاب لم يتخلص من الدعوة إلى الطريقة التجانية (١) ثم الكتاب الآخر الذي ألفه في علم الصرف بعنوان تحفة الأطفال في حقائق الأفعال ، وكما ترى إن عنوان الكتاب يدل على أنه كتيب صغير حرره الشيخ لتدريب الأطفال والمبتدئين في ذلك الفن . وما عدا هذين الكتابين فجميع كتبه ورسائله تسير نحو وجهة واحدة تقريباً وهي الدعوة إلى الطريقة التجانية ، أو شرح بعض المسائل الدينية التي تمت إليها بصلة ، اللهم إلا الكتيب الذي كتبه في مسألة تحويل مقام إبراهيم من مكانه أو بعض ما تناوله من المسائل الفقهية إجابة عن سؤال وجه إليه أو رأي فقهي أدلى به اشتراكاً في مساجلة أو دفاعاً عن جانبه أو عن حوزة الطريقة التجانية أو عن أهلها وهلم جرا .

هذا وقد كان للشيخ رسائل كثيرة كتبها إلى تلاميذه في شتى البلدان وخطب عديدة ألقاها في المجتمعات والحفلات والمناسبات وفتاوى مختلفة تتناول موضوعات متباينة فقد جمع بعض هذه كلها تلميذه الحاج أحمد البرناوي في جزأين ، وسماه جواهر الرسائل ، ولهذا المجموع أهمية كبرى للباحث عن حياة الشيخ وتعاليمه ، وأهدافها وبعض إنجازاته في دعوته ، وهكذا وهو لا يزال مخطوطاً ولكنه نشر بالطبع التصويري .

ومهما يكن من أمر فلعل أول كتاب ألفه الشيخ في الدعوة إلى فيضته هو أرجوزته التي سماها روح الأدب لعل الغرض في نظمها هو بيان آداب السلوك لمريد التربية فجاءت في مائة وإحدى وعشرين بيتاً نظمها في حدود ١٣٤١ هـ - ١٩١٢ م تقريباً وهو حينئذ ابن إحدى وعشرين سنة أي بسبع سنوات قبل أن يظهر فيضته ، أو بعبارة أخرى قبل أن يظهر كصاحب الفيضة التجانية ، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً حتى

الآن ثم ألف كتابه كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس ، وهو أهم كتب الشيخ كلها ألفه سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م وهو ابن ثلاثين من عمره حينئذ فضمنه أدلته وبراهينه التي تنفي الرب في نظمه عن كونه صاحب مقام الفيضة التجانية الحقيقي ، يشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب ومقدمة وخاتمة ، وينقسم كل باب إلى عدة فصول ثم ذيله في السنة التالية ١٣٥١ هـ بكتاب آخر يبدو أنه استدراك لما فات في أصل الكتاب ، وجاء هذا الذيل أيضاً في حجم الاصل ، والظاهر أن ترتيب الكتاب منطقي لأنه تكلم في الباب الأول على حقيقة التصوف والذكر وفضيلته والاجتماع للذكر وحجج ذلك وهكذا ، وتناول في الباب الثاني الكلام على الفيضة التجانية وصاحبها الحقيقي الذي تظهر على يده وعلى علوم الصوفية ومصادرها وعلى التربية وما تهدف إليه في الطريقة التجانية ، وأما موضوع نقاشه في الباب الثالث فهو التذير من الإنكار على أهل الخصوصية ووجوب طلب شيخ مرشد كامل وصفته وإثبات الرؤية لله التي يدعيها رجال من الصوفية .

وأما في ذيل الكتاب فقد تناول زيادة على ما في أصل الكتاب موضوعات جديدة مثل بيان أوراد الطريقة التجانية وكل ما يمت إلى ذلك بصلة ، وأن سواد الجسم لا يمنع من التقرب إلى الله ، وكذلك الأنوثة لا تمنع من اللحوق بعباد الله المصطفين الأخيار . يبدو أن الشيخ كان معجباً بهذا الكتاب وقال في كلمته الختامية إن من نظر إلى الكتاب بعين الرضى يرى أنه من فيض الختم التجاني صاحب السر الرباني لكونه جامعاً لزيادة الكتب المؤلفة في هذا الفن ، وقل أن تجد مجموعاً يخون على ما احتوى عليه هذا المجموع فمن دقق النظر وأنصف يعلم يقيناً أنه ألفه الشيخ التجاني بيده . هذا كله بعد أن بين أنه سوده في تسعة أيام (١) .

وقد طبع الكتاب أولاً في المطبعة العربية بدارب غلف بالدار البيضاء المغرب طبعه ونشره الشريف الفاسي محمد بوطالب الساكن ببولخ سنغال في ٩٨ صفحة والذيل في ٩٣ صفحة وكلاهما بدون تاريخ ، ولكن يظهر أن الطبع قد تم في ما بين سنة ١٣٥٢ هـ - ٥٤ وذلك قبل أن يظهر أمره في نيجيريا أو بعبارة أخرى قبل أن

يعرفه النيجيريون لأننا وجدناه في منشوره الذي كتبه إلى كافة أتباعه بمناسبة دخول شهر رمضان سنة ١٣٥٤ هـ .

يأمرهم بشراء هذا الكتاب كي لا تلحق نأشره الخسارة وهذا نص كلامه : « وسبأتيكم نسخ تأليفنا كاشف الالباس الذي طبع على نفقة الشريف الفاسي محمد بوطالب والمطلوب منكم حيث أعوزكم شراؤه في الزمن الماضي أن تبادروا لشراء النسخ لئلا تلحق صاحبه خسارة بخدمة طريقتنا » (١) ثم طبع للمرة الثانية في مطبعة مصطفى البابي بمصر على نفقة الحاج أحمد رفاعي الكتبي أو كيبني أو بيحيى نيجيريا سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م أي بعد حوالي تسع عشرة سنة بعد الطبعة الأولى ثم طبع للمرة الثالثة بمصر في تلك المطبعة أيضاً على نفقة الحاج محمود سلغا بمشاركة الحاج بابا كابو كنو نيجيريا سنة ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م أي بعد الطبعة الثانية بحوالي عشرين سنة وبحوالي تسع وثلاثين سنة بعد الطبعة الأولى .

ثم بعد تأليف ذيل كاشف الالباس بسنة واحدة ألف كتابه السر الأكبر الذي ضمنه تعاليمه الباطنية وهذا الكتاب يدل بوضوح على مدى ما بلغه الشيخ ابراهيم في العلوم التصوفية وتجاربه العرفانية والذي يبدو أن الكتاب عبارة عن أفكار منفصلة كانت ترد عليه في أوقات متفرقة فجمعها في غضون سنتين ابتداء من سنة ١٣٥٠ - ١٣٥٢ هـ بل هناك ما يدل على أن بعض مواد الكتاب كانت موجودة قبل ذلك التاريخ بوقت طويل مثل بعض الآيات التي تدل ركازة نظمها على أنه قد نظمها في حديثه وقبل نضوج فكره فإنه قد انتهى من تأليف الكتاب سنة ١٣٥٢ هـ راجع تعليقنا على الكتاب (٢) والكتاب لا يزال مخطوطاً حتى الآن .

وفي نفس هذه السنة أيضاً ألف كتابه الذي سماه تنبيه الأذكياء في كون الشيخ التجاني خاتم الأولياء ، فحاول في الكتاب أن يثبت أن الشيخ التجاني هو خاتم الأولياء لا الشيخ الأكبر ابن عربي الخاتمي وسلك في تحقيق ذلك مناهج مختلفة وجلب أقوالاً شتى يدعم بها رأيه ثم أعقب كل ذلك بذكر عدد من علماء المغرب الذين ذكروا اسم

الشيخ التجاني في مؤلفاتهم وأثنوا عليه وقد طبع الكتاب بمصر في مطبعة المصطفى البابي
سنة ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م على نفقة الحاج أحمد الرفاعي بن عبد الكريم المقدم أودجي
أوكيي السابق ذكره .

هذا وقد شرع الشيخ إبراهيم في غصون هذا الوقت في تأليف كتاب بعنوان
تبصرة الأنام في جواز رؤية الله في اليقظة والنام وقد جاء ذكر هذا الكتاب في ذيل
كتاب كاشف الإلباس (١) والذي يظهر لي أن الشيخ ما كمل تأليف هذا الكتاب
فعدل عنه لصعوبة مسلك الموضوع ووعورة مرتفاه وأخرجه في كتاب آخر بعنوان
تبصرة الأنام في أن العلم هو الامام يحتوي الكتاب على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة
يدور نقاشه في المقدمة حول بيان أن الفضيلة في الدين بالاكتمال لا بمجرد الانتساب
وفي الفصل الأول حول بيان فضيلة العلم والعلماء وفي الفصل الثاني حول ذم الجهل
وفي الفصل الثالث حول آداب المعلمين والمتعلمين وفي الخاتمة حول الحث على إنشاء
المدارس والمعاهد للتعليم الإسلامي وتربيته ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً أيضاً .

ومن مؤلفاته المفيدة كتاب نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى ،
بين الشيخ أن سبب تأليف الكتاب هو أنه بلغه أن أحد غواة المسلمين يشيع أنه لا يوجد
دليل على أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو الأفضل من جميع الأنبياء والمرسلين
فخاف من أن يستهوي هذا المبطل إلى جانيه العوام الجهلة بخزعبلاته هذه ، فقيد لهم
لأجل هذا الكتيب المختصر على قدر همهم الفاترة ، وجلب كل ما يمكنه جلبه من
الآيات والأحاديث في تحقيق أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء
 والمرسلين وقد طبع الكتاب بمطبعة غولو شي بشارع نيجيريا في سابون غري بمدينة
كنو طبعه ونشره الحاج عبد اليسار بدون تاريخ .

وكذلك من كتبه ذات الأهمية كتاب رفع الملام عن رفع وقبض اقتداء بسيد
الأنام وقد سبق أن ذكرنا سبب تأليفه ولا داعي لإعادته وقد ناقش الشيخ فيه
موضوعات ذات مساس بسبب تأليف الكتاب فقط ، ولعل الشيخ نفسه هو الذي
تولى نشر هذا الكتاب وقد طبع في الدار البيضاء بالمغرب بمطبعة الأطلس بدون تاريخ.

ومن مؤلفاته الكتاب الموسوم بإفادة المريد عن أسئلة السيد محمد العيد وهو عبارة عن أجوبة لأسئلة في فقه الطريقة التجانية قدمها إليه السد المذكور في العنوان فأجاب عنها في كتيب يتداوله أتباعه وهو أيضاً مخطوط .

ومن مؤلفاته كتيب سماه سبيل السلام في إبقاء المقام وقد ألفه ليدلي برأيه في أمر مقام إبراهيم وذلك أن الحكومة السعودية استفتت العلماء حول نقله من مكانه توسيعاً للمطاف فكتب الشيخ ضد تحويله ، وجعل الكتاب في مقدمة وبابين وخاتمة وقدمه لرابطة العالم الإسلامي ، ولعل الرابطة هي التي تولت نشره حيث لم يذكر اسم المطبعة التي نشرته ولا الذي تولى نشره ، ولا تاريخ طبعه .

ومن مؤلفاته الكتاب المسمى (البيان والتبيين في التجانية والتجانيين) وقد حاولت قدر الإمكان أن أحصل على الكتاب ولم أتمكن من ذلك ، ولعل سبب إخفائهم للكتاب ومنعهم غير التجاني من الاطلاع عليه ، هو أن انتشار الكتاب بين الجمهور يشكل خطراً عظيماً على الطريقة التجانية نفسها لأنه يعتبر من طريق أو آخر كشفاً لعورتها حيث إن الشيخ إبراهيم حاول فيه أن ينكر بعض ما كان ثابتاً في كتاب الجواهر المعاني من المبادئ والتعاليم ، بدعوى أن عنده النسخة الأصلية المخطوطة ، وكانت خالية من تلك الأمور التي يريد إزالتها منه ، وهذا يرجع بنا إلى الباب الرابع من هذا الكتاب حيث قررنا أن شهرة الشيخ إبراهيم وانتشار صيته وكثرة أسفاره وتنقلاته في الأقطار واتصاله برجال ذوي ثقافات إسلامية أخرى غير تصوفية واحتكاكه أيضاً برجال آخرين كانوا متحمسين في محاربة البدع وما كان يقرأه في كتبهم وما يقرع سمعه باستمرار في محاضراتهم من الكلام على الإسلام وعقائده وتعاليمه الصحيحة كل ذلك قد غير من فكرة وجعله يدرك بيقين أن الطريقة التجانية كانت قائمة على أسس وقواعد أكثرها مضادة لعقائد الإسلام وهدامة لمبادئه وتعاليمه ، فبدأ من جراء ذلك يفكر في طريقة إصلاح الطريقة التجانية وتعديل ما يمكن تعديله من مبادئها ، ولعل هذا من أسباب تأليف هذا الكتاب ، ولا تنسى ما قدمنا من الأمثلة على أنه كان يتحاشى أن أن ينسب نفسه إلى الطريقة التجانية إذا زار العالم الإسلامي .

ومن مؤلفاته مسرة المجامع في مسائل الجامع ولم يصل هذا الكتاب إلى يدي وإنما

ذكره السيد علي سيس في تصديره لكتاب كاشف الالباس ، وله أيضاً مؤلفات أخرى
لم تصل إلينا ومن ذلك كتاب الفيض الأحمد في المولد المحمدي .

هذا وكانت له دواوين شعر كثيرة وأغلب موضوعها مدح النبي صلى الله عليه
وسلم ومدح الشيخ التجاني وقد وصل إلينا منها : -

١ - الخمر الحلال في مدح سيد الرجال .

٢ - تيسير الوصول إلى حضرة الرسول .

٣ - نور البصر في مدح سيد البشر .

٤ - إكسير السعادة في مدح سيد السادات .

٥ - سلوة الشجون في مدح النبي المأمون .

٦ - أوثق العرى في مدح سيد الورى .

٧ - شفاء الاسقام في مدح خير الأنام .

٨ - مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد .

٩ - كنز العارفين في مدح سيد الأولين والآخرين .

١٠ - جبر الكسر في مدح شفيع يوم الحشر .

١١ - مفتاح العطية في الاستغاثات بنجر البرية .

١٢ - هذا ما عدا قصائد أخرى متفرقة قالها في مناسبات شتى ومن قصائده في
مدح الشيخ التجاني وطريقته وأشياخها :

١ - طيب الأنفاس في مدح الختم أبي العباس .

٢ - روض المحبين في مدح سيد العارفين .

٣ - النور الرباني في مدح السيد أحمد التجاني .

٤ - روح الحب في مدح القطب .

٥ - تحفة أطايب الأنفاس في مدح القطب أبي العباس .

٦ - جلاء الصدور في مدح الشيوخ البحور .

وله دواوين أخرى تتناول موضوعات شتى مثل ديوان نواذر الحكم ومثل ديوان الكبريت الاحمر في التوسل بأوائل السور .

هذا وكان من عادة الشيخ إذا سافر أن يقيد بعض وقائع هذا السفر تارة نثراً وطوراً نظماً وهو أغلبه ويسميه بالرحلة ومن الأول كتاب رحلته الحجازية الأولى الذي ضمنه أخبار سفره من مغادرته بيته إلى رجوعه وما حصل له فيه وما حققه فيه من نجاح وهكذا ومن الثاني :

١ - منظومة رحلته الموسومة بنيل المفاخر التي نظمها في سفره الثاني إلى الحجاز .

٢ - منظومة رحلته التي سماها كناكرية في سياحته في أرض بمكو وكن .

٣ - منظومة رحلته إلى مورتانيا المسماة بذيل نيل المفاخر .

وهناك رسائل وخطب كثيرة قد جمع بعضها في كتاب ذي جزأين بعنوان جواهر الرسائل كما قررنا فيما سبق وهذه الدواوين كلها قد نشرت بالطبع التصويري في كنف نيجيريا تولى نشر أكثرها أو كلها الحاج عبد اليسار الكتوي النيجيري .

أصول أفكاره ومصادر تعاليمه

ومهما يكن من شيء فإن أصول أفكار الشيخ إبراهيم تجانية بحثة ، وهي أي الطريقة التجانية مبنية على أساس عقيدة غلاة الشيعة الاسماعيلية الباطنية ، ومن أجل ذلك كنا نجد هذه للعقائد تظهر جلياً في ضمن تعاليمه التي يقررها في كتبه ورسائله مثل فكرة الأب الروحي فإننا نجده يدعو تلاميذه بما فيهم إخوته من أبنائه وأولاده وهذا من تعاليم الشيعة الباطنية المعروفة بهم (١) وكذلك الاستدلال بآيات قرآنية على صحة

١ - حنا الفاعوري : تاريخ الفلسفة العربية ٢٠٢ .

عقيدة باطنية مضادة لتمام الإسلام من طريق التأويل الباطني (١) مثل استدلالهم بالقرآن على وجود دائرة وهمية تدعى بالدائرة الفضلية التي تقع وراء دوائر الشرع الإسلامي كلة ، ومن دخل فيها على حد تعبيرهم فهو ناج على كل حال ، إذ لا يحاسبه الله على أعماله خيراً أو شراً ، وهو يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ، سواء ونفى بعهد الله أم لا ، وسواء أطاع الله أم لا ، وسواء كان على الصراط المستقيم أم حاد عنه إلى الطريق الوخيم ، فإن الشيخ عمر الفوتي عندما أورد هذه الدائرة في رماحه استدل على ثبوتها بآيات قرآنية ثم أوردتها الشيخ إبراهيم أيضاً في كتابه السر الأكبر واستدل هو الآخر بهذه الآيات التي استدل بها الفوتي (٢).

ومن العجب أن يكون الذي وقع في تلك الدائرة التي تقع خارج الإسلام هو الناجي الذي يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب . وفي الزمرة الأولى مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعجب من هذا أن تكون الآيات القرآنية هي الدالة على صحة وجود هذه الدائرة ، وأعجب من ذلك كله أن يكون الذي اختلق هذه الدائرة هو أعظم أولياء الله على الإطلاق وأشدّهم اتباعاً لسنة رسوله وأنقى الأنقياء في نظر أتباعه ، وهذا يصدق بكل صراحة ما قاله شيخ الإسلام عبد القاهر بن طاهر البغدادي : « أن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضاً بالتأويل احكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة » (٣).

وسنناقش أمر هذه الدائرة بشيء من التوسع في تعليقنا على كتاب السر الأكبر إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك فكرة استمرار النبوة إلى ما لانهاية قال شيخ الإسلام عبد القاهر البغدادي في كلامه على الركن السابع من الأركان التي أجمع أهل السنة على أن كل من خالفهم فيها فهو كافر ضال : « إن أهل السنة أجمعوا على أن أول الرسل آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ... خلافاً لمن زعم من الخيرية أن الرسل

١ - انظر كتاب تليس ابليس (١٠٨) - الفرق بين الفرق (٢٩٣) .

٢ - انظر كتاب السر الأكبر الورقة الثالثة وكتاب الرماح ٣٠/٢ - ٣ - انظر الفرق بين الفرق ٢٨٦ .

تترى لا آخر لهم (الخرمية) اسم من أسماء الباطنية (١) وتظهر عقيدة استمرار النبوة هذه بشكل واضح في تعاليم التجانيين ومن ذلك قول الشيخ ابراهيم انباس في كاشف الالباس : « وروى أن الأرض لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت فقالت إلهي وسيدي بقيت لا يمشي على ظهري نبي إلى يوم القيامة ، فأوحى الله اليها (سأجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا أدخلك منهم إلى يوم القيامة) (٢) ومعنى أنهم أيضاً يتلقون الوحي من الله كما يتلقاه الأنبياء لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشر مثل جميع الناس لا فرق بينهم إلا أنهم يتلقون الوحي من الله بقلوبهم فقط وقال الله تعالى : « قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن تأتكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٣) وقد صرح السيد العربي ابن السائح في بغية المستفيد بهذه العقيدة حيث قال : « وروى بعض الأخبار إذا أَرَادَ الله بقوم سوءاً يوحى إلى قلوب أوليائه : لا تسألوني في أمر القوم فلاني عليهم غضبان فيجيبونه بطلب النجاة لأنفسهم اللهم سلم سلم » (٤) . هذا غاية التصريح بأن أولياءهم يتلقون الوحي من الله بالأمر والنهي مثل الأنبياء تماماً وقد صرح بذلك الشيخ عمر الفوتي في كتاب الرماح حيث قال : « إن جميع أهل الفتح يشاهدون الملائكة ، والكامل بينهم ينزل عليه ملك بالأمر والنهي ولا يلزم من ذلك أن يكون ذا شريعة » (٥) ومعنى ذلك أنه يلزم أن يكون ذا نبوة إذ لم يكن ذا شريعة حيث أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول ، والظاهر أن هذا هو قصده حيث اقتصر على نفي رسالة التشريع فقط . وهذا أيضاً هو مراد الشيخ التجاني بقوله في جواهر المعاني أن صلاة الفاتح لم تكن من تأليف البكري ولكنه أي البكري توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأثابه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور » (٦) .

١ - انظر كتاب تليس ابليس لامام ابن الجوزي ١٠٥ - ٢ - انظر كاشف الالباس ٨٥ .

٣ - سورة ابراهيم ١١ - ٤ - بغية المستفيد ١٨٤ .

٥ - انظر كتاب الرماح ١٤٥ / ٢ . ٦ - انظر كتاب جواهر المعاني ١٣٨ / ١ .

ومعنى هذا كله أن التجانيين يعتقدون باستمرار النبوة إلى ما لانهاية ، وهو جوهر عقيدة الشيعة الاسماعيلية الباطنية وكل من اعتقد ذلك فهو كافر ضال باتفاق أهل السنة (١) ولذلك جاء في جواهر الإكليل شرح مختصر الخليل في بيان الأمور التي يرتد المسلم عن الاسلام بارتكابها : « وكذلك من ادعى أنه يوحى اليه وأن لم يدع النبوة أو ادعى أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهو لاء كلهم كفار مكذبون النبي صلى الله عليه وسلم (٢).

ومن ذلك فكرة الظاهر والباطن ، وهو أيضاً من تعاليم الباطنية المشهورة بهم ، قال الشيخ محمد أبو زهرة عند كلامه على أسباب تسمية هذه الفرقة بالباطنية : « ومن الاسباب أيضاً أنهم يقولون إن للشريعة ظاهراً وباطناً وأن الناس يعلمون علم الظاهر وعند الامام علم الباطن ، بل إن عنده باطن الباطن وأولوا على هذا الفاظ القرآن تأويلات بعيدة بل أول بعضهم بعض الألفاظ العربية تأويلات غريبة وجعلوا هذه التأويلات هي ما عند الامام من أسرار — علم باطن وقد شاركهم الاثنا عشرية في هذا الجزء الخاص بعلم الظاهر والباطن وأخذت عنهم طوائف من الصوفية ذلك (٣) وقال الشهرستاني : « وأشهر ألقابهم الباطنية ، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً » (٤).

وقد ظهر ذلك بكل جلاء في تعاليم الشيخ ابراهيم إنياس ومن ذلك استدلاله بآيات قرآنية وأحاديث نبوية على صحة ظهور الفيضة التجانية على يده مصرحاً بما يدل على أنه استقها من جواهر المعاني حيث قال : « قال الشيخ التجاني كما في جواهر المعاني : فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنة إن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن لظاهر الآية أو الحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم ، فمن المفهوم ما جلب له الآية أو الحديث ودلت عليه عرف اللسان وثم افهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه إذ قد ورد

٢ - انظر جواهر الإكليل ٢ / ٢٧٨

١ - انظر كتاب الفرق بين الفرق ٣٢٣ .

٤ - انظر الملل والنحل ١ / ١٩٢

٣ - انظر الجزء الأول من تاريخ المذاهب الإسلامية ٦٥ .

في الحديث النبوي « أن لكل آية ظاهراً وباطناً وهداً ومطلعاً إلى سبعة أبطن وإلى سبعين » (١) .

وأحياناً يعبرون عن الظاهر بالشرية ، وعن الباطن بالحقيقة ، والشرية : هي ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الأحكام والعقائد ، والحقيقة أو الباطن هو ما يدركونه في تجاربهم الذوقية ويعبرون عنه بالعرفان ، أو علم الباطن ، وهو كله يدور حول نظرية وحدة الوجود ، فالحقيقة أو الباطن عبارة عن تعليمات هي كفر صريح ، إلا أنها تستر عن أن يطلع عليها أهل الظاهر أو غير الناضج في عقائدهم ، وقد ظهر ذلك جلياً في تعاليم الشيخ إبراهيم فمثلاً إنه قال في معرض كلامه على الجذب الذي فسره بالوصول والفناء والفتح : « وصاحب هذا المقام كافر شرعاً لتفيه الأسماء والصفات ، وقتله الأنبياء ، وهو المؤمن حقيقة لأنه أثبت حقيقة وقتله الأنبياء مثل بالحق لا بغير الحق ، وهذا المقام عظيم الغرر وغرره على العقائد وهو أعظم ما لم يلق عين الرحمة فقيه ما يهود وينصر ويمجس الخ » (٢) .

وقد تكلمت بشيء من الاسهاب على هذا الكلام في تعليقي على كتاب السر الأكبر ومما جاء في كلامي مما يناسب هذا المحل هو قولي : « وإذا صدقنا الشيخ إبراهيم أو كل باطني على أن دين الاسلام منقسم إلى ظاهر وباطن أو شريعة وحقيقة ، الشريعة أو الظاهر هو الاسلام ، والحقيقة أو الباطن هو الكفر الصريح ، وهو الحق كما وصفه الشيخ آتفاً فيرتب على ذلك نتيجة خطيرة هدامة لأركان الاسلام جميعها ، لا مفر لنا من التزامها ، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم علم علماء الشرع شيئاً مجازياً لا حقيقة موهماً لهم أنه هو الحقيقة القطعية وتركهم يتمسكون بالوهم ويعتقدون الجهل الصريح علماً ثم علم الصوفية الحقيقة التي هي العلم الصحيح المطابق للواقع الذي لا وهم فيه فأغرى بذلك أولئك الجهال الوهميين على هؤلاء العلماء العارفين المحققين يقتلونهم ويكفرونهم ويضلونهم وهلم جرا (٣) .

ومن ذلك أيضاً عقيدة الحلول وإحياة الأئمة وهذه العقيدة هي الأساس الأول

١ - انظر كاشف الالباس ٤١ .

٢ - انظر كتاب السر الأكبر الورقة العاشرة ٣ - انظر صفحة من هذا الكتاب .

الذي أقيم عليه صرح الطريقة التجانية ، وهو من صميم عقيدة الشيعة الإسماعيلية القرمطية الباطنية . قال العلامة ابن خلدون : « ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك ، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة - اعتقاد وحدة الوجود - وملأوا الصحف منه مثل الهروزي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم ، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وآلهية الأئمة مذهب لم يعرف لأولهم فأثر ب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم وتشابهت عقائد هم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان (١).

فها نرى ما يتمتع به هذا القطب من الأوصاف الإلهية والخصائص الربانية في الطريقة التجانية قال الشيخ التجاني : « اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً ، حيثما كان الرب إلهاً كان هو أي القطب خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه الوهية الله تعالى ، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق وبين الخلق فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ، وتولييه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمه إلى محله ، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً ، فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها وإنما هو الروح القائم فيه جملة وتفصيلاً » (٢).

هذه هي عقيدة التجانيين في القطب عموماً وهو نفس عقيدتهم في شيخهم التجاني خصوصاً قال السيد علي حرازم : « ومعنى قول الشيخ أي التجاني اللهم ألحقني بنسبه هو كونه أي الشيخ التجاني خليفة عن الله في جميع المملكة الإلهية بلا شذوذ متصفاً بجميع صفات الله وأسمائه حتى كأنه عينه » (٣).

٢ - أنظر جواهر المعاني ٨٩/٢ - ٩٠

١ - أنظر مقدمة ابن خلدون ٣٥٢

٣ - أنظر نفس المصدر ١٤٥

التجانيون كلهم علمائهم وعوامهم يدينون بهذه العقيدة أي عقيدة الحلول وإلهية الإثمة وجاء في جواهر المعاني . « شرطه الخاص به أي الورد التجاني لمن قدر عليه استحضار صورة القدوة أي الشيخ التجاني بين يديه وأنه جالس بين يديه من أول الذكر إلى آخره ويستمد منه » (١). المسلم لا يعتقد أنه في عبادته يستمد شيئاً من أحد على ظهر الغيب إلا من الله تبارك وتعالى وحده .

وقال الشيخ عمر الفتوي في الرماح في معرض بيانه لاستحضار المريد التجاني صورة النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الورد : « واستحضاره حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف الكمال الجامعة بين الجلال والجمال المتحلية بأوصاف الله تعالى الكبير المشرفة بنور الذات الإلهية آباء الآباء فإن لم تستطع فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم الروح الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحادث فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتاً وصفات لأنه مخلوق من نور الذات الجامع لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكماً وعيناً » (٢).

وهذه هي عقيدة الحلول بعينها حيث صرح بأنه صلى الله عليه وسلم هو الروح الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود (القديم والحادث) وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو بزيء من هذه العقيدة الفاسدة التي تدعو إلى الوثنية بشكل علني ولم يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من أحد من أصحابه أو من المسلمين أن يستحضر صورته في أي نوع من أنواع العبادات التي علمهم إياها وما قال لأحد منهم إن فيه جزءاً إلهياً بل بدل كل ذلك أمره الله بأن يعلن للناس جميعاً أنه إنسان مثل جميع الناس ليس إلا . وإن العبادة الخالصة المقبولة هي الموجهة إلى الله وحده وقال الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما الحكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (٣) .

وعلى هذا النحو استمر شيوخ الطريقة التجانية يدعون بكل صراحة إلى إلهية الشيخ التجاني وقال السيد عبدة بعد أن قسم التربية إلى ثلاثة أنواع ، التربية بالورد التجاني

١ - انظر جواهر المعاني ١/ ١٣٣ ٢ - انظر الرماح بهامش جواهر المعاني ١/ ١٢٥ .

٣ - سورة الكهف ١١٠

والتربية بالصناعات الخمس والتربية بصلاة الفاتح : « فالأولى - التي تتم بالورد التجاني - جامعة على الشيخ والنبي معاً وكلاهما نائب عن الله ووجه تقديمها على أختيها كونها الباعثة للمريد رأساً على الدخول لحضرة الشيخ أي التجاني » (١).

وأما النبي صلى الله عليه وسلم فما ادعى قط أنه الله أو نائبه وقد برأه الله من ذلك في آيات كثيرة ومنها ما سبقت آنفاً .

وقال السيد عبيدة أيضاً عندما يعدد الفروق والمميزات التي بين طريقة التربية عند الشيخ الساحلي وبينها في الطريقة التجانية « ثالثها المقصد ، فإن مقصد تلك الطريقة أي طريقة الساحلي لإيراد الخطاب من المولى أي الله بما هو مطابق لحال السالك في موقفه ومقصد هذه أي التربية بالطريقة التجانية استحضار صورة القدوة والصورة الكريمة بين يديه وأفصح المريد بما حصل من الشكوى لديه » (٢).

يعني أن مقصد المريد في التربية بطريقة الساحلي هو الاستفاضة من الله تعالى ، وأما في الطريقة التجانية فيكفي المريد أن يستحضر صورة الشيخ التجاني فقط ويرفع إليه شكواه .

وقال الشيخ محمد الحافظ الجزائري نزيل مصر في تحقيقه لمجموعة أوراد الشيخ التجاني الذي طبع في مصر سنة ١٣٨٧ : « وأما كيفية استشارته أي الشيخ التجاني فإنه قال : « من أراد أن يشاورني وكان بيني وبينه بعد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ثم يذكر حاجته وهو مشخص نفسه بين يدي فالجواب مايقع في قلبه » .

ومعنى ذلك أن الشيخ التجاني هو إلههم الذي يقضي لهم حوائجهم على ظهر الغيب ، ولذلك يتوسل المريد التجاني إليه بالصلاة على النبي ليجد حاجته .

وقال الشيخ محمد الحافظ بعد أن أورد هذه الاستشارة : « وذكر بعض الخواص ممن لقيناهم أنه يقع للانسان عند استشارته غفوة يصحبها حال روحية يتجلى له فيها

الأمر الذي يطلبه « (١) ».

وقد ظهر ذلك أيضاً بكل وضوح في تعاليم الشيخ ابراهيم إنياس وقال في السر الأكبر والشيخ الربيعي للمريد حقيقة هو الشيخ التجاني ومعه دائماً ما تذكره بقلبه واعتقد أنه بين يديه . وقال أيضاً : « إذ مطلب المريد الشيخ التجاني لا غير » . وقال أيضاً : « إن الشيخ التجاني حاضر مع المقدم والمريد دائماً » (٢) . المسلم لا يعتقد أن أحداً يكون معه دائماً ما تذكره بقلبه واعتقد أنه بين يديه وهو مطلبه لا غير إلا الله تعالى وحده .

ولا تنسى أيضاً أن الشيخ ابراهيم إنياس روى عن شيخه الحاج عبدالله ولد الحاج أنه طلب إليه أي الشيخ ابراهيم وهو صغير يومئذ أن يدعو الله له ليموت على الطريقة التجانية ثم يدعو له ثانياً أن يجعل الله عليه ذنوب أمه النبي بأثرها صغارها وكبارها يتحملها عنهم إذا مات على الطريقة التجانية ، وروى عنه أيضاً أنه قال : « إن من كرامات الطريقة التجانية أن لإبراهيم سالم صار من أهل الجنة مع كونه أميراً كافراً فاسقاً ظالماً وسبب ذلك أنه اغتصب امرأة متزوجة بغيره ونزعها من زوجها بقوة وعاشرها طول حياته معاشرة غير شرعية حتى مات ولكن تلك المرأة أخذت الطريقة التجانية ، ومحقق أنها لا تذكر أورادها ولكن ليس ذلك رفضاً لها بل كسلاً فقط فبسبب هذه المرأة صار ذلك السلطان الكافر الفاسق الظالم من أهل الجنة بغير اسلام ولا توبه » (٣) .

أليس كل هذا استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبدينه وشريعته وبالتالي استخفافاً بعقول المسلمين جميعهم .

وهذه أمثلة يسيرة على كون الطريقة التجانية مبنية على أساس عقيدة غلاة الشيعة الاسماعيلية الباطنية وستكلم على ذلك بشيء من التفصيل أيضاً في خاتمة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

١ - الشيخ محمد الحافظ : أحزاب وأوراد القطب الرباني ٣٠

٢ - كتاب السر الأكبر الورقة الرابعة والسادسة .

٣ - انظر صفحة من هذا الكتاب

فلننا إذا نظرنا إلى الشيخ ابراهيم إنياس نرى أنه رجل جاء ووجد أمامه ميداناً واسعاً للعمل أي أنه وجد أعمالاً عظيمة باهرة تنتظر من يقوم بها لصالح الإسلام والمسلمين مثل الإصلاح الديني والاجتماعي ونشر العلوم والثقافات الإسلامية ومحاربة الاستعمار ومقاومة التبشير المسيحي وطفيان حضارة الافرنج وعاداتهم وتقاليدهم على عادات المسلمين وتقاليدهم وأثر ذلك الشيء على أولاد المسلمين وما إلى ذلك ثم وجد فرصة سانحة للقيام بهذه الأعمال لو أراد ذلك وهي وجود أتباع مخلصين مستعدين للدفاع بكل ما يملكونه من قوة إلى ما دفعهم اليه من أعمال بإيمان وإخلاص هذا بالإضافة إلى أنه رجل موهوب لا شك في ذلك وقد توفر فيه كثير من الصفات التي تؤهله للقيام بهذه الأعمال على أكمل وجه لو أراد ذلك مثل مخصصة قوية وهمة عالية وذكاء مفرط وحسن السياسة في معاملة الناس والقوز بالقبول منهم ولكنه للأسف ما حاول أن ينجز شيئاً من هذه الأعمال العظيمة التي ذكرناها وعلى الوجه الذي يستحق التقدير لمثله .

فمثلاً كان له مجال واسع في ميدان الإصلاح الاجتماعي وخصوصاً في وطنه إذ يمكنه أن يحاول بنجاح تغيير بعض عاداتهم القبيحة التي لا توافق سنة النبي صلى الله عليه وسلم مثل تبرج نسائهم واختلاطهم بالرجال الأجانب ، وما يحيط بذلك من التقاليد التي تقع بعيدة عن مجرى تعاليم الإسلام ، وقد قال الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم : « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيدهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بني أخواتهن أو بني أخواتهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) وعن أم سلمة قالت : « كنت أنا وعائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن ابن أم مكتوم فقال : احتجبا فقلنا أوليس أعمى فقال أفعمياوان أنتما » (٢) والظاهر أن الشيخ لم

يكن يعتبر هذه المسألة من الأمور الجديرة بالاهتمام ، وعلى أي حال فإن سكوته التام عنها وإباحت ذلك لنفسه ولأسرته وتلاميذه قد أدى إلى أن يتخذ ذلك بعض تلاميذه سنة متبعة في غانا وغيرها من الأقطار فأباحوا لنسائهم التبرج كما يفعل السنغاليون (١).

وكذلك الأمر في نشر العلوم والثقافات الإسلامية فإن الشيخ إبراهيم لم ينتهز تلك الفرصة الوافرة التي يتمتع بها في طول المدة التي قضاها معززاً محترماً بين أتباعه المنتشرين في طول غرب إفريقيا وعرضها ليؤسس لهم مدارس ومعاهد لتخريج الطلاب التجانيين المتضلعين بشئى الفنون والثقافات الإسلامية وغير الإسلامية كأن يؤسس لتلاميذه في كل قطر مدارس ابتدائية وثانوية ثم يؤسس معهداً كبيراً في كولنج يومه الطلاب المتخرجون من تلك الثانويات ومن ثم إلى الجامعات الكبيرة في العالم الإسلامي للتعليم العالي وكان بإمكانه أن يحقق ذلك بشئى من النجاح لو حاول لأنه كان محترماً عند جميع حكومات غرب إفريقيا والعالم الإسلامي وخصوصاً العالم العربي ، بحيث إذا مد يده إليها لطلب المساعدات في إنشاء هذه المدارس لا تعود خائبة هذا بالإضافة إلى ما رزقه الله به من التلاميذ الأغنياء الكثيرين المستعدين للقيام بكل أمر من شأنه أن يكسبهم رضاه عنهم ، وهذا أيضاً ما عدا التبرعات التي تجمع من أصحاب النيات الطيبة من المسلمين حتى غير التجانيين والمبالغ التي تؤخذ من آباء التلاميذ شهرياً أو سنوياً أو عند انتهاء كل فترة دراسة ، ولو فعل الشيخ ذلك لقدم للإسلام وأفريقيا خدمة مشكورة لا تنسى مدى الدهر ولعد ذلك عملاً باهراً لا يقوم به إلا مصلح اجتماعي كبير .

وأما محاربة الاستعمار فليس ذلك من ضمن جدول أعمال الشيخ أصلاً بل هو خارج من برنامجه الدعوي لأنه مثل جميع شيوخ الطريقة التجانية الكبار لا يرى إلا مسألة المستعمرين ، وتقديم الولاء الخالص لهم ، وقد مر بنا أنه أمر خلفاءه بزجر تلاميذهم من مخالفة المستعمرين الفرنسيين الذي نعتهم بالمصلحين للبلاد والساعين في إئتلاف السكان ، وصيانة نفوسهم وعافية البلاد ، فقرر أن موافقتهم واجبة (٢) ومن

١ - مقابلة مع الزميل أبي بكر جبريل هنا في قسم الدراسات الإسلامية في ١٤ / ١ / ١٩٧٩ م.

٢ - انظر جواهر الرسائل ١ / ٢٧

كان هذا رأيه في المستعمرين واستعمارهم لا يحاربهم بأي نوع من أنواع المحاربة .

وكذلك مقاومة التبشير المسيحي وما إليه من طغيان عادات الغربيين المسيحيين وأفكارهم على نشر المسلمين فما وجدنا للشيخ نشاطاً في ذلك الميدان أيضاً والمنطق يقتضي ذلك طبعاً لأن الذي دعا بجد إلى موافقة المستعمرين والبعيد من مخالفتهم معتقداً وجوب ذلك لا يدعو إلى محاربة دينهم .

ولو أنجز الشيخ هذه الأمور التي ذكرناها نفأً أو بعضها لعد مجدداً دينياً ومصلحاً اجتماعياً عظيماً ، ولكنه للأسف لم يحاول ذلك ولكنه معذور على أي حال لأنه وإنما جاء ليجدد الطريقة التجانية فحسب ، وهي لم تؤسس ابتداء للإصلاح الديني أو الاجتماعي وإنما أسست للدعوة إلى عقيدة مستقلة استقلالاً تاماً عن عقيدة الإسلام ، ونشر تعاليم مضادة لتعاليم الإسلام في ثوبه . روى الدكتور جميل أبو النصر في كتابه (التجانية طريقة صوفية في العصر الحديث) أن الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري قابل الشيخ التجاني عند مقدمه مدينة فاس سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م فناقشه حول حياة المسلمين الاجتماعية يومئذ فكان رأي الشيخ التجاني هو أن يلغي جميع العلوم الدينية لفساد الوقت ويعتمد على ما ينزله الله على قلوب المشايخ الصوفية من أمثاله (١) وجاء مصداق ذلك في كتاب الإفادة الأحمدية حيث قال الشيخ التجاني : « ما أحوج الناس في هذا الزمان إلى عالم أو علماء يتقنون لهم كتب الفقه من الحشو الذي فيها » (٢) . ومن ذلك أيضاً قوله لبعض أتباعه عندما سأله أن يدعو الله له بالاستقامة : « من يريد الاستقامة في هذا الزمان كمن يريد أن يبني سلماً إلى السماء » (٣) . ولا تنس أن الشيخ التجاني قد دعا على وطنه الجزائر المسلم بأن يحتله الكفار أعداء الله والدين وأن يسد الله أبواب رحمته في وجوه حكامهم (٤) وإذا جمعت هذا الدعاء وكلامه الذي سبقه تدرك تماماً أن الشيخ التجاني لا يهيمه الإسلام ولا شيء من تعاليمه وإنما تهيمه طريقته التي أسسها وقام بنشرها على حساب دين الإسلام فقط ، ومن أجل ذلك لم يطلب التقوى والاستقامة من أتباعه ، وما دعاهم إلى ذلك وإنما طلب منهم دوام محبته بلا

٢ - السيد الطيب السفياني : الإفادة الأحمدية ٨٠

٤ - انظر هذا الكتاب صفحة

١ - انظر صفحة ٢٠ من ذلك الكتاب

٣ - السيد الطيب السفياني : نفس المصدر ٧٩ .

انقطاع إلى الممات فقط ، وإذا حصل ذلك يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ولو عملوا في الذنب كل جريمة وبلغوا من المعاصي ما بلغوا « (١) . وقد مر بنا نفاً إن الشيخ إبراهيم روى عنه أنه قال إن طريقته نشأت في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي تقع وراء دوائر الشرع الإسلامي كلها أي إن التجانيين ليسوا مكلفين بأداء الفرائض والواجبات ولا اجتناب المنهيات والمنكرات لأنهم ناجون على كل حال سواء أطاعوا الله أم عصوه ، وسواء كانوا على الصراط المستقيم أو حادوا عنه إلى الطريق الوخيم لا يسألهم الله عن أعمالهم أيًا كانت وإنما يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عقاب فقط وحتى عباداتهم إنما يقومون بها شكراً لله ليس إلا لا أداء لما فرضه الله عليهم من الواجبات الدينية التي يعاقب تاركها حسب ما عرف في الشرع .

وكل من كان هذا رأيه فلا بهم - طبعاً - بالاصلاح العام لحياة المسلمين الدينية والاجتماعية وكان خلفاء الشيخ التجاني على رأيه لا يرون وجوب إصلاح أحوال المسلمين الاجتماعية حتى تجري حسب أوامر الشرع وعلى مقتضى تعاليم الدين ، وقد أرسل بعض الأصحاب إلى خليفة الشيخ التجاني القطب علي التماسي يطالب اليه النصيحة والإرشاد وجاء في رده اليه ما يلي : « أما قولك أحببت النصيحة لله ولرسوله فهذه الساعة التي نحن فيها لم تبق فيها نصيحة ولا عمل لأن الله تعالى حكم على عباده بفساد الأرض وأهلها ولم يبق شيء من العمل إلا الذي رزقه الله محبة سيدنا - يعني الشيخ التجاني - ظاهرة وباطنة » (٢) وأخذ الشيخ إبراهيم إنياس ذلك عنه فقال كما سبق : « واعلموا أن الله ساق الوجود في هذا الزمان ساق الهلاك ولا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني » (٣) .

ومن أجل ذلك إذا نظرنا إلى حركة الشيخ إبراهيم لا نرى فيها محاولة لإصلاح الأحوال الاجتماعية ، وحمل المجتمع على السير على جادة الشريعة الإسلامية ، بل نرى أنه قسم الناس إلى ثلاثة أقسام :

١ - انظر جواهر الماني ١/ ١٢٩ و ٢/ ١٧٦ .

٢ - الشيخ سكيرج العياشي : كشف الحجاب ١٥٤ - انظر جواهر الرسائل ٨/ ١ .

١ - أتباعه من التجانيين الذين سماهم أهل الفيضة التجانية .

٢ - التجانيون الذين لا يؤمنون به ولا بدعوته .

٣ - المسلمون الذين لا يتقيدون بالطريقة أصلاً .

فأما أتباعه فيعتبرهم المسلمين الخالص الناجين على كل حال وهم الذين وقعوا في الدائرة الفضلية السابقة ، وهم الطائفة الذين لا يبلغ أقطاب أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعون أكتعون شعرة واحدة من رأس واحد منهم وهلم جرا .

وأما التجانيون الذين لا يؤمنون به ولا بدعوته فلم يعترف هو بتجانيتهم كما تقدم فصار يدعوهم أحياناً بالعوام الذين لم يجتمعوا لطاعة الله وحذر أتباعه من مجالستهم (١) وسماهم أحياناً بأهل الغفلة الذين لم يرفعوا الشأن الشيخ التجاني رأساً ونفاهم من التجانية على رغم كونهم متمسكين بها بإذن صحيح (٢) كما دعاهم أحياناً بالذين لاناقة لهم في الطريقة ولا جمل واستعاذ بالله منهم ثم طردهم من الطريقة أيضاً مصرحاً بأن ليس لهم حظ في الطريقة إلا مجرد الأخذ فقط (٣) هذا وقد مر بنا أنه كفر بعض شيوخ التجانية لأنه ينكر عليه أمره كما جعل بعضهم أيضاً عدو الله ورسوله لأنه يعاديه ويحاربه (٤) هذا كله بالنسبة للتجانيين الذين لم يؤمنوا به ولا بدعوته وأما غير التجانيين من المسلمين فقد طبق عليهم حكماً واحداً وهو أنهم كلهم هالكون لا ينجو منهم أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني (٥) .

ومن هذا كله ندرك أن الشيخ إبراهيم لم يكن مجددًا دينياً ولا مصلحاً اجتماعياً وإنما هو شيخ كبير من كبار شيوخ الطريقة التجانية ليس إلا ولكنه يتميز عن الشيوخ التجانيين الذين ينتجعون نيجيريا منذ تأسيس الطريقة التجانية إلى يومنا هذا حاملين معهم تعاليمها وأسرارها إلى النيجيريين الذين اعتنقوها بأنه أول من حاول بنجاح أن يفسر لهم الطريقة التجانية على حقيقتها وبين لهم أهدافها وغاياتها كما سبق أن قررنا (٦)

٢ - انظر كاشف الالباس ٤٧ .

٤ - انظر صفحة من هذا الكتاب .

٦ - انظر صفحة من هذا الكتاب .

١ - انظر جواهر الرسائل ١ / ١٠

٣ - انظر صفحة من هذا الكتاب

٥ - انظر جواهر الرسائل ٨ / ١

كرامات الشيخ ابراهيم انياس

يبدو أن الشيخ ابراهيم نفسه لا يشعر بأن له الكرامات التي من جنس خوارق العادات ومن أجل ذلك ذهب يكرر ويؤكد أن الطريقة التجانية بنيت على أساس الطريقة الملامتية الصوفية فكان دأبهم من أجل ذلك ستر مقاماتهم ورفض الكرامات المادية المعتمدة على خوارق العادات والمكاشفات الكونية وقال في هذا الصدد : « فنحن السادات الملامتية شأننا ستر المقامات وترك الكرامات فكل ذي حرفة في حرفته وكل ذي شغل في شغله لا ندعي الدعاوى ولا مزية ولا خصوصية ولا نهم بخرق العوائد والأخبار بالكشوفات لأن ذلك خيض الرجال وأن المعتبر عندنا الكشف النوراني . لا الظلماني فأياتنا في قلوبنا كما أن آيات غيرنا في الآفاق » (١).

وبهذا استراح من أن يكلف نفسه إظهار خوارق العادات لأتباعه وهم أيضاً استراحوا من اختلاق الكرامات الخيالية واختراع الخوارق المزورة ينسبونها إليه ليسلوا بها أفواه الخصوم إذا اشتبكوا معهم في مناظرات جدلية فتعلقوا جراء ذلك بما قرره لهم شيخهم في هذا الصدد فمثلاً إن الشيخ محمد الناصر الكبراي زعيم القادرية في كنعن طعن في صحة قطبانيه الشيخ ابراهيم وولايته فقدم بين يدي ذلك حججه منها قوله : « من ادعى مقام القطبانية فليظهر لنا شيئاً عجباً من الكرامة نصدقه في ذلك ونسلم القيادة إليه وأما قول الرجل أنا كذا وكذا من دعوى المقامات بين أتباعه وتلاميذه الذين سلموا إليه القيادة المحبين له المصدقين لكلامه فليس بشيء ولا يعتبر به مهما لم تظهر عليه الكرامة ولو قلت بين تلاميذي وأتباعي أنا كذا وكذا لصدقوني في ذلك لمحبتهم لإي » وعندما ذهب الشيخ محمد الثاني الكافنخي ليرد عليه لم يجد إلا ما قرره شيخه ابراهيم انياس آنفاً فقال : « والشيخ لم يدع الولاية ولا شيئاً من مقاماتها فيطلب بيئته من الكرامات الحسية ونحن لا نعمل على الكرامات الحسية والكشوفات الكونية فنحن مشغولون بالله تعالى فقط ومشغولون (أيضاً) بخدمة رسوله

بمدحه وإحياء سنته وإصلاح قلوب من تعلق بنا من أمته والكرامات الحسية عندنا
حيض (١) .

ورد عليه أيضاً السيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي بقوله : « إنظر يا أخي
كلام هذا المتعصب الغبي كيف صدر منه هذا الكلام الساقط الذي لا يصدر إلا من
العامّة الجاهل الذين لم يميزوا صحيح القول من عليه ، ولم يذوقوا شيئاً من علوم
الرجال ، ولم يعلموا إلا ما ظهر لهم من خوارق العادات ، وهو مع ذلك ينسب نفسه
إلى العلماء ويدعي بلسان حاله أنه لا أعلم منه في هذه البلاد ويعجب بنفسه في ذلك
وهماً وغلطاً فاسداً منه ومراده وقصده بهذه الأقوال من أن القطب كذا وكذا تعريض
لجانب الشيخ إبراهيم يعني أنه ليس كما يزعمه الناس من أنه قطب ينكر ذلك على الشيخ
لقد جهل هذا المتعصب حد الكرامة وانقضاءها إلى حسية ومعنوية وأكبرها وأفضلها
إتباع السنة النبوية المطهرة : ألم يكف من الشيخ كرامة كثرة أتباعه في كافة أنحاء العالم
الإسلامي وكثرة أتباعه للسنة المطهرة وكثرة أمداحه للنبي في الدواوين المتعددة وظهور
القبوضات الربانية في طريقة التجانية على يديه وانتشار القبض وإحياء سنته في هذه
البلاد على يديه وغير ذلك من كراماته المعنوية ولكن هذا المتعصب لا يفطن بذلك
ولا يتبصر لانطماس عين بصيرته من الحسد » (٢) .

ومما يعتبر من كرامات الشيخ إبراهيم لإناس أيضاً اسلام ذلك المبشر المسيحي الأبوي
النيجيري على يده وذلك أن مبشراً مسيحياً في شرق نيجيريا اسمه—كما أثبتته الشيخ التجاني
لإناس ابن الشيخ إبراهيم—وثاني أغوماغورأى الشيخ إبراهيم في المنام يدعو إليه فتعجب من
ذلك لأنه لم يكن يعرفه من قبل ولم يسبق له به لقاء أبداً هذا كله بالإضافة إلى أنه مسيحي
لا علاقة له بشيخ مسلم فطفق يبحث عنه حتى عثر على صورته عند بعض التجانيين
هنالك في شرق نيجيريا فسألهم عن خبره فزوده بمعلومات كافية عنه فعزم من حينه
على المسير إليه فرحل توا إلى السنغال حتى وصل إلى المدينة كحلخ والتقى به في
داره واخبره بكل ما كان من أمره فسر به الشيخ إبراهيم سروراً عظيماً وضمه إلى صدره
وقبله ثم أسلم وسماه الشيخ بإسمه إجابة لطلبه ووكل له من يعلمه بقرأة القرآن

١ - انظر سبيل الرشاد ٤٢ .

٢ - انظر قول السداد ٤١ .

ومبادئ الدين ومكث هنالك بحضرة الشيخ في كولخ مدة طويلة فعندما آنس الشيخ نضوجه في الدين ورسوخ العقيدة الاسلامية في ذهنه أذن له بالعودة إلى وطنه لدعوة قومه إلى دين الاسلام والطريقة التجانية ، وفعل ذلك بنجاح تام ثم اخذه الشيخ بعد ذلك إلى رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وعرفه برئيسها وأمينها وبوجوه اعضائها حتى قررت له الرابطة مساعدة سنوية ثم كتب له امين الرابطة توصية الى جميع دول العربية والاسلامية يدعوهم الى مساعدته .

لقد جاء ذكر هذا الرجل في كتيب نشر في الكويت بعنوان (رجال ونساء اسلموا) وقد اشار الكتاب إلى أن هذا الرجل قد اتصل برجل عربي سوري تاجر في نيجيريا ودعاه الى التخلي عن الطريقة التجانية ويتحول الى داعية الى الاسلام وحده بدلا من حياة الدروشة الانعزالية فلبى دعوته ثم زوده التاجر بشيء ذي بال من ماله ليستعين به على المضي على ما عزم عليه من دعوة قومه الى الاسلام (١) وقد جاء في كلام الشيخ التجاني انياس المذكور آنفا ما يدل على صحة هذا القول حيث قرر ان الرجل بقي على عهد الشيخ ابراهيم حتى عندما طالب منه ان يزوجه إحدى بناته وكان الشيخ قد وعدھا لبعض التلاميذ قبل ذلك فأمره بأن يعين غيرها من بقية البنات فأمتنع ومن هنا وقع له ما وقع حتى انضم الى صفوف المرجفين فإن دل هذا الكلام على شيء فإنما يدل على أن الرجل قد قبل نصيحة التاجر العربي فتخلى عن الطريقة التجانية فظن أهل الفيضة أن ذلك كان لأجل فوات الزوجة منه كيف يكون ذلك والرجل قد اسلم وحسن اسلامه وكان مخلصا لدينه وثابت في عقيدته حيث أن السفارة الاسرائيلية في نيجيريا بعثت اليه - وهو في لحظة كان يحتاج فيها الى المال - رجلا منافقا يظهر إسلامه فقال له إن السفارة الاسرائيلية على استعداد لتمنحك ٥٥٠٠٠ دولار شريطة ان يتحول قاديانيا فما كان من ابراهيم انياس الابوى هذا الا ان رفض وقال ان معي ربي يغنيني عنك وعنھا . » (٢)

وقد ذكر الشيخ أبو بكر عتيق الكشناوي التجاني امر ابراهيم انياس الابوى هذا مستدلا بذلك على صحة كون الشيخ ابراهيم صاحب الفيضة التجانية التي بشر الشيخ

١ - عرفات كامل العتي : رجال ونساء اسلموا ١٦٥ . ٢ - نفس المصدر ١٦٧ .

التجاني أهل طريقته بإتيانها فقال : « وهذا رجل واحد غير مسلم أتاه فأسلم على يديه وأخذ الورد وتربى فأذن له بالرجوع إلى أهله والدعوة إلى الإسلام وهاهو قد أسلم في يده أكثر من سبعة » لاف نفس وذلك بين أربعة أشهر في عامنا هذا أعني عام ١٣٧٨ م » (١).

وأما كرامة الشيخ ابراهيم عند عوام السنغاليين بل وحتى بعض مثقبيهم هي أنه يتمتع بقوة سحرية خارقة يستطيع أن يتخلص بها من أعدائه جميعهم فمثلوا لذلك أنه كان هناك رئيس قبيلة عارضة في أمر سياسي فأرسل عليه الشيخ ابراهيم إنياس سحره فأحرقه حياً (٢).

ولا شك أن نسبة السحر إلى الشيخ ابراهيم أمر شائع في أوساط العامة ومن على شاكلتهم في المجتمع السنغالي بدليل أن الشيخ نفسه قد أورد ذلك في جملة مآخذ قومه عليه في رسالته السابقة وعلى أي حال فإننا نكل الأمر إلى الله وهو العالم بالسرائر وخفيات الأمور .

هما إثنان كان عوام السنغاليين وبعض مثقبيهم يخافونهما ويعتقدون أنهما يستطيعان التخلص من أعدائهما بواسطة قوتها السحرية الشيخ ابراهيم إنياس والشيخ طاهر دي كوري ابن شيخ الطريقة الحملية التجانية السنغالية الشيخ دو كوري (٣).

ويتلخص من كل هذا أن كرامات الشيخ ابراهيم عند أتباعه معنوية وليست حسية وهي تنحصر في إحياء ستة القبض ورفع اليدين في المواضع الأربعة والجهز بالتأمين وتكرار قد قامت الصلاة مرتين وكثرة الاتباع والتلاميذ في العالم الإسلامي وظهور الفيوضات الربانية والمعارف الإلهية على يديه وكثرة أمداحه للنبي صلى الله عليه وسلم بالدواوين الكثيرة الطويلة وإسلام الكفار على يديه .

تقديره

يعتبر الشيخ ابراهيم إنياس من أعظم الشخصيات الإسلامية التي ظهرت في إفريقيا

١ - انظر العارم المشرقي ٢٣ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ٥١

٢ - Mrs. L. C. BEHRMAN : نفس المصدر ٥١ .

الغربية في هذا القرن العشرين ، وقد جمع إلى همته العالية وعزيمته القاهرة قوة روحية مؤثرة ، وحكمة سياسية قوية ، وقد آمن الشيخ ابراهيم بأن ما فتحه الله على يديه من تربيته هذه قد هله لمقام كامل العصر ، أي هو القطب الفوت الذي أظهره الله للناس في هذا القرن وهو الذي يلجأ إلى كتفه كل من يريد الدخول إلى حضرة الله القدسية ، كما اعتقد أيضاً بكل ثقة أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم في وضوح النهار بقطة لا مناماً منذ بدء أمره حتى مماته أنظر اليه وهو يقول في المستشفى بباريس في مرضه الذي مات منه :

رأيت رسول الله جهوراً ويقظة بباريز هل ذلك المحل محله (١)

فهذه التربية وما يعتقده من أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم بقطة وما نتج من ذلك من اعتقاده أنه كامل العصر ومحل نظر الله من خلقه والباب المفتوح لكل من يريد الولوج إلى حضرة الله جعله يثق بنفسه ثقة تامة بدرجة أنه يؤمن بأن كل من خالفه ورفض دعوته لا يعد من جملة المسلمين حتى ولو كان تجانياً وقد مر بنا آنفاً وفي مواضع أخرى من هذا الكتاب أنه طرد - من التجانية - كل من لم ينتظم في سلك أتباعه كما كفر أيضاً بعض من رفض دعوته من شيوخ التجانية صراحة ، وذلك كله يرجع إلى ما تقدم من الأهمية العظيمة التي أعطاها لتربيته الصوفية هذه ، حيث يعتقد أن كل من لم يجتز امتحانها هالك لا نجاة له أبداً ، وهذا معنى قوله : « إن الله ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهالك فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني » لأنه فسر ذلك بقوله : « وذلك لابد أن يكون غارقاً بالله بضمآن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم » (٢) أ إن التربية والوصول إلى المعرفة التي يكتسب من طريقها هو نتيجة محبة الشيخ التجاني وأن كل من لم يرزق محبة الشيخ التجاني محروم من ذلك وهذا لا شك هو الرأي السائد في أوساط أتباعه ، فقد صرح لي تلميذه الأكبر الشيخان (من آب) بمنزله في حاضرة برين بمورتانيا بأن من لم يدخل تحت تربيته أي الشيخ إبراهيم التصوفية التجانية لن يدخل الجنة ، لأن عبادته كلها موقوفة وليست مطلقة

١ - وجدت التصيدة التي جاء فيها هذا البيت عند السيد محمد المهية بن الطفيل بمورتانيا .

٢ - انظر جواهر الرسائل ٨/١

بإطلاق ذات الله تعالى ، كما هو حال عبادة العارف الذي تربى ، وأن من أراد الله أن يدخله الجنة من عباده الذين لم يجتازوا التربية في الدنيا يربيه في المحشر قبل دخوله الجنة (٢).

وقد استطاع الشيخ إبراهيم - مع اعتقاده أن كل من لم يعتنق الطريقة التجانية ويدخل تحت تربيته التصوفية التجانية هالك لا نجاة له - أن يعامل هؤلاء المسلمين الذين يعتقد أنهم هالكون كأنه واحد منهم مع صداقة خالصة وتفاهم حسن ، فأحبهه بلورهم محبة صادقة ، واحترموه لسمته الحسنة ، ومكانته من العلم والدين وقدموه في مواقف إسلامية حساسة كثيرة ، وكان نائباً لرئيس الرابطة الإسلامية منذ إنشائها ، وهو العضو الثاني في المجلس التأسيسي لها ، وهو عضو في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، وشارك في مؤتمر كراتشي ، وترأس أحدهما وهو الذي عقد سنة ١٩٦٤ م .

وبالحملة فإن الشيخ إبراهيم قد استطاع بفضل همته وقوة شخصيته وحسن سياسته أن يخرج من قفص الطريقة التجانية إلى الفضاء العام الإسلامي ويعامل المسلمين كفرد منهم ، ثم يعود إلى قفصه متى شاء ، بل قال استطاع أن يكون رجل العالم في حياته ولا أدل على ذلك من قصيدته التي نظمها سنة ١٣٨٣ هـ يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم وجاء فيها :

فغادرت أوطاني وأهلي وأسرتي	أجوب الفلا لم أشك قط كلالا
بكولخ طوراً أو بيوف ومرة	بباريس دار الفاسقين كسالا
ببلجيكا يوماً ثم يوماً تجولا	بغامرة أبغسي هناك جمالا
لعبد المليك القرم قد جثت موهنا	وما لندنا أبني فهبها خيالا
ببيروت أنحو الصين بالشرق خادما	رسول إله العرش وهو تعالا
كراتشي بها خلفت أهل مودتي	هم نصروا دين النبي فعالا
قد اعتصموا بالحبل جبل محمد	كباراً وأطفالا نسا ورجالا
بدار علوم الدين أدركت نزهتي	فقد شيدت مجداً يفوق مقالا

١ - في مقابلتي معه في التاريخ السابق .

لمركز انعام الإله تشوقي فقد شاد مجداً إذ أتاح مجالا
بكلكت بالهند القديم عمارة مسيري إلى مولى وجل جلالا
لهتكوك من بنكوك جاء خديعكم يوالى لك الاسفار وهو أطالا

... ..

علوت البحار الزاخرات وانني علوت القرى والمدن بله الجبالا
أروم رضى الباري لنصرة دينه وأبرز للجبل الجديده مثالا
ضعيف عليل شائب متحمس لينصر ديناً لا يريد قتالا (١)

ولا شك أن الطريقة التجانية هي سبب شهرة الشيخ ابراهيم إنياس حتى علا صيته ، وانتشر ذكره في الآفاق ، ولكنها في الوقت نفسه هي التي عاقته دون أن ينفع المسلمين ، أو بعبارة أخرى أن ينتفع المسلمون بمواهبه التي أسبغها الله عليه ، ولا أعني بالمواهب تربيته تلك وما شاكلها من الأمور الخيالية التي يسمونها بالفيوضات الربانية ، وإنما أعني بالمواهب هذه الأوصاف الجميلة التي يتمتع بما من القوة الشخصية ، والهمة العالية ، والعزيمة القاهرة وتوقد الذكاء ، ونفوذ البصيرة ، والقبول التام من الناس على اختلاف ميولهم وتباين طبقاتهم ، أضف إلى ذلك كله ما يتجلى به من الوعي الديني لأننا لو رجعنا قليلاً إلى بدء شأنه وأول أمره لرأينا أنه في نفس الوقت الذي كان يؤسس جمعيته الأولى التي سماها جماعة الفيضة التجانية (٢) كان الشبان السنغاليون من أبناء شيوخ الطرق الذين رجعوا إلى وطنهم - بعد أن كملوا تعليمهم العالي في مصر والمغرب وبقية أقطار العالم العربي - متأثرين بالحركات الإصلاحية الدينية التي يدور رحاها هنالك بلجب شديد يومئذ ، يقومون بحركات إصلاحية في بلادهم مؤسسين جمعيات متعددة لهذا الغرض ، ويرسمون لذلك خطوطاً عريضة ، منها القيام بشن هجوم عنيف مباشر ضد الطرق الصوفية ومشايخها على نحو ما مر بنا في الفصول السابقة ، من هذا البحث (٣) ولو انضم الشيخ ابراهيم إليهم وقاد حركتهم لأستطاع أن ينهض بالمسلمين في إفريقيا وخصوصاً الغربية إلى الأمام ، كما كان يكرر ذلك كثيراً في خطبه ،

١ - انظر مجموع أربع قصائد لشيخ ابراهيم ٢ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٦٨ .
٣ - الصفحة من هذا الكتاب

ولنجح في تطهير إفريقيا المسلمة من أدران عقيدة الطرق الصوفية الخرافية المثبطة للمسلمين عن النهوض ، ولوضع للجيل الجديد - كما يقول - مثلاً حسناً يقتدون به ومنهاجاً قيماً يسرون عليه ، نحو الرجوع إلى عقيدة القرآن وتعاليمه السامية ، فيكتسبون بذلك قوة خارقة ، يرفعون به أعداءهم ولاستراح هو من التزام التقية في آخر حياته ، بحيث يكون في أتباعه تجانياً صميماً يدعوهم بملء شذقيه إلى عقائد الطريقة التجانية ويقود لهم مبادئها وتعاليمها وإذا اجتمع بالمسلمين ذوي النفوذ الذين لا يؤمنون بالطريقة يخفي لهم أنه هو وأتباعه تجانيون .

وفاته وخليفته

توفي الشيخ ابراهيم إنياس مجدد الطريقة التجانية في القرن العشرين يوم الأحد ٢٧ يوليو ١٩٧٥ م في لندن المملكة المتحدة وقبل أن ينتقل إلى هنالك قضى ثلاثة أشهر أو يزيد في باريس للعلاج أيضاً ودفن وراء مسجده حسب ما أمر به في وصيته .

لقد سبق أن قررنا أن الروايات الشفوية تقرر أن أنه قد خلف عند موته خمسة وسبعين ولداً ما بين الذكر والأنثى وعلى أي حال فلأن لم يكن في مقدورنا أن نقطع بصحة ثبوت العدد فلا يفوتنا أن نقطع بأن عددهم كثير وقد أحصينا عدد المتزوجات من بناته فوجدناه يزيد على عشرين ، وربما نسي المخبر بعضهن وأحصينا أيضاً عدد أولاده الذين كملوا دراستهم والذين لا يزالون يكملون في مصر والمغرب والسودان فوجدناهم أكثر من عشرين أيضاً هذا كله ما عدا الثلاثة الكبار الذين يقومون بإدارة شؤون البيت والزاوية وتدريس التلاميذ وسياسة الأتباع ولم يدخل في هذا العدد أيضاً الصغار من الذكور والإناث .

وأكبر أولاده هو الحاج عبدالله إنياس ثم الحاج أحمد دم إنياس ثم الحاج أحمد التجاني إنياس وهؤلاء كما أشرنا آنفاً هم الذين يقومون بتدبير شؤون البيت والزاوية والحقول وسياسة الأتباع في أقطار إفريقيا الغربية .

وبعد فقد أوصى الشيخ - عندما أحس بدنو أجله - للسيد علي سيس بخلافته كما أسند إمامة مسجده إليه هو وبنائه أيضاً وجاء في نص الوصية ما يلي : « وبعد فلأن

أنا مت ولا باقي إلا الله تعالى فالله خليفتي في عيالي والولد البار الخادم الأرض العلامة العارف بالله سيدي علي سيس يرعى عيالي ، فهو شيخ أولادي وأصحابي وخليفتي بعد الله فيهم ، وأوصي أولادي أن يكونوا يداً واحدة يوقر صغيرهم كبيرهم ، ويرحم كبيرهم صغيرهم ، وليكونوا معه كما كانوا معي ، بل كما كانوا معه الآن ، وهو يقدر لهم قدرهم ويشاورهم ، وإن رأوا أن يبيعوا جميع تركتي وكتبي ماعدا المخطوطات فذلك لهم ، وإن رأوا إبقاءها فأرجو الله أن يغنيهم عن بيعها ، وكتب والذي تبقى وقفاً على عقبه ، كما أوصى بذلك رحمه الله وأدفن وراء المسجد الجامع في مكان يختارونه ، وما ملكت يميني من عبد وأمة حر في سبيل الله ، والجواري اللاتي كن للفراش ولا ولد لمن يرزقن من التركة كالمطلقات اللاتي ليس لمن حظ في الثمن ، وأوصي بصرف الاهتمام لإتمام المسجد والإمامة فيه لسيدي علي سيس ولأولاده الحسن ثم من شاء الله وإمامة زاوية كولخ تكون لأولادي من سكن منهم هنالك ، وأولاد إخواني يصلحون للنيابة حسب ما يرى سيدي علي سيس ، وكبير الأولاد الحاج عبدالله ، وأوصيكم وأوصي نفسي بتقوى الله في السر والجهر وصلة الرحم والمحافظة على الورد التجاني فهو كثر للأحياء والأموات .

وإذا نظرنا إلى نص الوصية نرى أن الشيخ قد أبعد أبنائه من خلافته إبعاداً يكاد يكون تاماً في ظاهر الأمر ، حيث لم يجعل لهم من الأمر شيئاً ، وما أسند إليهم إلا إمامة زاوية كولخ فقط لمن سكن هنالك منهم من غير أن يعين أحداً بعينه ، كما عين السيد علي سيس وابنه الحسن لإمامة مسجده ، مع أن أمر زاوية كولخ - إذا كان يريد بها زاوية الحاج عبدالله إنياس - قد خرج من يده بالمرة فور موته ، ولا يكون لأولاده وحدهم الحق في إمامتها فضلاً من أن يكون في يد السيد علي سيس لأنها في حقيقة الأمر حق مشاع بين جميع بني الشيخ عبدالله إنياس وقد سبق أن قررنا أن الشيخ إبراهيم مؤسس لمركزه الخاص به وليس خليفة لوالده بالرغم من دعواه ذلك ، للأدلة التي قدمنا كما قررنا أيضاً أن الخليفة للزاوية الكولخية في الوقت الحاضر هو هو الحاج عبدالله إنياس ابن الخليفة الأول الحاج محمد إنياس ، وكأن الشيخ لم ينتبه إلى ما سوف يحدث - من جراء وصيته هذه لو ذهب أبنائه ليجعلوها في موضع التنفيذ - بينهم وبين أولاد أخوته أولئك من العداوة والبغضاء وقطع الأرحام .

ومهما يكن من شيء فإننا - بقطع النظر عن ملاحظة الحكمة التي بي عليها الشيخ رأيه في إبعاد أبنائه من خلافته والفائدة التي يهدف إلى تحقيقها لهم من وراء ذلك - نفهم أنه ربما أراد بذلك أن يقتدي بالشيخ التجاني عندما أوصى بخلافته لصاحبه السيد علي التماسيني ، ثم من بعده لأكبر الأبناء من بينهما بالتناوب يوماً في بيت التماسيني ويوماً في بيته ، ولكن الخطة لم تنجح إذ سرعان ما حدث الشقاق بين البيتين فور موت السيد علي التماسيني وكذلك وصية الشيخ إبراهيم لو نفذت على النحو الذي كتبها لحدث الشقاق إما بين السيد علي سيس وبين أبنائه ، وإما بينهم وبين أبناء السيد علي سيس في المستقبل .

وعلى أي حال فإن الحاج عبدالله إنياس أكبر أبناء الشيخ إبراهيم إنياس هو خليفته لا السيد علي سيس كما قرره الشيخ في وصيته ، وهو الذي يقوم بإمامة الناس يوم الجمعة لا السيد علي سيس كما نصت عليه الوصية أيضاً ، فقد اختلفت الروايات في سبب هذا التغيير ، ويذهب المورتانيون إلى أن السيد علي سيس هو الذي تخلى عن الخلافة وسلمها للحاج عبدالله إنياس عن طيب نفسه ، وذلك عندما قرأ الوصية بكى وقال أنا لا أتقدم على ابن الشيخ أبداً . بينما تقرر بعض الروايات أن الأبناء هم الذين اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم حتى أجمعوا أخيراً على أن سير نظام الأسرة لا يستقيم إلا إذا كان الحاج عبدالله هو الخليفة ، فمن أجل ذلك أبعادوا السيد علي سيس من الخلافة وأجلسوه محله .

ومهما يكن من رأي فإن الجانبيين كليهما قد أظهرنا شيئاً من ضبط النفس وبعد النظر ، حيث تخلى السيد علي سيس عن الخلافة للحاج عبدالله إنياس كما رفض الحاج عبدالله واخوته أيضاً أن يحدثوا ضجة قد تفضي إلى الشقاق بينهم وبين أبناء أخوة أبيهم بمحاولة السيطرة على الزاوية الكولخية حسب مضمون نص الوصية .

الباب العاشر

دراسة كتاب كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس
للشيخ ابراهيم انياس الكونحي السنغالي التجاني والتعليق عليه

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الشيخ ابراهيم لأنه ألفه خصوصاً ليعرف بنفسه
وبمقامه في الطريقة التجانية .

١ - بدأ الكتاب بافتتاحية قصيرة بين فيها أن سبب تأليف الكتاب هو كثرة
إنكار الناس عليه وعلى فرقته التي سماها بأهل الفيضة التجانية الذين نعتهم بالمهدين
إلى نهج الرشاد وصرح بأن الأقطاب لا يساؤون بيضة منهم ، فبيّن أن هؤلاء المنكرين
ما قاموا بإنكارهم هذا إلا لبلادتهم واستيلاء الجهل والحسد والعناد على قلوبهم ،
حيث أنهم ما فهموا أن أنكارهم عليه ما هو إلا إنكار على الشيخ التجاني نفسه الذي
وصفه بالهادي الممد للعباد ، ولكنه تصامم عن إنكارهم ، مع أن ذلك شيء فظيع ،
لكونه عضواً في حزب أهل الفيضة ، فإذا رد عليهم معنى ذلك أنه دافع عن نفسه
بنفسه وانتصر لها ، وهذا لا يليق بأولى العزم من الرجال ، فاكتمى في ذلك برد
الحضرة القدسية عنه لأنها تدافع عن نفسها وعن المؤمنين بها ، وبقي على ذلك برهة
من الزمان وهم مستمرّون على إنكارهم المبني على الزور والبهتان فبدأ له أخيراً أن
يجمع لهم من كلام أئمة التصوف ليبين لهم مذهبهم فاستعان بالله واستمد من فيض
الشيخ التجاني لأن الرد على المنكرين على حركته رد عن الشيخ التجاني لأنه هو صاحب
هذه الفيضة ، ومفيضها على أصحابها بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى
ثم رتب فصول الكتاب إلى آخرها .

المقدمة

٢ - ومن المعلوم أن التربية هي العمود الفقري لحركة الشيخ ابراهيم كلها ومن أجل ذلك كرس مقدمة الكتاب على إثبات التربية حيث ذهب إلى أن ما ذهب إليه الشيخ أحمد زروق وشيخه أبو العباس الحضرمي من أن التربية بالإصطلاح ارتفعت خطأ لوجود عدد عظيم من شيوخ التربية بعدها ، وأيد رأيه في هذا بكلام الشيخ أحمد بن عجيبة في شرح المباحث الأصلية ، وكلام عبد العزيز بن الدباغ في الإبريز أيضاً ، وأكد كل ذلك بظهور الشيخ أحمد التجاني بعدها وهلم جرا .

٣ - ثم نقل عن السيد العربي ابن السائح أن التربية في الطريقة التجانية خالية عن التزام الخلوة والاعتزال عن الناس ونحو ذلك ، مما فيه تشديد على النفس والتضييق وقطع جميع الإرفاق عليها ، وذلك لأن التربية فيها جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأول .

٤ - ثم بين أن الطريقة التجانية لا تخلو دائماً ممن يقوم فيها بأعباء التربية في أي زمان ومكان ، بشرط أن لا تخرج عما حده الشيخ التجاني في ذلك مما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيد كلامه بقول عن السيد العربي وجواهر المعاني وجامع ابن المشري وهكذا .

٥ - ثم تكلم عن التربية عند السلف حيث بين سبب اصطلاح الخلوة والرياضات والمجاهدات فيها بعد إنقراض عصرهم إلى عصر الشيخ زروق وشيخه الحضرمي وسبب قطعها بارتفاعها بهذا الاصطلاح وأن معنى ذلك ليس انقطاع التربية بالكلية.

٦ - ذكر آيات قرآنية وأحاديث نبوية ترمي كلها إلى تقرير أن طائفة من أمة النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال على الحق حتى يأتي أمر الله وهذه الطائفة هي طوائف التربية الصوفية ، وأنهم لا يزالون في كل مكان وزمان إلى قرب يوم القيامة ، وهذا يكون بعد وفاة عيسى عليه السلام ، بعد أن يقتل الدجال وذلك أيضاً بعد ظهور الإمام المهدي بسبع سنوات على رأس المائة الرابعة بعد ألف وهكذا ثم جاء بكلام ابن عربي الخاتمي الرامي إلى أن هذه الطائفة كانت بالمغرب لأنه أي المغرب مظهر الختمية

والكتمية ، أي لأن المغرب هو مظهر القطب المكتوم ، والخاتم المحمدي المعلوم ، الذي هو الشيخ التجاني في نظرهم ، ثم دعم كلامه بما أثره عن الشيخ التجاني نفسه أنه قال عند قوله تعالى : « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » . إن الثلة الأخيرة هي أصحابه أي أهل طريقته ، فمظم الشيخ ابراهيم ذلك وقال : « أنظر بعين الإنصاف تجد له - أي الشيخ التجاني - تمام الوراثة حيث صارت في الأمة الثلاث ثلة بلحده وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثلة له وهم أصحابه ، ثم قال أيضاً إن هناك إشارات أعظم من هذا الذي ذكره وإنما أحجم قلمه عن تسطيره لعظمته ثم بيّن أن النبي صلى الله عليه وسلم في حياته يبلغ نوعين من الأحكام ، أحكام هي للعامة وهذه انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم ، وأحكام هي للخاصة وحدهم وهذه ما انقطعت وهي لا تزال جارية حتى الآن يلقتها للخاصة ومن ظن أن مدد النبي انقطعت بموته فقد جهل مرتبته وهكذا .

الفصل الأول

في حقيقة التصوف وأصل تلقين الاذكار :

٧ - بدأ الشيخ ببيان حقيقة التصوف ليوضح للمنكرين على حركته أنهم على خطأ فاحش ، وظن خائب ، فإنه فوق ما يظنون بكثير لأنه على بصيرة تامة من أمره ، ولا يحوم الجهل والوهم حول شأن من شؤونه ، وأن أهل فيضته هؤلاء هم الممثلون الحقيقيون للطائفة الصوفية في هذا القرن .

٨ - ثم بيّن أن التصوف مثل كل فن من فنون العلوم الإسلامية له حد وموضوع ، وواضع ، واسم ، واستمداد ، وحكم ، ومسائل ، وفضيلة ، ونسبة ، وثمره ، وحده أي تعريقه جاء في نحو ألفي وجه حيث إن لكل شيخ من الشيوخ الصوفية تعريفاً يخصه أو تعاريف ولكنها كلها ترجع إلى صدق التوجه إلى الله تعالى ، وأما موضوعه فهو ذات الله تعالى لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها إما بالبرهان أو الشهود والعيان ، وأما واضعه فهو النبي صلى الله عليه وسلم ، علمه الله إياه بالوحي والإلهام ، فنزل

جبريل عليه السلام أولاً بالشريعة فلما تقرر نزول ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، فأول من تكلم فيه وأظهره هو سيدنا علي كرم الله وجهه ، وأخذ منه جميع الصوفية ، إلا أن الشيخ التجاني من الله عليه بالأخذ عن النبي مشافهة ، من غير واسطة أحد من المشايخ ، وسند التجانيين منه وأما إسمه فهو علم التصوف ، وهو أيضاً مثل التعريف اختلفوا فيه كثيراً وحصر صاحب إيقاظ الهمم الخلافات في خمسة أوجه واختار الشيخ كون الإسم مشتقاً من الصفاء ، وأما استمداده فهو مستمد من الكتاب والسنة ، وإلهامات الصالحين ، وفتوحات العارفين ، وأما حكم الشارع فيه فهو فرض عين ، حيث أنه لا يخلو أحد من عيب ، لأن الشاذلي قال من لم يتغلغل في التصوف مات مصرأً على الكبائر ، وهو لا يدري ، وأما تصور مسائله : فهو معرفة اصطلاحاته ، والكلمات التي تداول بين القوم مثل الفناء ، والبقاء ، وهلم جراً ، وأما فضيلته فهو أفضل العلوم على الإطلاق لأنه متعلق بالذات العلية ، وأما نسبته من العلوم فهو كلي لها ، وشرط فيها ، وأما فائدته : فهو تهذيب القلوب ومعرفة الله .

٩ - ثم شرع يبين أن هذا العلم الذي كان هذا الذي تقدم صفته وتعريفه ليس هو قلقلة اللسان وإنما هو أذواق ووجدان ، ولا تؤخذ من الأوراق وإنما تؤخذ من أهل الأذواق ، وخدمة الرجال ، وصحبة أهل الكمال ، ثم حلف الشيخ إبراهيم بالله أنه ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح .

١٠ - ثم أخذ يبين أصل تلقين الأذكار والأوراد ، حيث أورد حديثاً مفاده أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أمر بعض أصحابه أن يرفعوا أيديهم ويقولوا لا إله إلا الله ، ثم قال ابشروا فإن الله قد غفر لكم ، وروى حديثاً آخر أن علياً كرم الله وجهه سأل رسول الله أن يعلمه كيفية الذكر ، فأمره الرسول بإغماض عينيه وذكر الهيلة ثلاث مرات ، بعد أن سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لقنها علي الحسن البصري ، ثم الحسن الحبيب العجمي ، وهكذا انتشر إلى جميع الصوفية فاستشهد الشيخ بحديث أنس الذي فسرته بالإفادة بالهمة والحال ثم جاب أقوال شيوخ

الصوفية في هذا المجال الذين يقررون أن من لم يكن له شيخ لا يفاجأ أبداً أو شيخه الشيطان ، وأن هذه الأوراد عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشايخ ، فمن اتصل بحبل المشايخ حافظ على العقود ووفى بالعهود ، ومن تهاون بالمشايخ وفترط في العقود والعهود كان ذلك سبباً لزيغته ، وخرق سفينة دينه ، وختم كلامه بحديث نسب إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : يَسْجَلُوا المشايخ فإن تبجياهم من تعظيم جلال الله .

الفصل الثاني

في فضيلة الذكر :

١١ - لقد علق الشيخ في هذا الفصل أهمية كبرى لقوله تعالى : «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» حيث صرح بأنه مما ينبغي أن يهتم هو بمعرفة ذلك ومضى يشرح المراد بذكر الله كثيراً ومن يستحق أن يوصف بذاكر الله كثيراً فإن الذكر هو منشور الولاية ومعراج السلوك إلى حضرة الله تعالى ، حيث أن المريد إذا لم يغز بلقاء شيخ مرشد يصل إلى الله وحده بكثرة ذكر الله والصلاة على رسوله ، لأن ذكر الله هو أقرب الطرق إلى دخول الحضرة القدسية حيث لا يفارق الاسم مسماه ، فلا يزال يذكر والحجب تتمزق شيئاً فشيئاً حتى يقع الشهود القلبى ، وحينئذ يستغني عن الذكر بمشاهدة المذكور ، وأن من فضائل الذكر وخصائصه ومميزاته أنه ليس له وقت مخصوص وأن العبد مطالب به في جميع الحالات إما وجوباً وإما ندباً ، بخلاف غيره من الطاعات .

١٢ - ثم قسم الذكر إلى أربعة أقسام الأول : ذكر اللسان فقط ، والثاني ذكر القلب ، والثالث تمكن الذكر من القلب ، وهذه الثلاثة كلها بمثابة قشور بعضها أقرب إلى الباب من بعض ، والرابع هو الباب وهو أن لا يلتفت القلب إلى الذكر ، ولا إلى القلب ، بل يستغرق في المذكور بحملته ، وهذا القسم هو المعبر عنه عندهم بالفناء ، ويتدرج فيه إلى أن يفنى عن فئائه ، وهذا المقام هو الذي يظنه الفقيه إطلاقاً

غير معقولة ، وليس كذلك بل هي حالة شبيهة بحال كل محبوب مع محبوبة ، وهكذا وهذا الفناء يرد على القلب كالبرق الخاطف ثم يزول فقلما يثبت ، وإذا دام وثبت وصار عادة ترقى به صاحبه إلى العالم الأعلى ، حيث يطالع الوجود الحقيقي الأسمى ، حتى ينطبع فيه نفس الملكوت ، وتجلي له قدس اللاهوت ، وأول ما يتمثل له من ذلك جواهر الملائكة ، وأرواح الأنبياء والأولياء ، في صورة جميلة تتسأل إليه بواسطتها بعض الحقائق ، إلى أن تعلق درجته عن المثال ويصادف بصريح الحق في كل شيء ، ولذلك إذا رجع إلى عالمنا المثالي المجازي هذا يراه كالظلال ، وعندئذ يترحم على المحجوبين لحرماتهم عن مطالعة بهجة جمال حضرة القدس ، وهذا كله ثمرة لباب الذكر وفضيلته واستعان الشيخ على ذلك بأحاديث نبوية وبما نقله عن المشايخ الصوفية .

الفصل الثالث

في الإجتماع للذكر والترغيب في قراءة القرآن والاجتماع له :

١٣ - يبدو أن الشيخ قد عقد هذا الفصل ليبرر به اجتماع أهل فيضته للذكر لا إله إلا الله والجهر به ، على بابيه ، وعلى أبواب تلاميذه وأصحابه في زواياهم وفي الطرقات أيضاً هناك في كولخ وجميع البلدان حيث كان أتباعه لأن هذا الذكر كما مر من لوازم التربية الصوفية ، وهو قد نشر أعلامها في أقطار إفريقيا الغربية كلها ، فلا بد إذن والحال هذه أن يشيع الذكر في أوساطهم بشكل يقلق بال غيرهم ، وإزعج راحتهم ، لأنه أمر لم يتعوده الناس في السودان الغربي ، فكانوا في كل مكان منه ينكرون عليهم هذا الإظهار والإجهار بذكر لا إله إلا الله ، لأنهم يرونه ابتداع شيء في الدين وليس منه ، أو غلو فيه وبعضهم يفسر ذلك بالرياء ، وبعضهم يعتبره أحبولة نصبت لقنص ما في أيدي العامة والبسطاء ، وهكذا فكتب الشيخ جراء كل هذا مبرراً ما عليه عمله هو وأصحابه وتلاميذه من ذلك ، ثم استعان عليه بما جلبه من الأحاديث النبوية الداعية إلى ذلك وبيان أئمة العلم الإسلامي وأساطين التصوف فيه ، ثم ختم

كلامه ببيان فضائل قراءة القرآن ، وكيفيته والترغيب فيه ، والإجماع لها وهكذا .

الفصل الرابع

في ذكر الفيضة التجانية :

١٤ - هذا الفصل هو المحور الذي يدور عليه الكتاب كله ، لأنه كما سبق أن قلنا إنه ألفه ليعرف الناس بنفسه أنه هو صاحب الفيضة التجانية التي أخبر الشيخ التجاني أصحابه بإتيانها ، وهو الذي تظهر على يديه ، وهو ناشرها ومفيضها ، ومن أجل ذلك فتح الفصل بالقول المأثور عن الشيخ التجاني الذي اعتمد عليه في ظهور الفيضة ودعوى أنه صاحبها فقال : « قد تواتر بين أصحاب الختم التجاني وتداول في كتب المؤلفين في طريقته أنه قال : « تأتي فيضة على أصحابي حتى يدخل الناس في طريقتنا أفواجا ، تأتي هذه الفيضة والناس في غاية ما يكونون عليه من الضيق والشدة » .

١٥ - ثم قرر أن أصحاب الشيخ التجاني وخلفاؤه وورثة أسرارهم بعده قد تكلموا عليها ، وكثير منهم ادعاهم لنفسه ، ولكن وقع في كلامهم اضطراب وقد سئل الشيخ عمر الفتوي عنها فأجاب بأنه هو والإمام المهدي المراد بهذه الفيضة ، وذهب بعضهم إلى أنها هي التي وقعت في بلاد شنجيت على يد الشيخ محمد الحافظ ، وبعضهم يشك في وقوعها لأنها لا تخص بلداً ولا إقليمياً إلا أنهم كلهم متفقون على أن الشيخ - التجاني - كان يستبعد زمنها .

١٦ - ثم جاء بملاحظة يبرهن بها على أن عصره هو العصر المعترف لظهور هذه الفيضة لأن الأوصاف الثلاثة التي قدمها الشيخ التجاني بين يدي ظهور هذه الفيضة قد توفرت حينئذ وقد شاهد الناس من الضيق والشدة في زمن ظهوره على حد تعبيرة ما لم يشاهده كثيرون من الكبار الذين أدركهم ودخل الناس في الطريقة التجانية أفواجا وقد حصل الفتح الكثير من معرفة الله والاستغراق فيه برفض كل ما سواه في المجتمع التجاني كل ذلك على يده بشكل لم يسبق له مثيل في الطريقة التجانية منذ ظهورها إلى اليوم الذي ألف فيه كتابه .

١٧ - ثم قدم توطئة يسيرة ذكر فيها بعض من ادعى ظهور هذه الفيضة على يده من شيوخ التجانية الذين عاصروهم قبل أن يصرح هو بأنه هو صاحبها الذي تظهر على يده ليكون ذلك شاهداً على أن عصره ذاك هو عصر ظهورها فقال : « وقد ادعاه لنفسه العارف بالله سيدي محمد الحافظ بن خير العلوي ، وكذلك ادعاه أيضاً الشيخ الحاج عبدالله بن الحاج العلوي الذي كوشف له عن الفيضة فرآها لنفسه على حد تعبير الشيخ ابراهيم ، ولما أحس بدنو أجله فلم تظهر فهم أنها تبقى في تلاميذه فصار يكثر التقديم حرصاً على التوسط فيها وذلك بسبب جولانه ، وقد صرح هذا الشيخ له أي للشيخ ابراهيم أن هذه الفيضة تأتي على يده حقيقة لا مجازاً وعلى يد غيره من كل من يدعيها مجازاً ، وبيّن له أنه سوف يكون كبير الطريقة التجانية في زمانه ، وسوف يرى من الحسد ما لم يره أحد قبله ، وأشياء خجل الشيخ من إثباتها في بطون الأوراق.

١٨ - ثم أتبع ذلك بذكر من صدق بظهور فيضته هذه على يده من الشيوخ العلويين التجانيين المورتانيين ، فقال : « ومن جزم بوقوع هذه الفيضة التي ذكرها الشيخ السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الملقب بيد حسان الطريق ، ومنهم السيد محمد عبد الرحمن بن الحاج العلوي ، ومنهم السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، وأما الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ والشيخ محمد الأمين بن أحمد بن محمد حسان الطريق فما صرحا كتصريح هؤلاء ولكنهما أقراه على ما هو عليه ودعوا الله له .

١٩ - وقبل ذلك قد جلب آيات قرآنية وأحاديث نبوية يستشهد بها على صحة ظهور فيضته هذه ، ولما شعر بأن بعض القارئین لكتابه ينكر عليه الإستشهاد بالآيات والأحاديث على صحة فيضته احتسب عن ذلك بقوله : « فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنة ، إن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن لظاهر الآيات أو الحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم ، فمن المفهوم ما جلب الآيات أو الحديث (للاستشهاد بها) له ودلت عليه في عرف اللسان ، وثم إفهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه ، إذ قد ورد في الحديث النبوي إن لكل آية ظاهراً وباطناً وهدى ومطلعاً إلى سبعة

أبطن وإلى سبعين وهكذا ثم بيّن أن الحكمة في ظهور هذه الفيضة في هذا الزمان الفاسد ضعف الإيمان في قلوب الناس وكثر الفرق الضالة والمضلة ، وهذه الأمة أمة مرحومة فأفيضت إليهم المعارف والحقائق كي يرجعوا لأصل فطرة الإيمان فافهم .

٢٠ - ثم أورد أشعاراً لبعض المورتانيين الذين أخذوا عنه ومدحوه هو وفيضته فقال عقب لإيراده للأبيات وهؤلاء هم مشايخ الإسلام ورجال طريقتنا فمن عداهم عيال لهم ، وكلهم أقروا بوقوع الفيضة على يد العبد الجاني جامع هذا المجموع المبارك التجاني .

٢١ - ثم عرض بالمنكرين على شأنه فقال وهؤلاء الذين وقعت فيهم هذه الفيضة شغلهم دائماً الله ورسوله والشيخ التجاني استغرقهم كلياً فلا يفعلون إلا له وبه وهم القائمون بتعمير زواياه بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وبالصلاة على قدوتهم العظمى ووسيلتهم الأسمى وتتبع سنته وأخلاقه وآثاره وآدابه قد عبرهم أهل الغفلة الذين لم يرفعوا لشأن الإمام رأساً وليس لهم من التجانية إلا مجرد الأخذ بأنهم ليسوا بالتجانيين فاستغربت ضحكاً .

٢٢ - ثم سلى نفسه عما يجده من وقع إنكار أعدائه على شأنه ونقدهم لدعوته بما جلبه من أقوال من تقدمه من مشايخ الصوفية الذين واجهوا مثل ما يواجهه من الإنكار والانتقاد .

الفصل الخامس

في أن علوم الأدواق المستند فيها الكتاب والسنة :

٢٣ - لقد حاول الشيخ أن يثبت في هذا الفصل أن علوم الصوفية الباطنة كانت معتمدة على الكتاب والسنة ، فبين أن علم التصوف علم انقذ من قلوب الأولياء حتى استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل به انقذ له من ذلك علوم وآداب ، وأسرار وحقائق ، تعجز الألسن عنها ، نظير ما تقدح لعلماء الشرع من

الأحكام حتى عملوا بما علموا من أحكامها ، فالتصوف إنما هو زيادة عمل العبد بأحكام الشريعة ، فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاً صدق ، ومن جعله عين أحكام الشريعة صدق ، فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، ولكن أصل استغراب من لاله إمام بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة كونه لم يتبحر في علم الشريعة فكل صوفي فقيه ، ولا عكس ، وبالحملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم .

٢٤ - فبعد أن تم له هذا اصطدم بالحديث الذي رواه الشيخان وخصوصاً لفظ مسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . فحاول أن يصرفه عن ظاهره فقال : « أي هذا الأمر الكامل الذي لا يحتاج إلى زيادة إحداث ما ليس منه أي شيئاً لم يكن له من الكتاب والسنة عارضد ظاهر أو خفي ملفوظ أو مستنبط .

٢٥ - ثم استشهد على صحة أن علوم الصوفية مستندة على الكتاب والسنة بآيات قرآنية : مثل قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء » وقوله « وما فرطنا في الكتاب من شيء » « ويخلق ما لا تعلمون » ثم جاء بجواب سيدنا علي كرم الله وجهه عندما سأله أبو جحيفة هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا إلا كتاب الله تعالى ، أو فهم أعطيه رجل مسلم . وجاء بقول آخر نسبته إلى أبي هريرة أنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثنته لكم وأما الآخر فلو بثنته قطع مني هذا البلعوم .

٢٦ - ثم جاء بحديث قال فيه الرسول : « فلما أدنانني ربي حتى كنت كما قال تعالى : « قوسين أو أدنى » قال وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا كيف ولا تحديد حتى وجدت بردها على فؤادي فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى فعلم أخذ علي العهد لكتمانه إذ علم أنه لا يطبق حملة أحد غيري وعلم خبرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل عليه السلام يذكرني به ، وعلم أمرني بتبليغه للعام والخاص من أمي .

٢٧ - ثم أعقب ذلك بالآيات التي يتعلق بها الصوفية دائماً في تدعيم علومهم الباطنية مثل فأنما تولو فثم وجه الله ومثل « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » .

الفصل السادس

في مدار التربية في الطريقة التجانية :

٢٨ - إن الناظر لهذا الفصل قد يتوهم من أول وهلة أن الشيخ يريد أن يبين كيفية التربية في الطريقة التجانية ، وليس كذلك ، بل إنما أراد أن يبين فيما يبدو أن التربية في الطريقة التجانية شيء سهل حيث كانت خالية من التشديد والتضييق مثل المجاهدات والرياضات واعتزال الناس والتزام الخلوة وحياة التقشف وما إلى ذلك وإنما هي عبارة عن أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، وشروطها ، والقيام بالورد التجاني حسب ترتيبه وشروطه وآدابه وتعمير سائر الأوقات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن لا تظن أن هذا هو كيفية التربية لا بل إنما هو المحور الذي تدور عليه فقط وإذا أردت كيفيتها فعليك بحضرته هو أو بعض تلاميذه الذين أخذوها عنه ونصبهم في البلاد والأقطار للقيام بها .

وعلى أي حال فإن من داوم على هذه الأمور المذكورة على الوجه الموصوف فأحواله في النهاية على ثلاثة أضرب وهي : -

أ - إما أن يفجأه الفتح أو يهجم عليه هجوماً مباغتاً .

ب - وإما أن يمن الله عليه برفع الحجاب عن عيني قلبه فيصير يجتمع بروحانية الشيخ التجاني أو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم فتكون تربيته بطريق الإستفاضة من أحدهما أو منهما معاً ثم قال مؤيداً رأيه هذا : « فمن أجل ذلك لإشترط استحضار صورة الشيخ التجاني أو صورة النبي صلى الله عليه وسلم في غضون الورد .

ج - وإما أن يقبض الله له أخاً في الطريق الذي يشهده الله تعالى سر خصوصية ويزيل بينه وبينه حجاب بشريته فيقوم بأعباء تربيته فيسير به إلى الله في سره وعلايته .

٣٠ - وكل من كان فتحه على هذه الوجوه المذكورة يكون نوره تاماً وهكذا ثم أعقب ذلك كله بمقطعات شعرية ، جالها من نظمها هو ، وكلها تهدف إلى توجيه

المريد في أحواله ، إما قبل الدخول في التربية أو في حال تلبسه بها ، أو بعد الإنتهاء منها وهكذا .

٣١ - ثم ختم كلامه بما قدمنا من أن من أراد شيئاً زائداً على هذا الذي بينه فعليه بمصاحبة الرجال وخدمة أهل الكمال .

هذا وقد اعتمد في معلومات هذا الفصل على مقالات السيد العربي ابن السائح في كتابه بغية المستفيد والجواب الشافي له أيضاً .

الفصل السابع

في التحذير من الإنكار على أهل الخصوصية ومن يجوز له الإنكار :

٣٢ - لقد حاول الشيخ في هذا الفصل أن يقنع قارئه بأن من أنكر على الشيوخ الصوفية أقوالهم وأفعالهم فقد وقع في خطر عظيم وهو سوء الخاتمة التي تلحقه إن لم يتب ، ولذلك فتح كلامه في الفصل بقوله ومما يجب أن يفر عنه ويحذره من يشفق على نفسه ودينه الواقعة في أولياء الله تعالى ومعاداتهم والإنكار عليهم ، والتماس معائبهم ، وتنبع زلاتهم ، ونفي الخصوصية التي منحهم الله حسداً ، فإن هذا مرتعه وخيم ، وجزاؤه عذاب أليم ، وهو الحرمان والخسران وسوء الخاتمة ، وروى عن بعضهم أنه جرب فلم يجد فقيهاً ينكر على الصوفية إلا ويهلكه الله ، وتكون عاقبته وخيمة ، وروى عن آخر أنه قال من رد دعوته ولي فقد رد دعوة نبي وروى عن آخر أن أحد الشيوخ الصوفية وهو أحمد البدوي سلب إيمان أحد الفقهاء لأنه أنكر اجتماع الرجال والنساء في عيد ميلاده ، وروى عن آخر أن وقع في عرض ولي ولم يعاجل بمصيبة فلا يحكم له بالسلامة من انتقام الله منه ، فقد تكون مصيبته أعظم بأن يصاب في دينه أو قسوة في قلبه ، أو جمود في عتته أو تعويقاً عن طاعته أو وقوعاً في معصية .

٣٣ - ثم أعقب الشيخ ذلك بإسداء النصيحة لقارئ كتابه بقوله : « إياك أيها

الأخ أن تصني إلى الواقعين في هذه الطائفة ، والمستهزئين لثلاث تسقط من عين الله وتستوجب المقت منه وهكذا .

٣٤ - ثم صرح بأن أهل الظاهر هم الذين ابتلى الله بهم الطائفة الصوفية فقل أن نجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولي معين ، بل يقول لك نعم إن الأولياء موجودون ولكن أين هم فلا تذكر له أحداً إلا وأخذ يدفع خصوصاً الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عارياً من وجود نور التصديق فحذر ممن هذا وصفه ونصح قارئه بالفرار منه فراره من الأسد .

٣٥ - ولما تم له ذلك نقل من الشيخ عمر القوتي قوله : « ومن قبائح الإنكار على الأولياء أن المنكرين مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين فلا شك أن الله تعالى يعاقبهم بمثل ما عاقبهم به لا تصافهم بصفاتهم ومنها أنهم يقولون إن الذي عليه الملوك والظلمة وأعوانهم هو الدين القيم والصراط المستقيم ، وما عليه علماء الآخرة والكرام البررة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه هو الطريق المعوج السقيم والبدع القبيحة التي توارثها من كان في الضلال القديم هو الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه الصميم هكذا .

٣٦ - والظاهر أن الشيخ إبراهيم قد اقتنع بهذا الكلام واطمأن به ومن أجل ذلك قال تأمل كلام هذا القطب القوتي بالجليل المقدار تراه كشف أحوال المنكرين نجانا الله من بلواهم .

٣٧ - ثم نقل عن الزركشي الذي اشترط من جملة ما اشترطه لمنكر كلام الصوفية أن يكون عارفاً باصطلاحاتهم ، لأنه بذلك يستطيع أن يقف على حقيقة قصدهم ، وفحوى إشارتهم ، لأنه إن لم يعرف هذا الإصطلاح إذ سمعهم يقولون التوبة مثلاً ، ينكر عليهم فإذا عرف أن مرادهم بذلك اتهام أنفسهم في إخلاص التوبة ورويتها رجوع عن إنكاره وهكذا وأفاض في ذلك ، ثم ختم ذلك بحديث رواه عن الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وثلاث عشرة طريقة لا يلقى العبد بها ربه إلا دخل الجنة .

٣٨ - وهكذا حتى انتهى إلى أنه لا يجوز لأحد أن ينكر على الصوفية إلا من

أحاط بالشرعة ولا يحيط بها إلا النبي صلى الله عليه وسلم والكامل من ورثته كالأغوات في كل زمان ، وأما غيرهم فسكوتهم خير لهم لو كانوا يعلمون .

٣٩- ثم أورد مناظرات وقعت له مع بعض المنكرين على الشيوخ العظام وأفحمهم فوقف أخيراً على أن هؤلاء المنكرين لا يعتمدون في إنكارهم على أمور صحيحة .

الفصل الثامن

في وجوب طلب الشيخ المرشد وصفته وحال المريد معه :

٤٠- هذا الفصل من دون ريب هو أهم فصول الكتاب بعد فصل صاحب الفيضة التجانية وهو الذي يليه في الرتبة المنطقية إذ لا شيء بعد معرفة المريد بصاحب الفيضة إلا شد الرحال إليه والعكوف بجنابه والتأدب معه .

٤١- ومن أجل ذلك قرر ابتداء أنه لا بد للمريد في هذه الطريقة أي الطريقة التصوفية من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تأديب نفسه والتخلص من هواه فليسلم نفسه إليه ويلتزم طاعته والإنقياد في كل ما يشير به عليه من غير ارتياء ولا تأويل ولا تردد لأن القاعدة المطردة عندهم تقول إن من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان.

٤٢- وبين أن هذا الشيخ لا بد أن يكون شيخاً وأصلاً وولياً كاملاً دل الله المريد عليه وأطلعه على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنه شهود بشريته في وجود خصوصيته فيلقى إليه قياده ليسلك به سبيل الرشاد ويعرفه برعونات نفسه في كمائناتها ودفائناتها ويدله على الجمع على الله ويعلمه القرار عما سوى الله ، ويسايره في طريقه حتى يوصله إلى الله ، ويوقفه على إساءة نفسه ويعرفه باحسان الله إليه فيستفيد من معرفة إساءة نفسه الهرب منها وعدم الركون إليها ويستفيد من العلم باحسان الله إليه الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدوام بين يديه على ممر الساعات .

٤٣- ولما شمر بصعوبة حصول المريد على هذا الشيخ بيّن له شخصيته وعلمه

بالعلامات التي يمكنه أن يستدل بها على العثور عليه وقال له : « الشيخ الواصل هو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً بقينياً وبإمكانه أن يقف عليه بسهولة إذا كان صادقاً في طلبه إياه لأنه يهديه بأخلاقه ويؤدبه باطرافه وينير باطنه باشراقه ويجمعه في حضوره ويحفظه في مغيبه بحيث تشهد له ذاته بالتقديم وسره بالتعظيم لأنه جمع علماً صحيحاً وذوقاً صريحاً وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة .

٤٤ - ولما رأى أن الشيوخ انقسموا إلى شيخ التعليم وشيخ التربية وشيخ الترقية وفهم أنه ربما يلتبس الأمر على المريد فيذهب إلى أن شيخ التعليم هو المقصود بهذا الأمر الجسم وليس هو بين له الأمر على وجهه حيث صرح بأن شيخ التعليم ليس هو المعبر وإنما المراد هو شيخ الترقية فقال :

ليس شيخك من واجهتك عبارته وإنما شيخك الذي سرت فيك إشارته .

وليس شيخك من سمعت منه وإنما شيخك من أخذت عنه .

وليس شيخك من دعاك إلى الباب وإنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب .

وليس شيخك من واجهك مقاله وإنما شيخك الذي نهض بك حاله .

شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى .

شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك .

شيخك هو الذي نهض بك إلى الله فنهضت إليه .

شيخك هو الذي سار بك حتى وصلت إليه .

شيخك هو الذي لا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه .

شيخك هو الذي زج بك في نور الحضرة فقال لك ها أنت وربك .

٤٥ - وهذا النوع من الشيوخ هو الذي تشق المهامه في طلبه لأنه هو الذي نال كمال الإذن من الحق سبحانه إذناً خاصاً في هداية عبيده وتوليته عليهم بإرشادهم إلى الحضرة الإلهية ، وهذا الشيخ هو المعبر عنه عند القوم بالكبير ، ومتى عثر المريد على من هذه صفته فالواجب عليه أن يلقي نفسه بين يديه كالبيت بين يدي غاسله ، لا اختياراً

له ، ولا إرادة ، ولا إعطاء له ولا إفادة ومتى أشار اليه بفعل أو أمر فليحذر من سؤاله بلمّ وكيف وعلام ولاي شيء فإنه باب المقت والطرود وليعتقد أن الشيخ أعرف بمصالحه منه وأي مدرجة أدرجه فيها فإنه يجري له في ذلك كله على ما هو الله بالله بإخراجه عن ظلمة نفسه وهواها .

٤٦ - ولما شعر بأن المرید قد يضطر إلى السؤال عن مسكن هؤلاء الشيوخ المتصفين بين له بكل سهولة أن الشيوخ المتصفين بهذه الصفات كثيرون وأغلبهم في المدن الكبار فإنها مقرهم ، وأما معرفتهم والاتصال بهم فإنه عسير وأغرب وجوداً من الكبريت الأحمر ، لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم ، ومن سألهم عن هذا الحال نفروا منه وطرودوه ، وحلفوا له ما عندهم من هذا الأمر شيء والعلة الموجبة لهم لهذا أنه قد فسد نظام الوجود بمشيئة الحق سبحانه وتعالى التي لا منازع لها وليس لكل آدمي إلا السعي في أغراضه عن الحضرة الإلهية وما يستحقه من توفية الحقوق والأدب وليس للعامة في هذا الوقت من السعي للأولياء إلا لأغراض فاسدة يريدونها من التمتع بالدنيا ولذاتها وشهواتها .

٤٧ - ويجب على المرید إذا من الله عليه بالوصول إلى هذا النوع من الشيوخ أن يلزم الأدب وهو أن لا يمشي معه ، وفي رجله نعل ، وأن لا يلبس شيئاً من الثياب التي تدل على الرفاهية إلا بإذنه له لعذر ، ولا ينام معه في بيت واحد ، ولا يبصق ولا يتمخط ولا يمد رجله ولا يكثر الالتفات بحضرته ولا يجلس على بساطه ولا يتنفس نفسه إلا بإذنه ومعنى كل هذا أن يطيع المرید هذا الشيخ طاعة عمياء ولا يخالفه في شيء لأنه من خالف شيخه سرّاً أو جهراً لا يشم رائحة الصدق فإن صدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه الشيخ إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه .

٤٨ - ومن الآداب المطلوبة أيضاً احترام كل ما ينسب اليه ولو كلباً وحب مريديه وقرابته وأحبائه ومحبوباته ، حتى من المطاعم والملابس ذلك لأن كل تعظيم واحترام لهذا النوع من الشيوخ فهو لله على الحقيقة .

٤٩ - ويجب على المريد أن يستحضر النية في قلبه عند ملاقاته مع هذا الشيخ وكذلك عندما يسمع شيئاً منه وإذا امتحنه وجب عليه أن يثبت تحت مرارة امتحانه حتى يكون الشيخ هو الذي ينقذه من سجن الإمتحان كما أن علم المريد بأن امتحان الشيوخ هو عين المنة يسهل له احتمال مضض امتحانهم .

٥٠ - ثم إنه يجب على المريد أن يعلم أنه لا بد من صدور أربعة خصال من هذا الشيخ وهي الأذى ، والإكرام ، والإساءة ، والاحسان . فيقابل : -

١ - أذاه بالصبر لا بالجزع .

٢ - وإكرامه بالثناء من دون إطراء .

٣ - وإساءته بالعذر من غير فزاع ولا ازدراء .

٤ - وإحسانه بالموافقة من غير توقف .

٥١ - ويستحب للمريد أن يتبرك بشياب الشيخ وفضل وضوئه وريقه الشريف وعرقه ودابته وإناء شربه ومواضع صلاته وخلواته ويعتقد أن فيها تأثيرات في دفع الأدواء الجثمانية والأسواء الروحانية .

٥٢ - هذه التربية التي يقوم بها هذا الشيخ لا تنقطع أبداً لأن الله تعالى قبل أن يبعث سيدنا محمداً عليه صلوات الله وسلامه كان يرسل الأنبياء بالتربية فكان كلما خلا رسول يأتي بعده آخر بالتربية من الله تعالى ولما بعث الله خاتم الرسل والأنبياء صار يبعث الأولياء الكاملين أولي الإذن الخاص بهذه التربية فكلما مضى ولي عارف كامل مرشد جاء بعده آخر وهلم جرا إلى أن يرث الأرض خالقها ومصدق ذلك أن الأرض قد بكت حينما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا إلهي وسيدي صرت بوفاة خاتم أنبيائك لا أعمشي على ظهري نبي إلى يوم القيامة فأوحى الله تعالى لإليها أن اصبري فسأجعل على ظهرك من هذه الأمة عبداً إلى كانت قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تخلين منهم إلى يوم القيامة .

الفصل التاسع

في تحقيق الرؤية التي يدعيها الرجال وما قال العلماء في رؤية ذات الباري جل وعلا :

٥٣ - عنوان هذا الفصل يدل على أن الشيخ سوف يناقش موضوع رؤية الله تعالى عياناً ولذلك ففتح كلامه بقوله : « اعلم أن القوم يتكلمون بألفاظ في اصطلاحهم ليست على ظاهرها ولا يعرفها إلا من شرب من مشاربهم ، وربما أنكرها أعمى البصيرة المحروم نور التصديق ويستحيلون صدق ما يدعون ، وربما أنكر المنكر بحجج داحضة حيث لم يهتد إلى الشيء المنكر فيعرف ما يدفعه به ، وإذا سمع أحداً يدعي مشاهدة الحق قال الله تعالى : « لا تدركه الأبصار » والمشاهد لا يدعي الإدراك ولا يرى سوى مشهوده وكل من يرى سوى مشهوده ولو ذرة يعتقد أنه هو لم ينف الشريك فمدعي المشاهدة هو أتم الناس اعتقاداً أن لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

٥٤ - ولما تم له كل ذلك قال : « فصاحب هذا المقام لا كلام له ولا عبارة إذ قد انقطعت العبارة فهذا الذي أشرنا إليه هو الرؤية التي تدعيها الرجال ثم استشهد على ذلك بأقوال علماء الكلام وغيرهم من أن الممكنات الجائزة عند أهل الحق رؤية المخلوقات لمولانا جل وعز على ما يليق به تبارك وتعالى من غير جهة ولا جرمية ولا تحيز ، لأنه تعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى بالبصر ، وهكذا ثم طفق يستدل بكلام الصوفية أيضاً ، حيث نقل عن الشيخ المختار الكنتي أنه قال : « فالأنبياء والأولياء يرون الله قبل كل شيء ، والصالحون يرون الله في كل شيء ، والمؤمنون يرون الله بعد كل شيء ، ثم أيد كل ما تقدم بقوله : « قد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه ليلة الاسراء ، وما جاز أن يكون معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي . ولا فرق بينهما إلا التحدي على الصحيح المقبول .

٥٥ - وأتبع هذا كله بقوله : « وهذه الرؤية التي تنازع العلماء في إمكانها وعدمه ، ليست هي الرؤية التي يدعيها أهل الفناء في ذات الحق جل وعلا ، فإن رؤيتهم ليست بالبصر ولا بالقلب بل بعين الحق جل وعلا ، وهذه العين ترى من حيث لا رؤية ولا

رائي فاستدل على ذلك بقول الشيخ عبد الكريم الجيلي :

فليس يرى الرحمان إلا بعينه وذلك حكم في الحقيقة قاطع

ويقول ابن الفارض أيضاً :

تلقينته مني وعني أخذته ونفسي كانت بالعطاء ممدتي

ويقول الآخر أيضاً :

مذ عرفت الإله لم أر غيراً وكذا الغير عندنا ممنوع

وهكذا .

٥٦ - ثم ختم كلامه بالشكوى رفعها إلى الله من قومه الذين ينكرون عليه ولا يعلمون شيئاً ، الذين وصفهم بقوله : « لا يعلمون ولا يتعلمون ولا يسألون ولا يصدقون ولا يسلمون ولا يسكنون ، كلهم أجهل الجهلاء ، ويرى أنه أعلم العلماء ، وكلهم أجراً على الافتاء ، ولا يعلم ما في الافتاء بغير علم ، وأسرع للتفكير ولا يعلم حد الكفر ، ولا ما في التكفير من الوعيد ، ثم استشهد بالحديث الذي يقول من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدها » ثم ثنى بقول الشيخ التجاني « إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت في العلو إلى حد يحرم ذكره وافشاؤه ، وليس هو ما أفشيتكم لكم ، ولو ذكرته لأجمع أهل الحق والعرفان على قتلي ، فضلاً عما عداهم ، ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يحافظ على خواطر أصحابنا بالتغيير يحل عليه الهلاك والعياذ بالله . »

خاتمة :

٥٧ - صرح الشيخ في هذه الخاتمة بأنه قد أخذ الطريقة التجانية في يد والده الحاج عبدالله إنياس ، وأما الأجازة بالتقديم فقد أوصى الوالد شيخاً مورتانياً اسمه السيد محمد محمود بن محمد بن أحمد الصغير بأن يلقيه جميع ما جمعه من الإجازات والأسرار بالإذن المطلق ، وقد تم له ذلك في نفس السنة التي توفي فيها والده الحاج عبدالله إنياس وهي سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م .

٥٨ - ولعل الشيخ يرمي بكل هذا إلى أنه ما أناه شيء ما خارج بيت أبيه وكل ما جاءه بعد ذلك من الإجازات والإطلاقات كلها تكملة لما أنجزه له والده ، ثم أذن له شيخه الحاج عبدالله بن الحاج العلوي ، وتمتاز إجازته بأنها هي التي غيرت حياة الشيخ إبراهيم كلها ، ونقلته من مجرد المقدم إلى ولي عارف مرشد مرب وإلى قطب جامع فرد غوث وهكذا ، وحصل ذلك سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م وهو ابن خمس وعشرين سنة حينئذ .

٥٩ - ثم في نفس هذه السنة أيضاً أطلق له الإذن السيد محمد الكبير بن الشيخ محمد عن الشيخ محمد الحافظ عن الشيخ التجاني ، ثم أطلق له الإذن أيضاً السيد محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، وهذه الإجازة تمتاز بأن المجيز هو الذي طلب أن يميزه ليكون من ضمن سلسلته ليحظى بذلك ، وقع ذلك سنة ١٣٤٩ م والشيخ في التاسعة والعشرين من عمره .

٦٠ - ثم صرح الشيخ بأنه ينتسب إلى الشيخ بلا واسطة في السنة التي ألف فيها الكتاب فقال إنه حاضر معه دائماً .

٦١ - ثم وازن نفسه بالشيخ الشاذلي حيث صرح بما يدل على أنه أعلى منه حيث إن الشاذلي قال إنه يستقي من عشرة أبحر خمسة من الآدميين هم سيدنا محمد عليه صلوات الله وسلامه وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وخمسة من الروحانيين جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح . فقال الشيخ وهو يستمد من بحر لا ساحل له ولا غاية ولا أمد ولا انتهاء وذلك البحر يستمد من بحر يستمد من بحر لا ساحل له ولا غاية ولا أمد ولا انتهاء ويمده بوسعه وذلك يستمد من حضرة الإطلاق ويمده بوسع ربوبيته وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

٦٢ - ثم أنبأنا بأنه سود الكتاب في تسعة أيام في زمن الجهل ، وتراكم الظلام ، وكثرة الاشتغال ، وجمود العقل ، وفتور الفكر ، وخمود الفطنة ، ثم قرر أن كل من نظر إلى الكتاب بعين البصيرة يعرف أنه من فيض الختم التجاني صاحب السر الرباني لكونه جامعاً لزبدة الكتب المولفة في هذا الفن وقلماً تجدد مجموعاً يحتوي على

ما احتوى عليه هذا المجموع فمن دقق النظر وأنصف يعلم يقيناً أنه ألفه الشيخ التجاني بيده .

هذا وقد اعتمد الشيخ في تأليف هذا الكتاب على مصادر ثنى وأهمها ما يلي :-

- ١ - رماح حزب الرحيم على نخور حزب الرحيم للشيخ عمر بن سعيد الفوتي .
- ٢ - جواهر المعاني في فيض الشيخ أحمد التجاني للسيد علي حرازم ابن البرادة .
- ٣ - الجامع لما افرق من درر العلوم الفائض للسيد محمد بن المشرى
- ٤ - تأسيس قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق
- ٥ - إيقاظ المهم في شرح الحكم للشيخ أحمد ابن عجيبة الحمي
- ٦ - بغية المستفيد السيد العربي ابن السائح
- ٧ - الجواب الشافي
- ٨ - الإبريز من كلام عبد العزيز ابن الدباغ للسيد أحمد المبارك
- ٩ - الفتوحات المكية ابن عربي الحاتمي الشيخ الأكبر
- ١٠ - عتقاء مغرب
- ١١ - ميزاب الرحمة الربانية السيد عبيدة التشبي .
- ١٢ - احياء علوم الدين أبو حامد الغزالي .
- ١ - الرسالة القشيري .
- ١٤ - شرح صحيح مسلم النووي
- ١٥ - شرح خاتمة التصوف للشيخ محمد اليدالي
- ١٦ - كتاب الأسرار العقلية أبو العز الشافعي
- ١٧ - شرح الحكم العطائية الشيخ ابن عباد
- ١٨ - أنوار القلوب الشيخ المقلي
- ١٩ - لطائف المنن ابن عطاء الله
- ٢٠ - المرشد المعين ابن عاشر
- ٢١ - الرسالة الشيخ يوسف الكوزاني

الشعراني	٢٢ - اليواقيت والجواهر
الشعراني	٢٣ - البحر المورود
	٢٤ - الكوكب الوهاج
الشيخ المختار الكنتي	٢٥ - الذيل
ابن عطاء الله	٢٦ - الحكم
الميارة	٢٧ - شرح المرشد المعين
للشيخ الآبي	٢٨ - اكمال الاكمال
الشيخ عبد الكريم الجيلي .	٢٩ - العينية

تعليقات على كتاب كاشف الإلباس :

٣ - لعل السيد العربي ابن السائح يرمي بالسلف - في قوله إن التربية في الطريقة التجانية كانت خالية من أنواع التشديد والتضييق على النفس ، لأنها جارية على طريقة السلف - إلى سلف الملامتية لأن التصوف الإسلامي قائم على أساس التقشف ، والتشديد على النفس ، إن لم نقل إن التشديد والتضييق على النفس هو عين التصوف عند سلف الصوفية فان ابراهيم ابن أدهم المتوفي في منتصف القرن الثاني الهجري الذي يعتبر أبا التصوف الإسلامي كان يقول : « لا ينال السالك درجة الصالحين حتى يجتاز ست عقبات .

أولا : يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة .

الثانية : يغلق باب العز ويفتح باب الذل .

الثالثة : يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد .

الرابعة : يغلق باب النوم ويفتح باب السهر .

الخامسة : يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر .

والسادسة : يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت (١).

هذه هي الأسس التي قام عليها تصوف ابراهيم بن أدهم أبي التصوف الإسلامي

وقد مات في منتصف القرن الثاني الهجري ، فإن لم يكن قطع النعمة والعز والراحة والنوم والغنى والأمل عن النفس هو قطع جميع الأرفاق عنها فما هو قطع الأرفاق ؟ وأيضاً إن لم يكن إلزام النفس الشدة والذل والجهر والسهر والفقر والاستعداد للموت ؟ هو التشديد والتضييق عليها فما هو التشديد والتضييق ؟ .

وقد عاصر ابن أدهم من أئمة التصوف في القرن الثاني داود بن نصير الطائي ، والفصيل بن عياض ، وشقيق البلخي ، وماتوا كلهم في ذلك القرن ثم في النصف الأول من القرن الثالث الهجري معروف الكرخي والحارث بن أسد المحاسبي وأبو سليمان الداراني ، وأحمد بن أبي الحواري ، وذو النون المصري ، ومنصور بن عمار وبشر الحافي ، وحاتم الأصم ، وأحمد بن حضرويه ، وأبو تراب النخشي ، ومات في النصف الثاني من هذا القرن أيضاً السري السقطي ، والجنيد ، ويحيى بن معاذ الرازي ، وأبو يزيد البسطامي (٢) أقرأ سيرتهم في رسالة التشيرى وغيرها ترى هل حاد أحد منهم عن هذه القواعد الستة التي رسمها لهم ابن أدهم . روى أبو طالب المكي أن إبراهيم بن أدهم كان يطوي ثلاثة أيام وكان إبراهيم التيمي والحجاج بن الفرافصة يطويان أربعين يوماً . وكان سهل بن عبد الله التستري وجماعة من البصريين يطوون من عشرين يوماً إلى ثلاثين ، وكان عمرو بن العوفي وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم وإبراهيم الخواص وجماعة يطوون خمسة عشر يوماً إلى عشرين وقد قدم جماعة من صوفية البصرة إلى الجنيد بعد وفاة سهل بن عبد الله فقال لهم الجنيد كيف تعملون في الصوم فقالوا نصوم بالنهار فإذا أمسينا قمنا إلى قفافنا فقال آه آه لو كنتم تصومون بلا قفاف كان أتم لحالكم . لقد كانوا يعتقدون أن من طوى بطنه عن الطعام أربعين يوماً ظهرت له قدرة من الملكوت (٣) .

هذا في الطعام فقس على ذلك أمرهم في اللباس وما إليها . وقيل أن أبا يزيد البسطامي قد مات ولم يترك إلا قميصه الذي مات فيه ، وكان عارية عليه فردوه إلى صاحبه ، ومات ابن الكريني وكان أستاذ الجنيد وعليه رقعة وكان يحيى ابن معاذ الرازي يلبس الصوف والثياب الخلقة في ابتداء أمره ثم كان في آخر عمره يلبس الخز واللين فبلغ ذلك أبا يزيد البسطامي فقال « مسكين يحيى ! لم يصبر على الدرن فكيف يصبر على البحث وأخبارهم في هذا الباب كثير (٤) .

ومن أجل ذلك كانت تعريفات هؤلاء الصوفية الأولين للتصوف لا تخرج كلها عن معنى الفقر الذي هو التجرد من أي نوع من أنواع الملكية للاقبال على الله بالقلب والقلب ، حتى كانوا يسمون الفرد منهم بالفقير وإلى هذا المعنى يهدف الجنيد إمامهم عندما سئل عن التصوف فقال : « هو أن تكون مع الله بلا علاقة » . وهكذا (٥).

وأما من مضى قبل ابن أدهم من الصحابة والتابعين في القرن الأول فلا يدعى أحد منهم بالصوفي ، ومع ذلك كان تشديد هم على أنفسهم أكثر من تشديد الصوفية لأن الصوفية يفلسفون زهدهم وعبادتهم ، وأما هؤلاء فلا يعرفون إلا العبادة البهتة ، والزهد الخالص ، وحالهم كما وصفه الحسن البصري بقوله : « أدركت من صدور هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفتشون وجوههم تجري دموعهم على حدودهم يناجون مولاهم في فكالك رقابهم » (٦).

وإلى كل هذا الذي سبق آنفاً يرمز أبو نصر السراج الطوسي . أحد أعلام الصوفية القدامى الذي عاش في القرن الرابع الهجري بقوله وهو يتحسر على أهل زمانه : « واعلم أن في زماننا هذا قد كثرت الخائضون في علوم هذه الطائفة وقد كثرت أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخره وكلاماً ألفه وليس بمستحسن منهم ذلك لأن الأوائل والمشائخ السذيين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ونطقوا بهذه الحكم إنما تكلموا بعد قطع العلائق وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحترق والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعهم عن الله عز وجل طرفة عين وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل » (٧).

٤ - إن اشتراط أن لا تخرج التربية الطريقة التجانية عما حده الشيخ التجاني حسب ما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم أمر إلى الخيال أقرب منه إلى الواقع لأن الشيخ التجاني ما حدد شيئاً من ذلك ولكن إقرأ الباب الذي ناقشنا فيه التربية عند الشيخ إبراهيم .

٨ - تكلم الشيخ في هذه النقطة على أمور كثيرة ومن أهمها : (١) إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع علم التصوف بالوحي والالهام نزل عليه جبريل

مرتين المرة الأولى بالشرعية والثانية بالحقيقة وهي علم التصوف ، أو علم الباطن ، فخص النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة دون بعض . (٢) إن أول من تكلم بعلم التصوف هو سيدنا علي ومنه أخذ جميع الصوفية . (٣) إن الشيخ التجاني أخذ عن النبي بلا وسطة أحد من المشايخ . (٤) إن حكم الشارع في التصوف فرض عين حيث أنه لا يخلو أحد من عيب .

وأما القول بأن جبريل نزل أولاً بالشرعية ثم نزل ثانياً بالحقيقة فخص النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بها دون بعض فهذا يقتضي أولاً أن علم التصوف ليس موجوداً في القرآن الموجود في أيدينا ولا في صحاح كتب الحديث التي نتداولها ، لأنه خارج عن الشرعية الإسلامية ومع ذلك قد قرر الشيخ أن حكم التصوف في الشرعية فرض عين ، وفي أي شريعة جاء هذا الحكم إذن ؟ وعلى من يكون التصوف فرض عين فإن الشرعية الإسلامية جاءت بحكم عام لا يخص بعض المسلمين دون بعضهم وعلى هذا لا يكون التصوف فرض عين على المسلمين الذين نزلت عليهم الشرعية لأن الله ما أرسل النبي إليهم بالتصوف وحكم من ترك فرضاً في الشرعية الإسلامية العقاب وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ولا يكون فرضاً على الذين خصصهم النبي به بحكم الشرعية الإسلامية أيضاً لأنها نزلت قبله وما نطق بهذا الحكم وإذا كان هذا الحكم جاء في شريعة أخرى غير التي نزلت في القرآن ، وتضمنها صحاح كتب الحديث فلا نعرفها وما بين الشيخ ماهيتها وعلى من نزلت ومتى نزلت ؟ وإذا كان الشيخ يذهب إلى أن التصوف وحكمه موجود في القرآن فمعنى ذلك أن القرآن نزل مرتين مرة في الظاهر بالشرعية فبلغه لجميع المسلمين ومرة في الباطن بالحقيقة وما بلغه إلا لبعض المسلمين دون البعض ، وكذلك السنة وما قال بهذا أحد من السلف ومن جاء بعدهم من أهل السنة إلى اليوم حتى أهل الحق من الصوفية الأقدمين (٨) .

وأما القول بأن أول من أظهر علم التصوف هو سيدنا علي ، فمعنى ذلك أنه من الذين خصصهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العلم وهو قد فند هذا القول صراحة بما روي عنه في حديث صحيح عن أبي جحيفة قال : « سألت علياً رضي الله عنه هل عندكم شيء مما ليس في القرآن وقال مرة « ليس عند الناس » فقال « والذي فاق الحجة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطى في كتابه وما في الصحيفة

قلت وما في الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر » رواه الأربعة وقيل له أيضاً أخبرنا بشيء أسره إليك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما أسر إليّ شيئاً كنته الناس ولكني سمعته يقول لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من غير المنار » (٩).

وأما القول بأن الشيخ التجاني الذي جاء في القرن الثاني عشر الهجري أخذ علم التصوف عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة بقظة لا مناماً بلا واسطة أحد من المشايخ . فهو كلام فيه نظر ، حيث إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين قد أجمعوا على أن من أخبر عن الله أو عن رسوله بخبر ليس في كتاب الله ولا روى بسند صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال على الله بلا علم وخبره مردود ، ولا سبيل لأحد أن يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من الطريق الذي روى عنه أصحابه والتابعون لهم بإحسان وهو السماع منه عليه الصلاة والسلام في حال حياته أو السماع ممن سمع منه » (١٠).

وأما القول بأن حكم الشارع في التصوف هو فرض عين فيرده ما قررنا في أول هذه النقطة ، ويناقضه أيضاً ما قرره الشيخ نفسه في الفصل الثامن من كتاب كاشف الالباس ، حيث قال مخبراً عن إجابة الشيخ التجاني : « وأما السؤال عن طلب الشيخ هل هو فرض على كل فرد فرد أو على البعض دون البعض وما السبب في الكل فالجواب أن طلب الشيخ في الشرع ليس بواجب وجوباً شرعياً يازم من طلبه الثواب ومن عدم طلبه العقاب فليس في الشرع شيء من هذا ولكنه واجب من طريق النظر ... » (١١).

١٠ - تناول كلام الشيخ في هذه النقطة أموراً كثيرة منها بيان أصل تلقين أوراد المشايخ الصوفية ، ومنها أن الحسن البصري هو الذي تلقى هذا الورد من سيدنا علي ثم انتشر من طريقه على أيدي مشايخ الصوفية ومنها أن من لم يكن له شيخ لا يفلح أبداً ، أو شيخه الشيطان ، ومنها أن أوراد الشيوخ الصوفية أي طرقها عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشايخ وهكذا .

فأما عن تلقين الأوراد فليس في الحديثين اللذين أوردهما الشيخ ما يدل على أن

للشيوخ الصوفية حجة في اختراع الأوراد والطرق والزامها على الناس إذ ليس فيما جرى في الحديث الأول ما يدل على العبادة أو الأمر بها فضلاً عن دعوة الناس إليها ، ولو كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يريد بذلك عبادة أو أمر بها لما أمر بغلق الباب حيث إن هذه الكلمة هي أول شيء وأهمه أرسله الله به إلى الناس كافة وصرح بأن كل من نطق بها عصم منه دمه وماله وعرضه إلا بحق الإسلام فكيف إذن يغلق الباب حتى لا يسمع كيفية النطق بها الذين أرسل إليهم ؟ وأي حكمة في غلق الباب لأجل ذكر كلمة لا يدخل أحد في الإسلام إلا بالنطق بها والأيمان بكل ما تضمنته من معان ، أليس من الحكمة أن يقولها الرسول في المسجد بمحضر جميع أصحابه ، حتى يكون ذلك تجديدًا لإيمان المؤمن وتشجيعاً له وترغيباً لغير المؤمن وتأليفاً لقلبه ؟ وأما الحديث الثاني فإن سيدنا علي كرم الله وجهه هو الذي طالب من النبي صلى الله وسلم أن يدلّه على أقرب الطرق إلى الله ، وأسهاها فعلمه الرسول المداومة على لا إله إلا الله . وليس في ما جرى في الحديث ما يدل على أمر ديني يفيد الوجوب أو الندب وإنما هو من الأمور الاختيارية التي إذا شاء الواحد يأخذ به وإذا شاء تركه فلا حرج وليس لأحد أن يأتي بعد ذلك قائلاً أن كل من لم يأخذ إذنه على ذلك لا يتنفع به أو يحل عليه هلاك وكل من فعل ذلك يعتبر مبتدعاً في الدين ما لم يشرعه الله ، ولا يتبع في جميع ذلك ومن تبعه بعد من الضالين .

فما الحكمة أيضاً في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه بإغماض عينيه عندما يسمع منه أليست الحكمة تقتضي أن يفتح عينيه ليرى كيف ينطق النبي بهذه الكلمة ؟ وما الحكمة أيضاً في استماع رسول الله منه بعد ذلك ؟ .

وأما القول بأن سيدنا علياً لقن الورد الذي أخذه من النبي صلى الله عليه وسلم للحسن البصري ثم انتشر في أيدي شيوخ الصوفية من طريقة فهو كلام لا أساس له من الصحة ، فقد فنده حفاظ الحديث فأثبتوا أن الحسن البصري لم يلق علياً رضي الله عنه ولم يسمع منه (١٢) .

وأما القول بأن من لم يكن له شيخ لا يفلح أبداً أو شيخه الشيطان فهذا أيضاً كلام لا أساس له من الصحة لأدلة التي قدمنا عند مناقشة النقطة الثامنة ، وكل ما في الأمر

هو أنه يجب على كل مسلم أن يسأل العلماء عن أمور دينه فكما وجب عليه السؤال كذلك وجب على العالم الإجابة ثم لا بد له عليه وأجره على الله ، وأما الشيوخ الصوفية فما أمر الله ولا رسوله أحداً من المسلمين أن يتعلق بهم أو يطلب منهم شيئاً آخر خارجاً عن الشريعة الظاهرة الواضحة ويؤيد ذلك ما قرره الشيخ نفسه في الفصل الثامن من كتاب كاشف الالباس حيث قال : « وهذا الوجوب النظري أمر وضعي طبيعي ليس من نصوص الشرع إذ ليس في نصوص الشرع إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالى ظاهراً وباطناً على كل فرد فرد من جميع العباد ولا عذر لأحد في ترك ذلك من طريق الشرع ... فهذا ما كان في الشرع ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذي يعلم كيفية الأمور الشرعية التي يطلب فعلها من العبد أمراً ونهيّاً فعلاً وتركاً » (١٣).

وأما القول بأن أوراد المشايخ عقود وعهود أخذها الله على عباده فهذا أيضاً من باب القول على الله بغير علم ، وما أخذ الله تعالى عهد أي دين على عباده إلا الدين الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي بلغه للناس كافة وكان عليه هو وأصحابه ، وكل ما أحدث بعده فبدعة يجب تركه والابتعاد منه لأن كل ما لم يكن ديناً في أيام النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون اليوم ديناً مهما ذهب أصحابه في تحسينه . ولذلك من ترك أوراد المشايخ واقتصر على العبادة المأخوذة من النبي صلى الله عليه وسلم بالتواتر هو الناجي وتابع أوراد المشايخ هو المبتدع الهالك الضال .

١٢ - الكلام على هذه النقطة يكون طويل الذيل متشعب الجنبات ولذلك نرى أن الخوض فيه قد يفضي بنا إلى الاستطراد المؤدي إلى الخروج عن صميم الموضوع ، وعلى أي حال فإن تعليقنا على دراسة كتاب السر الأكبر يلقي ضوءاً على هذا .

١٤ - لقد كتبنا فصلاً كاملاً على الفيضة التجانية بعنوان الفيضة التجانية وصاحبها وذلك الفصل يقوم مقام التعليق على النقاط التي في هذه الدراسة .

٢٤ - فلو كان الأمر كما ذكره الشيخ لما وجد بدعة في الدين أبداً ولما أصاب علماء السنة أوقاتهم في تسويد الأوراق لبيانها وتحذير المسلمين من ارتكابها لأن كل من أحدث شيئاً في الدين من عند نفسه يدعى أنه استنبطه من القرآن أو الحديث . وإنما أنكره المنكر لجهالة وجوده مأخذه منه شأن كتاب الطرق الصوفية ولعل الشيخ نسي - عندما

قرر أن المراد بالشيء المحدث في الحديث هو ما لم يكن له من الكتاب والسنة عاخذ ظاهر أو خفي ملفوظ أو مستنبط - إن هذا العاخذ بصفاته الأربعة لا يدخل في العبادات والعقائد ومن أجل ذلك قسم علماء أصول الفقه الأحكام الشرعية إلى قسمين :

١ - أحكام معقولة المعاني والعلل وذلك مثل تحريم الخمر والميسر وتحريم أكل الميتة وتحريم أكل مال الغير فإن العقل يدرك سبب شرعيتها فهذه يدخلها القياس والاستنباط وما إلى ذلك من وجوه الاجتهاد حسب الظروف والحوائج المتجددة والنوازل الطارئة .

٢ - أحكام تعبدية ليست معقولة المعاني والعلل كالتيهم مثلاً أو عدد الركعات في الصلاة أو كونها على هذا الشكل دون غيره من الأشكال وهلم جرا .

فهذه لا يدخلها القياس ولا الاستنباط ولا شيء مماثل ذلك لأن النصوص الشرعية تتناولها كلها على وجه الإحاطة والشمول ، وبالتالي إن العقل لا يدرك حكماتها (١٤) ولذلك لا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان وكل من زاد فيها أو نقص يعتبر مبتدعاً في الدين ما ليس منه ومن باب أولى أن يخترع نوعاً آخر من العبادات من عند نفسه ويدعو الناس إليه ، وهذا هو المراد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (١٥) وقال العلماء في تعريف البدعة هي إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه سواء أكان بالصورة أم بالحقيقة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » (١٦).

٢٩ - قسم الشيخ أحوال المريد التجاني في التربية إلى ثلاثة أضرب الأول : أن يقاوجه الفتح والثاني أن يجتمع بروحانية الشيخ التجاني ، أو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم ، فيكون فتحه على يد أحدهما أو على يدهما معاً . الثالث أن يقيض الله له أخاً في الطريق يكون فتحه على يده ، ونحن يهمنا في المسألة الضرب الثاني والثالث فنقول ما المراد بالتربية في الضرب الثاني ؟ وظاهر الكلام يدل على أن المراد بها هو الفتح أو العرفان بدليل ذكر الفتح في الضرب الأول وذكر لفظ الإستفاضة في الثاني فعلى مقتضى عقيدة التجانيين أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال حياً يحضر كل

مكان أراد في كل لحظة شاء ويمكن أن يكون هو وحده في أمكنة متعددة في وقت واحد من طريق الكرامة أو خرق العادة (١٧) وإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن يتوقع أحد من المسلمين فتحاً من غيره وهو حاضر وأقطع من هذا أن يتصور مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع مع الشيخ التجاني على تربية مرید واحد لأن معنى ذلك إما أن تربية الشيخ التجاني تختلف عن تربية النبي وإما أن يكون الشيخ التجاني بدأ التربية فعجز عن إتمامها فساعدته النبي صلى الله عليه وسلم فكمالها . وإما أن يكون المرید على حالة غريبة عويصة لا تنجح فيه تربية أحدهما إلا باجتماعهما معاً .

فاذا كانت التريبتان مختلفتين فلا بد أن تكون إحداهما أصح وأفضل من الأخرى ، فاذا كان الأمر كذلك فلماذا قال في رقم ٣٠ وكل من كان فتحه على هذه الوجوه المذكورة أي من الشيخ التجاني أو النبي صلى الله عليه وسلم ، أو منهما معاً أو من الأخ الذي يقيضه الله له في الطريقة يكون نوره تاماً ؟ فلا بد والحال هذه أن يكون فتح الذي أخذ من الأصح والأفضل أتم وأفضل وبالتالي يجب على المفضول أن يتركها للأفضل كما يأتي . وأما إذا كانتا متساويتين كما يدل عليه فحوى الكلام فمعنى ذلك أن الشيخ التجاني مساوٍ للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فإذا كان كذلك فما فائدة تدخل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن تربية مرید الشيخ التجاني وهو مساوٍ له مع أن عقيدة التجانيين تقتضي أن المرید لا يفلح قطع بين شيخين (١٨) . وأما إذا كان اجتماعهما على تربية مرید واحد لعجز أحدهما عن إتمامها ولماذا لا يترك العاجز الأمر للقادر ابتداء وكلاهما حاضر لاسيما أن عقيدة التجانيين أيضاً تفرض على المفضول أن ينسأخ عن التربية بالكلية ويتركها للاكمل (١٩) وأما إذا كان اجتماعهما على تربية مرید واحد لصلابة أمره وغرابة حاله فمعنى ذلك أن المرید أقوى منهما جميعاً وبالتالي لا يستطيع أحد منهما أن يفرض شيوخته ولوازمها عليه لعجزه عن إفادته هو وحده فيبقى المرید مستقلاً عن الإثنين .

هذا كله مجازاة للشيخ في عقيدته ، وإلا فإن العقيدة الإسلامية تنفي ذلك كله نفياً باتاً فلا يجوز لأحد في الإسلام أن يعتقد أن شيئاً ما من أمور الدين يأتيه من غير النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن غير طريق الذي بلغه لأصحابه كما سبق ، وهو القرآن الكريم ، أو السماع منه في حال حياته والسماع ممن سمع منه وإلى هلم جرا من طريق

صحيح ثابت عنه صلى الله عليه وسلم وليس لأحد من علماء المسلمين إلا البناء على هذه القواعد التي أرساها الرسول صلوات الله وسلامه عليه من طريق الاجتهاد ، وأما الاجتماع بروحانيته صلى الله عليه وسلم أو روحانية غيره فهو أمر إلى الخرافة أقرب منه إلى أي شيء ، آخر ، إذ ليس في نصوص الشرع كلها ما يقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعد موته روحانياً يتردد بين ديار شيوخ الطارق الصوفية يعطيهم ديانات جديدة ، وعقائد أخرى ، تناقض العقيدة التي جاهد ، هو وأصحابه لتأسيسها ، بل إن النصوص الشرعية القطعية كلها تقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات بعد أن كمل العمل الذي كلفه ربه على أكمل وجه وأحسن حال ، بنجاح تام يشهد على ذلك التاريخ البشري بأجمعه ، والمشاهدة العلنية ، وأجمع على ذلك جميع أصحابه رضوان الله عليهم ، والتابعين لهم بإحسان ، وجميع الأئمة المجتهدين ، ومن كان على نهجهم بل وحتى السلف من الصوفية وما ادعى أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إليه يوماً ما في مناسبة من المناسبات وكذلك أجمعوا أيضاً على أن قبره هو محل جسمه الشريف ، وأما روحه فمع الرفيق الأعلى تبارك وتعالى .

وأما الضرب الثالث الذي هو قوله وأما أن يقبض الله له أخاً في الطريق الخ . فهو الصواب في المسألة كلها فإن من قدر الله له أن يقف على سر عقيدة وحدة الوجود الصوفية يتصل بمثل هذا الأخ أو الشيخ فيأخذ بيده إلى أن يبلغه هذا الهدف .

٣٢ - لقد ناقش الشيخ في هذا الرقم أموراً منها أن أنكر أقوال الشيوخ الصوفية وأفعالهم يلحقه سوء الخاتمة ، ومنها أنه يجب على المشفق على نفسه ودينه أن يفر من الوقعة في أولياء الله ، الخ لأن جزاء من فعل ذلك عذاب أليم وخسران مبين ، ومنها أن بعض الصوفية قد جرب أي بحث فلم يجد فقيهاً ينكر على الصوفية إلا ويهلكه الله ، وتكون عاقبته وخيمة ، ومنها أن من رد دعوة ولي فقد رد دعوة نبي ، ومنها أن الشيخ أحمد البدوي بعد موته سلب إيمان أحد الفقهاء لأنه أنكر اختلاط الرجال والنساء في عيد ميلاده ، ومنها أن من وقع في عرض ولي ولم يعاجل بمصيبة لا يحكم له بسلامة لأن مصيبتة تكون أعظم لأنه إما أن يصاب في دينه أو بقسوة في قلبه الخ .

فمثال الأول أن من أنكر قول الشيخ التجاني أن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر

له ورده هذا وكتبه عن أصحابه رضوان الله عليهم ولم يعلمهم به ... (٢٠) يلحقه سوء الخاتمة وكذلك من أنكر قوله إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل كل تسبيح وقع في الكون وكل ذكر وكل دعاء كبيراً أو صغيراً وتعديل تلاوة القرآن ستة آلاف مرة (٢١). وقوله إن الملك هو الذي جاء بصلاة الفاتح للشيخ البكري مكتوبة في صحيفة من النور (٢٢) وكذلك من أنكر قول الشيخ إبراهيم أن الله قد ساق الوجود مساق الهلاك في هذا الزمان لا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني (٢٣) وقوله إن وساطة جبريل في الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مجازاً لا حقيقة (٢٤) فمن أنكر هذه الأقوال كلها يلحقه سوء الخاتمة وعذاب أليم وخسران مبين .

فكرة الولي بهذا المعنى تنقسم إلى قسمين : الولي في الشرعي والولي عند الصوفية

الولي في الشرع هو الإنسان المؤمن العالم بالله المتقي الناصر لشريعة الله والمدافع عنها وجاء في الفتح الباري : « المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته » (٢٥) الولاية الثابتة بنص القرآن لكل مؤمن تقي . وإلى ذلك يهدف الإمام الشافعي بقوله : « إن لم يكن العلماء العاقلون أولياء الله فلا أعلم لله ولياً » (٢٦).

وأما المتصوفة فقد اصطالحوا لكلمة الولي مدلولاً آخر خاصاً بهم وهو يدل على فئة من الناس هي دون درجة الأنبياء فالولاية عندهم درجة تأتي قبل النبوة وقد أضافوا إلى وليهم كثيراً من خصائص النبي مثل العصمة ونزول الملك عليه بالوحي أمراً ونهياً (٢٧) وعلى هذا قسموا الولاية إلى صغرى وكبرى وجعلوا الولاية التي اعترف بها الشرع هي الصغرى وولايتهم هي الكبرى (٢٨).

فحكم الواقعة في حق الولي الشرعي وهتك عرضه هو نفس الحكم والوقعة في حق أي فرد من أفراد المسلمين لا فرق ، فعلى من وقع في عرض الولي الشرعي بغير حق شرعي أن يتوب إلى الله ويطلب رضى الولي صاحب الحق وعفوه ، إذا علم أنه فعل ذلك تعدياً عليه ، وأما إذا كان ذلك إنتصاراً لنفسه أو دفاعاً عنها فلا شيء عليه ، وأما إنكار قول الولي الشرعي أو الطعن في رأيه فلا شيء في ذلك قطعاً إذ لا يقدم عليه طبعاً إلا العالم . ثم إن الله وحده هو الذي يعرف الولي الشرعي لأنه علق ولايته بتقواه وقال : « وهو أعلم بالمتقين » (٢٩) ومنع من تركية النفس (٣٠) بمعنى

أن من قال هو ولي الله فقد زكى نفسه ، وهو كاذب . الله أعلم بالمتقين ، وهكذا وعلى هذا فيجب على المسلم أن يعتقد الولاية لجميع المؤمنين وخصوصاً العلماء العاملين لقوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٣١).

وأما حكم الواقعة في حق الولي الصوفي وإنكار أقواله وأفعاله كما قرره الشيخ فليس ذلك موجوداً في الشريعة الإسلامية ولعله مقرر في الشريعة الصوفية الباطنة ولم يطلع عليه الأئمة المجتهدون ولذلك لم يثبتوه لنا في مباحثهم الفقهية .

وأما ما نقله الشيخ عن ذلك الرجل الصوفي من أنه جرب فلم يجد فقيهاً ينكر على الصوفية إلا ويهلكه الله وتكون عاقبته وخيمة ، فالتاريخ الثابت لم ينطق إلا بتقيض ذلك حيث وجدنا أكثر مشايخ الصوفية الكبار في القديم والحديث ينتمون في دينهم بالزندقة حيناً ، وبفساد العقيدة حيناً آخر ، وبإفساد الدين أحياناً أخرى ، فاستهدفوا جراء ذلك لمحن شديدة قاسوها على أيدي فقهاء المسلمين ، وحفاظ الشريعة الإسلامية ، وبعضهم ذهب ضحية عقيدته التصوفية ، ونجا بعضهم بشق الأنفس ، وعاش بعضهم رهين الاضطهاد بقية حياته ، وما وجدنا في صفحات التاريخ أن فقيهاً واحداً من هؤلاء الفقهاء أصيب بشيء من أنواع العقوبات التي ذكرها الشيخ ، لأجل أنه شدد التكبير على شيوخ الصوفية ، فمثلاً قد قتل الحلاج وأبو العباس بن العطاء وأبو النجيب السهروردي وزج بالحنيد ورفقائه من شيوخ الصوفية في غيابات السجن (٣٢) وذلك بفتوى فقهاء السلف ، وقد هجر الإمام أحمد بن حنبل الحارث المحاسبي وحذر الناس من مصاحبته ، واختفى جراء ذلك حتى مات (٣٣) ولم ينقل لنا التاريخ أن الإمام أحمد أصيب بشيء مما ذكروا ، وأن ما أصابه جراء رفضه الاقرار بخلق القرآن مدح له لا ذم ، وفرق بين من اضطهد لأنه ينصر دين الإسلام ويحافظ على عقيدته . وبين من اضطهد بتهمة إفساد عقيدة الإسلام وكيدها .

وأما القول بأن من رد دعوة ولي فقد رد دعوة نبي ، فهو قول لا أساس له من الصحة الإسلام لا يقر لأحد بدعوة إلا للنبي صلى الله عليه وسلم وحده ، وكل دعوة تخالف دعوة النبي فهي مردودة إلى صاحبها ، ويجب على كل مؤمن ردها ورفضها وتحذير المسلمين من قبولها واتباعها ، وذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر الذي أمر الله به ، وليس للولي في الإسلام إلا تعلم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعليمها للمسلمين ، وإذا أدخل فيها شيئاً من عند نفسه يعتبر مبتدعاً في الدين ما ليس منه .

وأما القول بأن أحمد البدوي سلب إيمان فقيه لأنه أنكر اختلاط الرجال بالنساء في عيد ميلاده ، فارجح أن ذلك من الدعايات الواسعة المدى التي يقوم بها جهال الأتباع كما يغلب على الظن أيضاً أن أحمد البدوي ما أمر أحداً بأن يقيم عيداً لميلاده بل إن ذلك مما يخترعه الإنتمازيون من دهاة الأتباع لقنص أموال العوام البسطاء ، وإلا فكيف يمكن لمخلوق أن يسلب الإيمان من قلب مؤمن ، وقد قال الله تعالى لرسوله : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمتقين » (٣٤) الذي لا يملك هداية من يحب ولا يعلم من هو أحق بالهداية لا يملك منع الهداية لغيره وقال الله تعالى له أيضاً : « قل لا أملك لنفسي نقعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (٣٥) الذي لا يملك لنفسه النفع والضرر لا يملك ذلك لغيره .

هذا ما قاله الله تعالى لرسوله وأفضل المخلوقات عنده فكيف بمن لا يعرف حقيقة أمره فهو مسلم حقيقة أم زنديق يتستر بالإسلام ليكيده وأهله شأن كثيرين غيره من الشيوخ الصوفية .

إذا كان أحمد البدوي ولي الله حقاً كما ذهب إليه الشيخ ومن إليه لماذا لا يقتدي برسول الله عندما حاربه الكفار بقصد قتله واستئصال دعوته من جنورها فدعا لهم بالمغفرة لأنهم لا يعلمون بدل الدعاء عليهم بالهلاك ألا يسع البدوي ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو لافقيه بأن يشرح الله صدره لحسن مولده إن كان يعتقد أن مولده فرض على العباد بدلاً من أن يأتي جهرة لا يستحي من الله ولا من رسوله والمسلمين ويسلب إيمان رجل مؤمن لأنه أنكر شيئاً أحدث في دين الله ما لم يشرعه . لقد أجمع علماء السنة على أن ما أحدثه الناس من إحياء ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءات والأشعار وما إلى ذلك بدعة لأنه ليس من عمل السلف الماضين ، واتباع السلف أولى بل أوجب لأنهم أشد الناس إتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له ولستته ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه فعل المولد أو نواه بطاعة من

الطاعات ونحن لهم تبع فيسعدنا ما وسعهم (٣٦) هذا في شأن مولد النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بمولد رجل لا يعرفه الإسلام ولا يعترف به .

وأما ما قيل أن أحمد البدوي رد به إجابة الفقيه عندما سأله بعد أن رد إليه إيمانه أن ماذا تنكر ؟ فقال الفقيه اختلاط الرجال بالنساء فقال البدوي ذلك واقع في الطواف ولم يمنع منه أحد . « فهو كلام يدل على ضالة حظ قائله في الفقه الإسلامي . فإن اختلاط الرجال بالنساء في الطواف وغيره من المواضع في مناسك الحج أمر مشروع شرعه الله ولم يشرع ذلك في غيره من الفرائض كالصلاة مثلاً فإنها أعظم العبادات ولكن الله لم يشرع اختلاط الرجال بالنساء فيها فكيف يجوز ذلك في بدعة محرمة قياساً بما شرعه الله فيما لم يشرعه فمن أجل ذلك قرر العلماء أن القياس لا يدخل في العبادات نهبوا على ذلك تنفادياً من الوقوع في ضلالات لا حد لها بدعوى الاعتماد على القياس وهو أصل من أصول الشرع .

٣٥ - وأما قول الشيخ عمر الفتوي : « إن المنكرين على الأولياء مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين فلا شك أن الله تعالى يعاقبهم بمثل ما عاقبهم به » . فهو مبني على عقيدة التجانيين أن من سب الشيخ التجاني يموت كافراً وقد جاء في كتاب الدررة الخريدة ما نصه : « وسمعت أي الشيخ التجاني يقول : لما أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن من سبني يموت كافراً قلت له : إن العارف بالله سيدي عبد الرحمن الشامي ذكر أن الحاج لا يموت على سوء الخاتمة قال قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم من سبك ولم يتب مات كافراً ولو حج وجاهد (٣٧) . وعلى هذا بنوا قاعدتهم أن الله ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك لا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني (٣٨) .

٣٧ - عدم الوقوف على مقاصد الصوفية في إشاراتهم واصطلاحاتهم لا يمنع من من إنكار ما جاءوا به مما لا يوافق روح الإسلام لأنهم هم الذين اخترعوا هذه الإشارات والاصطلاحات ليبينوا عليها نظرياتهم وأراءهم وليس مما شرعه الله على لسان رسوله في شيء . فمثلاً إن تفسيره لقولهم (العبد رب والرب عبد) لم يفد معنى يغير مدلول ألفاظ هذه العبارة أليس فناء العبد عن شهود نفسه بشهود الله مكانه

هو نفس المراد بعبارة (العبد رب والرب عبد) فهل يوجد شيء في هذا التفسير يمنع العالم الشرعي المدافع عن حوزته من انكار هذا القول الذي يظهر عليه ملامح الالحاد بكل جلاء ؟ .

٤٨ - وفي أي شريعة جاءت هذه الآداب والله أعلم فإن بعضها تظهر قاسية مستبدة وليست من آداب الإسلام في شيء وهي بآداب جبايرة العواهل أخرى فكيف لا يمشي المرید مع الشيخ وفي رجله نعل ما الذي يضر الشيخ في ذلك أليس ذلك ضرراً للمرید أليس النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار ؟ وهل كان الصحابة لا يمشون مع النبي وفي أرجلهم نعال .

٤٩ - ألا يعتبر هذه البدعة عبادة ظاهرة للشيخ وهل طالب النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه رضوان الله عليهم أو أحد التابعين لهم بإحسان من أحد المسلمين أن يستحضر النية عند ملاقاته ؟ بل إن الآداب المطلوبة في الرقم ٤٩ - ٥١ تجعل الشيخ إلهاً في عين المرید لأنه لا يطلب من مخلوق أن يحتمل مرارة امتحانه والإصابة بكل مكروه حتى يكون هو الذي يخلصه مما ابتلاه به إلا الله وحده ، كما أن الدعوة إلى اعتقاد ما تضمنه رقم ٥١ ما هي إلا الدعوة الوثنية جهراً .

٥٢ - إن الله لا يبعث الأنبياء بالتربية الصوفية قطعاً وإنما يبعثهم بالشرع فقط لأنه وحده الذي يحتاج إليه البشر في حياته الدنيوية والأخروية وأما التربية الصوفية فحاشا الأنبياء الكرام منها حيث إن الغاية منها نفي الإله بالكلية واتخاذ الأشياخ آلهة مكانه وقد مر بنا آنفاً ما يدل على ذلك بكل جلاء وهذا أضر على العقل البشري وروحه وجسمه من عبادة الأصنام والأوثان إنها لا تستغل الإنسان مادياً وروحياً وأما الشيوخ فهذا هو هدفهم في تربيتهم الأنبياء يأتون دائماً ليثبتوا للبشر وجود إله قادر مدبر لا يماثله الخلق ولا تراه العيون ولا تخاطبه الظنون ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فكيف يأتي بالتربية الصوفية التي تجعل الخلق عين الله باللسان والوهم وفي الاعتقاد تجعل الشيخ وحده الإله الواحد القهار الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

٥٥ - إذا كانت رؤية الله عند الصوفية تختلف عنها عند هؤلاء العلماء الذين ذكرهم الشيخ فلا بد إذن من أحد أمرين فإما أن تكون الرؤية التي قررها أولئك

العلماء ليست صحيحة ورؤية الصوفية هي الصحيحة الثابتة فعلى هذا لا ينبغي للشيخ أن يستدل بأقوالهم لإثبات الرؤية الصوفية لذات الإله للاختلاف الأساسي بين الرأيين في الاتجاه والأهداف وبالتالي لا يكون الرديء المردول دليلاً على ثبوت صحة الجيد المقبول وإما أن تكون رؤية الله على نوعين نوع يبصر الإنسان وقلبه ونوع بعين الله نفسه فإذا كان الصوفية يرون الله بعينه حقيقة كما قرر الشيخ فمعنى ذلك أن الله يحل فيهم أو يتحد بهم إذ لا يتصور أن يكون الشيخ الصوفي أو أحد أفرادهم الذي يمشي على رجليه كما يمشي الناس وينظر بعيني رأسه كما ينظر الناس ويتكلم بلسانه كما يتكلم الناس وهكذا ثم ينفرد عنهم برؤية الله بعين الله وهو بين أظهرهم من دون أن يكون الله قد حل فيه حين الرؤية أو يتحد به دونهم كيف وأنهم دائماً ينفون الحلول والى اتحاد في حركاتهم .

مصادر التعليقات على دراسة كاشف الالباس

- ١ - القشيري : الرسالة ١٣
- ٢ - الدكتور علي حسن عبد القادر : تصدير كتاب الرياضة وأدب النفس للترمذي ٦
- ٣ - أبو طالب المكي : قوت القلوب ج٢ - ٣٩ و ٣٤٥ ٤ - أبو نصر السراج الطوسي : اللمع ٢٤٨
- ٥ - شهاب الدين السهروري : عوارف المعارف ٦٢ ٦ - الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ - ١٣٦
- ٧ - أبو نصر السراج الصوسي : المصدر السابق ١٩ ٨ - انظر أبو نصر السراج : المصدر السابق ٢١
- ٩ - الشيخ منصور علي ناصف : الثاج الجامع للأصول ج٣ - ٣٤ و ١٠٩.
- ١٠ - الدكتور محمد تقي الدين الهلالي : اهدية الهادية إلى الطائفة التجانية ٥٤
- ١١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ٧٨
- ١٢ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس : الشيخ اسماعيل العجلوني ج٢ - ٥٨٢.
- ١٣ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٧٩ ١٤ - الشيخ محمد أبو زهرة : أصول الفقه ٢٢٣.
- ١٥ - النووي : متن الأربعين النووية ١٤ ١٦ - الشيخ عثمان بن فودي : إحياء السنة ٢٢.
- ١٧ - السيد محمد الطصفاوي : الفتح الرباني ١٤ ١٨ - الشيخ عمر الفتوي : الرماح ج١ - ١٤٣
- ١٩ - الشيخ عمر الفتوي : نفس المصدر ١٠٠ ٢٠ - السيد علي حرازم : جواهر المعاني ج١ - ١٤١
- ٢١ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ١٣٦ ٢٢ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ١٣٨ .
- ٢٣ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج١ - ٨ ٢٤ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج١ - ٨٧
- ٢٥ - الشيخ احمد ابن حجر المسقلاني : فتح الباري ج١١ - ٣٤٢
- ٢٦ - الامام ابن كثير القرشي : البداية والنهاية ج١٣ - ١٠٠ .
- ٢٧ - الشيخ عمر الفتوي : الرماح ج١ - ١٤٦ ٢٨ - الشيخ ابراهيم انياس : ذيل كاشف الإلباس ٧٠
- ٢٩ - القصص ٢٨٠ : ٥٦ ٣٠ - انظر سورة النجم ٣٢ ٣١ - فاطر ٣٥ : ٢٨ .
- ٣٢ - الدكتور محمد علاب : التصوف المقارن ٣٤ ٣٣ - الامام ابن الجوزي : تليس ايليس .
- ٣٤ - القصص ٢٨ : ٥٦ ٣٥ - الأعراف ١٨٨: ٧ ٣٦ - ابن الحاج : المدخل ج٢ - ١١
- ٣٧ - الشيخ محمد فتحا النظيفي : الدرة المفيدة ج١ - ٩١
- ٣٨ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر للرسائل ج١ - ٨ .

الباب الحادي عشر

دراسة كتاب السر الأكبر وتحقيقه والتعليق عليه

يعتبر هذا الكتاب من أمهات كتب الشيخ ابراهيم انياس ، كما يعتبر أيضاً امتداداً لمادة كتاب كاشف الإلباس الذي ألفه في حدود خمسينات القرن الرابع عشر الهجري ، وثلاثينات القرن العشرين الميلادي ، ليبرهن على صحة كونه صاحب الفيضة التجانية ، فألف هذا الكتاب الذي بين أيدينا — بعد ذلك بستين حسب التصريح الموجود بذلك في آخر النسخة الكنوية التي رمزنا إليها بحرف ك من جملة المخطوطات التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب — ليعرف بنفسه أنه هو كامل العصر وخليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره ، والذي يجب على كل سالك الطريق إلى الله أن يفر من نفسه وهواه وشيطانه إليه ليأخذ بيده إلى الله ، وقد ألف الكتابين وهو شاب إذ أنه ألف الأول وهو ابن ثلاثين من عمره ، وألف الثاني وهو ابن اثنتين وثلاثين ، وبإمكاننا أن نقسم الكتاب إلى خمسة أقسام : افتتاحية ، وأربعة فصول .

١ - قدم الشيخ افتتاحية قصيرة قبل أن يشرع في الكتاب ، وبين فيها سبب تأليف الكتاب ، وهو أن بعض أصحاب الجاه هو الذي أمره بجمع نبذة مشتملة على مسائل مهمة تمس روح الطريقة التجانية ، وخصوصاً المسائل المتعلقة بعلوم الذوق فيها من السلوك والجذب ، ثم استمر يذكر أن مباحث الكتاب تنحصر في أربعة فصول الفصل الأول : في حقيقة السلوك في الطريقة التجانية ، والفصل الثاني : في

حقيقة الجذب فيها ، والثالث : في السلوك في الجذب ، والرابع : في الجذب في السلوك ، ثم صرح بأنه لم يؤلف كتابه لأجل المنتقدين ، ولذلك لا يعتمد فيه على كلام الشيوخ الصوفية السابقين وإنما يستورد مادة كتابه من الوارد فحسب الذي يحدثه به قلبه عن سره عن ربه بارتفاع الوسائط لأن الكتاب مؤلف لإفادة المعتقدين السائرين على سبيل التحقيق .

٢ - حقيقة السلوك في الطريقة التجانية :

تناول الشيخ إبراهيم في هذا الفصل نقاطاً تكون في نظره العمود الفقري للسلوك في الطريقة التجانية مثل الانتباه ، التقوى ، ابتغاء الوسيلة إلى الله ، الفرار إلى الله ، وتلقي الورد التجاني ، العقوبات التي تعترض المريد في طريقه إلى الله ، وكيفية قطعه لإياها ، الصدق والصادق في الطريقة التجانية ، تطور النفس السالكة ، بيان الدائرة الفضلية وآداب من وقع فيها الشيخ المربي للمريد التجاني في الحقيقة ، حقيقة التلقين في الطريقة التجانية وموقف المقدم في ذلك ، السالك في حال التربية ، المراد بسير السالك ، انكشاف اليقين للسالك وتجوعه كأس المحبة جراء ذلك ، فناؤه في الأفعال ومقام الغيبة ، الجمع والفرق ومشاهدة الأشياء مجازاً ، التجلي الذي يحصل قبل الفناء الحقيقي الذي هو فرق الجمع وهكذا .

١ - السلوك في اصطلاح الصوفية هو الإرادة ، والسالك هو المريد ، والشيخ الذي يسلكه الطريق إلى الله هو المراد أو الشيخ المربي ، انتهاء السير إلى الله هو المعبر عنه عندهم بالوصول أحياناً وبالفناء تارة وبالفتح طوراً ، والذي حقق هذه الأشياء هو الواصل والمنتهى ، الذي حقق البقاء بعد الفناء هو العارف بالله أو الشيخ الواصل وهكذا .

بين الشيخ أن السلوك يبدأ من يوم انتبه المريد من نوم غفلته وهذا الانتباه عبارة عن تفقد المريد أحوال نفسه والنظر إلى علاقته مع خالقه فيدرك أن الحضرة الإلهية تطالبه بتحقيق العبادة لها بإخلاص كما تطالبه في نفس الوقت بملازمة التقوى في الظاهر والباطن حتى إذا تم له ذلك يبدأ بالبحث عن الوسيلة التي يتوسل بها إلى الله تعالى وهذه الوسيلة في رأيه تدور على ثلاثة أقطاب :

أ - متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل .

ب - ملازمة الذكر بالإذن الصحيح من الكمل

ج - مصاحبة العارف بالله .

فإذا تم هذا للمريد تعظم رغبته في الإنخراط في سلك الطريقة التجانية فبذلك يحصل له كمال اليقظة ، ولم يبق له بعد ذلك إلا الفرار من النفس وهواها والدنيا والشيطان إلى الله . والفرار إلى الله هو الفرار إلى كامل العصر الذي هو خليفة الشيخ التجاني ، ووارث أسرارهِ ، وينسلخ من جميع إرادته ملتزماً بالأدب ظاهراً وباطناً ، والوفاء بكل ما رتب له من الشروط باعتقاد صحيح سايح من الإنتقاد والإعتراض والسؤال بلم وكيف ، والحاصل أن كل من كانت هذه حاله يجب عليه أن يلقي نفسه بين يدي هذه الخليفة التجاني الكامل العارف كالميت بين يدي غاسله ، حيث لا تكون له حركة إلا بتحريكه إياه ولا إرادة ولا اختيار وليس له إلا الطاعة العمياء والسكون التام . واستدل الشيخ على أهمية ذلك وضروريته بالنسبة لمقام السلوك بقصة رسول الله موسى مع عبدالله الذي آتاه من لدنه علماً (١) فيأخذ عنه الورد اللازم للطريقة التجانية ، وهو الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله ، ثم آيات قرآنية يحتم بها ويدوم على هذا الورد بالغداة والعشي وهذا أول قدم يصعه المريد في التربية أو بعبارة أخرى في السلوك بالطريقة التجانية .

٢ - وهناك عقبات تعترض طريق السالك ، وهي المعبر عنها بالمقامات والنوازل ، أو المراحل وهذه المقامات هي إسلام وإيمان واحسان أو إن شئت فقل شريعة وطريقة وحقيقة ، ثم إن هناك تسعة منازل كل مقام يختص بثلاثة منها ومقام الإسلام يختص بالتوبة والاستقامة والتقوى ، ومقام الإيمان يختص بالصدق والإخلاص والطمأنينة ، ومقام الإحسان يختص بالمراقبة والمجاهدة والمعرفة .

وقد شرحها كلها بقوله : « حقيقة التقوى عدم حطور السوي بالخاطر ، ولو لحظة ، وحقيقة الصدق لإفراد الوجهة إليه ، وحقيقة الإخلاص أن ترى أن العمل لا منك ولا إليك ، ولا لك وحقيقة الطمأنينة أن لا تمنى زوال ما كان ، ولا وجود

ما لم يكن ، وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائماً ، وحقيقة المشاهدة رؤية الحق عياناً ،
وحقيقة المعرفة شهود الكمال الذاتي .

والمريد يقطع هذه العقبات بقدر صدقه فالصادق ربما يقطعها في لحظة أو ساعة
أو يوم أو يومين أو قليل من الأيام ، ومنهم من يقطعها في شهر أو في سنة أو سنتين
ومنهم من يقطعها في سبعين سنة ذلك كله بحسب الصدق .

الصادق في الطريقة التجانية على حد تعبير الشيخ : هو من أراه الله الورد اللازم
للطريقة التجانية أكبر الأسرار ، والشيخ التجاني هو عين السر فلا يتشوق إلى الغرائب
والغيبات ، فإن حصل هذا النوع من الصدق قطع المقامات آمناً من العثرات في أسرع
مدة ممكنة .

ثم بيّن الشيخ أن نفس المريد السالك في طريق التربية تتطور بتطور أحواله ،
فكانت في بدايتها أماراة بالسوء ، ثم تنبه فتتطور إلى لوامة ، ثم بعد انتباهها تستيقظ
فتتطور إلى ملهمة فتتركي ، ثم تتطور إلى مطمئة فهناك ترجع إلى ربها ، فإذا رجعت
ترتقي إلى مقام الرضى ، فتصير راضية ، ثم ترقى أيضاً حتى نصير مرضية ، فعندئذ
تنتقل إلى المقام النهائي وهو المقام الذي تكون فيه كاملة ، والمريد التجاني يقطع هذه
المقامات كلها من غير خلوة ، ولا كبير مجاهدة ، ولا اعتزال الناس ، ولا يطلب منه
إلا الصدق السابق ذكره .

٣ - وقد استطرد الشيخ قبل ذلك فبيّن أن الطريقة التجانية هي أفضل الطرق
الموصلة إلى الله ، وأسهلها وأنفعها ، ذلك لأنها نشأت من دائرة تسمى بالدائرة
الفضلية ، وهذه الدائرة على حد تعبيره هي دائرة اختصاص الله تعالى واصطفائه
ببها لمن يشاء من خلقه ، وكان فيض هذه الدائرة فائضاً من بحر جود الله تعالى وكرمه ،
ولذلك لا يتوقف فيضانه على وجود سبب ، ولا شرط ، ولا زوال مانع ، بل هو
واقع حسب مشيئة الله فقط ، وكانت هذه الدائرة واقعة وراء دوائر الأمر والنهي
والجزاء خيراً أو شراً ، وكانت أيضاً وراء دوائر الاعتبارات واللوازم والمقتضيات ،
أي أن الله تعالى لا يحاسب من دخل في هذه الدائرة على أعماله أياً كانت سواء جاء
بالأعمال الصالحات أو السيئات ، وسواء وفى بالعهود أم لا ، انتهج الصراط المستقيم

أم حاد عن الصراط السوي وسقط في المعاصي والأعمال الموبقات ، وهو على كل حال ناج ولذلك كان كل من دخل في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة الأخروية لأن الله لا يبالي فيها أي الدائرة لمن أعطى ؟ أو على ماذا أعطى وقد وقع التجانيون في هذه الدائرة فصاروا جراء ذلك يقومون بالعبادات لمحبة الله ، وشكره فقط لا لأجل أداء الواجبات الدينية التكليفية ، لأنهم ناجون على أي حال ثم جلب آيات قرآنية كثيرة تبرهن في نظره على صحة ما يقرره في هذا الصدد ، ثم رتب - أخيراً - آداباً تلزم من وقع في هذه الدائرة مراعاتها وهي : -

أولاً : أن يشهد منة الله عليه ليقوم بواجبات حمده وشكره على الدوام على ما أسبغ عليه من هذه النعمة العظمى .

ثانياً : أن يحسن الظن بالله دائماً ويجدد ذلك كلما تجددت له الحال سواء جاءت بالمنشط أو بالمكره .

ثالثاً : أن يفوض أمره إلى الله دائماً ، ما دق منه وما جل ، يقيناً به واعترافاً بعجزه عن جلب النفع لنفسه ، أو دفع المضرة عنها (٢) .

٤ - إذا وقف المريد التجاني على هذا يلقي بنفسه سلباً بين يدي شيوخه المربي النائب عن الشيخ التجاني في عالم الحس لأن الشيخ التجاني هو المربي له في الحقيقة وهو معه دائماً كلما تذكره بقلبه ، واعتقد أنه بين يديه وههنا على حد تعبير الشيخ سر كبير للمريد التجاني ولذلك وجب على الملقن أن لا يلحق أحداً إلا بعد انظماسه في الشيخ التجاني ، أي فنائه فيه ، بحيث يرى نفسه هو عين الشيخ التجاني ، فيكون الشيخ التجاني بهذا الانظماس هو الذي لقن المريد بنفسه من دون أن يتوسط بينهما أحد . ويقوم المريد للشيخ التجاني وحده لا للملقن الحسي هذا ومن أجل ذلك كان المريد التجاني دائماً حراً في نفسه من بين المقدمين ، حيث يجوز له أن ينزل المقدم الذي لقنه الورد ، منزلة الشيخ التجاني وله أن ينزل غير ملقنه من المقدمين منزلة الشيخ التجاني إذ لم يظفر بمقصوده عند الأول لأن الملقنين يتفاوتون في القوة والكفاءة وقوة كل منهم تتوقف على قدر انظماسه في الشيخ التجاني حالة التلقين وقبله وبعده ، لأن مقصود المريد هو الشيخ التجاني لا غيره (٣) كما قال الشيخ ثم حذر الشيخ المريد

من أن لا يتخذ كلامه هذا ذريعة لإساءة الأدب مع المقدم لأن احترامه هو عين احترام الشيخ التجاني ، كما نبه المتقدمين أيضاً على ما كانوا يرتكبونه من الخطأ حيث يظنون أن المريد الذي لقنوه الورد صار مريداً لهم ، حتى كان يفضي ببعضهم الحال أحياناً إلى طرد المريد من الطريقة من دون أن يخل بواحد من الأشياء الثلاثة التي عندها الشيخ التجاني ، إنها تقطع المريد عنه ومما يدل على أن المريد للشيخ التجاني وحده ، لا للملقن إنه لو ترك الملقن الطريقة وتخلّى عنها لا يخرج المريد الذي أخذها عنه من الطريقة بتخليه عنها ولذلك لو ترك الملقن الانطماس في الشيخ التجاني حالة التلقين لا يمنع أن يكون المريد للشيخ التجاني وحده ولكل من وراء حجاب السند » (٤).

٥ - ثم تخلص الشيخ يتكلم على المريد في حال التربية ، حيث أن أحوالاً مختلفة ونواظر متباينة ترد عليه ، كما يكشف بأسرار وواردات ، والواجب عليه في كل هذا أن يفزع إلى شيخه الرببي ، ويفاتحه بجميع ما تجدد له من هذه الأحوال ، ولا يخفي له شيئاً من ذلك مهما صغر أو كبر ، وليحذر أيضاً من أن يستحسن شيئاً من هذه الأحوال لنفسه ، قبل أن يرجع بذلك إلى شيخه ، ثم يكتم ذلك كله على غير شيخه ، فإن أهم رياضة يأخذ بها المريد نفسه في هذه المرحلة هو المثابرة على أداء الواجبات الدينية وفضائلها في أوقاتها المحدودة لها من غير تكيف النفس وقهرها على ذلك ، ويجب عليه أيضاً أن يجاهد نفسه ويعودها الصبر على تحمل مرارة مجاري الأقدار وكذلك يكفكف غرب شهواتها ، ويصرفها عن الميل إلى الراحة والكسل وهلم جرا (٥).

٦ - المريد في حال التربية سائر إلى الله ولذلك أراد الشيخ أن يشرح لنا معنى هذا السير فيبين أن المراد بالسير في هذا الميدان هو سير القلب الذي هو الفكر ، لأن حركة الظواهر لا تتحقق إلا بحركة السرائر ، فكما أن السائر في الطريق الحسي يحتاج إلى وسائل تسهل له سيره من راحلة وطريق سهل ممهد وما إلى ذلك فكذلك السائر في هذا الطريق المعنوي يحتاج إلى محاسبة أنفاسه وضبط حواسه الخمس الظاهرة التي هي الذوق والشم واللمس والبصر والسمع وضبط حواسه الخمس الباطنة أيضاً وهي النفس والقلب والروح والسر والعنقي (٦) والمصائب العظام تبدو هيئة في أعين أصحاب هذه المرحلة لسرعة رجوعهم إلى الله لاستيلائهم التام على هذه الحواس العشرة ، وقد تحققوا أيضاً مقام الورع لابتعادهم عن كل ما يزري بمقامهم فأكسبهم

ذلك الترقى إلى مقام المراقبة التي هي شعور العبد بأن الله حاضر معه ، ومطلع عليه في جميع تقلباته ، فزهّدوا جراء ذلك عن كل ما سواه ، ولا يلتفتون إلى حمد الناس ولا إلى ذمهم ، ولا يبالون بألف يفارقهم أو شيء نفيس يفوتهم ، فتهيئوا بذلك لتزول الحكمة من الله إليهم ، فتحقق عبوديتهم له فأناهم اليقين من عنده ، فتجرعوا كوؤوس محبته المترعة التي تعبر عندهم بموافقة المحبوب في جميع الأحوال العسيرة والبسيرة (٧).

٧ - وبعد أن شرح الشيخ لنا معنى السير وأخذ بأيدينا حتى انتهى بنا إلى مقام المحبة التي تحصل بعد تحقق اليقين ، نقل بنا إلى مقام أبعد منا لا من السابق حيث بين أن المرید يترقى بعد ذلك إلى مقام شبيه بمقام الفناء ، يسمى فناء في الأفعال وهو أن يظل المرید لا يرى في الوجود فاعلاً إلا الله تعالى ، وتعتبره عند إذ حال المراقبة والمحبة ، ويعقب ذلك حال القبض والبسط ، ثم يقع المحو والإثبات ، ومعنى المحو ، أن ينفي الله تعالى أوصاف العبد ، والإثبات : أن يظهر له أوصافه هو ، وبذلك يكون المرید قريباً من الله بعيداً من الخلق (٨) . ثم يقع المرید في التجريد والتفريد ، قد فسرهما الشيخ أنهما حال تعري المرید لا يميز فيه بين الشفع والوتر أي لا يميز بين الواحد والكثير ، والكثير عنده واحد ، والواحد كثير ، وإذا تحقق له ذلك يغيب بالكلية عن الأكوان لدخوله الحضرة القدسية ، ثم فسر الشيخ لنا معنى الغيبة حيث بين أن المراد بها هو غيبة القلب عن علم ما يجري في العالم من أحوال لاشتغال الحس بما يرد على القلب ، ذلك هو الحضور نفسه لأن المرید إذا غاب بالكلية عن الخلق دخل فوراً في حضرة الله لاستيلاء سلطان ذكره تعالى عليه ، ثم يعقب ذلك حال الجمع والفرق ، ومعنى ذلك حسب تعبير الشيخ هو أن ترى المخلوقات موجودة مجازاً ، ولكنها مع ذلك قائمة بالله ، ثم ترد على المرید حال تعبر بتجلي الصفات ، يعقبها الفناء الحقيقي الذي هو فوق الجمع ، وهو أن يكون العبد مختطفاً عن شهود الخلق ، مأخوذاً عن نفسه بالكلية ، وهنا نهاية الطائفة الصوفية قاطبة ، على حد قول الشيخ ، وهو الوصول كما مر ومن هنا يبدأ أتباع الشيخ التجاني (٩).

٣ - الجذب في الطريقة التجانية :

٨ - تكلم الشيخ في هذا الفصل على الجذب الذي فسر به بأنه هو الوصول والفناء والفتح ، فكلها أسماء مترادفات لمسمى واحد ، وحقيقة ذلك كما قال : إن الله تعالى ما حجبته عن المرید شيء ، لأنه تعالى وحده الموجود ولا موجود سواه فيحجب به ، تعالى الله عن أن يحجب به شيء علواً كبيراً ، بل ما حجبته عن المرید إلا توهمه أن هناك شيئاً موجوداً غيره تعالى ، فمن أجل ذلك كان كلما أراد الله أن يصطفي عبداً من عباده ليجعله من المقربين إليه رفع عنه ذلك الحجاب الوهمي ، فعندئذ لا يرى شيئاً إلا الله تعالى ، فلا يرى نفسه ، ولا غيره ، ولا شيئاً من المخلوقات ، ولا يرى إلا وحدانية الله في كل شيء ، وهذا هو المعبر عنه بالوجود المطلق الحقيقي ، حيث لا إسم ولا صفة ولا فعل ولا أثر فيصير محجوباً عنهم بالله كما كان من قبل محجوباً بهم عن الله ، ففي هذا المقام - كما قال الشيخ - يقول المرید إنا الله لا إله إلا أنا وحدي ومع ذلك لا يقال له هو حلولي ولا اتحادي أو ما يشابه ذلك من أنواع التجسيم الإلهي وهذا هو أدنى مراتب الفتح في الطريقة التجانية ، وهو المعبر عنه عندهم أيضاً بباب المعرفة ، وليس هو المعرفة إلا أنه ليس للمعرفة باب إلا هو (١٠) .

٩ - ههنا صرح الشيخ بأن من وصل إلى هذا المقام صار كافراً شرعاً لأنه قد نفى أسماء الله وصفاته ، ونفى وجود الأنبياء والمرسلين ، إلا أنه في واقع الأمر مؤمن لأن نفيه لهذه الأمور كلها نفى بالله ، وعلى هذا فإنه قد أثبت بها باطناً ، وهذا المقام كما صرح الشيخ خطره عظيم جداً ، لأنه يمس العقيدة مباشرة وفيه يتحول المرید إلى يهودي أو نصراني أو مجوسي ، ما لم يوفقه الله بوجود شيخ واصل عارف ينتشله من هذه الورطات ، ولذلك نصح الشيخ المرید الذي وصل إلى هذا المقام بأن لا يفارق شيخاً كاملاً عارفاً واصلًا إذا كان مشفقاً على دينه وعقيدته (١١) ثم قسم الناس تجاه هذا المقام إلى ثلاثة أقسام :

١ - قسم سماهم العميان ، وهم المحجوبون الذين لا يرون الحق السافر الذي لم يسدل الحجاب على وجهه .

٢ - وقسم سماهم ضعاف البصيرة : وهم المجاذيب الذين استغرقوا في الفناء ولا يرون إلا ذاتاً بخنة ليس لها صفة ولا إسم ولا فعل وهم أكثر أصحاب هذا المقام الذي نحن بصددده .

٣ - وقسم سماهم أقوياء البصيرة : وهم الذين يرون الحق والخلق في آن واحد ، ويشاهدون وجوداً في عدم ، فتقيضان لا يفرقان ، أي يرون أن الكون موجود مجازاً لا حقيقة ، وإنما أظهره الله للعيان ليحتجب به فقط ، وأهل هذا المقام هم أقرب الأقسام الثلاثة إلى مقام البقاء الذي هو أول قدم يضعه السالك في ميدان المعرفة (١٢).

١٠ - ثم خاض الشيخ في الكلام على البقاء ، فبيّن أن طريقته أي البقاء هو أن يعتقد المريد ويشعر بأنه لا شيء إلا الله ، فيؤمن بذلك ثم يثبت لله تعالى كل ما أثبتته لنفسه ، أي الله في الشرع إيماناً ، ثم يثبت الحقائق العرفانية الثلاثة أو الأربعة وهذه الحقائق كما يصورها الشيخ هي الحقيقة التي تراءى للمريد عند التجلي فتحجبه عن الحقيقة التي سبقت مع بقاء إمامه بها في ذهنه ، فمثلاً إن الذات البحتة الصرفة الساذجة التي هي عين الطمس والعمي المتجردة عن الاعتبارات والإضافات والوجوهات وجميع النسب التي لا تتجلى إلا لنفسها تتجلى أولاً في الأحدية لشؤون الذات وحدها ثم تتجلى في الأحمدية لاسم الذات وصفتها وسرها وهذا التجلي ملحق بالأحدية أيضاً لأنها ما تجلت إلا لأمر تسم الذات وحدها ، ثم تتجلى في المحمدية لحقائق الأنبياء والمرسلين وسر الكائنات ثم تتجلى في الأحمدية مرة ثانية للأقطاب والعارفين ثم تتجلى في الخليفة عبد الذات للإنس والجن وحقائق سر الكائنات وسيفصل ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

١١ - ثم مضى الشيخ يقرر أن لكل واحدة من هذه الحضرات أو الحقائق أو التجليات نسبتين أو ثلاثاً وباعتبار باطن كل حضرة وظاهرها لها نسبتان وباعتبار أن لكل حضرة ظاهراً وباطناً وبطون بطون لها ثلاث نسب وبالاختبار الأول كانت لهذه الحضرات الأربعة ثمانية نسب وبالاختبار الثاني كانت لها اثنتا عشرة نسباً وأما باعتبار أن لكل حضرة هاهوت ولاهوت وجبروت وملكوت وناسوت تكون نسب هذه الحضرات أو الحقائق أو التجليات إحدى وعشرين نسبة لأن الحضرة الأولى هي حضرة الساذجة والطمس والعمي لانسبة لها أصلاً وتجليها دائماً واحداً .

١٢ - ثم استطرد الشيخ ونقل كلاماً في هذه الحضرات من كتاب جواهر المعاني (١٣) براء في نظره عجباً ولكن لا فرق بينه وبين كلامه في التجليات الأربعة إلا أنه أخرج

الناسوت من تجلياته وأثبتها هنا ثم إنه تناول الكلام فيها من طريق التدلي وأما هنا فإن الكلام فيها جرى على طريق الترقى والتدلي معاً ، وانحصر الكلام فيها من طريق الترقى على الحضرات الخمس ومن طريق التدلي تفرع إلى سبع .

١٣ - ثم استمر الشيخ يوضح لنا كلامه الأول قائلاً : « إن الحقيقة إذا تجلت للمريد لا يرى شيئاً في الوجود سواها ، مع بقاء علمه بالحقيقة التي تقدمتها فبين أن المريد إذا صحا من فئائه في تجلي الأحدية يشاهد حضرة وحدة الوجود سافرة ليس على وجهها نقاب هناك يرى أن الوجود بأسره قطعة بارزة من الذات بعدما كان لا يرى شيئاً إلا هي وحدها ، ويدرك أن الأشياء على تعددها وتباين مراتبها كلها إن هي إلا شيء واحد ، ثم تتجلى الحقيقة المحمدية فتمحق هذا الذي يشاهده من وحدة الوجود ، وذلك كما قال إن الذات إذا تجلت تجلت بخدافيرها وكما لها ، ومن أجل ذلك كان مشاهد تجلي الذات في المحمدية يرى أن محمداً هو عين الذات ، ونفس الذات ، لأن الذات بتجليها عليه أكسبته حكمها وسلبته حكمه ، فلا يرى في الوجود غير محمد أصلاً » التجلي في هذه المرتبة هو الذي جعله يرى كأن هناك فرقاً في مشاهدة ، والواقع أنه لا فرق إلا في خاطره فقط ، والحقيقة لم تزل كما هي لا يضرها التعدد أو الانتصاف أو استمداد محمد منها وهكذا . وعندئذ يدرك معنى أن محمداً رسول الله لأنه لا يتأتى له إدراك وجود شيء سوى الله ورسوله إذ لا مطمع لأحد في الوصول إلى الله من غير طريق رسوله ولذلك كما بيّن الشيخ أن الفاني في هذا المقام يقول إن الله ما أوجد إلا محمداً وما أرسل إلا محمداً ولم يرسل من قريش وما صلى محمد قط ولا صام ولا حج ولا جاهد ولا نكح ولا ولد ولا ولد إلى غير ذلك من العبارات المشكلة عند علماء الرسوم لأنه انطمس في محمد بحيث لا يرى له نسبة ما ، ثم يتجلى الله له بالمحمدية في الأحمدية فيظهر نبوة أنبيائه ، ومتلقى أسرارهم وامداداتهم ، وناصره به والهادي إليه به ، وهكذا فإذا تجلى محمد في الأحمدية تجلى بجميع كمالاته فيشاهد المشاهد أن أحمد هو عين محمد على نحو ما مر في تجلي الذات في المحمدية ، وهذه الحضرة في نظر الشيخ هي حضرة الشيخ أحمد التجاني ومن أجل ذلك لا يبرز شيء من الحضرة المحمدية إلا والشيخ التجاني هو أول من يتلقاها من الأزل إلى الأبد ومنه ينتشر إلى

جميع الأولياء والكائنات فمن صار الشيخ التجاني برزخ الأقطاب وممد الكائنات، وروحها، وسرها، فسماه الشيخ جراء ذلك بالصدیق الأكبر وثاني اثنين لأنه هو التجلي الثاني من تجليات الذات بعد تجلي الأحدية (١٤) ثم رمز الشيخ لهذه الحضرة بأبيات نظمها لتوضيح ذلك نردها هنا :

آل النبي محمد ، جمع أتى في مفرد ، وصحابه في دينهم ، دين حنيف أحمدی
ومحمدی أحمدی ، واحدی أوحدي ، تلك الدوائر دورها ، في أحمد من أحمد
تكفي صلاة الحق من ، آن لأن سرمدی ،

المراد بالآل هو حضرة الولاية وهي حضرة الشيخ التجاني .

والمراد بالنبي هو الحجاب الأعظم الذي حجب حضرة الولاية من الوصول مباشرة إلى الذات والمراد بمحمد هو عين الاسم المتشكر .

والمراد بالجمع هو جمع باعتبار التشكلات .

والمراد بالمفرد هو فرد بالنظر إلى الحقيقة المحمدية إذ منها برزت الحقيقة الأحمدية فصارت هي هي .

والمراد بالصحاب هو حضرة النبوة التي هي الولاية أيضاً لأن كل نبي ولي ولا عكس .

والمراد بدينهم أي هي أيضاً حضرة الولاية جمع باعتبار تشكلاتها وفرد بالنظر إلى حقيقتها .

والمراد بدين حنيف أحمدی هو عين حضرة الولاية ونفسها وسرها كما قال (١٥) .

والمراد بمحمدی هو أن محمداً هو المتجلي في هذه الحضرة أي حضرة الولاية أو الحقيقة الأحمدية .

والمراد بأحمدی هو أن الشيخ أحمد التجاني هو نفس الحضرة المحمدية وعينها وسرها لأن الحضرة المحمدية هي التي تجلت في الأحمدية فصارت هي هي .

والمراد بواحدي هو أن الشيخ أحمد التجاني هو المتجلي في المحمدية بالأحمدية.
والمراد بأوحدني هو أنه أي الشيخ التجاني عين الواحدية التي هي الحضرة الألوهية
ونفسها وسرها (١٦).

ثم رسم دائرة هكذا وبين أنها عبارة عن شيء آخره أوله وهذه الدائرة
تدور في أحمد من أحمد أي تدور بين حضرة النبوة والولاية وهي مظهر الألوهية
التي رمز لها تكفي صلاة الحق الخ (١٧).

١٤ - ثم شعر الشيخ بأن شرحه لهذه الآيات لا يكفي في إيضاح المعاني المتضمنة
في النظم فمضى يوضحها ببيان ربما يكون أكثر جلاء من الأول فيبين أن معنى هذه
الآيات هو أن الذات الساذجة الصرفة البحتة التي هي عين الطميس والعنى والوجود
المطلق لها خمس حضرات وهي الماهوت واللاهوت والجبروت والملكوت والناسوت
فتجلت بجميع مراتبها هذه في الحقيقة المحمدية وحضراتها خمس أيضاً وهي حضرة
سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه فتجلت الماهوت في سره فصارت هي هو وهو هي
فتجلت اللاهوت في روحه كذلك فتجلت الجبروت في عقله كذلك فتجلت الملكوت
في قلبه كذلك فتجلت الناسوت في نفسه كذلك وهذا على حد قول الشيخ هو معنى
صلاة الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا أيضاً هو المراد بأن محمداً عبداً لله
أي هو عبد الذات (١٨) ثم تجلت الحقيقة المحمدية بجميع مراتبها الخمسة أو حضراتها
بعبارة أخرى في الحقيقة الأحمدية التجانية وحضراتها هي الأخرى خمس أيضاً وهي
حضرة سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه على نحو مأمور من تجليات الذات في الحقيقة
المحمدية حذو القذة بالقذة فصارت الكائنات بأسرها ظاهرها وباطنها لطيفها وكثيفها
جرا ذلك في نفس الحقيقة الأحمدية التجانية فأوجدت الأعداد وصدقت النبوة
وتشرعت بشرائع النبوة على اختلاف مظاهرها وأوقاتها وصاحبت النبي في كل
تشكلاته وهذا هو معنى الآل في نظر الشيخ لأن الآل كما قال عبارة عن القرابة
ولا يصاحبه في كثير من التشكلات إلا إله فصار الشيخ التجاني آلاً لمحمد وصاحباً
له جميعاً باعتبار البروز من الحضرة المحمدية ، وفرداً باعتبار أن الحضرة هي هي
لا تتبدل (١٩).

١٥ - ثم بيّن الشيخ أن حضرات الذات الخمس قبل تجليها في حضرات المحمدية الخمس أممية وأحمدية وبعد التجلي واحدية ومحمدية ذلك لأنها قبل التجلي لا نسبة لها وبعد التجلي لها نسبة وإضافات ووجوهات وكذلك الحضرات المحمدية قبل تجليها في الأحمدية أحمدية وأحدية ، وبعد التجلي محمدية وصديقية ذلك لأنها قبل التجلي لا نسبة لها وهكذا وأما بعد التجلي فهي محمدية لأن هناك برزت حضرة الشيخ التجاني كما قال فوجد النبوة والشرعية والاستمدادات وهكذا .

١٦ - ثم تتجلى الحقيقة الأحمدية التجانية في الحقيقة الرابعة وهي الحضرة التي سماها الشيخ بحضرة آدم الأرواح قد عبر عنها أيضاً بحضرة ظل الشيخ التجاني في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية في صاحب هذه الحضرة وصاحب هذه الحضرة هو عبدالله والانسان الكامل وحامل الأمانة وهو خليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره في كل زمان (٢٠) والشيخ ابراهيم يعتقد أنه هو صاحب هذا المقام في هذا العصر ومن أجل ذلك كان يرى أن كلمة الحمد لله رمز لصاحب هذا المقام الذي سماه بعبدالله ، لأنه قال إذا تأمل القارئ بفهم أن الألف هو الياء والحاء هو العين وقبل ذلك قال إن اللام في الله الذي بعد الحمد والعبد زائد ثم قال فإذا قيل الحمد لله والعبد لله فالطرفان أضيفا للاسم وهما طبعاً الحمد والعبد ثم قال والأوسطان بقيا على ما هما عليه وهما الله الذي أضيف اليه الحمد والعبد ثم قال ولم يبق إلا العبد ومعنى ذلك والله أعلم بمراده أن الحمد هو العبد وإذا سقط اللام في الله كما قرر تخرج النتيجة هكذا (العبد لله) أو (العبد له) ولكن ربما كان الشيخ يريد غير هذا الذي قررنا خصوصاً أنه قال : « وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا والسلام » (٢١). أي إن هذا العلم الباطني العميق لا يخرج إلا منه لأنه هو صاحب المقام ، ولا يفهمه إلا من انتظم في حربه وصدقه وأخذ عنه واستمد منه .

ومهما يكن من رأي فإذا صحت النتيجة التي وصلنا إليها فربما كان الشيخ يشير من طرف خفي إلى ما قرره الشيخ عبد الكريم الجيلي من أن الله تعالى إذا تجلى على عبده وأفناه عن نفسه قامت فيه لطيفة إلهية فهذه اللطيفة قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية فإذا كانت ذاتية كان ذلك الهيكل الانساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع

١٥ - ثم بيّن الشيخ أن حضرات الذات الخمس قبل تجليها في حضرات المحمدية الخمس أممية وأحمدية وبعد التجلي واحدية ومحمدية ذلك لأنها قبل التجلي لا نسبة لها وبعد التجلي لها نسبة وإضافات ووجوهات وكذلك الحضرات المحمدية قبل تجليها في الأحمدية أحمدية وأحدية ، وبعد التجلي محمدية وصديقية ذلك لأنها قبل التجلي لا نسبة لها وهكذا وأما بعد التجلي فهي محمدية لأن هناك برزت حضرة الشيخ التجاني كما قال فوجد النبوة والشرعية والاستمدادات وهكذا .

١٦ - ثم تتجلى الحقيقة الأحمدية التجانية في الحقيقة الرابعة وهي الحضرة التي سماها الشيخ بحضرة آدم الأرواح قد عبر عنها أيضاً بحضرة ظل الشيخ التجاني في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية في صاحب هذه الحضرة وصاحب هذه الحضرة هو عبدالله والانسان الكامل وحامل الأمانة وهو خليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره في كل زمان (٢٠) والشيخ ابراهيم يعتقد أنه هو صاحب هذا المقام في هذا العصر ومن أجل ذلك كان يرى أن كلمة الحمد لله رمز لصاحب هذا المقام الذي سماه بعبدالله ، لأنه قال إذا تأمل القارئ يفهم أن الألف هو الباء والحاء هو العين وقبل ذلك قال إن اللام في الله الذي بعد الحمد والعبد زائد ثم قال فإذا قيل الحمد لله والعبد لله فالطرفان أضيفا للاسم وهما طبعاً الحمد والعبد ثم قال والأوسطان بقيا على ما هما عليه وهما الله الذي أضيف اليه الحمد والعبد ثم قال ولم يبق إلا العبد ومعنى ذلك والله أعلم بمراده أن الحمد هو العبد وإذا سقط اللام في الله كما قرر نخرج النتيجة هكذا (العبد لله) أو (العبد له) ولكن ربما كان الشيخ يريد غير هذا الذي قررنا خصوصاً أنه قال : « وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا والسلام » (٢١). أي إن هذا العلم الباطني العميق لا يخرج إلا منه لأنه هو صاحب المقام ، ولا يفهمه إلا من انتظم في حزيه وصدقه وأخذ عنه واستمد منه .

ومهما يكن من رأي فإذا صحت النتيجة التي وصلنا إليها فربما كان الشيخ يشير من طرف خفي إلى ما قرره الشيخ عبد الكريم الجيلي من أن الله تعالى إذا تجلى على عبده وأفناه عن نفسه قامت فيه لطيفة إلهية فهذه اللطيفة قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية فإذا كانت ذاتية كان ذلك الهيكل الانساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع

عليه يدور أمر الوجود وله يكون الركوع والسجود وبه يحفظ الله العالم وهو المعبر عنه بالمهدي والخاتم وهو الخليفة » (٢٢).

ولعل من أجل ذلك قسم الشيخ الإسلام إلى ثلاثة أقسام :

١ - قسم عام يشترك فيه جميع الخلق الانسان والجن والكافر والمسلم بل وحتى الحيوان والجماد لأنه عبارة عن جريان مراد الله على الخلق .

٢ - وقسم خاص هو القيام بأداء الوظائف الدينية حسب الخطاب الشرعي التكليفي .

٣ - وقسم جعله خاص الخاص وهو الذي اتصف به صاحب هذا المقام حيث قرر أنه هو عين الصديقية وفي هذا المقام كما قال ترقى أولى مراتب العبودية إلى السيادة المطلقة ثم تدلت إلى الصديقية ثم تدلت فصارت مراتب للذات ثم كمنت في المرتبة أيضاً فقليل الحمد لله والعبد لله على نحو ما قررنا آنفاً .

١٧ - ولعل هذه الواقعة التي وقعت للشيخ في سنة ١٣٥٠ هـ توضح ما سبق بعض الشيء ، أخبرنا الشيخ بأنه قد مكث مائة ألف سنة من أيام الرب وهو يسمع الكلام الأزلي الاصفى كما قال وجهاً بوجه فأصيب بدهشة واضطراب لوجوده اللذة المشوبة بالألم في ذلك ثم زج به في حضرة شاهد فيها حقيقة حقيقة الحقيقة ذاتاً بجنة وطمساً في عمى حيث بقي لا يشعر بشيء محسوس أصلاً مائتي ألف سنة ثم فوجيء بشيء وجودي متميز عنه كالظلال والدخان فذهب ليهيئ عن حقيقته فوجد أنه رسول من الذات وهو عبد الذات ، وسرها ، فبدأ هذا الرسول يقرب منه إلى أن اندمج فيه فصار عينه فطرب لذلك طرباً عظيماً لأنه فهم أنه حبيب الذات وسرها وعندها ومرادها ومرتبها الجامعة المتجلى لها بكمال الذات ومكث في حבורه هذا ألف سنة يحول في الغيب لا يجد للذات عبداً سواه ثم جال في غيب الغيب يشاهد جلالاً في جمال حتى قوبل فجأة بحضرة غيب الغيب فجعلت تدعوه أحمد التجاني فتيقن عندئذ أنه لا مراد للحق بعد السر إلا هو فصاحب عبد الذات ونصره ووازره ألقى ألف سنة فجعله عبد الذات أبا البشر ومدد جميع الكائنات وسر الموجودات وآدم الأرواح والأشباح فحمل الأمانة ثم نودي بيا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض

فنظر حينئذ إلى الأرض فوجدها على حالها لم تتغير ولم تبدل ثم رجع إلى حسه فأدرك أن الواقعة لم تستغرق زمناً أطول مما بين الشفع والوتر .

١٨ - فإذا رجعنا إلى ما تقدم نرى أن الشيخ قد أراد بهذه الواقعة الخيالية التمثيلية أن يفسر لنا كل ما تقدم بتفسير إجمالي لأننا نرى أن للذات حسب تعبيره تجليات لا نسبة هما وهما تجلي الذات في الأحدية لأنه تجل للذات في الذات ثم تجليها في الاحمدية لأن ذلك لاسم الذات وصفتها وسرها وهو ملحق بالاول لأنه جاء لشأن من شؤون الذات وحدها وهذا هو مراده في الواقعة بأنه مكث مائة ألف سنة يسمع الكلام الأصفى الأزلي . وذلك عبارة عن الحضرة الأحدية التي لا نسبة لها ، وأنه اندفع بعد ذلك إلى حضرة يشاهد فيها حقيقة حقيقة الحقيقة ذاتاً بحتة الخ هو عبارة عن الحضرة التي سماها بالأحمدية التي للأسماء والصفات والأسرار الذاتية وقال إنه مكث في ذلك مائتي الف سنة (٢٣).

وأما قوله إنه دخل حضرة فشاهد فيها الوجود الذي فسرهُ برسول الذات وعبد الذات فهو يريد بهذا الحضرة المحمدية التي قال فيها « وبعد ذلك تتجلى الحقيقة المحمدية حيث لا يرى المشاهد إلا محمداً رسول الله تلك الحضرة التي قال الشيخ إن من في فيها يقول إن الله ما أوجد إلا محمداً وما أرسل إلا محمداً كما تقدم (٢٤).

وأما قوله في الواقعة إنه شاهد حضرة غيب الغيب تدعوه أحمد التجاني فإنه يريد بذلك قوله حتى يتجلى له في ثاني التجليات وهو التجلي بالمحمدية في الأحمدية..» (٢٥).

وأما قوله في الواقعة فجعلني أبا البشر ومدد جميع الكائنات وسر الموجودات وآدم الأرواح والأشباح فحملت الأمانة الخ فإنه يريد بذلك قوله ثم يشاهد تنزل حضرة الأحمدية في الحقيقة الرابعة وهي حضرة آدم الأرواح عين أحمد ونفس أحمد وهذه الحضرة هي التي أشار إليها الشيخ التجاني بقوله لا ينال منه أحد شيئاً إلا بواسطة سيدي علي حرازم وقوله ما خلقت سواه وهي الحضرة التي سماها الشيخ كما مر بحضرة ظل الشيخ التجاني في كل زمان ومكان (٢٦).

وأما قوله في الواقعة : « ونوديت ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فنظرت إلى الأرض فرأيتها على حالها وإذا بالعوالم الحسية والمعنوية والملا الأعلى والأسفل الخ

فهو يريد بذلك قوله وإذا تدلى عن هذا الوجود الرابع يشاهد التجليات في الكثرة وعوالم التشيت وصور الكائنات الخ « (٢٧). وكذلك إذا تأملت بامعان في الواقعة تدرك معنى الأبيات السابقة بجلاء .

١٩ - ولما انتهى الشيخ من بيان واقعة تقدم يتكلم على التجلي الأخير من تجليات الذات المعبر عنه بحضرة الناسوت أو بعبارة أخرى عالم التشيت ويتحقق ذلك يرسخ قدم المريد في مقام البقاء وبه تكمل معرفته وهي الحضرة التي وصفها بأنها هي عين الوحدة فرقاً في جمع وبقاء في فناء وصحواً في سكر وفي هذه الحضرة يرجع المريد إلى نفسه كامل الحس يعطي كل ذي حق حقه لأنه حينئذ جمع بين التصوف والتفقه الذي هو عين التحقق .

٢٠ - ثم مضى الشيخ يتكلم على حال المريد الذي تم بقاؤه بعد هذه القناعات المعقدة المتشعبة المضنية للذهن مبيناً أن المريد الذي تم فناؤه في ذات الله بعد بقائه لا يبقى في قلبه علم فنائه في الرسول وفي الشيخ التجاني لكثرة الأحوال والمقامات التي ترد على قلبه من الذات ، وعندما تجلت له الحضرة الثالثة في آدم الأرواح وشهد انفصال العوالم منه فدار في العوالم العلوية والسفلية والعينية والغيبية يدور بعد ذلك في غيوبات ليس فيها شيء إلا الله وليس فيها الله أيضاً فيتحير ويندهش فلا يجد ما يتمسك به إلا الأسماء والصفات فعندئذ تواجهه تجليات الأسماء والصفات حتى يكاد يقطع بأن الله تعالى لم يتجل قط بغير الأسماء ثم تتجلى له الأعظمية ذاتاً وصفة واسماً وفعلاً في الحجاب الأعظم الذي حجب الأنبياء والمرسلين والملائكة من رؤية الذات فضلاً عن عداهم وهكذا حتى ينقشع ذلك عنه بتجلي الاسم المتصرف في الكون حيث يشاهد أسماء كل شيء وكل اسم مكمل بالأعظمية فيندهش لوقوع ما هنالك وراء التغيير فعند ذاك ينشده لسان حاله قائلاً :

وقد طوفت في الآفاق حتى ، رضيت من الغنيمة بالإياب

فمن ثم يكون ولوعاً بحب الذات لأنه صار عارفاً كاملاً لأن محبة الذات على حد قول الشيخ لا تنأى من غير كمل العارفين .

٢١ - وقد تناول الشيخ الكلام في هذا الفصل على الاسم الأعظم أيضاً حيث

صرح بأن الكلام فيه لا يزيده إلا غموضاً ومعنى ذلك أنه سوف يتكلم على موضوع غامض لا يفهمه إلا قليل من الرجال وهو كذلك لأنه صرح بعد ذلك بأن الاسم الأعظم قد ضرب عليه الحجاب فلا يطلع عليه الأفراد الاقطاب ومن على أقدامهم إلا أن في كلامه ما يفيد أن مقامه أو بعبارة أخرى حضرته هي موضع هذا الاسم الأعظم وأن معناه الحقيقة المحمدية التي حجبها الأنبياء والمرسلين والملائكة عن إدراك كنه الذات من حيث هي هي .

٢٢ - قد تكلم أيضاً على التشكلات المحمدية وتشكلات دائرة الإحاطة حيث قسم الأول إلى ثلاث والثاني إلى خمس فقال : « وأما التشكلات المحمدية فأولها :

١ - ب وهو سر يس وحم وثانيها .

٢ - أحمد وهو سر آدم وحواء وثالثها .

٣ - جبريل ابراهيم الصديق وأيام الاسبوع وبذلك تكون الكونان والثقلان والتعريقان والأوصاف البياض والسواد والصفرة والحمرة وغير ذلك .

ثم قال وأما تشكلات دائرة الإحاطة فخمسة أولها .

١ - (أ) وهو سر (زة ص) وثانيها .

٢ - (أحد) وهو سر (الم ، الر ، طسم) وثالثها .

٣ - (الحمد) وهو سر (كهيعص) (حم عسق) ورابعها .

٤ - (ف ج ش ت ظ خ ز) وهو سر سبع المثاني وخامسها .

٥ - (الحمد لله) وهو سر (أهم سقلك حلع بص) (المص كهيعص حم عسق) .

فقال الشيخ إن تشكلات دائرة الإحاطة هذه هي أصل الأسرار والحقائق ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأمور الدينية خماسية فجاءت الأسماء في فاتحة الكتاب خمسة وهي الله الرب الرحمن الرحيم للملك وجاءت الحضرات الإلهية خمساً وهي الناسوت والملكوت والجبروت واللاهوت ولهاوت ، وجاءت القواعد الإسلامية خمساً وهي كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان وجاء عدد أولي العزم من

الرسول خمسة وهم محمد ابراهيم موسى عيسى نوح صلى الله عليهم وسلم ، ثم قال
والجهات أيضاً خمس ولكن لا أدري كيف تكون خمساً . وأصل الزكاة خمساً
ورمضان خمس خمس وبقي خمس ... (٢٨).

ثم بعد ذلك كله حذر الشيخ الناظر في كتابه هذ أن لا ينكر شيئاً عزب على فهمه
لأن ذلك حسب قوله سم قاتل فتاك ثم أنحفنا بخبر من شأنه أن يفرح أولي العزم من
أهل الطريقة التجانية ويحثهم على مواصلة الرياضات والمجاهدات وهو قوله إن من
وصل إلى هذا المقام صار عارفاً كاملاً .

٢٣ - ثم طفق الشيخ بعد ذلك يتكلم على المشارب العرفانية الإمددية مبيناً أن
المشارب على ثلاثة أضرب .

١ - هناك مشرب لواحد فقط وهي الحقيقة الأحدية ما شرب منها إلا سيد
الوجود وحده .

٢ - وهناك مشرب لثلاثة وهي الحقيقة المحمدية شرب منها الرسل والأنبياء
والشيخ التجاني

٣ - وهناك مشرب لخمسة وهي الحقيقة لأحمدية شرب منها خاصة أهل
الطريقة التجانية وعامتهم وخاصة غيرهم وعامتهم وحقاتق جميع الموجودات .

٤ - السلوك في الجذب في الطريقة التجانية .

تناول كلام الشيخ في هذا الفصل ثمان نقاط رئيسية وهي :

١ - أقسام أهل الطريقة التجانية .

٢ - الاعمال التي تصدر من العارف المتحقق .

٣ - العارف مكلف بتعمير باطنه بالله .

٤ - إجابة عن سؤال عن الفرق بين الفكر والخاطر والعبرة .

٥ - إجابة عن سؤال عن الأزل والأبد وأزل الأزل وأبد الأبد والأمد .

٦ - أيام الله .

أولاً : السالكون وهم الذين انتبهوا من نوم غفلتهم ونظروا إلى حقوق الله عليهم التي هي القيام بوظائف الدينية على الوجه الأكمل وملازمة التقوى في الظاهر والباطن ، فأدركوا قصورهم في تحقيق ذلك من عند أنفسهم وطلبوا الوسيلة التي يستعينون بها عليه فانخرطوا في الطريقة التجانية على يد خليفة من خلفاء الشيخ التجاني والتزموا الأدب معه على الحد المحدود ولكنهم لم يفكروا في الدخول تحت تربية الخليفة الكامل الوارث للشيخ التجاني فيتحققوا وهؤلاء هم الظاهريون الرسميون كما سماهم (٢٩).

ثانياً : المجذبون وهم الذين دخلوا تحت التربية الصوفية التجانية حتى وصلوا إلى مقام الفناء قبل أن يتحققوا مقام السلوك على النحو الذي رتبته في الفصل الأول وهؤلاء عكس القسم الأول وهم الابرار كما سماهم (٣٠) لأن الفناء على حد تعبيره هو أدنى مراتب الفتح وهو باب للمعرفة وليس هو المعرفة ولكن لا تنس أنه قد صرح بأن صاحب هذا المقام في خطر عظيم لأنه من الممكن جداً أن يتحول بسهولة إلى يهودي أو نصراني أو مجوسي لم يجد شيئاً واصلاً عارفاً كاملاً ينقذه من هذا الخطر الجسيم بل صرح أيضاً بأن صاحب هذا المقام كافر شرعاً (٣١).

ثالثاً - السالكون المجذبون وهم الذين حققوا مقام السلوك حسب ما رتبته في الفصل الأول بالتدرج حتى وصلوا إلى مقام الفناء كما رسمه وهؤلاء هم الواصلون كما قال فاذا وجدوا من يأخذ بأيديهم يكونون عارفين كاملين (٣٢).

رابعاً : المجذبون السالكون وهم الذين حققوا مقام السلوك كما تقدم حتى وصلوا إلى مقام الفناء ثم سلكوا طريق البقاء على الكيفية المرسومة فكان سلوكهم يسير جنباً إلى جنب مع جذبهم فصاروا يرون فرقاً في جمع وبقاء في فناء وصحوا في سكر يعطون كل ذي حظ حظه كما قال (٣٣) وكان أكثر كبار أصحاب الشيخ التجاني على هذا المقام على حد قوله .

وهناك أيضاً صنف خامس وهم الذين - كما قال عنهم - لا ناقة لهم ولا جمل وهم أتباع الطريقة التجانية الذين لم يحققوا السلوك الذي رتبته ولم يحققوا الجذب الذي قررته ، فهو لاء وإن كانوا قد أخذوا الطريقة فانهم لا يعدون تجانيين إلا لفظاً فقط اللهم إلا إذا لاحظتهم العناية الربانية فألهموا محبة الشيخ التجاني .

٢٥ - وأما في بيان أعمال العارف فإنه يقرر أن العارف الذي شهد هذه التجليات الإلهية السابقة حتى انتهى إلى مقام البقاء التام بمشاهدة الآثار في عالم المجازي والمثال يظل دائماً يتلقى خطابين خطاب مشيئة الله وخطاب حكمته ، فيكون جبرياً قديراً في آن واحد فهو قدرى ظاهراً لقيامه بأداء الواجبات الدينية والوظائف التعبدية على مقتضى خطاب الحكمة في عالم الناسوت وجبري باطناً لأنه يشعر شعوراً إيمانياً يقينياً عرفانياً بأنه لا يقوم بحركة ولا سكون إلا وهو قائم بأمر الله بالله على مقتضى خطاب المشيئة فتصير جرة ذلك جميع أعماله فروضاً وواجبات لا فرق في ذلك بين الحقوق الإلهية والحظوظ النفسانية .

٢٦ - ثم طفق الشيخ يتكلم على وظيفة العارف مقرر أن العارف في هذا المقام مكلف بتعمير باطنه بذكر الله دائماً يذكره في قلبه بالتفكير في جبروته وفي روحه بالعبارة في لاهوته وفي سره بالنظر في ماهوته وهذا في نظر الشيخ هو معنى « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » . وإلى هذا المقام أيضاً حسب رايه يشير حديث خير الذكر الخفي وأما أفضل أذكار اللسان على حد قوله هو صلاة الفاتح لما أغلق من غير حصر بعدد محدود ولا ميقات زمني أو مكاني .

٢٧ - ثم تقدم يدلي بإجابته حول السؤال الذي ورد عليه عن الخاطر والفكر والعبارة مبيناً في جوابه أنها ألفاظ مترادفات من وجه وغير مترادفات من وجه ، فقرر أن الخاطر هو ما يرد على قلب العارف مصادفة سواء أعمل فكره في تحصيله أم لا والخاطر الحقيقي كما صورته هو المتحد في الله عندما صدم العارف تجلي الأحدية فأعدهم عن نفسه وتلاشى وجوده في وحدة الوجود فعندئذ لا يبقى شيء إلا هذا الخاطر يسبح في حضرة الإطلاق حيث شاء وأما الفكر فهو أعمال العارف سير قلبه إما في ربه أو في نفسه وكلا النوعين منتج مفيد لأن التفكير في الله وفي جميل صفاته وأفعاله يدفع

إلى حبه وشوقه والتقرب إليه كما أن التفكير في النفس ومساوئها أيضاً يدفع إلى الفرار منها بأعمال صالحة مقربة إلى الله وهكذا وأما العبرة فهي دائماً تكون نتيجة للفكر فجملة القول في هذا إذن أن الخاطر هو ما جاء من الله إلى العارف والفكر هو ما صدر منه إلى الله والعبرة نتيجة الإثنين وأثرهما وهذا هو الطريق الممهد الذي ينتهجه العارف في سيره إلى الله فكلما ازداد تفكيراً في الله تزايد ورود الخاطر من الله إليه فيزيد بذلك عبرة في وحدانيته فتتمزق الحجب جراء ذلك أمامه ، فيسبح في غيوبات المعارف الإلهية التي لا حد لها فتتكشف له معاني أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه وكلام رسوله وهلم جرا .

٢٨ - ثم أدلى الشيخ أيضاً بإجابته عن السؤال الذي ورد عليه حول الأزل وأزل الأزل والأبد وأبد الأبد والأمد مقررّاً أن الأزلين بالنسبة للحضرات الثلاث التي هي الماهوت واللاهوت والجبروت عبارة عما لم يزل قط والأبد كذلك بالنسبة لها عبارة عما لا يزال أبداً ومعنى ذلك كله أن الحضرات كلها شيء واحد أزلي أبدي لم يزل ولا يزال وأن التعدد والأسماء والصفات كلها نسب واعتبارات وإضافات ووجوهات لشيء واحد فحسب وهذا طبعاً يريحك من إتعاب فكرك في تفهم معاني البطون والظهور إذ لا فرق بينها وبين الأزل من هذه الناحية إلا في الألفاظ والاعتبارات فقط ، ألا ترى أنه يقول إن الأزل هو بطون البطون ، وأزل الأزل هو البطون ، وأزل أزل الأزل هو الظهور ، وكلامه في الأبد أيضاً هو نفس ما قرره في الأزل ، إلا أن هذا باعتبار القبلية وذلك باعتبار البعدية وأنت إذا أمنت النظر في تفسيره لمعنى الأزل والأبد تدرك أن الأزل واحد لأن العقل لا يحيز وجود أزلين كما لا يحيز أيضاً وجود أبدين فكلما وجد أزلين بطل الأخير حتماً لاتصافه بالحدوث بالنسبة للأول وكذلك في الأبد وإذا وجد أبدين بطل الأول حتماً لاتصافه بالانتهاء بالنسبة للأخير وهذا تدرك أن الأزل في كلامه هو عبارة عن الوجود الأصلي للذات العلية المعبر عنه عنهم بحضرة الشمس والعمى والصرف والسادج والبحث أو بعبارة أخرى حضرة الماهوت ويعتبر جزء ذلك بروز حضرة اللاهوت عنها أزل ثان بالنسبة للماهوت كما يعتبر بروز حضرة الجبروت من اللاهوت أزل ثالث بالنسبة لللاهوت والماهوت وهكذا ، ومن أجل ذلك قال إن الأزل هو بطون البطون وأزل الأزل هو البطون

وأزل أزل الأزل هو الظهور كما تقدم آنفاً ، وإذا رجعت إلى ما تقدم من الكلام في التجليات تفهم ذلك بوضوح ولكن لا تنسى ما قررنا لك من قبل أن الأمر كله ذهني اعتباري وإلا فلا يوجد إلا ذات واحدة أزلية أبدية تتلون بتلون النسب والاعتبارات والإضافات وهكذا وأما الابد فقد بين الشيخ أن المراد منه الغاية في الأمرين لو كان لهما الغاية ولكنهما فوق الغاية والانتهاى كما قرر .

٢٩ - ثم استمر الشيخ يتكلم في أيام الله مقررًا أن يوماً واحداً من أيام الله كآلف سنة مما تعدون فذهب إلى أن ذلك هو المراد بأيام الله التي وردت في القرآن والتي أمر الله بالتذكير بها في قوله وذكرهم بأيام الله . فقال الشيخ إن هذه الأيام كانت مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيامهم وأهل الله في أيامهم ولذلك لا يزال سير العارف مستمراً في هذه الأيام يعوم في غيوب المعارف تتقاذف به أمواج الحقائق حيث لا يجد شيئاً إلا وجوداً ليس معه وجود يظل مندهشاً متحيراً في العظمة الإلهية والكبرياء الذاتية وما بعده على حد قول الشيخ الأسير الأزل والأبد فقط لأن الحقائق والمجازات والأزمنة والأمكنة والأوراد والواردات والمعارف والأذواق كلها قد طويت كطي السجل للكتاب لتجاوز ما هنالك حد ما يكتب في الأوراق وما ينظر بالأحداق ولذلك قال إن صاحب هذا المقام يلزمه السكوت حتى يجد إذن الكلام من الله .

٣٠ - وأما مناجاته فهي عبارة عن دعوات وصلوات منسوجة على منوال ما ر من هذه الحضرات الفلسفية القائمة على أساس وحدة الوجود الصوفية ومصوغة في قوالب ما تقدم من هذه النظريات الجزئية التجانية ومن ذلك قوله : « اللهم إني أسألك بجمعية مجمع الشئون وبأعظمية الاسم الأعظم وبصديقية الصديق الأكبر وما حوته تلك الحضرات وسر النسب والتجليات من أزل أزل الأزل إلى أبد أبد الأبد من وجود كنزبة الحق إلى آخر تجليات الدهور بسر الكون وبسر الخلق والأمر أن تأخذ بأيدينا وتوقفنا بين يديك وقفة خالصة مستمرة دائماً أبداً سرمداً بمحو الرسوم والطبائع وأمت نفوسنا موتاً حقيقياً محواً وفناءً في شهود الحق بالحق في الحق مع البقاء التام والصحو والكمال والاستقامة والقيام بحقوق الربوبية جمعاً في فرق وفناء في بقاء

٣١ - ثم ختم كلامه في الفصل بإجابة عن السؤال الذي ورد عليه من الشيخ عمر في التجاني عن السر في النكاح الذي أمر الله به في قوله تعالى فانكحوا فجاءت إجابة الشيخ عن ذلك على الوضع الآتي أن الله تبارك وتعالى الذي كان ولا شيء معه المتصف بجميع الصفات الجلالية والجمالية الربانية والكمالات الإلهية لما أحب أن يوجد المخلوقات حيث لا محب ولا محبوب سواء وقعت الإفاضة منه إليه فبرز سره منه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي وصفه الشيخ بمدد الوجود ونور الوجود ووجود الوجود فصار هو الحبيب ومنه برز النور الذي برز منه جميع المخلوقات فمن ثم وجدت النسب ومن خصائصها المشاهدة ومن جمال الله تعالى ما إذا شاهده الكامل يشعر بقوة إشتياقية شديدة تدفعه إلى الإتصال بالمحبيب وهذا النوع من الإتصال هو الذي رمز الله إليه بالنكاح وإلى هذا المعنى - في نظر الشيخ يرمي - قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وذلك هو الجمال الذي شوق حواء إلى آدم لما شام بريقه وشم أريجيه فلما نقشاها حملت حملاً خفيفاً . ولهذا السر لا ترى شيئاً يبرز إلى الوجود وينتشر ويبقى إلا من النكاح فمنه وقع التناسل بين الحيوانات وغيرها حتى هذا الكتاب الذي كنا ندرسه كما قال الشيخ إنه تناسل بين الخبرة والقلم وكذلك في التعليم فلا بد فيه من التلاقح بين الفاء المعلم وتلقي الطالب حتى يتنسل الفهم والعلم من ذلك فاستمر الشيخ قائلاً ولهذا لا ترى أحداً من كمل الرجال ذوي الأيد والأبصار إلا وهو مشتاق إلى النكاح مع سلامتهم من الرضوخ تحت نير الشهوات والتصفد بأكبل الهوى .

٥ - الجذب في السلوك في الطريقة التجانية :

٣٢ - لم يتناول الشيخ موضوعاً جديداً في هذا الفصل وإنما كرر بعض كلامه في الفصل السابق فقط تقريباً فقرر أن المراد بالجذب في السلوك هو أن يرجع العارف إلى الذات رجوعاً لا يعرف له سبباً ولا كيفية ولا وقتاً ولا أصلاً ولا فصلاً ولا يشعر بشيء إلا أنه لم يجد إلا الذات بالذات في الذات ، فين أن الذات العلية هي مشهد صاحب هذا المقام ووجوده وأفعاله وأقواله وأحواله وأسراره ومقاماته ومن أجل ذلك كانت

معارفه ومعلوماته خارجة عن دائرة القول فاللازم عليه السكوت التام فقط حفظاً على حياته من علماء الرسوم وسير هذا العارف لا ينتهي وكل من وصل إلى هذا المقام لا بد أن يكون قطباً غوثاً وفرداً جامعاً خليفة عن الله في حمل الأعباء الألوهية وهي الأمانة التي يكون بحملها عين الرحمة الربانية الحافظة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي الخ ثم ختم كلامه بإيراد الأذكار التي اشتمل عليها الورد التجاني مقتطفاً أوائلها .

والظاهر أن الشيخ قد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على ذاكرته مستعيناً بالمراجع التالية .

١ - جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض أبي العباس التجاني للسيد علي حرازم ابن البرادة .

٢ - الجامع لما افرق من درر العلوم الفاض من أسرار القطب المكتوم للسيد محمد ابن المشرى .

٣ - رماح حزب الرحيم على نخور حزب الرحيم للشيخ عمر طال بن سعيد الفتوي الطوري الكدوي .

٤ - الفتوحات المكية .

٥ - عقاء مغرب في حتم الأولياء وقطب المغرب .

كلاهما للشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي .

٦ - الافادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية .

للسيد محمد الطيب بن محمد الحسني السفيناني .

٧ - وفي مضمون الكتاب ما يدل على أنه يستمد بعض مواد الكتاب من مذكرة تلقفها من شيخه في هذا الشأن الحاج عبدالله بن الحاج العلوي المورتاني .

مراجع دراسة كتاب السر الأكبر

- ١ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٥٩ من هذا الكتاب.
- ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر انظر هذا البحث ٤٦٣ .
- ٣ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٦٩ ٤ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٠ .
- ٥ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧١ ٦ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٢
- ٧ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٣ ٨ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٤
- ٩ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٥ ١٠ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩
- ١١ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩ ١٢ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩
- ١٣ - السيد علي حرازم البرادة : جواهر المعاني ٣٨ - ٤٠
- ١٤ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ، أنظر هذا البحث ٤٨٧ .
- ١٥ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٨ ١٦ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٨
- ١٧ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٨ ١٨ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٩
- ١٩ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٩ ٢٠ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩١
- ٢١ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩١ ٢٢ - عبد الكريم الجيلي : الانسان الكامل ٧٢
- ٢٣ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩٣ ٢٤ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٥
- ٢٥ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٧ ٢٦ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر انظر البحث ٤٩٠
- ٢٧ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩٢ ٢٨ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٥٠٠
- ٢٩ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٥٠٤ ٣٠ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩
- ٣١ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩ ٣٢ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩
- ٣٣ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩٤ ٣٤ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩٤

تحقيق كتاب السر الأكبر

هذا هو نص كتاب السر الأكبر والنور الأبهري الذي ألفه الشيخ إبراهيم إنياس في علم الباطن في الطريقة التجانية وقد حققناه معتمدين في ذلك على ثلاث نسخ متفرقة. النسخة التي كتبت في كولخ وعليها توقيع الشيخ إبراهيم نفسه ، وجدتها عند بعض كبار تلاميذه النيجيريين ، وهو الشيخ إبراهيم نائبي الساكن بقرية بَكُر في ولاية بلاتو رحمه الله وهي التي رمزنا إليها بحرف (خ) إشارة إلى النسخة الكولخية والنسخة التي خرجت من يد الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي وعليها توقيع ، أي الشيخ التجاني بن عثمان حصلت عليها بواسطة بعض الأصدقاء من أصحابه الكنويين وهي التي رمزنا إليها بحرف (ك) إشارة إلى النسخة الكنوية والنسخة التي خرجت من بيت الشيخ الحاج آدم الدمغراوي رحمه الله في بلدة أُرزي بولاية بوش وجدتها عند بعض أبنائه وهي التي رمزنا إليها بحرف (ز) إشارة إلى النسخة الأزرية . وبعد فقد أجرينا على الكتاب دراسة علمية شاملة ألحقناها بأوله كمقدمة وعلقنا على بعض النقاط الهامة التي احتوى الكتاب عليها وجعلناها في آخره كخاتمة .

بسم الله الرحمن الرحيم (١) الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين

١ - في ز ، ك زيادة ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم صل الله على سيدنا محمد حق قدره ومقداره العظيم اللهم عونك هذا كتاب السر الأكبر والنور الأبهري تأليف العارف الرباني والوارث الصمداني من نشأ في طاعة مولاه متسكاً بأوثق عراه العالم العامل العابد الناسك الفاني في محبة المولى الخالق المالك جامع أذواق أهل الحقيقة الفائز به أهل الطريقة سيد السادات المتصف بكماليات الصفات أبي إسحاق إبراهيم الخليل من لا يزال هائماً في جمال مولاه الجليل ابن الحاج عبداً تولى أموره مولاه قال مبتداً باسم الله العظيم مصلياً على السيد الكريم .

إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين آمين (١) اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق
والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره
ومقداره العظيم (٢) سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين (٣) ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٤) والذي جاء
بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم (٥)

أما بعد حمده بلسان مرتبته على جميع محامده ويتضاءل عن أقل جزء منها حمد
حامده بل الحمد به وله وفيه ومنه (٦) وإليه وعليه ومعه وعنه . فيقول العبد الفقير (٧)
الغني بمولاه الكريم ابن (٨) الشيخ الحاج (٩) عبدالله إبراهيم لا يزال في جمال
جلال (١٠) مولاه بهم فقد أمرني من لا تسعني مخالفتي وتتحتم علي مساعدته ومساعدته
إذ إشارته حكم ومساعدته غم بأن أضع كلمات مشتملة على إشارات تنبه (١١) على
طريقتنا الحقيقية الخاصة المخصوصة بأخص الخواص الطائفة الأحمدية المحمدية
التجانية الإبراهيمية الخفية (١٢) فنظرت إلى قصور باعي فأحجمت ثم إلى وجوب
الامتثال لأوامره (١٣) فأقدمت فصرت أقدم رجلاً وأوخر (١٤) أخرى (١٥) مع
ما أقامني القهار عليه من الاشتغال بما هو به سبحانه أدرى إلا أنني بينت (١٦) أن
الاحجام عن إسعافه في ذلك من رذائل الأخلاق لما فيه من إفادة أهل الأذواق الذين

١ - الفاتحة : ١

٢ - هي الصلاة التي أنفها الشيخ محمد البكري فأخذها الشيخ التجاني وادعى أنها ليست من تأليف البكري
وإنما أنزلها الملك عليه أي البكري في صحيفة من نور . انظر جواهر المعاني ج ١ - ١٣٧

٣ - الصافات ٣٧ : ١٨٠ - ١٨٣ ٤ - النساء ٤ : ٦٩ ٥ - الجمعة ٦٢ : ٣

٦ - سقطت (ومنه) من خ ٧ - في خ الحقيق ٨ - سقطت (أ) من خ

٩ - سقطت (الحاج) من ك ١٠ - في خ جلاله بزيادة (هـ)

١١ - في خ ، ز تنبيه بزيادة ياء بين الباء والهاء ١٢ - كذا في المخطوطات ولعل الصواب الخيفية .

١٣ - في ز الأوامر باسقاط الهاء ١٤ - في ز وأوخرى

١٥ - سقطت أخرى من ز وفي خ (الأخرى) ١٦ - في ز تبيت باسقاط النون التي بين الياء والتاء .

هم صفوة مولانا الخلاق وقال لي لسان الحال قل (١) وروح القدس (٢) معك وأنشدني :

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ (٣) بنفسك أن ترعى (٤) مع الحمل (٥) (٦)
فقلت (٧) مستعيناً بالله ومتوسلاً برسول الله ومستمدداً من حضرة مولانا
أحمد (٨) التجاني وجمعت هذه النبذة واختصرت الكلام فيها (٩) على أربعة
فصول : فصل في سلوك طريقتنا التجانية ذات الأسرار الربانية والحقائق العرفانية
والاشارات المحمدية والمواهب الرحمانية والأحوال الحقانية وفصل في جذبها (١٠)
وفصل (١١) في السلوك في الجذب فيها وفصل في الجذب في السلوك إذ (١٢) ما وراء
ذلك لا يسمح فيه ولو بمطلق إشارة ولم أسلك فيها مسلك المصنفين ولم أجنب شيئاً من
كلام المحققين لأنها ليست موضوعة للمنتقدين (١٣) إنما هي للمحققين المعتقدين
إلا شيئاً حدثني به قلبي عن سري عن ربه تعالى بارتفاع الوسائط فأرجو (١٤) بذلك
تحقيق النفع لبروزه (١٥) من النافع نفعا الله به وأحباءنا (١٦) النفع الحقيقي إنه
تعالى ولي ذلك والقادر عليه .

فصل فأما السلوك فيها سلك الله بنا وبأحبائنا (١٧) مسالك النجاة وجعلنا الأئمة
المهتدين الهداة فينبعث (١٨) من الانتباه (١٩) وهو أن ينظر العبد إلى ما تطالبه به حضرة
خالقه ورازقه وضاره (٢٠) ونافعه وهو العبادة الخالصة المخلصة (٢١) قال تعالى :
« وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (٢٢) . وقال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين » (٢٣) ثم إلى عجزه عن توفية (٢٤) الحضرة حقها من التقوى في

-
- ١ - في خ (وقل) بزيادة واو .
٢ - في ز (فان) ٤ - في خ (ترعل) ٥ - في ز ، ك مع المحل ٦ - الطرائي : لاية المعجم
٧ - في خ فقلت ٨ - في ز ، ك الختم التجاني ٩ - سقطت (فيها) من خ
١٠ - في ز جزها بالزاي بدل الذال ١١ - سقطت فصل في ز ١٢ - في ز بزيادة واو أي (واذ)
١٣ - في خ للنتقدين ١٤ - في خ وأرجوا بزيادة ألف ١٥ - سقطت (هـ) في ز .
١٦ - في المخطوطات (وأحبائنا) بوضع الهزرة فوق التبرة .
١٧ - في خ ، ك (وبأحبائنا) بافراد الهزرة ١٨ - في ز فينبعث
١٩ - في خ الانتياح بالحاء بدل الهاء ٢٠ - في ز وضاه ٢١ - سقطت (المخلصة) من ك
٢٢ - القاريات ١٥ : ٥٦ ٢٣ - البينة ٥ : ٩٩ ٢٤ - في خ (تفية) .

القاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى وذلك مفتاح جميع المطالب (١)
 لعبد من العلم والولاية والبشرى والجنة ومحبة الله والكرم عنده والنجاة والسلامة من
 الأعداء والرزق والتيسير والعاقبة المحمودة إلى غير ذلك من المطالب قال تعالى :
 « واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » (٢) وقال تعالى : « ألا إن أولياء
 الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣) الذين (٤) آمنوا وكانوا يتقون لهم
 بشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٥) وقال تعالى : « أعدت للمتقين » (٦) .

وقال تعالى : « إن الله يحب المتقين » (٧) وقال تعالى : « إن أكرمكم عند الله
 اتقاكم » (٨) وقال تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا » (٩) وقال تعالى : « وأن (١٠)
 تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً » (١١) وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً
 ويرزقه من حيث لا يحتسب » (١٢) . وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له من أمره
 يسراً » (١٣) . وقال تعالى : « والعاقبة للمتقين » (١٤) . فهذه الآيات مصرحة بأن التقوى
 مفتاح جميع المطالب في الدارين وأنه هو السبيل المأمون (١٥) والزااد المبلغ والراحلة (١٦)
 في طريق (١٧) السلوك إلى الله ولذا قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
 إليه الوسيلة » (١٨) . والوسائل إلى الله دائرة على ثلاثة أقطاب القطب الأول متابعة
 النبي في القول والعمل (١٩) قال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
 الله » (٢٠) الثاني ملازمة الذكر بالإذن الصحيح من الكمل قال تعالى : « واصبر
 نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » (٢١) . والآية . والثالث
 مصاحبة العارف بالله قال تعالى (٢٢) : « واتبع سبيل من أناب إلي » (٢٣) . فينظر المريد
 إلى ما تقدم (و) (٢٤) تعظم رغبته في الانخراط في سلك طريقتنا وتلقي أورادنا (٢٥)

- ١- في خ (مطالب) باسقاط (ال) ٢- البقرة ٢ : ٢٨٢ ٣- يونس ١٠ : ٦٢
 ٤- في ز والذين بزيادة واو ٥- يونس ١٠ : ٦٤ ٦- آل عمران ٣ : ١٣٣ .
 ٧- آل عمران ٣ : ٧٦ ٨- الحجرات ٤٩ : ١٣ ٩- مريم ١٩ : ٧٢ ١٠- سقطت الواو في خ
 ١١- آل عمران ٣ : ١٢٠ ١٢- الطلاق ٦٥ : ٢ ١٣- الطلاق ٦٥ : ٤ ١٤- الاعراف ٧ : ١٢٨
 ١٥- في ز الأمور ١٦- في ز ورحة ١٧- في ز في الطريق بزيادة (ال) ١٨- المائة ٥ : ٣٥
 ١٩- في خ والفعل ٢٠- آل عمران ٣ : ٣١ ٢١- الكهف ١٨ : ٢٨
 ٢٢- في ز قال الله ٢٣- لقمان ٣١ : ١٥ ٢٤- سقط الواو من المخطوطات ٢٥- في ك أورادنا

ومصاحبة الشيخ الكامل من أهل (١) طريقتنا وما لم يحصل للعبد (٢) هذا النظر فهو في نوم (٣) الغفلة وما بعد هذا النظر الإكمال اليقظة وما بعد كمال اليقظة إلا الفرار من النفس وهواها والدنيا والشیطان إلى الله وذلك هو التوبة والفرار إلى الله هو الفرار إلى كمال العصر وقال تعالى (٤): « ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥) فيأتي لخليفة (٦) من خلفاء الشيخ وارث ولا بد من سلب الإرادة والتأدب ظاهراً وباطناً وتوفية ما تلقى إليه من الشروط والسلامة من الانتقاد بكمال الاعتقاد والسلامة من الاعتراض (٧) والسؤال بلم وكيف كما يشير (٨) إلى جميع ما تقدم قوله تعالى حكاية عن الكليم موسى على نبينا وعليه (٩) الصلاة والسلام لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغ مجمع بينهما نسيا حوتهما (١٠) فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتهآ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذا آوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه (١١) من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمي مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء (١٢) الله صابراً ولا أعصى لك (١٣) أمراً قال فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً (١٤) فيتلقى منه الورد اللازم للطريقة الأحمدية التجانية ذات الاسرار الربانية والإشارات المحمدية والحقائق الاحمدية (١٥) وهو الاستغفار والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (١٦) ولا إله إلا الله وآيات من القرآن يذكر بالغداة والعشي وهذا الورد هو أفضل الأوراد وأسهل الطرق الموصلة إلى الله تعالى وأنفعها وأعلاها وأسهلها (١٧) وأرفعها شأنًا وحالا ومقاما لأن منشأ هذه الطريقة كما قال صاحبها الدائرة الفضلية (١٨) التي وراء الدوائر

-
- ١- في ز الطريقتنا ٢- في ز العبد ٣- في خ النوم ٤- في ز الله ٥- الذاريات ٥١ : ٥٠
 ٦- في ز الخليفة ٧- في خ الاعراض ٨- في خ تشير ٩- سقط الواو في ز
 ١٠- سقط الهاء من خ ١١- سقط الهاء من خ ١٢- في خ ان شائي ١٣- سقطت (لك) من خ
 ١٤- الكهف ١٨ : ٦٠ - ٧٠ ١٥- في ز (الاحدية) ١٦- سقط ما بين القوسين من ز ، ك
 ١٧- في ز ، خ فأسلمها ١٨- في ك الفيضية

التي هي دوائر الأمر والنهي (١) والجزاء خيراً وشرّاً والاعتبارات واللوازم (٢) والمقتضيات فإن هذه الدوائر هي دوائر عموم الخلق وتلك الدائرة الفضلية هي دائرة اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى فيضعها لمن شاء من خلقه وهذه الدائرة جعلها سبحانه وتعالى عنده فيضعها فائض (٣) من بحر الجود والكرم لا يتوقف فيضها (٤) على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط ولا يبالي بمن كان فيها وفي (٥) بالعهود (٦) أم لا أنتهج الصراط المستقيم أم سقط في المعاصي في الطريق الوخيم ولا يبالي فيها لمن أعطى ولا على ماذا أعطى ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة (٧) في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع وفيها كما قال شيخنا أوقع الله أهل طريقته فصارت عبادتهم محبة وشكراً ورائة محمديّة قال عليه السلام (أفلا أكون عبداً شكوراً) (٨) ولذلك (٩) قال شيخنا إن طريقته (١٠) طريقة (١١) شكر وقد أتى ذكر هذه الدائرة في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « قال تعالى : « والله (١٢) يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (١٣) وقال تعالى : « قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم » (١٤) وقال تعالى : « وكان فضل الله عليك عظيماً » (١٥) . وقال تعالى : « واسألوا الله من فضله » (١٦) وقال تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله » (١٧) وقال تعالى فسوف يأت الله بقوم (١٨) يحبهم ويحبونه إلى قوله ذلك فضل الله (يؤتیه من يشاء) (١٩) وقال تعالى فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة (٢٠) منه وفضل (٢١) وقال تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته

١ - في خ ونهى .

٢ - في خ واللزم ٣ - في ز فيضعها ٤ - في ك ، ز فيضه ٥ - في ز و (في)

٦ - في خ (العهود) ٧ - في ز (سعادة) ٨ - الشيخان عن عائشة : الأنوار المحمدية ١٧٥

٩ - في ك ، ز ولذا ١٠ - في ز طريقتنا ١١ - في خ طريق

١٢ - سقط الواو في خ وسقطت واؤه في ز ، ك ١٣ - البقرة ٢ : ١٠٥

١٤ - آل عمران ٢ : ٧٣ في خ بزيادة ذو الفضل العظيم قبل واسع عليم ١٥ - النساء ٤ : ١١٣

١٦ - النساء ٤ : ٣٢ ١٧ - النساء ٤ : ٧٥ ٨ - سقطت (بقوم) من ز .

١٩ - سقط ما بين القوسين من خ ٢٠ - في ز رحمته ٢١ - النساء ٤ : ١٧٥

فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» (١). وقال تعالى : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٢). فبعض ما تشير إليه هذه الآيات (٣) تعلم أن من وفقه الله لدخول طريقنا كملت له سعادة الدارين وكان من المحبوبين المقبولين عند الله على أي حالة كان والادب لهذا المرید أن يشهد المنّة دائماً لمولاه فيحمده ويشكره على كل أحواله ويحسن الظن به دائماً يجدد حسن الظن ما تجدد له حال سواء كان جليلاً أو جمالياً ويفوض إليه (٤) أموره مادي منها وما جل بقيناً بالله ويعجزه (٥) عن جلب النفع لنفسه أو دفع المضرة عنها (٦) فيلقي نفسه سلباً بين يدي شيخه النائب عن الشيخ الختم التجاني رضي الله عنه (في عالم الحس والشيخ الربيعي للمريد حقيقة هو الشيخ التجاني رضي الله عنه) (٧) وهو معه دائماً ما تذكره في قلبه وأعتقد أنه بين يديه وهنا سر كبير للمريد التجاني قال تعالى : « والله خلقكم وما تعلمون » (٨). وفي الحديث (٩) القدسي « أنا عند ظن عبدي بي » (١٠). وقال تعالى وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد » (١١). وقال تعالى : « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » (١٢). فهذه (١٣) الآيات (١٤) تشير إلى ما تقدمها من مقامات الآداب ، وأما الطرق الموصلة فيها فهي أكثر من أن (١٥) تعد (١٦) تعد أو تحصى فمنها الورد اللازم لمن التزمه بشروطه المشروطة (١٧) وآدابه المضبوطة وهي المحافظة التامة على واجبات الشرع كلها سيما الصلوات الخمس بطهارتها في أوقاتها وحضور القلب عند تلاوته وبعدها ومنها محبة (١٨) المرید في شيخه

١ - يونس : ١٠ : ٥٨ - ٢ - الجمعة : ٩٢ : ٣ - ٣ - في ز (الآية) .

٤ - في ز له ٥ - في ز يعجزه ٦ - في ز منها ٧ - سقط ما بين القوسين من خ

٨ - الصافات : ٣٧ : ٩٦ ٩ - في خ حديث .

١٠ - الشيخان عن أبي هريرة : كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعلوني ج١ - ٢٣٤

١١ - الفافر : ٤٠ : ٤٤ ١٢ - الزمر : ٣٩ : ٢٩ ١٣ - في خ ، ك فهذا

١٤ - سقطت بعض من خ ١٥ - سقط التون من خ ١٦ - في خ تعدا

١٧ - في خ المشروطة ١٨ - سقطت محبة من ز

بدليل حديث المرء مع من أحب» (١) قالوا: «إن محبة الصغير لا تخطيء» (٢). قلت ومحبة الكبير المتعالي لا تخطيء بدليل «فإذا أحببته كنته» (٣) ومنها العدوى بدليل «خالط الجذمي تجذم» (٤). ومنها أدعية وأذكار أجراها الله على لسان الشيخ رضي الله عنه وكذلك (٥) أدعية وأذكار أجراها الله على لسان بعض خلفائه وتلك والله أعلم هي الطرق المتفرعة التي ذكر الشيخ رضي الله عنه قال تعالى: «وقال ربكم أدعوني استجب لكم» (٦). «أمن يجيب المضطر إذا دعاه» (٧) أجيب دعوة الداع (٨) إذا دعان (٩) فهذه مآخذ هذه الطرق زيادة على ما تقدم عند تفسير الوسيلة وأما مأخذ (١٠) أذكار الورد من الكتاب فقد قال تعالى: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» (١١). قال تعالى: (فاقرأوا) (١٢) وقال تعالى: «واستغفروا ربكم» (١٣). وقال تعالى: «صلوا عليه» (١٤) وقال تعالى فاذكروني أذكركم» (١٥) وهنا لطيفة (١٦) حيث قال (١٧) تعالى ابني إسرائيل: «واذكروا نعمة الله» (١٨). وقال لهذه الأمة المحمدية «فاذكروني» وقال تعالى: «سبحوه» (١٩) بكرة وأصيلا» (٢٠).

١ - الشيخان عن أنس وأبي موسى وابن مسعود : كشف الخفاء للعجلوني ٢٨٣ : ١ ج .

٢ - لعله من أقوال الصوفية لم أعثر له على مصدر .

٣ - هذا حديث مشهور عند المتصوفين إلا أنني لم أجده من رواه بهذا اللفظ غير الشيخ إبراهيم وحده وهو قد أخذه من جواهر المعاني ج٢-١٢ فقد رواه القناوي في شرح لامية ابن الوردي بلفظ فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فتح الرجيم الرحمن ٤١ (ورواه ابن عجيبة في إيقاظ المهمل شرح الحكم بلفظ «فاذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداؤً ومؤيداً» ١٦ . وأورده ابن عربي الحاتمي في الفتوحات المكية في الجزء الأول صفحة ٣٢١ فقال : «ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى في العبد الذي يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه يقول فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث .

٤ - هذا لعله من كلام الشيخ إبراهيم أو مأثور عن بعض العلماء .

٥ - في ذلكذا ٦ - غافر ٤٠ : ٦٠ ٧ - النحل ٢٧ : ٦٢ ٨ - في خ ، ك الداعي

٩ - في خ ، ك عادني ١٠ - في خ مواخذات ١١ - النحل ١٦ : ٩٨ ١٢ - المزمل ٧٣ : ٢٠

١٣ - هود ١١ : ٣ ١٤ - الأحزاب ٣٣ : ٥٦ ١٥ - البقرة ٢ : ١٥٢ سقطت أذكركم من ز

١٦ - في ز للطريقة ١٧ - في ز قال الله تعالى ١٨ - إبراهيم ١٤ : ٦ ١٩ - في خ سبحوا

٢٠ - الأحزاب ٣٣ : ٤٢

فتلاوة (المريد) (١) بالإذن الصحيح بالسند المتصل بالشيخ هذا الورد باستحضار هذه الأوامر قصد امتثالها تعظيماً لله وإجلالاً له متأدباً بالآداب المتقدم ذكرها هي السلوك فيها بقدر الصدق يكون سرعة الظفر بالمطلوب فالصادق ربما قطع العقبات في لحظة أو ساعة أو يوم أو يومين أو قليل من الأيام ومنهم من (يقطعها في شهر أو في سنة أو سنتين أو سنين) (٢) ومنهم من يقطعها في سبعين سنة وذلك بحسب الصدق (٣) ، والصادق في طريقتهما من أراه الله الورد اللازم أكبر الاسرار ، والشيخ عين السر فلا يتشوق (٣) إلى الغرائب والغيوبات ويستخف (٤) بالسر الحقيقي ، فإن حصل الصدق يقطع المقامات لم آمناً من العثرات في أسرع مدة ، والمقامات لإسلام وإيمان وإحسان ، وإن شئت قلت شريعة وطريقة وحقيقة ، وما فيها من أهيات المنازل تسعة ، أولها : التوبة ، وآخرها المعرفة ، وحقيقة التوبة : التوبة من التوبة ، إن الله هو التواب الرحيم . (٥) وحقيقة الاستقامة البقاء بعد الفناء . . . إن الله يفعل ما يريد (٦) وحقيقة التقوى عدم خطور السوي بالخاطر ولو لحظة ، ذلك « بأن الله هو الحق » (٧) وحقيقة الصدق لإفراد الوجهة إليه « كل شيء هالك (٨) إلا وجهه » (٩) ، وحقيقة الاخلاص أن ترى أن العمل لا منك ولا إليك ولا لك ، ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه (١٠) ألا إلى الله تصير الأمور » (١١) له الملك وله الحمد » (١٢) وحقيقة الطمأنينة (١٣) أن لا تنمى زوال ما كان ، أو وجود ما لم يكن « إن الله يعلم وانتم لا تعلمون » (١٤) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (١٥) وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائماً « إن ربك لبالمرصاد » (١٦) وما تكون في شأن وما تتلو (١٧) منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه » (١٨) « ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » (١٩) . « ما يكون

-
- ١ - سقطت المريد من خ
٢ - في خ يتشوق ٤ - في خ يستحق ٥ - التوبة ٩ : ١١٨ ٦ - الحج ٢٢ : ١٤
٧ - الحج ٢٢ : ٦٢ ٨ - سقطت هالك من خ ٩ - القصص ٢٨ : ٨٨ ١٠ - الباقية ٤٥ : ١٣
١١ - الثوري ٤٢ : ٥٣ ١٢ - التغابن ٦٤ : ١ ١٣ - في ز الطمأنينة
١٤ - النحل ١٦ : ٧٤ ١٥ - الأنبياء ٢١ : ٢٣ ١٦ - القمر ٨٩ : ١٤
١٧ - في خ تتلوا بزيادة الألف ١٨ - يونس ١٠ : ٦١ ١٩ - ق ٥٠ : ١٦

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم الآية» (١). «إن الله عليم بذات الصدور» (٢) وحقيقة
 المشاهدة رؤية الحق عياناً « فأينما تولوا فثم وجه الله » (٣) وحقيقة المعرفة شهود
 الكمال الذاتي « ليس كمثله شيء » (٤) هكذا أنبأني الوارد أوائل عام خمسين .
 والنفس السالكة لهذه الطريقة في بدايتها أماراة بالسوء قال تعالى : « إن النفس لأماراة
 بالسوء » (٥) فإذا انتبهت صارت لوامة أقسم الله بها في قوله : « ولا أقسم بالنفس
 اللوامة » (٦) وبعد الإنتباه اليقظة فإذا استيقظت صارت ملهمة قال تعالى : « فألهما
 فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها » (٨) فإن تزكت (٧) صارت مطمئنة
 قال تعالى : « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك » (٩) فإذا رجعت إلى ربها صارت
 راضية فإذا رضيت صارت مرضية فتكون بهذا كاملة والكمال لله تعالى والمريد
 التجاني يقطع هذا من غير خلوة ولا كبير مجاهدة ولا (١٠) اعتزال عن (١١) الناس
 ولا ضيق ولا حرج (١٢) كما قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا
 رضي الله عنه في وصية (١٣) له ولذا كان أصحاب الشيخ هم الملوك ظاهراً وهمهم وراء
 العرش وقال الله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق
 قل هي للذين آمنوا (١٤) .

وعادة النصل أن يزهي (١٥) بجوهره وإيس يعمل لإلاني يدي بطل (١٦)

تنبيه (١٧) وما تقدم من أن الملقن نائب عن الشيخ رضي الله عنه في عالم الحس
 فيجب عليه أدباً أن يلقي في حال انطماسه في الشيخ فيلقن الشيخ بلا واسطة ويقوم
 المريد مريد للشيخ لا للملقن ولذا كان المريد التجاني حراً في نفسه من بين المقدمين
 قل أن ينزل الملقن (١٨) منزلة الشيخ في طاعته له واستعمال الأدب معه حتى يجده (١٩)

-
- ١ - المجادلة ٢٨ : ٧ ٢ - لقمان ٣١ : ٢٣ ٣ - البقرة ٢ : ١١٥
 ٤ - الشورى ٤٢ : ١١ ٥ - يوسف ١٢ : ٥٣ سقط ما بين القوسين من ك ٦ - القيامة ٧٥ : ٢
 ٧ - الشمس ٩١ : ٨ ٨ - هكذا في المخطوطات ولعل الصواب تركت ٩ - الفجر ٨٨ : ٢٦-٢٧
 ١٠ - في ز (والا) ١١ - في خ من ١٢ - في ز حرفي ١٣ - في ز وصية له
 ١٤ - الأعراف ٧ : ٣٢ ١٥ - في ز يزهر ١٦ - الطفراني : لامية المعجم في خ البطل وفي ز بطله
 ١٧ - سقط الواو في ز ١٨ - في ز ، ك المقدم ١٩ - سقط ه من خ .

إياه وله أن ينزل غيره منزلة الشيخ إذا (١) لم يظفر بمطابه ، حيث إن الملقين ليسوا سواء في القوة (٢) وقوتهم بقدر انطماشهم في الشيخ حالة التلقين وقبله وبعده إذ مطلب المريد الشيخ التجاني لا غير وإليه يشير قوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به أمين لما (٣) وقع التنافس بين من أخذ عن الخليفة سيدي (٤) علي حرازم وبين من أخذ عن المقدم سيدي محمد بن المشري من يعرفني يعرفني وحدي ولا يفهم من هذا عدم الإرادة في طريقتنا بعده رضي الله عنه بل يسلب (٥) المريد الإرادة مع المقدم وذلك سلب الإرادة مع الشيخ رضي الله عنه لأن (٦) الشيخ حاضر مع المقدم والمريد دائماً والإخلال بأداب المقدم ربما يكون إخلالاً (٧) بأداب الشيخ رضي الله عنه (٨) وهنا مزلة قدم لبعض الملقين حيث جعلوا أصحاب الشيخ أصحابهم وأرباباً قطعوهم عن طريق الشيخ من غير إخلال بشرط (٩) من الشروط فيما يدعون وذلك لا يصح إذ لا يقطع المريد عن طريق الشيخ إلا الثلاثة (١٠) التي ذكر الشيخ بقوله الثابت عنه ثلاثة تقطع المريد عنا أخذ ورد على وردنا وزيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات وترك الورد والحق أن الإذابة ممنوعة (١١) في طريقتنا فإن أذى (١٢) المريد المقدم فلربما جره ذلك إلى الانقطاع (عن الطريقة وكذلك المقدم إن أذى (١٣) المريد فأربما جره ذلك إلى الانقطاع) أيضاً وانقطاع (١٤) المقدم لا يقطع المريد حيث إن شيخه الشيخ التجاني رضي الله عنه أعادنا الله من الانقطاع وإذا لم يحصل للملقن الانطماش (١٥) المذكور فالملقن أيضاً الشيخ لكن من (١٦) وراء حجاب السند ، فحب المريد للمقدم لا لذاته بل لحب الشيخ ، كما أن حب الشيخ لحب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبنا لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحب مولانا جل وعلا الضار النافع الخافض الرافع القابض (١٧) الباسط وما دام العبد يحب سوى وما ذكر فلمرض في القلب ويستلذ المريض ما ليس بلذيذ كما ينكر القم طعم اللذيذ قال :

-
- ١ - في ز إذ ٢ - في غ بالقوة ٣ - في ز ولما بزيادة وار ٤ - سقطت سيدي من ز .
 ٥ - هكذا في جميع المخطوطات ٦ - في ز لأي ٧ - في ز إخلال ٨ - سقطت عنه في ز .
 ٩ - في ز شرط ١٠ - في غ الثالثة ١١ - في غ ممنوع ١٢ - في ز إذن ١٣ - في ز ان ذي .
 ١٤ - سقط ما بين القوسين من غ ١٥ - في غ انطماش ١٦ - سقطت (من) من ز
 ١٧ - سقطت القابض من ز

وينكر الفم طعم الماء من سقم (١).

فبعض (٢) المرضى (٣) يستلذ التراب ويأكله ، وينكر طعم أطيب الطعام والقلب كالجسم ، ما لم يجد الصحة الكاملة يستلذ غير لذيد وإن صح يعلم أن لا لذيد إلا معرفة الله وذكره في سائر الحالات رزقنا الله صحة القلب الكاملة آمين فحب سوى الله ومحبة غيره (٤) لا يرضاه الله لعبد من عباده لأن من أحب شيئاً صار عبداً له والعبودية لغيره كفر ولا يرضى لعباده الكفر ويفر المريد إلى الشيخ في كل المهمات (٥) ويقص عليه ما يكتشف له في سره من الأسرار ويلقي إليه ما يطرأ له من الأحوال ويكتم ذلك من (٦) غيره ولا يستحسن لنفسه شيئاً من أحواله ولا أفعاله عنده وما عليه من آداب الصلحة بعضه (٧) قد تقدمت الإشارة إليه في قصة الكليم مع الخضر عليهما السلام بنص محكم التنزيل ، ويكون مجاهدة المريد في هذه الحالة (٨) صبره على الفروض حتى يؤديها وقت الأداء وصبره على مرارة (٩) مجاري الأقدار وصبره على الفضائل بعد الفرائض من غير قهر النفس عليها وصبره عما تدعوه إليه النفس من الشهوات والراحات والكسل قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (١٠) وقال تعالى : « فخذها بقوة » (١١) أي يجد واجتهاد فحاصل المجاهدة الصبر قال تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » (١٢) والسير الحقيقي في هذا الميدان سير القلب والفكر إلا أن (١٣) حركات الظواهر بحركات السرائر ولا يكون إلا بمحاسبة (١٤) الأنفاس وضبط الحواس الخمس الظاهرة الذوق والشم والبصر والسمع واللمس والخمس الباطنة النفس والقلب والروح والسر والخيال قال الله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » (١٥) وقال تعالى : « الذين يظنون أنهم ملأوا ربهم وأنهم إليه راجعون » (١٦).

١ - البوصيري : قصيدة البردة

٢ - في ز فبعض

٣ - في ز المرض ٤ - سقط ه من ز ٥ - في خ مهمات باسقاط (ال) ٦ - في ك عن

٧ - في خ بنفسه ٨ - سقطت الحالة من ز ، ك ٩ - في خ المرارة ١٠ - المتكبروت ٢٩ : ٦٩

١١ - البقرة ٢ : ١٤٥ ١٢ - البقرة ٢ : ٤٥ ١٣ - هكذا في المخطوطات ولعل الصواب (لأن)

١٤ - في ز بمحاسبة ١٥ - التازعات ٧٩ : ٤٠ ١٦ - البقرة ٢ : ٤٦

وقال تعالى: « واثقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » (١) وأهل هذه الحالة شهون عليهم المصائب لقولهم (قول حال) (٢) (عند المصيبة) (٣) « إنا لله وإنا إليه راجعون » (٤) قال تعالى: « لينذر يوم التلاق » (٥) الآية وإبراهيم سره عن كل ما يزري بمقامه (٦) وذلك هو الورع عندهم وفي الحديث : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (٧) وقال عليه الصلاة والسلام « كن ورعاً تكن أعبد الناس » (٨) فبتحقق (٩) الورع تكون المراقبة (١٠) وهي هنا ملاحظة العبد للحق وحضوره معه دائماً وعلمه باطلاعه تعالى بكليته فهذا (١١) يزهد فيما سواه لا ياتفت إلى حمد الخلق ولا (إلى) ذمهم إلى لائف (١٢) يفارق ولا إلى شيء فيتنبأ للحكمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ومنطقاً (١٣) فاقربوا (١٤) منه فإنه (١٥) يلقن (١٦) الحكمة ». ومن زهد في غيره تعالى توكل عليه لا محالة قال تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١٧) وقال « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (١٨) وقال : « وعلى الله فتوكلوا » (١٩). وهو اعتماد القلب بالله وكون العبد بين يديه بقلبه (٢٠) كيف يشاء (٢١) ولا (٢٢) يكون له حركة ولا تدبير وبهذا تتحقق العبادة (قال تعالى) (٢٣) : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (٢٤) فيتجرع كأس المحبة وهي

-
- ١ - البقرة ٢ : ٢٨١ ٢ - في ز قال
 ٣ - سقطت عند المصيبة من ز ، خ هكذا وردت الجملة في المخطوطات والصواب إما قولهم (حال المصيبة) أو (عند المصيبة)
 ٤ - البقرة ٢ : ١٥٦ ٥ - غافر ٤٠ : ١٥ في ك ، ز التلاقي ٦ - في خ مقامه
 ٧ - الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة : مصطفى محمد عمارة : نضرة النور ج ١ - ٣٨١
 ٨ - البيهقي نفس المصدر ضعيف ٩ - في ز فلتتحقق وفي خ فتتحقق ١٠ - في ز المراقبة
 ١١ - في خ فذا ١٢ - سقطت الف من ز ١٣ - في ك بزيادة (وقلة) أو قلة منطلق
 ١٤ - في خ فاقربوا منه ١٥ - في خ فاذا
 ١٦ - البيهقي وابن ماجه عن أبي غلاد ضعيف : السيوطي : الجامع الصغير ٢٦ ١٧ - الطلاق ٦٥ : ٣
 ١٨ - التوبة ٩ : ٥١ ١٩ - المائدة ٥ : ٢٣ ٢٠ - في ز ، ك بقلبه ٢١ - في ك شاء .
 ٢٢ - سقط الواو من ز ٢٣ - سقط ما بين القوسين من خ ٢٤ - الحجر ١٥ : ٩٩

موافقة المحبوب في سائر الحالات عسراً ويسراً (١) قال تعالى : « فسوف يأت الله
 بقوم يحبهم ويحبونه » (٢) وفي الحديث (من أحب لقاء الله أحب الله (٣) لقاءه
 ومن لم يحب لقاء الله تعالى (٤) لم يحب الله لقاءه (٥) وبعد هذا حال يشبه الفناء
 وهو فناء في الأفعال لا يرى في الوجود فاعلاً إلا الواحد (القهار) وفي ذلك حال
 مراقبة ومحبة حسنة جداً ثم يتعاقب عليه القبض (٦) والبسط وهما فوق الخوف والرجاء
 (لأنهما لمعني) (٧) حاصل في الوقت لا غير بخلاف الخوف والرجاء فإنهما لشيء
 فائت (٧) أو مستقبل قال تعالى : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » (٩). ثم
 يتغلب عليه الحال ثم يحصل المحو والإثبات وقد قالوا إن المحو محو أوصاف العادة (١٠)
 والإثبات أن يظهر ويبيدي قال تعالى : « يحمو (١١) الله ما يشاء ويثبت » وبذلك يحصل
 القرب (١٢) من الحق والقرب (١٣) من الحق هو البعد (من الخلق) (١٤) قال تعالى :
 « ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون » (١٥) وقال تعالى : « وهو معكم أينما
 كنتم » (١٦) وقال تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » (١٧) الآية
 وبهذا يحصل التجريد والتفريد وهما حال تعري (١٨) المرید لا يميز فيما بين الشفع
 والوتر وبهذا تحصل الغيبة عن الأكوان والحضور مع الله تعالى ، والغيبة غيبة قلبه
 عن علم ما يجري من أحوال (١٩) العالم لاشتغال الحس بما يرد على القلب فيكون
 الحضور لأنه متى غاب بالكلية عن الخلق حضر مع الله لا محالة لاستيلاء سلطان الذكر
 قال تعالى : « واذكر ربك إذا نسيت (٢٠) » وبهذا يحصل الجمع (والتفريق) (٢١)

-
- ١ - في خ عسر ويسر
 ٢ - المائة ٥ : ٥٤
 ٣ - سقطت (الله) من ز
 ٤ - سقطت (تعالى) من ك .
 ٥ - الإمام أحمد ؛ الشيخان ؛ الترمذي ؛ النسائي عن عائشة وعبداد : نصرة النور ج ١ - ٣٨٥ .
 ٦ - في خ بتقديم البسط على القبض
 ٧ - سقط ما بين القوسين من خ
 ٨ - البقرة ٢ : ٢٤٥
 ٩ - في ز محو
 ١٠ - في ك العبادة
 ١١ - في خ يحمو بزيادة ألف
 ١٢ - في ز أتقرب .
 ١٣ - في ك ، والتقرب من الحق
 ١٤ - سقط ما بين القوسين من خ
 ١٥ - الواقعة ٥٦ : ٨٥
 ١٦ - الحديد ٥٧ : ٤
 ١٧ - المجادلة ٥٨ : ٧
 ١٨ - في ز تعتري .
 ١٩ - كرر (من أموال) في ز
 ٢٠ - الكهف ١٨ : ٢٤
 ٢١ - سقطت والتفريق من خ

والجمع ما من الله اليك والفرق (١) ما نسب اليك والجمع والتفريق أن نشاهد الأشياء مجازاً ونشاهد ما (٢) مع ذلك (قائمة) (٣) بالله فيحصل التجلي بطريق الصفات وفي ذلك أحوال بعده (٤) الفناء وهو فوق الجمع يكون العبد مختطفاً عن شهود الخلق مصطليماً عن نفسه مأخوذاً بكليته وهنا نهاية القوم ، ومن هنا بداية أصحاب الشيخ الختم التجاني الوارث المحمدي القطب (٥) المكتوم والخاتم المحمدي المعلوم رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين ولنا وصايا تناسب هذا الفصل ومنها :

نصيحة من يلقى إلى المسامحة
لتأخذ طريق الشيخ من إذن أهله
وما الورد إلا استغفروا ثم هلكوا
بشرط حضور القلب مقطوع نظرة (٧)
ولا تعتمد إلا على فضل ربنا
بذلك شهود لامتنا (٨) إلهنا
ونحسين ظن بالإله محم
صلاة وتسليم من الحق دائماً
ومنها :

معاندة الأقدار شرك وتتعيب (٩)
فهو (١١) الواحد القهار والملاك كله
ولا تنفع كلا وهي (١٠) العقل تذهب
له اليوم حقاً لا يلام ويعتب

-
- ١ - في غ والفرق ٢ - في غ تشاهده ٣ - في غ زيادة (قائمة) ٤ - سقط ه من خ
٥ - في غ قطب ٦ - في غ المتابعة ٧ - في ز ، ك نظره .
٨ - في غ الامتنا وفي ز لامتنا .
٩ - هكذا في المخطوطات والصواب وتعيب على أنه خبر ثان لمعاندة الأقدار .
١٠ - هكذا في المخطوطات إلا أن استعمال (هي) هنا قد جعل البيت ركيكاً ولو قال (بل العقل تذهب)
لاستقام الوزن وزال ما فيه من الركة .
١١ - هكذا في المخطوطات بآيات الفاء في أول البيت والصواب حذفها لتستقيم الوزن إذ لا داعي لآيتين
بها من جهة اللغة والنظم .

فمهما (١) يرد أمراً يكن رغم أنفه (٢) وما لم يشأ من شاءه فهو يتعب (٣)
ويكفيك جهلاً أن تريد سوى الذي
ومنها :

محمد بن مالك فلتذكر — أوردنا والقلب منك أحضرا
(٤) اخرج من الخلق جميعاً والأثر ولتطلب المولى سواء دع وذر
نصيحة تغنيك وهي تغني كل المريدين فهالك عني
ومنها :

تدبر الأذكار يا معاذ وربنا المهيمن الملاذ
وانقطع النظرة عن سواء حتى إذا لم يبق إلا الله
فلنمنا الفتح لدى الأعيان تركك ما سواء بالإيقان

فصل في جذبها

والجذب هو الوصول والفناء والفتح تحقيق (٥) ان (٦) الحق جل وعلا ما حجب (٧)
عن المريد وجود موجود (٨) معه تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، بل ما حجبه إلا توهم
وجود (موجود) (٩) معه فإذا أراد الله اصطفاء عبده جعلنا الله من المصطفين الأخيار

١ - هكذا في المخطوطات والصواب (مهما) بالألف بدل الياء وقال الله تعالى : «مهما تأتينا به من آية » .
الأعراف ٧ : ١٣٢ .

٢ - هكذا في المخطوطات والصواب (انفكا) بضمير المخاطب فيكون الضمير عائداً إلى العبد المخاطب
الموجود في الذهن وأما (أنفه) بضمير الغائب فيرجع حتماً إلى الواحد القهار وهذا قبيح لأن القاعدة
التحوية تقرر أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور .

٣ - هكذا في جميع المخطوطات ولو قال (متعب) لكان أحسن على أنه نعت (لمن) و

٨ - هكذا في المخطوطات كلها والصواب حذف الواو لعدم الداعي إلى الإتيان به من جهة اللغة والنظم .

٩ - في خ بحقيقة ٦ - في خ فان ٧ - في خ حجب ٥ - في خ وجود ٦ - سقطت موجود من خ

بمنه وكرمه أمين رفع عنه ذلك (الوهم) (١) فلا يرى شيئاً يحجبه عن الحق بل لا يرى شيئاً وذلك فناء في محو قال تعالى: « يمحوا » (٢) الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» فحينئذ يأتيه صريح الحق فلا يرى وجوداً (٣) إلا الله ولا يرى نفسه ولا سواه ولا يرى فناءه بل لا يرى إلا هو الله أحد ويرى أن لا كون (٤) ولا أثر ولا فعل ولا إسم ولا صفة فهو أكمل حجاب عن وجود موجود سوى وجود الحق وفي هذا المقام يقول أنا الله (٥) لا إله إلا أنا وحدي بل لا إله إلا الله وهذا من غير حلول ولا اتحاد ولا شيء من صفات الحوادث « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً». بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق» (٧). « ذلك بأن الله هو الحق وأن (٨) ما تدعون من دونه الباطل» (٩) « كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون» (١٠) « إنا لله وإنا إليه راجعون» (١١) « ألا إلى الله تصير الأمور» (١٢). « سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (١٣). « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» (١٤) « فأينما تولوا فثم وجه الله» (١٥) « الله لا إله إلا هو الحي القيوم» (١٦) « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» (١٧) « فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً» (١٨) وفي الحديث القدسي « ما زال عبيدي يتقرب إليّ بنوافل الخير حتى أحبه فإذا أحببته كنته» (١٩). فهذا المقام أدنى مراتب الفتح في طريقتنا الأحمدية التجانية المحمدية الإبراهيمية الختفية وليس هو المعرفة لكنه (٢٠) باب المعرفة لا باب للمعرفة إلا الفتح ولا باب للقاء الله إلا هو اللهم إلا إذا كان الموت الأحمر والميت يلقي الله على كل حال وصاحب هذا المقام كافر شرعاً لنقبة الاسماء والصفات وقتله الأنبياء وهو المؤمن حقيقة لأنه أثبتها (٢١) حقيقة وقتله الأنبياء قتل بالحق لا بغير الحق وهذا المقام عظيم الغرر لأن

-
- ١ - سقطت الوهم من خ ٢ - في ز يحوا بزيادة ألف في آخره ٣ - في خ وجود بإسقاط الألف النصب
٤ - في خ يكون ٥ - في خ لله ٦ - الإسراء ١٧ : ٨١ ٧ - الأنبياء ٢١ : ١٨
٨ - في خ وإنا ٩ - الحج ٢٢ : ٦٢ ١٠ - القصص ٢٨ : ٨٨ ١١ - البقرة ٢ : ١٥٦
١٢ - الشورى ٤٢ : ٥٣ ١٣ - فصلت ٤١ : ٥٣ ١٤ - الحديد ٥٧ : ٣ ١٥ - البقرة ٢ : ١١٥
١٦ - البقرة ٢ : ٢٥٥ ١٧ - الأنعام ٦ : ١٠٣ ١٨ - الأعراف ٧ : ١٤٣
١٩ - انظر صفحة ٤٦٤ ٢٠ - في ز، خ لا كنه ٢١ - في خ أسبها

غرره على العقائد وهو اعظم ما لم يلق عين الرحمة فيه ما يهود وينصر ويمجس فلذلك صاحبه لا يفارق الشيخ العارف الكامل إن كان له شفقة بنفسه أو دينه ويصح أن لا يصحب العبد شيخاً وأن يصحب شيخاً غير واصل إلا في هذا المقام فصاحبه لا بد له من شيخ واصل عارف كامل يخرج من بحر عماه وطمسه إلى مشاهدة الآثار والناس في ذلك على ثلاثة أقسام الأعلى وهو المحبوب الذي لا يرى الحق الظاهر (١) الذي ليس عليه (٢) حجاب وضعيف البصيرة الذي لا يرى إلا ذاتاً ليس لها صفة ولا اسم ولا فعل وقوي البصيرة الذي يرى الحق والخلق يشاهد وجوداً في عدم (٣) في آن فتقيضان لا يفرقان وحقيقة هذا الوجود تمثال فقط لكن (٤) (إن القوة لله جميعاً) (٥) فثبت لتمامه آثار (٦) احتجب (بها سبحانه) (٧) وهذا آخر الفناءات فما بعده إلا البقاء وطريقه أن تعلم أن الحق أن لا شيء إلا الله فتؤمن به فتثبت له بالإيمان ما أثبت لنفسه سبحانه فثبتت (٨) الحقائق الثلاث أو الأربع وهذه الحقائق ما يرى (٩) العبد منها لا يرى سواها لكن يبقى له علم الحقيقة التي تقدمتها فتتجلى أولاً الذات البحت التي هي عين الطمس والسادج لا نسبة في تجليها وتجليها (١٠) لنفسها لانسبة إلا الأحدية فالأحدية لم تتجل الذات فيها إلا بها (١١) (قل هو الله أحد) (١٢) ثم تتجلى في الأحمدية لإسم الذات وسر الذات وصفة الذات أحمد فالأحمدية أيضاً ما تجلت (١٣) فيها لغير أحمد ثم تتجلى في المحمدية لحقائق الأنبياء والمرسبين وسر الكائنات (١٤) ثم تتجلى في (١٥) الأحمدية للأقطاب والعارفين ثم تتجلى في الخليفة عبد الذات للأنس (١٦) والجن وحقائق سائر الكائنات فصارت الحقائق أربعاً والنسب ثمانية باعتبار باطن كل حضرة وظاهرها (١٧) وباعتبار بطون كل حضرة اثنتا عشرة وباعتبار أن كل حضرة لها هاهوت ولاهوت وجبروت وملكوت وناسوت (١٨)

١ - في خ ظاهر .

٢ - سقطت عليه من خ ٣ - في خ ، ز عما ٤ - في ز لاكن ٥ - البقرة ٢ : ١٦٥ .

٦ - في ز آثاراً وفي خ أثر ٧ - سقط ما بين القوسين ٨ - في خ فثبت حقائق

٩ - في خ مار ١٠ - في خ وتتجل لنفسها ١١ - في خ ، ك لها ١٢ - الاغلاص ١١١ : ١

١٣ - في خ تجل ١٤ - في خ الكائنات ١٥ - في خ بالأحمدية ١٦ - في خ للانسان

١٧ - في خ ظاهراً ١٨ - في خ الناسوت

والحضرة الأولى (١) لها شيء لا نسبة فيه (٢) أصلاً فتكون (٣) مقامات النسب إحدى وعشرين وإذا تجلّت الذات تجلّت بكما لها ولذلك المشاهد بمشاهدة التجلي في المحمدية يرى محمداً عين الذات (ونفس الذات) (٤) لأنه ما ثم غيره فالفرق في خاطر المشاهد ، في تبدل الحقيقة ولا تعددها ، أو في اتصاف الذات واستمداد ميدان محمد منها ، قال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني (يحببكم الله) » وقال : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » (٦) وقال تعالى : « من يقطع الرسول فقد أطاع الله » (٧) . وقال تعالى : « وكفى (٨) بالله شهيداً محمد رسول الله » (٩) وقال تعالى : « قل إن كان للرحمن ولد (١٠) فأنا أول العابدین » (١١) وقال تعالى : « ورفعنا لك ذكرك » (١٢) وقال تعالى : « وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً » (١٣) وقال تعالى : « وإنك لعلی خلق عظیم » (١٤) وقال تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (١٥) ونورد هنا أبياتاً تشير إلى الحضرات الخمس المتقدم ذكرها وهي : -

غشيت حبيبي من أراض نطية	بنص من الناسوت للملكوت
تهب بها الأنوار في عرصاتها	وما صدني الأنوار عن جبروت
تخاطبني الأسرار من كل وجهة	فهولت للماهوت للرغبوت
بها كل إسم ثم وصف مقدس	ولكن ففي الماهوت ذو (١٦) الرحمت
تعلق بها لا تأل جهدك دائماً	ففي دهش منها أطايب قوت

وهي مشيرة إلى كلام عجيب في هذا المجال لشيخنا القطب المكنوم والبرزخ المختوم مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين ونصه كما في الجواهر ومجموع المراتب كلها في الحضرات الخمس الأولى هي حضرة عالم الناسوت وهي

-
- ١ - سقطت الأولى من خ ٢ - في خ فيها ٣ - في ز تكون .
 ٤ - سقط ما بين القوسين من خ ٥ - آل عمران ٣ : ٣١ وسقطت الجملة من خ ٦ - الفتح ٤٨ : ١٠
 ٧ - النساء ٤ : ٨٠ ٨ - في ك وكفا ٩ - الفتح ٤٨ : ٢٨ - ٢٩ ١٠ - في ز ، خ ولدا
 ١١ - الزعفران ٤٣ : ٨٠ ١٢ - الشرح ٩٤ : ٩ ١٣ - الكهف ١٨ : ٤ ١٤ - القلم ٦٨ : ٤
 ١٥ - الأنفال ٨ : ١٧ ١٦ - سقط الذال من ز

مرتبة وجود الأجسام الكثيفة والحضرة (١) الثانية في مرتبة عالم الملكوت ، وهي مرتبة فيض الأنوار القدسية وهي من السماء الأولى إلى السماء السابعة وهو عالم المثال وهو عالم الروحانية (٢) والأفلاك والحضرة الثالثة هي حضرة عالم الجبروت وهي من السماء السابعة إلى الكرسي وهي حضرة فيض الأسرار الإلهية وهو عالم الأرواح المجردة وهو عالم الملائكة والحضرة الرابعة هي (٣) حضرة عالم اللاهوت وهي حضرة ظهور أسماء الله تعالى وصفاته بأسرارها وأنوارها وفيوضها وتجلياتها (٤) والحضرة الخامسة هي حضرة الماهوت وهي حضرة البطون الذاتي (٥) والعمى الذاتي وهذه المرتبة (٦) لا مطمع في نيلها إلا التعلق بها فقط والسلام . ثم قال وتسمية المراتب في التنزل الأول (٧) مرتبة الساذج ، الثاني مرتبة الأحدية الثالث مرتبة الوحدة الرابع مرتبة الواحدة الخامسة مرتبة الأرواح ، والسادس مرتبة المثال ، السابع مرتبة المحس ، ولكل (٨) مرتبة من هذه المراتب أسامي أما تسمية الأولى منها الذات الساذج وكنه الحق وحضرة الطمس والعمى الذاتي (٩) والبطون الأكبر الثاني مرتبة الأحدية أقدم قدم أحدية مطلقة أحدية واحدية (١٠) مكنون المكنون أحدية صرف حق الحق (١١) ذات بحث وجود بحث عدم العدم الذات الصرف ذات بلا تعدد بطون البطون (١٢) ذات ساذج وجود مطلق مجهول التعت ذات الهوية (١٣) ذات مطلق عين الكافور ذات أحدية مجرد الشئون (١٤) أزل الأزل لا تعين أبد الآباد أول لا نهاية لاهوت (آخر بلا نهاية) (١٥) غيب الغيب غيب (١٦) مصون مشكاة الغيب الثالث مرتبة الوحدة الاسم الاعظم الحقيقية المحمدية أم الفيض القلم الأعلى (١٧) البرزخ الكبرى أم الكتاب كنز الكنوز عالم الجبروت كنز الصفات عالم مطلق موجود الاجمالي موجود أول الوحدة (١٨) الصرفة (١٩) أحدية الجمع الدرة البيضاء حقيقة الحقائق برزخ

-
- ١ - في ز الحضرات ٢ - في خ روحانية
 ٣ - سقطت هي من ف ٤ - في ز وتجليا ٥ - في ز الذات مكررا ٦ - في ز ، ك الحضرة
 ٧ - في خ الأول ٨ - في ز لكن ٩ - في ز الذات ١٠ - في ز ، خ وحدية
 ١١ - جاءت كلمة (الحق) في العاشر بدلا من (حق) في المتن ١٢ - تكرر البطون في خ
 ١٣ - في ك الهوية ١٤ - في ز الشئون ١٥ - سقط ما بين القوسين من ك ، ز ١٦ - سقطت غيب من ز
 ١٧ - في ك الاعلم ١٨ - في ز أولا لوحدة ١٩ - في خ الصرفة

البرازخ الخلق الأول الظل الأول العقل الأول المبدأ الأول الظهور الأول عالم الرموز
عالم الوحدة عالم الصفات الرابع مرتبة الواحدة حضرة الألوهية حضرة الجمع حضرة
الربوبية (١) مبعث الوجود الوجود (٢) الفياض ظاهر الوجود (٣) ظل الوحدة
أحادية الكثرة الظل الممدود ، عالم الاسماء ، صور الاسماء الإلهية ، الأعيان الثابتة
أسماء الصفات ، منشأ الكثرات (٤) التعيين الأول البدأ الثاني ، النشاط الثاني ،
منزل (القدس (٥) الآن الدائم (٦) قابلية الظهور نفس الرحمن أسماء المبدأ الثاني
منتهى المعرفة منتهى العارفين منتهى العابدين حق اليقين علم اليقين عين اليقين الخامس
مرتبة الأرواح التعيين الأول عالم الأمر النفوس (٧) المجردة عالم الباطن حقيقة الإنسان
قاب قوسين معدن الأرواح كثر الأرواح مجموع الأرواح عالم المعاني عالم الملكوت
عالم العقول معادن (٨) الأرواح مقام الأرواح رتبة الأرواح السادس مرتبة المثال
التعيين الرابع الكون الجامع منشأ النور رتبة الخيال المنفصل المركبات الطبيعي مالك
الجنان باطن الملك حضرة الاسماء العقل الكلي (النفس الكلي) (الطبيعة الكلية الشكل
الكلي الهيولي الكلي الجسم الكلي) (٩) السابع مرتبة الحس عالم الحس عالم الأجسام
المركبات الكثيفة عالم الشهادة (عالم الملك) (١٠) عالم الخلق التعيين (١١) مرتبة
الانسان المرتبة الجامعة اه ثم عزاء (١٢) للشناوي (١٣) على الجواهر الخمس وإذا صحا (١٤)
المريد من الفناء يشاهد حضرة وحدة الوجود يرى فيها الوجود قطعة بارزة من الذات ،
بعد ما كان لا يشاهد إلا إياها فيرى الأشياء على تعددها وتباين مراتبها على حد سواء (١٥)
وبعد ذلك تتجلى الحقيقة المحمدية فتمحققها لأنه السيد الكامل الفاتح الخاتم العبد
المتصف بصفات سيده المتخلق (١٦) بأخلاقه المتردي بكمالاته من أمد بوسع (١٧)
الربوبية صاحب الرياسة لولاك ففي هذه الحضرة لا يرى المشاهد إلا محمداً رسول الله

-
- | | | |
|--------------------------------------|---------------------------|-------------------------------------|
| ١ - سقطت الربوبية من خ | ٢ - سقطت (الوجود) من خ | ٣ - سقطت (الوجود) من خ |
| ٤ - في خ كثرات | ٥ - سقطت القدس من ز | ٦ - سقطت ما بين القوسين من خ |
| ٧ - في ز النفس | ٨ - في ز معدن وفي خ معادن | ٩ - جاء ما بين القوسين بالهامش من خ |
| ١٠ - جاء ما بين القوسين بالهامش من خ | ١١ - في ز التفين | ١٢ - في خ عز |
| ١٣ - في ز شاوي | ١٤ - في ز صمى | ١٥ - في خ السواء |
| | ١٦ - في ز المتعلق | ١٧ - في ز به سع |

قد استحال عنده وجود سوى الله ورسوله ولا مطمع له في الله بغير رسوله يشاهد
أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تنسل بالماء (١)
والمشاهد في هذا المقام إذا طلب الله لا يجد إلا رسول الله ولا يجد سبيلا إلى
وجود سواه .

فقد يندود الناس عنها بسيفه وقال ألا لمن سبيل إلى هند (٢) .

وفي هذا المقام يقول إن الله ما أوجد إلا محمداً وما أرسل إلا محمداً ولم يرسل
من قریش ومحمد ما صلى قط ولا صام ولا حج ولا جاهد ولا نكح ولا ولد ولا ولد (٣)
إلى غير ذلك من العبارات المشككة عند علماء الرسوم فإنه لا يرى لمحمد نسبة حتى
يتجلى له في ثاني التجليات وهي التجلي بالمحمدية في الأحمدية فهي مظهر نبوة أنبيائه
وملتقى أسرارهم وإمداده وناصره به والهادي إليه به حق قدره ومقداره العظيم ونورد
هنا الصلاة المسماة بجمهرة الكمال في مدح سيد الرجال التي تلقاها سيدنا الختم التجاني
من الحضرة المحمدية لما تضمنت من أسرار الحقيقة المحمدية وهي : -

اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم
والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون
الأرياح المائلة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به
كونك الحائط (٤) بأمكنة المكاني اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها
عروش الحقائق ، عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم . اللهم صل وسلم على
طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتكم منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه
وعلى آله صلاة نعرفنا بها إياه . وقلت :

١ - جاء هذا البيت في تحفة المريد شرح جمهرة التوحيد للبيجوري ولكنه لم ينسب لقائله وإنما قال :
« قال شاعرهم مورداً على أهل السنة فقط . »

٢ - ولم أجد قائل هذا البيت ولا مصدره .

٣ - سقطت ولا ولد من خ - ٤ - في خ الحائطة

أيا صفة قد شبهت باسم فاعل متى جثت فعلا جثت خيرة عاقل
ولأنك جمع حيث أنت شئونه وقد جثت فرداً دون شكل مائل
فلولاك يبقى الحق حقاً وما درى (١) ولولاك يبقى دائماً عن مواصل
عليها صلاة الحق بالحق وحدها لئلا تكن براء في عين واصل

فحاصل ما يجده المشاهد أن الله ليس سوى محمد ومحمد ليس هو الله، وليس غيره ، ومثال ذلك في عالم المجاز ما يترأى للشخص في المرأة إلا أن هناك لا مرآة وهذا مقام دونه خرق القتاد وتفتت الأكباد ولا ينال ببذل الأموال والأولاد .

وإذا تجلى محمد في الأحمدية تجلى بكماله فيشاهد المشاهد أحمد ويقول إنه عين محمد ونفس محمد إذ ما ثم بعد الله غير محمد إنما تغلب (٢) خاطر المشاهد ولا تبدل المرثي ولا تعدد (٣) فهو هو وهو هو لا فرق بينهما إلا (٤) الانتصاف والإمداد إذ هو الذي أخرجه الله ثاني اثنين وصاحبه الصديق الأكبر وباب مدينة العلم وهذه الحضرة هي حضرة الختمية والكنمية وهي حضرة سيدنا ومولانا أبي (٥) العباس أحمد بن محمد التجاني الحسي (٦) فهو برزخ الأقطاب وممد الكائنات وروحها وسرها بحيث لا يبرز شيء من الحقيقة المحمدية إلا وتلقاها من الأزل إلى الأبد وفي هذا أقول :

معاني أبي العباس أفى معاني وأفى معاني شوقه ذا المعاني
أبى الشوق إلا أن يكون ملازمي وطنب حتى صرت سكران صاحبا
وقد غصت سر الغيب في بحر سره ولم أك وان لا ولا متواني
إلى أن رأيت القطب أحمد أحمداً وقصرو وجود الكون شيد (٧) بانبا
حقيقة سر الكون ثاني مكنون وخاتمة الأفراد فرداً مساميا
تنورته في حضرة قدسية مديراً لكاسات المعارف ساقيا

١ - في ز وما دره .

٢ - في ز تغلب ٣ - في ز تعدد ٤ - سقطت إلا من ز ٥ - في ز أبو العباس

٦ - في ز الحس ٧ - في ز سيد

لعمري هذا الشيخ عين ولاية تفجر من بحر النبوة صافيا
و ثم وراء العقل ما لو ذكرته يريق دماثي من أخال مواليا
فذا الشيخ سبط المصطفى عين مصطفى ووارث ماح كان من قبل ماحيا
علمت بأن الله أولاه خطية تذبذب عنها العارفون توانيـا
علمت بأن الله أولاه خطية تسكت أشعاراً (٧) تفوت المعانیا
لعمري وحق الشيخ تكفي إشارة فأسكت عن هذا ولم أك وانيـا
صلاة وتسليم الإله بقدره مدى الدهر ما أوحى الوري والمغانيا

ولنا أبيات نوردها هنا بشرحنا لها لأنها كالنثمة لما قبلها ونصها :

آل النبي محمد ، جمع أتى في مفرد وصحابه في دينهم ، دين حنيف أحمد
ومحمدي أحمدى ، واحدي (١) أوحدي تلك الدوائر دورها ، في أحمد ، من أحمد
تكفي صلاة الحق من ، آن لثان سرمدى

والآل باصطلاحنا حضرة الولاية وهي عين الكتمية و (٢) الختمية والنبي هو
الحجاب الأعظم ومحمد عين الاسم جمع باعتبار التشكلات ومفرد نظرا (٣) إلى
الحقيقة والصحاب أي صحاب حضرة النبوة وهي الولاية أيضاً في دينهم أي جمع الخ
وذلك الدين دين حنيف أي مستقيم أحمدى لأنه عين حضرة الولاية ونفسها وسرها
ومحمدي لأنه صلى الله عليه وسلم المتجلي أحمدى لأنه نفس المحمدية وعينها وسرها
واحدي لانه المتجلي في المحمدية أوحدي لأنه عين الواحدية ونفسها وسرها
تلك الدوائر والدوائر عبارة عن شيء آخره أوله وصورته ودورها في أحمد
من أحمدى (٤) أي تدور (٥) بين حضرة النبوة والولاية وهو مظهر (٦) الألوهية
التي هي المراتبة تكفي صلاة الحق أي صلاة الذات من أزل أزل الأزل إلى أبد أبدي
الأبد وهو الآن الدائم وهو حضرة استمرار بقاء الذات وهي تستمر أبداً لآباد ومعنى

١ - في كشعارا وفي ز اشعارات .

٢ - في خ ووا حدى وحدى ٣ - سقط الواو من ز ٤ - في ز نظر

٥ - سقط الياء من ز ٦ - في ز تدور ٧ - في ز مظهر

الأبيات أن الذات الساذج التي هي عين الطمس والعمى والوجود المطلق تتجلى (١) بجميع مراتبها في حضرة (٢) سرها سيد الوجود والحق تعالى حضراته خمس الماهوت واللاهوت والجبروت والملكوت والناسوت تجلت حضرات سره سيد الوجود وهي خمس أيضاً حضرة سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه فتجلت الماهوت في سره فهى هو وهو هي واللاهوت في روحه فهى هو وهو هي والجبروت في عقله فهى هو وهو هي والملكوت في قلبه فهى هو وهو هي والناسوت في نفسه فهى هو وهو هي وهذا معنى صلاته عليه وهو معنى محمد عبدالله أي عبد الذات وتجلت حقائق سيد الوجود في حقائق حضرة الكم وهي خمس أيضاً حضرة سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه كما تقدم من أوله إلى آخره حرفاً حرفاً فصارت العوالم عينها وغيبها (٣) وفي نفس الحضرة المكتومة فذلك أوجدت الأعداد وصدقت النبوة وتشرعت بشرائع النبوة على اختلاف مظاهرها وأوقاتها وصاحبت النبي في كل تشكيلاته (٤) وبذلك صار (٥) ألا (٦) لأن الآل (٧) عبارة عن القرابة ولا يصاحبه في كثير من التشكلات إلا إله فصار آلاً وصحباً جمعاً فرداً حاضراً غائباً وفي الحقيقة ما هو إلا هو وتعلم (٨) أنه أيضاً كذلك ما هو إلا الهوية فالحضرات المتقدمة قبل تجليها في الحضرات التالية أحدية وأحمدية وبعد التجلي واحدية « محمدية » (والتالية قبل التجلي في الثالثة أحمدية (٩) واحدية وبعد التجلي محمدية (١٠) وصديقية ولذلك (١١) دارت الدوائر في أحمد من أحمد صلى الله عليه وسلم الصلاة الدائمة والسلام. اه وأما الآيات التي تشير إلى هذه الحضرة فكل آية أشارت (١٢) إلى ما دون الألوهية (والنبوة فهى المتصفة (١٣) بها وغيرها من المعاني مددها (١٤) ولولا الخوف من أن يطالع الأوراق أجنبي من هذا لذكرت (١٥) ذكر هذه الحضرة منصوصة في القرآن في غير ما آية والأحاديث كذلك وسأشير إشارات مجملة بعد هذا إن شاء الله تعالى .

-
- ١ - في ك ، ز تجل ٢ - في ز حضرة ٣ - في خ عينها وغيبها ٤ - في ز تشكيلاته
٥ - في ز صاري ٦ - سقطت الأ من ز ٧ - في ز الآن ايال ٨ - في ز ولا تعلم .
٩ - في خ احدية واحدية ١٠ - سقط ما بين القوسين من خ ١١ - في ز ولذلك .
١٢ - في خ إشارة ١٣ - في خ متصفة ١٤ - جاء ما بين القوسين بالهامش من خ ١٥ - في ز المذكورت

ثم يشاهد تنزل حضرة الأحمديّة في الحقيقة الرابعة وهي حضرة آدم أي آدم (١) الأرواح عين أحمد ونفس أحمد وهذه الحضرة هي التي أشار إليها الشيخ رضي الله عنه بقوله لا ينال مي أحد شيئاً (٢) إلا بواسطة سيدي علي حرازم وقوله ما خلفت سواه وقوله هو مي بمنزلة أبي بكر من رسول الله ولا غرو أن يخلف (٣) هذا الرجل غيره فافهم فحقيقة هذه الحضرة أنها ظل الشيخ (ومظهرها) (٤) في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية (٥) في رجل تلك الحضرة .

وليس على الله بمستنكر — أن يجمع العالم في واحد (٦)

وهو الرجل الذي ظهر لا يعرف في الدنيا ولا في الآخرة أي لا تعرف حقيقة وهو عبدالله والانسان الكامل وحامل الأمانة وقد رمزت إلى معاني الحقائق بقولي (فاعتبروا يا أولي الأبصار) الحمد لله دستور معناه أن الإسم للذات (٧) واللام زائده والعبد لله كذلك فهو للذات أيضاً واللام زائدة فلذا يجعل الصديق العبودية سيادة ساذجة إذ هي عين العمى وأكبر منها (٨) الإسلام (٩) الخاص عند (١٠) الله وعند الخلق (ان الدين عند (١١) الله الاسلام) ومن الإسلام عام وخاص وخاص بخاص فعامه لم تخل ذرة من الانصاف به وهو الجريان على مراد الحق وخاصة القيام بمقتضى الخطاب التكليفي في عالم الناسوت وخاصة خاصته (١٢) هو عين الصديقية فترقى أول مراتب العبودية إلى السيادة المطلقة وتدلي أيضاً إلى الصديقية وتدلي العبودية فصارت (١٣) للذات مرتبة (أو مراتب) (١٤) فتبطن في المرتبة فقليل الحمد لله والعبد لله فالطرفان أضيفا لاسم الله والأوسطان بقيا على ما هما عليه ولم يبق إلا العبد ما شوهده في الحقيقة سواه وما شاهد سواه فهو منتهى الخواطر ومجمع الشئون والحمد لله رب العالمين

-
- ١ - سقطت آدم من ز ٢ - سقطت شيئاً من خ ٣ - في خ يخالف وفي ز يخلف
٤ - سقطت ومظهره من ز ك ٥ - في ز مطوية
٦ - هذا البيت يرد كثيراً في كتب الصوفية وقد أورده الشيخ الأكبر الحاتمي في الفتوحات المكية الجزء الثالث صفحة ٥٥٦ وأورده ابن عجيبة في الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية (١٢).
٧ - في ز الذات ٨ - في ز أكبرتها وفي خ أكبريتها ٩ - في خ الإسم ١٠ - في ز عبد
١١ - آل عمران ٣ : ١٩ ١٢ - في ز خصاصه ١٣ - في خ نصار ١٤ - سقطت (أو مراتب) من خ

(وسلام على المرسلين) (والحمد لله رب العالمين) (١) ومن فهم ما رمزناه (٢) علم يقيناً أن (٣) الالف هو الباء والحاء هو العين وما يعقلها الا العالمون وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا والسلام اه وقلت بلسان تلك الحاضرة :

سكرت بخمر إن هممت بشربه	سكرت التذاذاً منك في فرط طيبه
بل السكر قبل الكون والكرم لم تكن	وما ثم غير الخمر وبك يشرب . ه
ومت غراماً (٤) في المدامة فاعجبوا	برهام عبد الله من فرط حبه
وجدت حبيبي بعد موتي بحبه	هو العاشق المحبوب من فرط قربه
فأرسلت نفسي واعظاً وهي لم تعظ	سواي محبباً للرسول وحزبه
وقد صرت انسان العيون وعينه	وقد صرت إمداداً لعجم وعربه
بفيضي فيض البحر والبر جملة	واني نفس الأمير وصحبه
ولايتي العظمى تحققت انسي	إلى ومنى ما يقاض لشربه
أنا النفس والآفاق مهما رأيتها	تراني فأني الكل من عند ربه

واقعة وقعت للعبد الذليل كاتبه (عام ١٣٥٠ هجرية (٥) (محمد) عليها (٦) الصلاة (٧) والسلام وهي أنني مكثت مائة ألف سنة من أيام الرب وأنا أسمع الكلام الأزلي الأصفى مواجهة فتحررت واضطربت لما اجتمع عندي من اللذة والألم فإذا أنا اندفعت (٨) إلى حضرة أشاهد فيها حقيقة حقيقة الحقيقة ذاتاً بحتاً وطمساً في عمى ولم يبق شعور بمحسوس فمكثت في هذا مائتي ألف سنة فإذا أنا بشيء أي وجود متميز عني كالظلال وكالدخان فطلبت ذلك الوجود فإذا أنا برسول من الذات عبد الذات وسراً وهو يقرب مني وبدنو مني حتى غبت فيه فصار (٩) عيني فصرت أطرب لأنني حبيب الذات وسرها وعبدها ومرادها ومرتبها الجامعة المتجلى لها بكمال

١ - سقط (وسلام على المرسلين) من خ وفي ك زيادة والحمد لله رب العالمين

٢ - في خ ما رمزناه ٣ - في خ ان الياء ٤ - في خ بالمدامة .

٥ - سقطت محمدية من ك وفي ز هجرة والصواب (عام الهجرة المحمدية) ٦ - في ز عليه .

٧ - سقطت الصلاة من خ ٨ - في ز ندفعت ٩ - في ز فصا .

الذات ومكثت في طريقي (١) ألف ألف سنة فجلت في الغيب لم آجد للذات عبدا
سواي (٢) وجلت في غيب الغيب فشاهدت جلالاتي في جمال فاذا بحضرة غيب الغيب
تدعوني وتسميني (٣) يا أحمد التجاني فتيقنت أن لا (٤) مراد للحق بعد السر إلا أنا
وصاحبتي (٥) عبد الذات ونصرته ووازمته ألفي ألف سنة فجعلني أبا البشر ومدد
جميع الكائنات وسر الموجودات وآدم الأرواح والأشباح فحملت الأمانة ونوديت
يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فنظرت إلى الأرض فرأيته على حادها وإذا بالعالم
الحسية والمعنوية (والملا) (٦) الأعلى والأسفل (٧) « والسماء ببيتها بأبيد وإنا
لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون
فقرؤا (٨) إلى الله (٩) اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه
نذير مبين » فرجعت إلى حسبي وإذا مدة الواقعة كما بين الشفع والوتر فسبحان الله
العظيم يخص من يشاء (١٠) بما شاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون اهـ.

ولما تدلى عن هذا الوجود الرابع يشاهد التجليات في الكثرة وعوالم التشيت
وصور الكائنات وهي عين الوحدة فرقا في جمع وبقاء في فناء وصحوا في سكر
فيرجع في نفسه كامل الحس فيعطى (١١) كل ذي حظ حظه ويوفي كل ذي حق حقه
جمعا بين التفقه والتصوف وهذا هو الرجوع إلى الآثار المأمور به وهو حقيقة قول وفعل
لا حقيقي فالله ليس معه شيء فالخلاص أن المرید المطلوب منه الفناء في ذات الله
ليتم إيمانه ويكمل والفناء في الرسول والفناء في الشيخ لا (١٢) يبقى علمهما في قلبه مدة
سيره لأن وراء ذلك أحوالا ومقامات في الذات أولا ما سبق من فناء فيهما لا يعلمهما
وبعد شهوده (١٣) تنزل الحضرة الثالثة في آدم الأرواح وانفصال العوالم منه يدور في
العوالم العلوية والسفلية والعينية والغيبية بروح مكتمس بذات نورانية ويدور بعد ذلك
في غيوبات ليس فيها شيء غير الله وليس فيها الله فيقع له الدهش والخيرة فيتعلق

-
- ١ - في ك طرب ٢ - في ك سوى ٣ - في ز وتسمي ٤ - في خ ان الامراد .
٥ - في ز وصاحيت ٦ - سقطت والملا من ز ٧ - في ز الأسفل ٨ - في ز فقرؤ
٩ - سقطت الله من ز ١٠ - في ز من شاء ١١ - في ز فيعط ١٢ - في ز لبيقى
١٣ - في خ شهود

بالأسماء (١) والصفات فيشاهد التجليات أسماء وصفات حتى يظن جزءاً أن الله تعالى لم يتجلى بغير الأسماء ويشاهد أفعال الله محامد وأسماء كذلك وصفاته كذلك والذات كذلك فيتجلى له الأعظمية ذاتاً وصفة وأسماء (٢) وفعلًا وتتجلى له في الحجاب الأعظم (٣) الذي حجب الأنبياء والمرسلين والملائكة من (٤) رؤية الذات فضلاً عن عداهم وتتجلى أيضاً في الاسم الذي يصرف في الكون فيشاهد أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء المراتب وأسماء الأفعال وأسماء الكائنات العاليات منها والسفليات حقيقة عين الأعظمية عسكرة فلا يتجلى لاسم فلا تتجلى لاسم منها إلا وراءه الأعظمية أمداداً منه فيقع في حيرة تذهب بعقله وتلعب بلبه فيكابد (٥) في ذلك أموراً (٦) لا يعبر عنها إلا أنه ينشد لسان حاله :

وقد طوفت بالآفاق حتى رضى من الغنمة بالإسباب (٧)

وتشتد محبته في الذات لأن محبة الذات لا تتأني من غير كمال العارفين والكلام في الاسم الأعظم أنه لا تزيده العبارة إلا غموضاً فحجابه لا ينخرق ولا بد من الكلام فيه فأقول الحمد لله الذي أمد الأحمدية بالأحدية (٨) والمحمدية بالواحدية (٩) والصلاة والسلام على سيدنا محمد من أمد الكتمية بالإحمدية والختمية بالمحمدية والرضوان عن سيدنا (١٠) أحمد الصديق الأكبر والسر الأبر من أمد القطبانية بالكتمية والفردانية بالختمية (١١) والرضوان عن الخليفة السيد العبد من أمد غيب المكونات بالقطبانية وشهادتها بالفردانية الدائرة الإحاطة والأعظمية ومجمع الشئون (١٢) والاسم الأعظم الأكبر المخزون (١٣) والسر المصون والكنز الأعظم والسر المطلسم منتهى خواطر الأكابر ومحط نظر بصائر الأوائل والأواخر المضروب عليه الحجاب لكونه لا يصلح لمن يطلب به أو يطمع فيه فلا يطلع عليه إلا أفراد (١٤) الاقطاب ومن

١ - في ز بلات ٢ - في ز واسماء ٣ - في خ في حجاب للأعظم

٤ - في خ عن ٥ - في ز فكيايد ٦ - في ز الأمور

٧ - أمر القيس : القصيدة الحادية عشر في ديوانه أنظر مختار الشعر الجاهلي ٨٠ .

٨ - في خ بالاحمدية ٩ - في خ بالوحدية ١٠ - في خ محمد أحمد ١١ - سقطت بالختمية من خ .

١٢ - في ز الشئون ١٣ - في ز المخزون ١٤ - في ز فراد .

يضاهيهم أو خصوص من العارفين بالاستعداد من قوى الدد ولذلك اختلفت عبارات أهل الأذواق فمنهم من قال أن أسماءه تعالى كلها أعظم والإجابة بقدر قوة الإخلاص وهذا يصح من وجه رمزنا إليه فيما تقدم :

وعادة النصل أن يزهي بجوهره وليس يعمل لإلافي يدي بقال (١)

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » ومنهم من قال إن الاسم الله أعظم (٢) ومنهم من قال إنه (الحبي القيوم) ومنهم من قال هو ومنهم من قال ذو الجلال والإكرام ومنهم من قال رب رب ومنهم من قال يا سم ومنهم من قال الحنان المنان إلى غير ذلك والعبارات مختلفة والمعنى واحد .

عبارتنا شئ ومعناك واحد وكل إلى ذاك الكمال يشير (٣)

ومنهم من تعلق ببعض الحروف المقطعة في أوائل السور ومنهم من تعلق بالحروف الإسمية (٤) وهي إحدى عشر حرفاً استخرج منها المولعون بالأسرار ما ينيف على أربعين ألف تركيب كلها لا يشبه الآخر والحق في ذلك إن شاء الله أن الاسم الأعظم هو الاسم قبل كل نسبة ومعها وبعدها اتصافاً فثبتت (٥) له في ذلك حقيقة ومعنى وصورة ولفظ لكمال صدقه في الذات والصفات والأسماء والأفعال صدقاً لا يمتنع معه إلى تأويل ولا إعمال فكرر بل ضرورة فحقيقته (٦) « الحقيقة » (٧) الجامعة للحقائق (٨) المستغرقة لأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ومعناه حقيقة سيدنا محمد الفاتح الخاتم أي الحقيقة (٩) المحمدية التي (١٠) حجبت (١١) الأنبياء والمرسلين والملائكة عن درك كنه الذات من حيث ماهي هي وإليه يشير حديث لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل « (١٢) وحديث « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » (١٣)

١ - انظر صفحة ٨٨ من هذا البحث

٢ - في خ الأعظم

٣ - كثيراً ما يستشهد الشيخ بهذا البيت في كتبه ولم أجد له مصدراً غيره ٤ - في ز ، ك الالهية .

٥ - في ز فثبت ٦ - في ز فحقيقة ٧ - سقطت الحقيقة من ز ٨ - في ز الحقائق .

٩ - سقطت الحقيقة من ز ١٠ - سقطت التي من ز ١١ - في ز حجب .

١٢ - هذا الحديث ليس له مصدر إلا كتب الصوفية انظر الجزء ٢ من كشف الخفاء ٢٤٤ .

١٣ - مسلم وأبو داود عن أبي هريرة انظر الجزء (١) كشف الخفاء ٢٣٤ نشر مكتبة .

وقيل له صلى الله عليه وسلم ذات يوم أنت سيد فقال (السيد الله) (١) وآية « ورفعنا لك ذكرك » (٢) وآية « إنا أرسلناك رحمة للعالمين » (٣) وآية « ورنمتي وسعت كل شيء » (٤) وصورته كامل العصر واليه (٥) يشير حديث « ان الله خلق آدم على صورته » (٦) وآية « وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » (٧) ولفظه فاتحة الكتاب أو الكتب فهي كلية ذات الاسم والأسماء أجزاء لها وتجلت في الحقيقة المحمدية فصار سيدنا محمد معنى (٨) كلية ذات الاسم والأنبياء أجزاء لها وتجلت في الكامل فصار أكبر الصديقين صورة كلية ذات الاسم والأولياء (٩) أجزاء لها وفي هذا يفهم العبد الألف ويعلم أنه الكافي وهو الأول والآخر والظاهر والباطن » (١٠) ويفهم صورة الباء والنقطة (١١) والشكلة ويفهم بذلك الحمد والله (١٢) واللام والمدة ويفهم الأمر في صلاة الفاتح والأمر والمأمور وقوعاً واتحاداً يفهم السيد ويفهمنا فيتحقق بحقيقة قولهم للرفع والنصب وجرتنا صلح ويفهم محمداً والصديقية والأكبرية والعبودية لله فيصير عارفاً كاملاً صديقاً كبيراً والصديقية هنا أول قدم في الفردانية وإذا أراد الله أن ينفع به العباد فلربما يأتيه الإذن الخاص وقد قلت قبل الإذن الخاص يناله أفراد الرجال بعد صفاء الروح حتى اتصل الفرع بالأصل اتصالاً حقيقياً (١٣) يصير به التقيد عين الإطلاق فيبرز الكلام من الرب إلى السر إلى الروح إلى العقل إلى القلب ، والسر غيب من غيوب الله لا يدرك ، وما يرد عليه يأتيه من ربه اتصالاً لا واسطة بينهما ، والسر يمد الروح وهو أيضاً غيب لا يدرك ، والروح يمد العقل أغني الرباني وهو يمد القلب ، والقلب يمد الكثافة إذا صارت بالصفاء لطافة وذلك

١ - الإمام أحمد وأبو داود عن عبدالله بن الشخير كشف الخفاء ج١ - ٥٦١ .

٢ - الشرح ٩٤ : ٤

٣ - الأنبياء ٢١ : ١٠٧ سقطت الآية منك ونقلت خطأ من ز ، خ وصوابها (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

٤ - الاعراف ٧ : ١٥٦ - ٥ - في ز (ولا) قبل (إليه) .

٦ - الشيخان والإمام أحمد عن أبي هريرة كشف الخفاء ج١ - ٤٥٥ .

٧ - الاحزاب ٣٣ : ٧٢ - ٨ - سقطت معنى من ز . ٩ - في خ والاسماء .

١٠ - الحديد ٥٧ : ٣ - ١١ - في ك النقطة - ١٢ - في ز لله - ١٣ - في ز حقيقاً

بعد تمام تربية (١) الجسم والقلب والروح ، حتى بلغت النفس غايتها في التزكية ، وحصل (الاتصال) (٢) الذي هو الارتفاع وهو الفلاح المراد (٣) بقوله تعالى : « قد أفلح من زكاها » ، وصاحب هذا المقام لا يشاهد إلا شئون الأحدى فساتر (٤) التجليات بأنواعها على اختلاف مظاهرها شأن من شئون (٥) الأحدى سند الفرد والسلام . وقد تجلت في ثلاث مراتب بل اثنتي عشرة تجلت في أربع مراتب ، فصارت ستة وأربعين بتقص مرتبتين ، وهي أجزاء النبوة الستة والأربعين (٦) وباعتبار التجلي الخاص لا نهاية (٧) لها ، ولا احاطة بها لأحد ، إلا العالم الخبير والمراتب الأربعة (٨) المرتبة المطلقة والمرتبة التالية (٩) والمرتبة (٩) الصديقية والعبودية المرتبة المطلقة كلية المراتب الأربعة (١٠) والتالية (١١) كليتها بلا اتحاد ولا اتصاف ، بل إمداد كالإتصاف لكونها من حضرة الاطلاق والصديقية كالتالية على ما تقدم والعبودة كالصديقية بامداد ليس (١٢) كالإتصاف لتقدم المدد فانتهمت أقسام المراتب إلى ستة وأربعين على أتم البيان وأوضح العبارة اهـ ما أملاه على الوارد والسلام .

وأما (١٣) التشكلات المحمدية فأولها (ب) وذلك سر يس وحـم (الاثنين وثانيها (احـم د) وذلك سر (آدم وحواء) وثالثها (جبريل ابراهيم الصديق) وأيام الاسبوع وما وراء (١٤) التشكلات (أدق من العبارة ولا يذكر ولا يسر وبهذا تكون الكونان والثقلان) (١٥) والفريقان والأوصاف البياض والسواد والصفرة والحمرة والأيام وغير ذلك والسلام اهـ وأما تشكلات دائرة الاحاطة فخمسة أولها :
(أ) وذلك سر (١٦) (ن ق ص) وثانيها (احـد) وذلك سر (الـم الـرحـمـم) (١٧) وثالثها (احـلـدم) الحق وذلك سر كهـى عـصـحـم عـسـق (ورابعها (فجـشـتـظـخـز)

١ - في ز ترتبة	٢ - سقطت الاتصال من ز	٣ - في خ الفرد .
٤ - في ز فساتر تجليات	٥ - في ز شون	٦ - في ز وللاربعين
٨ - في زبعة المراتب	٩ - سقطت والمرتبة من ز	١٠ - في ز عـخ الأربع
١١ - سقط ما بين القوسين من ك	١٢ - في خ ، زلت	١٣ - سقطت وأما من ك
١٤ - في خ ما وراء التشكلات	١٥ - سقط ما بين القوسين من خ .	
١٦ - في كـس	١٧ - في كـص	

القدوس وذلك سر سبع المثاني أنزل القرآن على سبعة أحرف الحديث وخامسها (المدح دل ال هل) وذلك سر ، اهم (١) س (٢) قلح لع (٣) ي (٤) ص ال م ص ك ه ي (٥) ص (٦) ق (٧) نقط (٨) حروف (٩) هو الذي هو آخر البقرة وأول آل عمران وهذه التشكلات الخمس أصل الأسرار والحقائق والأسماء فجاءت الأسماء في سبع المثاني خمساً الله الرب الرحمن الرحيم الملك والحضرات خمساً الناسوت والملكوت والجبروت واللاهوت والمهاوت والقواعد خمساً الشهادتان والصلوات والصيام والزكاة والحج والصلوات خمساً وألوا (١٠) العزم خمساً والحواس خمساً والجهات خمساً وأصل الزكاة خمساً ورمضان خمس خمس وبقي خمس وبقي من الوارد شيء زجرني عن إثباته في هذا الوقت (١١) وفي (١٢) وقت آخر يفعل الله ما يريد، وأخذ العهد على (١٣) من لم يذق شيئاً أن ينكر فإنه السم الواح (١٤) والسلام .

وقولي (إن (١٥) العبد بوصوله إلى هذا المقام صار عارفاً كاملاً هو معنى قولي إن العارف من في في الذات مرة وفي الصفة مرتين أو ثلاثاً وفي الإسم مرة أي المرتبة العليا من أهل المشرب الثالث لأن المشارب ثلاث مشرب لواحد (١٦) وهي الحقيقة الأحدية ما (١٧) شرب منها لإسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ومشرب لثلاثة وهي الحقيقة المحمدية شرب منها الرسل والأنبياء والحضرة انكتمية ومشرب لخمسة وهي الحقيقة الأحمدية شرب منها خاصة أهل طريقتهم وعامتهم (وخاصة غيرهم وعامتهم) (١٨) وحقائق جميع الموجودات :

١ - سقط م	٢ - في ز سر	٣ - في ك ي
٤ - سقط (ي) من خ	٥ - سقط (ي) من خ	٦ - في ك ، ز (ج س)
٧ - في ك ، خ (س ق) وسقط (ق) من ز	٨ - سقطت (نقط مروف) من ز ، ك .	
٩ - سقط الالف من ز	١٠ - في ز لوقت	١١ - سقطت (وفي وقت) من ز
١٢ - سقطت على من خ	١٣ - في ز الوط لعله يريد (الوخاط) أي النافذ السريع القتل .	
١٤ - في ز أي	١٥ - جاء ما بين القوسين بالهامش من خ	١٦ - في ز مشرب الواحد
١٧ - سقطت ما من ز	١٨ - سقطت ما بين القوسين من ز .	

يارب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا (١)
ومستخبر عن سر أيلى رددته بعمياء (٢) عن ليلي بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها (٣) وما أنا ان خبرتهم بأمين (٤)

والصفة هنا هي الصفتان اللتان ألغذيهما أعجوبة الزمان من لا يشك (٥) في ولايته
إثنان القطب الرباني والعارف الصمداني سيدي ومولاي الحاج عبد الله بن الحاج
العلوي نفعا الله به وبعلومه أمين بقوله صفتان قديمتان حادثتان مظهر (٦) هما الدنيا
والآخرة وما بينهما وقال أيضاً ملغذاً أمرت الذات العلية اسم مرتبتها بأن يصلي على
محمد فصلت الذات على عين إسمها فاكتسب من المحامد ما اكتسب وهاتان الجملتان
مع اختصارهما (٧) متطعنتان من العلوم والمعارف ما لا يعلم قدره إلا أكابر الصديقين
من العارفين من إشارات هذا الشيخ المذكور رضي الله عنه قوله : —

لك الحمد مولانا لك الحمد والشكر على ما منحت اليوم يا من له الأمر
منحت لنا الإيمان منك تفضلاً فبه مدى المحيا وحين انقضى العمر
لك الحمد ذاتي وليس لنا سوى محامدك الحسنى رجاء ولا ذخر (٨)
وقوله أيضاً :

لما رأيت لسان حالك قائلاً يا سيدي ان ليس غيرك نافع
بلسان حالي قد دعوتك ضارِعاً أرجو جدك ولا لفضلك مانع
بالذات والسر المصون وباسمها لا كان عن (٩) ربا شذاها وازع
وبنورها الساري الذي من نوره أنوار كل النيرات السواطع

١ - تنسب الصوفية هذين البيتين إلى زين العابدين علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه انظر ايقاظ المم ١١٢

٢ - في ز بعماع ٣ - في ز أعينها ٤ - ولم أعثر للبيتين على مصدر .

٥ - في ز لا شات ٦ - في ز مظهرها ٧ - في ز اختصار

٨ - نسب الشيخ إبراهيم هذه الأبيات لشيخه المذكور في النص . ٩ - سقطت عن من ز .

وصفاتها وسماتها الحسنى التي لم يحصها إلا العليم الواسع
لا خاب لي بالمصطفى وحببيه ظن ولا لاقيت ما أنا صانع
ان كانت الاشعار ضائعة غدا لا أختشي من أن شعري ضائع (١)

ومن اشارات شيخنا وشيخ مشايخنا خليفة الشيخ محمد الحافظ محمد بن السيد
عبدالله حسان الطريق قوله لا إله إلا الله الأول الآخر الظاهر الباطن محمد رسول الله
السيد الكامل الفاتح الخاتم . وإنما أوردنا هذا هنا تنميماً للفائدة ولرجع إلى ما نحن
بصدده والآيات من القرآن التي تدل على بعض ما رمزنا بها (٢) من المقامات قوله
تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل
أكثرهم لا يعلمون » . وقال تعالى : « ويخلق ما لا تعلمون » (٤) وقال : « ما ننسخ
من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » (٥) . وقال تعالى : « فبأي آلاء ربكما
تكذبان » (٦) وقال تعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » (٧) وقال تعالى : « وما
فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً » (٨) . و (٩) قال تعالى : « والذي
جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (١٠) . وقال تعالى : « وكأين من آية في
السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » (١١) وقال تعالى : « سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » (١٢) وقال تعالى : « فأي آيات الله
تنكرون » (١٣) فيرجع العبد إلى السلوك والله الموفق للصواب واليه سبحانه المرجع والمآب .

فصل في السلوك في الجذب

لأعلم أن أهل الطريقة على أربعة أقسام سالك غير مجذوب غلب سلوكه على جذبه ،

١ - الآيات منسوبة أيضاً إلى الشيخ السابق ذكره ٢ - في خ زيادة بها وفي ز ، ك (ما رمزنا) فقط .

٣ - النحل ١٦ : ١٠١ ٤ - النحل ١٦ : ٨ ٥ - البقرة ٢ : ١٠٦ ٦ - الرحمن ٥٥ : ١٣

٧ - يونس ١٠ : ٣٩ ٨ - الكهف ١٨ : ٨٢ ٩ - في ك أ وقال ١٠ - الزمر ٣٩ : ٣٣

١١ - يوسف ١٢ : ١٠٥ ١٢ - الاعراف ٧ : ١٤٦ ١٣ - غافر ٤٠ : ٨١

وهو (١) ظاهري رسمي ، ومجذوب غير سالك غلب جذبته على سلوكه ، فهو أتر ،
وسالك مجذوب أدى (٢) سلوكه إلى مقام الجذب ، فهو وأصل يكون من العارفين
ان وجد من يأخذ بيده ، ومجذوب سالك تقارن جذبته مع سلوكه وهو غالب أصحاب
الختم التجاني ، وهم الأكابر وبقي صنف خامس لا ناقة لهم في الطريقة ولا جمل ،
وهم من لا سلوك لهم ولا جذب نعوذ بالله فهم وإن أخذوا الطريقة (٣) فأخذة (٤)
لا تجانيون عسى الله أن يرحمهم (٥) إن رزقوا محبة سيدنا (٦) الشيخ رضي الله عنه ،
فأما السلوك في الجذب فهو عين السلوك المتقدم الذكر ، لا بمعنى واحد فإن العارف بالله
إذا وقف مع الله الوقفات التي أشرنا إليها إن (٧) لم يمت يصحو أو يرجع إلى عالم
المجاز ومشاهدة الآثار وعالم المثال فيرى الخطايين (٨) خطاب مشيئته تعالى ، وخطاب
حكيمته ، أشار إليهما (٩) قوله تعالى : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) ،
فيسلك طريقاً يجمع فيها بين القيام بمقتضى الخطأ بين ليس جبرياً محضاً (ولا قدرياً
محضاً) (١٠) فيقوم بظاهره بشرائع الإسلام وهي مقتضى خطاب الحكمة في عالم
الناسوت وهو بباطنه لا حركة له ولا سكون ، ولا عمل ، وهو مقتضى خطاب المشيئة
إيماناً وإيقاناً وعرفاناً فيمثل الأوامر (١١) لله من الله بالله لا تبقى له حركة ولا سكون
إلا وهو قائم فيها بأمر الله بالله فتصير أعماله فروضاً واجبات كلها سواء في ذلك
الحقوق (١٢) الإلهية والحفظ النفسانية قال الله تعالى : « فاذكروني لا إله إلا الله » (١٣)
وقال تعالى : « أقيموا الصلاة » (١٤) ؟ وقال (فأقرعوا) (١٥) وقال : « واركعوا
واسجدوا » (١٦) وقال : « فاطهروا » (١٧) وقال : « كتب عليكم الصيام » (١٨) وقال
تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (١٩) وقال تعالى : « وآتوا الزكاة » (٢٠).

-
- ١ - في خ وهي ٢ - في خ لدى ٣ - في خ الطريق ٤ - في ز فأخذت ٥ - في ز ان يرحمكم
٦ - سقطت سيدنا من خ ٧ - في خ وان ٨ - في ز الخطايين ٩ - في ز إليها
١٠ - سقط ما بين القوسين من خ ١١ - في خ الأمر لله ١٢ - في خ الحق والإلهية .
١٣ - هكذا في جميع النسخ التي في يدي ولم أعر على آية هذا الوضع في كتاب الله ١٤ - البقرة ٢ : ٤٣
١٥ - المزمل ٧٣ : ٢٠ ١٦ - الحج ٢٢ : ٧٧ وفي المخطوطات (واركعوا) يزيروا في أوله
١٧ - المائدة ٥ : ٦ ١٨ - البقرة ٢ : ١٨٣ ١٩ - البقرة ٢ : ١٨٥ ٢٠ - البقرة ٢ : ٤٣

وقال تعالى: « وأقيموا الحج والعمرة لله » (١) وقال تعالى: « أنفقوا » (٢) وقال تعالى: « فأنكحوا » (٣) وقال تعالى: « اتقوا الله » (٤) وقال: « سارعوا » (٥) وقال تعالى: « سابقوا » (٦) وقال تعالى: « كلوا واشربوا » (٧) وقال تعالى: « فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » (٨) وقال تعالى: « واسألوا الله » (٩) وقال تعالى: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » (١٠) وقال تعالى: « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١١). وقال تعالى: « وأن استغفروا ربكم » (١٢) وقال تعالى: « صلوا عليه وسلموا تسليماً » (١٣) وقال تعالى: « أدعوني » (١٤) وقال تعالى: « ادفع بالتي هي أحسن » (١٥) وقال تعالى: « واصبروا » (١٦) وقال تعالى: « اصبروا وصابروا » (١٧) ورابطوا » (١٨) وقال تعالى: « واشكروني » (١٩) وقال « سبروا في الأرض » (٢٠) وقال تعالى: « قال الله » (٢١) وقال تعالى: « قل هو الله أحد » (٢٢) وقال تعالى: « قل أعوذ » (٢٣) وقال: « واتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة » (٢٤). وقال تعالى: « فاستبقوا الخيرات » (٢٥) وقال: « وانبع سبيل من أناب إلي » (٢٦) فهذه بعض آيات تشير لك إلى شيء يفتح لك باب ذلك. « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » (٢٧). فالعارف بالله في هذا المقام مكلف بتعمير باطنه بالله دائماً ذاكراً لساناً وقلباً وذكر القلب هو الفكرة وروحاً وذكر الروح هو العبرة وسراً (٢٨) وذكر السر هو (٢٩) النظرة وهو مقام « ألم تر إلى ربك

-
- ١ - البقرة : ٢ : ١٩٦ ٢ - البقرة : ٢ : ٢٥٤ ٣ - النساء : ٤ : ٣ ٤ - البقرة : ٢ : ١٩٤
٥ - آل عمران : ٣ : ١٣٢ ٦ - الحديد : ٥٧ : ٢١ ٧ - البقرة : ٢ : ٦ ٨ - الجمعة : ٦٢ : ١٠
٩ - النساء : ٤ : ٣٢ ١٠ - المائدة : ٥ : ٩٢ ١١ - الحشر : ٥٩ : ٧ ١٢ - هود : ١١ : ٣
١٣ - الاحزاب : ٢٣ : ٩٦ ١٤ - غافر : ٤٠ : ٦٠ في ك أدعوا وفي ز ادعوني وفي خ ادعوني استجب لكم .
١٥ - المؤمنون : ٢٣ : ٩٦ ١٦ - الأنفال : ٨ : ٤٦ وسقطت واصبروا من خ ١٧ - في خ والصابروا
١٨ - آل عمران : ٣ : ٢٠ ١٩ - البقرة : ٢ : ١٥٢ وفي خ اشكروا لي ٢٠ - الأنعام : ٦ : ١١
٢١ - الأنعام : ٦ : ٩١ ٢٢ - الاخلاص : ١١٢ : ١ ٢٣ - الفلق : ١١٣ : ١ ٢٤ - القصص : ٢٨ : ٧٧
٢٥ - البقرة : ٢ : ١٤٨ في ز الخيرات ٢٦ - لقمان : ٣١ : ١٥
٢٧ - حديث رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري كشف الخفاء ج ٢ - ص ٥٠٥ .
٢٨ - في خ السير ٢٩ - سقطت هو من ز

كيف مد الظل» (١) الآية وإلى هذا المقام يشير حديث (خير الذكر الخفي) (٢) وأفضل أذكار اللسان صلاة الفاتح لما أغلق فيلازمها دائماً من غير حصر ولا عدد ولا حد ولا ميقات زمني ولا مكاني والفكر أعمال العبد سير قلبه ، أما في ربه أو في رسوله أو في وليه (٣) أي في الله أو في آياته إذ آيات الله أنبياءه (٤) وأوليائه (٥) وإما في نفسه وخبثها (٦) يردده ذلك الفكر إلى الله وآياته أيضاً ولي جواب عن سؤال ورد علي وأما السؤال (٧) عن المخاطر والفكرة والعبرة هل مترادفات أم لا ؟ فالجواب والله تعالى (٨) أعلم أنها مترادفات (٩) و (١٠) غير مترادفة من وجه فالخاطر ما يرد على القلب سواء (١١) مع أعمال الفكر أولاً (١٢) والمخاطر الحقيقي المخاطر المتحد في الله إذا انعدم العبد وفي وجوده حتى لم يبق إلا خاطر يحول في حصره الاطلاق حيث شاء .

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم ونحن فككتنا قيده فهو سارب (١٣)

والفكرة أعمال العبد سير قلبه إما في ربه أو في نفسه وكلاهما منتج فائدة كبيرة (١٤) لأنك إن تفكرت في الله وفي جميل (١٥) صفاته وأفعاله لا بد تشاقق إليه وتتقرب إليه بما يقربك إليه من عمل الجوارح وإن تفكرت في النفس وخبثها (١٦) لا بد تفر منها والفرار منها هو الفرار إلى الله بما يقربك إليه من عمل الجوارح هذه هي الفكرة والعبرة الانتفاع بالفكرة وهي أن تكون إن وقع بصرك على شيء دق أو جل معتبراً في القدرة التي أوجدته ومتى خطر ببالك شيء دق أو جل كذلك فبهذا تعلم أن المخاطر ما من الله اليك والفكرة ما منك إلى الله والعبرة أثرهما ونتيجتهما (وعلى الله قصد

١ - الفرقان ٢٥ : ٤٥ .

٢ - أبو يعلى والمسكر وأبو عوالة وأحمد وابن حبان كشف الغطاء ج ١ - ٤٧١

٣ - في ز أوليه . ٤ - في ز ، ك أنيائه ٥ - في ز أوليائه ٦ - في ز وحيشما .

٧ - هكذا في المخطوطات والصواب (وأما السؤال فهو عن المخاطر أو فمن المخاطر ا وح)

٨ - في ك مترادفة وفي ز مترادفة ٩ - سقط ما بين القوسين من خ ١٠ - في ز غير .

١١ - في ز سواء ١٢ - في ز أم لا ١٣ - لم أعثر على مصدر هذا البيت ١٤ - سقطت كبيرة من خ

١٥ - في خ جميع ١٦ - في ز حيشما

فهذا يسير العارف والسير هو الترقى في معارف المعارف لايزال العارف بالله في كل نفس يزداد علماً وذوقاً وحالاً ومحبة وفناء وتعطشاً واحترافاً وشوقاً (٢) إلى (٣) الله تعالى إلى أبد الآباد يترقى بذلك في الكشف عن أسماء الله تعالى وصفاته وفهم كلامه تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم فهم حال وذوق كلما ردد (٤) الفكر يتجدد له ذلك حتى تتجلى له عظمة (٥) الله وكبريائه (٦) وهما آخر ما يوجد من حجب (٧) الصفات فليس وراءهما إلا الذات العلية المقدسة العالية عن الكيف والأين ولي أجوبة وأقوال تناسب هذا الفصل بعضها نظم وبعضها نثر ومناجاة كذلك منها هذا ونص السؤال عن الأزل والأبد وأزل (٨) الأزل وأبد الأبد والامد في كل منهما وما حقيقة معناه ولدكم علي سيس ، ونص الجواب ولدي علي سيس اسمع من أهلك فالأزلات باعتبار الحقائق الثلاث ثلاث والأزل عبارة عما لم يزل قط والأبد عبارة عما لا يزال عوض وأنت إن تفكرت في حقيقة بطون البطون وجدتها لم تزل وفي البطون أصله كذلك وفي الظهور كذلك فتبين بذلك أن الأزل هو بطون البطون وأزل الأزل هو البطون وأزل أزل الأزل هو (٩) الظهور وكلامي في الأبد نص كلامي في الأزل فهذا قبل وذلك بعد حيث لا قبلية ولا بعدية وأما أمدها وغايتها فلا أمد للأزل ولا غاية قد انقطعت (١٠) الآماد والغايات عن درك حقيقة الأزل لا سيما أزل الأزل وأزل أزل الأزل الذي هو منتهى خواطر الأكابر فتحار العقول في هذه النسب وتضمحل العبارات وتلاشى لأن الأزل كما تقدم عبارة عما لم يزل ويوم واحد من أيامه كآلف سنة مما تعدون ، وذلك هو أيام الله الذي أمر بالتذكير بها قال جل وعلا (١١) وذكرهم بأيام الله، وتلك الأيام مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيام الدنيا وأهل الله في أيام الله « فضرب بينهم بسور (١٢) له باب باطنه فيه الرحمة

١ - النحل ١٦ : ٩ - ٢ - في ك احترافاً وشوقاً .

٣ - في خ إن الله ٤ - في ز دد ٥ - في ك عظمية ٦ - في ك كبرياته

٧ - في خ ما يوجدان إلا من حجب ٨ - في ز وأز ٩ - في ك فهو .

١٠ - في خ القطعة آماد وفي ز الامداد ١١ - سقطت وعلا من ك ١٢ - في ز بنور

وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم
وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور» (١) ولا يزال
سير العارف بربه في تلك الأيام في الغيوب ولا يلقي غير وجود ليس معه وجود حتى
يتحير في العظمة والكبرياء اللذان لو تجليا للعارف لصار دكاً في أسرع من طرفة العين
واليه يشير قول الجليلي رضي الله عنه « من ألف البهاء من الله لا يثبت لبدو العظمة
والكبرياء» (٢) وما وراء هذا لا يرسم في الأوراق ولا ينظر بالأحداق إلا أن هناك
سير الأزل والأبد (٣) فقد طويت الحقائق والمجازات والأزمدة (٤) والامكنة
والأوراد والواردات والمعارف والأذواق (٥) كطي السجل للكتاب فصاحب هذا
المقام غالب عليه السكوت إلا إذا (٦) أذن له (٧) الرحمن وقال صواباً ولا يتمنى
إلا العدم المحض ليصفو له المقام (ويخلو له المقام) (٨) « وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب » والسلام وأما النظم فمنه (٩):

حضرة القدس عند محق سواها	لا سواها يا من يروم لقائها
حضرة القدس عين وجه إلهي	فمدام كاس يروق حلها
برزت منها أولاً حضرة المحـ	تار عينا لهاثا فهي هاها

ومنه :

أيا صفة قد شبهت باسم فاعل	متى جئت فعلا جئت خيرة عاقل
فإنك جمع حيث أنت شئونه	وقد جئت فرداً دون شكل مماثل
فلولاك يبقى الحق حقاً وما درى	ولولاك يبقى دائماً عن مواصل
عليها صلاة الحق بالحق وحدها	لثلا تكن براء في عين واصـل

١ - الحديد ٥٧ : ١٢ ٢ - السيد العربي ابن السائح : بغية المستفيد عن الشيخ التجاني
٣ - في زوال البعد ٤ - في زوال الزمته ٥ - في زوال الأزواق ٦ - سقطت إذا من خ .
٧ - سقطت به من ز ٨ - جاء ما بين القوسين بالهامش من خ ٩ - في خ فيها .

ومنه

لقد خاب مجذوب صحا وتمردا
فمن بلغ المطلوب فليسع شاكرأ
عليكم بشاداب (٢) السلوك هنتم (٣)
ويحسن تقليل الكلام لتقتلوا
ولم يحسن الطاعات مال عن الهدى
ولا فجزم الروح هج أولى الردى (١)
فلا تحسبوا دهرأ بأن تركوا سدى
نفوسأ بتقليل المنام سهدي

ومنه

ذنوبي قد جارت (٤) على بعضها الفكر
ولم أخش شيئأ (٥) من رحيم امامنا
له الملك والحمد المأزل (٦) باقيأ
لك الحمد يا من عين عجزني حمده (٧)
لك الحمد حمد النفس للنفس دونه
أيا حي يا قيوم يا من تناللت
فيا سملك يا الله فارحم لفاقتي
بجاه الذي من عزه كل عزة
محمد عبيد الله احمد حامد
كذلك سلام من سلام يعمه

ولا عمل ينحط من أجاسه الوزر
له الجود والافصال والعفو والستر
إلى أبد الأباد لا يتقضي الأمر
إذا النعمة العظمى لك الحمد والشكر
تلاشي عقول الرسل لاسيما الغير (٨)
له العرش والكرسي والحي القبر (٩)
وفقري وذلي واغترابي أيا بر
أبو (١٠) القاسم المفضل من نوره البدر
عليه صلاة لن يصورها الفكر
مع الآل والأصحاب ليس له حصر

وأما المناجاة (١١) فمنها :

اللهم إني أسلك بجمعية مجمع (١٢) الشئون وبأعظمية الإسم الأعظم وبصديقية

-
- ١ - في ز الردى ٢ - في ز بادباب ٣ - في ز هنتم ٤ - في ز صارت ٥ - في ز شي
٦ - في ز المنازل ٧ - في ز أحمد ٨ - في ز غير ٩ - في ز الغير .
١٠ - هكذا في المخطوطات ولعل الصواب (أبي) . ١١ - في ز المناجات ١٢ - في ز مع .

ومنه

لقد خاب مجذوب صحا وتمردا
فمن بلغ المطلوب فليسع شاكراً
عليكم بشاداب (٢) السلوك هنثم (٣)
ويحسن تقليل الكلام لتقتلوا
ولم يحسن الطاعات مال عن الهدي
ولإ فجزم الروح هيج أولى الردى (١)
فلا تحسبوا دهرأ بأن تركوا سدى
نقوساً بتقليل المنام سهدي

ومنه

ذنوبي قد جارت (٤) على بعضها الفكر
ولم أخش شيئاً (٥) من رحيم امامنا
له الملك والحمد المأزل (٦) باقياً
لك الحمد يا من عين عجزني حمده (٧)
لك الحمد حمد النفس للنفس دونه
أيا حي يا قيوم يا من تنالست
فبإسمك يا الله فارحم لفاقتي
بجاه الذي من عزه كل عزة
محمد عبد الله احمد حامد
كذلك سلام من سلام يعمره

ولا عمل ينحط من أجاله الوزر
له الجود والافصال والعفو والستر
إلى أبد الأبد لا ينقضي الأبرر
إذا النعمة العظمى لك الحمد والشكر
تلاشي عقول الرسل لاسيما الغير (٨)
له العرش والكرسي والحي القبر (٩)
وفقري وذلي واغترابي أيا بر
أبو (١٠) القاسم المفضل من نوره البدر
عليه صلاة لن يصورها الفكر
مع الآل والأصحاب ليس له حصر

وأما المناجاة (١١) فمنها :

اللهم إني أسلك بجمعية مجمع (١٢) الشئون وبأعظمية الإسم الأعظم وبصدقية

-
- ١ - في ز الردى ٢ - في ز بادباب ٣ - في ز هنثم ٤ - في ز صارت ٥ - في ز شيء
٦ - في ز المنازل ٧ - في ز أحده ٨ - في ز غير ٩ - في ز الغير
١٠ - هكذا في المخطوطات ولعل الصواب (أبي) . ١١ - في ز المناجات ١٢ - في ز مع .

الصديق الأكبر وما حوته تلك الحضرات (١) وسر (٢) النسب وسر التجليات من
أزل أزل الأزل إلى أبد الأبد من وجود كنزية الحق إلى آخر تجليات (٣) الدهور
بسر الكون وسر الخلق والأمر أن تأخذ بأيدينا وتوقفنا بين يديك وقفة خالصة مستمرة
دائماً أبداً سرمداً بمحو (٤) الرسوم والطباع وأمت نفوسنا موتاً حقيقياً محواً وفناء في
شهود الحق بالحق في الحق مع البقاء التام والصحو والكمال والإستقامة والقيام بحقوق
الربوبية جمعاً في فرق ، وفناء في بقاء ، وسكراً في صحو ، وتولانا وتتولى سائر
أحبائنا وأسألك يا الله يا كريم يا حنان يامن أن تهدينا الصراط المستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٥) آمين وأن تشغلنا بك عمن
سواك واحفظنا بما تحفظ به الصالحين من القراعنة والدجاجلة حتى نأمن شر أنفسنا
وشر أعدائنا وأن تقبل علينا بوجهك الكريم واجعل (لنا يارحمن ودا) ربنا أتمم لنا
نورنا واغفر لنا واجمع شملنا وأصلح شؤوننا واكشف كربنا وأد تبتعاتنا واغن (٦)
فقرنا وأطعم جائعنا واكس (٧) عرياننا واغننا بك عمن سواك واجعل لنا من لدنك
سلطاناً نصيراً (٨) انك على كل شيء قدير آمين يارب العالمين وارزقنا (٩) قطبانية
كل قطب وفردانية كل فرد ، وغوثية كل غوث ، وجامعية كل جامع ، حتى لانشارك
ولا نزااحم يامن ليس له شريك في الملك ليس كمثله شيء وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليمًا . ومنها :

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق
والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم (صلاة نطمسنا بها
يا الله في حقيقة حضرة حق قدره ومقداره العظيم) (١٠) الهادي ناصر الحق بالحق
الخالق الفعال لما يريد الحضرة المرضية الصديقية الراضية وترقينا بها يا الله إلى حضرة
الفاتح الخاتم وتطمسنا في محمديتها الأحمدية حضرة الربوبية والرحمانية والرحيمية

-
- ١ - في ز الحضرة ٢ - في ز والسر ٣ - في خ التجليات ٤ - في ز بصحو
٥ - فاتحة الكتاب ١ : ٥ - في ز أغنى ٧ - في ز أكسى ٨ - في ز نصير .
٩ - في ز ورقنا ١٠ - سقط ما بين القوسين من خ

والمصلى عليها أزل الأزل وترقينا بها يا الله إلى حضرة السيادة المطلقة الساذجية حضرة
الألوهية حضرة الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . سبحانه
وتعالى ليس كمثله شيء تعالى عن ذلك علواً كبيراً سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الحمي القيوم وأسألك يا الله يارب
يارحمن منك بك من فضلك العظيم أن تعرفنا بحقائق هذه الحضرات ومعارفها ونسبها
وحقوقها وآدابها ومقتضياتها معرفة ذوقية شهودية عيانة وأن تعطينا خير الدنيا
والآخرة وخير ما بينهما إذا الجلال والإكرام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً اه ومنها :

الحمد لله بجميع محامده و(١) الحمد لله على جميع محامده و(٢) الحمد لله عدد
(جميع) محامده و(٣) الحمد لله بجميع صفاته و(٤) الحمد لله على جميع صفاته
والحمد لله عدد جميع صفاته والحمد لله بلسان سيدنا محمد والحمد لله على سيدنا محمد
(والحمد لله مقدار سيدنا محمد) (٥) الحمد لله بلسان الصديق الأكبر والحمد لله على
الصديق الأكبر و(٦) الحمد لله مقدار الصديق الأكبر والحمد لله بألسنة (٧) جميع
خلقه (والحمد لله على جميع خلقه) (٨) والحمد لله عدد جميع خلقه الحمد لله بجميع
نعمه (٩) والحمد لله على جميع نعمه (والحمد لله عدد جميع نعمه) (١٠) وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (تسليماً) (١١) حق قدره ومقداره العظيم ومنها :

إلهي ما أفقدني لولا وجودك والأمني لولا كرمك وأبخلي لولا جودك (١٢)
وأذلني (١٣) لولا عزك إلهي ما أفقرني لولا غناك (إلهي ما أعجزني لولا قدرتك) (١٤)
إلهي ما أضعفتني لولا قوتك ، إلهي ما أحقرني لولا جلالك ، إلهي ما أقبحني لولا

١ - سقط الواو من خ

٢ - سقط الواو من خ ٣ - سقطت (جميع) من خ ، ك ٤ - سقط الواو من ك .

٥ - سقط ما بين القوسين من ز ، خ ٦ - سقط الواو من ز ٧ - في ز لسة

٨ - سقط ما بين القوسين من خ ٩ - في ز نعمة وجاء ما بين القوسين بالهاش من خ

١٠ - جاء ما بين القوسين بالهاش من خ ١١ - سقطت تسليماً من ز ، ك ١٢ - في ز جوك .

١٣ - في خ وأزلي ١٤ - سقط ما بين القوسين من خ

جمالك إلهي ما أسوأني لولا سترك إلهي ما أجهلني لولا علمك ، إلهي ما أشد خذلاني
لولا نصرك ، إلهي ما أشد وحشتي لولا انسك ، إلهي ما أسرع تلفي لولا حفظك ،
إلهي ما أكثر أعدائي لولا توليك ، إلهي ما أكثر جرائمي لولا عفوك ، إلهي ما أسرع
هلاكي لولا حلمك ، إلهي ما أشد شقاوتي لولا رحمتك ، إلهي ما أشد يأسني لولا
أن الأمر بيدك ، إلهي ما أشد فاقتي لولا نعمتك ، إلهي ما أكثر غفلي لولا إيقاظك ،
فلك الحمد حتى ترضى كما تحب أضعاف حمد الحامدين يا من هو هو وهو هو وصلى الله
على سيدنا محمد العين الهاء صلاة (١) تكفيننا وتكفيننا يا ذا الجلال والإكرام يا من هو
ما تبصرون وما لا تبصرون برحمتك يا أرحم الراحمين هـ . ومنها :

دائرة المطالب ومركز الرغائب في التضرع (لخصرة) (٢) الشاهد الغائب
ونصها اللهم يا ألف صل وسلم على الباء ونقطته (٣) وشكلته صلاة تؤلف لنا بها
يا واحد يا أحد القلوب وتفتح لنا الأبواب المغلقة بسر الألف والباء والنقطة والشكلة (٤)
إلى آخرها وهي طويلة جداً ومنها :

إلى الله أشكوا (هـ) ما ألقى من الشكوى	فلا وزر أرجو سواه ولا مأوى
همومي إلى مولاي أرجو انقراجها	ففقرى إلى مولاي في الجهر والنجوى
مقالي وحالي يجزءان (٦) لفاقتي	ويقوى رجائي حين عن غيره (٧) يطوى
سألتك يا كافي العبيد بأسرها	بأن تحسن العقبى (٨) وأن ترفع البلوى
قـدير قدير يا إلهي وإنسي	فقير ضعيف أشك شكوى (٩) أخني شكوى
كفاني كفاني إن مددت يديـي	إلى الحضرة العليا وانحو (١٠) لها نحوي
على المصطفى المنصور أزكى صلاته	مع الآل (١١) والأصحاب ما أكثر الجدوى

١ - في ز حلاة .

٢ - سقطت لخصرة من خ ٣ - في ز والنقطة وسقطت وشكلته من ز أيضاً . ٤ - في ز والسكلة .

٥ - هكذا في المخطوطات باثبات الف بعد الواو من أشكوا ٦ - في ز يجثران ٧ - في ز عن غير

٨ - في ز العقبى ٩ - في ز شكوا أخ ١٠ - في خ انحو بالف بعد الواو ١١ - في ز التا .

ومنها اللهم إني أسألك بإسمك العظيم الأعظم الذي تجليت به على الحقيقة (١) المحمدية فسادت ، وعلى حقيقة الكتم فصدقت ، وعلى حقيقة الخليفة فعبدت ، أن تأخذ بمجماع قلب عبدك إلى كمال معرفتك وتعطيه المراد في الأحباب (٢) والاضداد بحق (٣) النسب وبحق المراتب التي كلها للذات وأضيفت لاسم (٤) الله ياهادي ياملك أسألك التوحيد والهداية والملك يا حي يا قيوم وأسألك بالله (٥) يا سميع يا قريب يا كافي الاستقامة والطاعة والقرب والكفاية يا ذا الجلال والإكرام يا حنان يا منان يا لطيف يا عليم أسألك الحياء والإيمان والأمن (٦) والأمان من زوال الإيمان واللفظ يا صمد أسألك اليقين والعافية واليقظة والصدق والورع والزهد يا من هو أنت لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

وأبى الله أن يمسي السو ء بحال ولي إليك التجاء (٧)

اللهم إني أسألك مقراً بأنني كم أنعمت علي ولم أشكر وابتليتني فلم أصبر ورأيتني على الخطايا فلم تفضحني يا من أدام علي نعمة مع عدم شكري (٨) وعافيته ونصره مع عدم صبري وسره مع سوء حالتي (٩) أسألك دوام النعمة (١٠) ودوام العافية ودوام المغفرة والستر والهداية ، اللهم عافني وأحبابي من بلاء الدين والدنيا والآخرة وأدم (١١) لنا السير فيك والترقي والازدياد ، اللهم عممنا بكمال الإيمان والولاية ، وخذ لنا بالقلوب والنواصي والأقدام ، يا من يأخذ بالنواصي والأقدام ، اللهم انفعنا اللهم ما خلقت وانفع بنا جميع ما خلقت ، اللهم حبيبنا إلى جميع خلقك ، وحبيب إلينا صالحنا خلقك ، اللهم أحق الحق بكلماتك ، وأبطل الباطل ولو كره المجرمون ، اللهم اجعلنا جندك (١٢) الغالبين الأمنين ، اللهم اجعل (١٣) خير عمري آخره وخير أيامي يوم القيامة ، بحق بسم الله الرحمن الرحيم أمين ، يارب العالمين ، اللهم صل

١ - في ز حقيقة ٢ - في خ الإجابة والاضداد ٣ - في ك وبحق ٤ - في ز ، خ للاسم .

٥ - سقطت بالله من خ ٦ - في ز والأمر .

٧ - في ز التجا البيت البوصيري : قصيدة الهزلية في مدح النبي صل الله عليه وسلم .

٨ - في ز شكري ٩ - في ز حالات ١٠ - في ح نعمة ١١ - في ز أدلنا

١٢ - في خ جند ١٣ - في خ واجعل

عن سيدنا محمد القاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك
 المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ، ويكون له في هذا المقام حال في رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، لما يشاهد من محبة الذات (١) العلية له لا يقدر قدر ماهاتك
 من أحوال المحبة وتتسع المعارف والأسرار والواردات من ذلك يتولد للعارف (٢)
 حب الأشياء (٣) الحسنة من غير غرض ، بل لذواتها وفي ذلك ينكح كنكاح أهل
 الجنة بمجرد الشهود (٤) لاشيء آخر ورغبة فيه من المشهد ولي جواب في هذا مختصر
 وتضمه بسم الله الخاص بسره الخاص بسر سره الخاص بسر سره أما بعد فقد
 وقفت على سؤال الشيخ عمر في التجاني عن سر النكاح الذي أمر الله به في قوله تعالى
 فانكحوا وأجبت عنه بأن الله كان ولا شيء معه متصفاً بجميع الصفات والكمالات
 الإلهية فأنحب سبحانه وتعالى حيث لا محب ولا محبوب سواه فوقعت (٥) الإفاضة منه
 إليه سبحانه فوجد سره سيد الوجود ، ومدد الوجود ، ونور الوجود ، ووجود
 الوجود ، فهو الحبيب ومنه برز النور الذي منه جميع الموجودات ، ووقعت (٦)
 النسب (ومن مقامات النسب) (٧) المشاهدة ومن جمال الله تعالى ما إذا شاهدته الكامل
 شوقه إلى الاتصال بالمحبوب الذي رمز له (٨) النكاح ولذا قال كامل الكمل حبيب إلي
 من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني (٩) في الصلاة ، وذلك الجمال هو الذي
 لما شام برقه وشم أريجيه (١٠) أبو البشر آدم عليه الصلاة والسلام اشتاق إلى حواء فلما
 تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به الآية وهذا الذي كتبنا رمزاً وإيماءً (١١) إلى
 سر النكاح الذي لا يستباح حريمه .

-
- ١ - في خ ذات ٢ - في ز المعارف ٣ - في ز الاشياء
 ٤ - في ز مجرد الشهوة ٥ - في خ وقوع ٦ - في خ وقوع ٧ - سقط ما بين القوسين من خ .
 ٨ - في خ إليه .
 ٩ - أكثر الروايات تثبت جعلت قبل قرة عيني كما ذهب كثير من الحفاظ إلى أن ذكر ثلاث من دنياكم
 وهم خطأ ومفسد لمعنى الحديث والحديث من النوع الذي اشتهر على ألسنة الناس وقد رواه عدة من الرواة
 بطرق مختلفة وعبارات متباينة انظر كشف الخفاء ج ١ - ٤٠٥
 ١٠ - في خ ريجيه ١١ - في خ إيماء

لا لا أبوح بحب بشنة إنها أخذت علي موافقا وعهودا (١)

ولهذا السر لا ترى وجود شيء إلا من النكاح (٢) فمنه وقع التناسل بين الحيوانات تناسل بين النون (٣) والقلم والتعليم لا بد فيه من تناسل بين النطق والسمع ينتج الفهم والعلم ولهذا لا (٤) ترى كاملاً (٥) قوى النور إلا رغباً (٦) في النكاح وهم سلموا من رق الشهوات ومتابعة الهوى ولكن (٧) لهذا السر الدقيق .

ستكفيك من ذاك الجمال إشارة ودعه مصوناً بالجلال محجبا (٧)

والسلام .

وأما الآيات التي تشير إلى المقامات المتقدمة فقد قال تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٨) وقال تعالى : « قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن » (٩) (إلى آخر السورة) (١٠) وقال تعالى : « فله الاسماء الحسنى » (١١) ؟ وقال تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب » (١٢) . وقال تعالى : « يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً ضفصفا ؟ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً إلى وعنق الوجوه للحي القيوم » (١٣) وقال تعالى : « ولو أردنا أن نتخذ لهم آية (١٤) لاتخذناهم (١٥) من لدنا إن كنا فاعلين » (١٦) وقال تعالى : « قل الله » (١٧) وقال تعالى : « قل هو الله أحد » (١٨) وقال تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك » (١٩) وقال تعالى : « ورفعنا لك ذكرك » (٢٠) . وقال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً » (٢١) .

١ - البيت بليل بثينة الشاعر الغزلي المشهور ٢ - في خ من النساء ٣ - في ز النور .

٤ - في ز (مد) بدل (لا) ٥ - في ز كامل ٦ - في خ راقبا .

٧ - في ك (ولاكن) .

٨ - ورد هذا البيت في الجزء الثاني من شرح الحكم العطائية لابن عباد ولم ينسب لقائله انظر ذلك الك ح ١٩ .

٩ - الشورى ٤٢ : ١١ ١٠ - الإسراء ١٧ : ١١٠ ١١ - في خ الخ .

١٢ - الاعراف ٧ : ١٨٠ في ولكن في المصحف (وقه الاسماء الحسنى) بالواو بدل الفاء .

١٣ - النمل ٢٧ : ٨٨ ١٤ - طه ٢٠ : ١٠٥ ١٥ - في خ ولدا ١٦ - في ز لا تحته .

١٧ - الأنبياء ٢١ : ١٧ ١٨ - الرعد ١٣ : ١٦ ١٩ - الاخلاص ١١٢ : ١

٢٠ - محمد ٤٧ : ١٩ ٢١ - الشرح ٩٤ : ٤ ٢٢ - الاسراء ١ : ١ .

وقال : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب » (١) . وقال تعالى : « إن الله وملائكته يصلون على النبي » (٢) وقال تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له » (٣) الآية . وقال تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (٤) وقال تعالى : « الرحمن علم القرآن » (٥) وقال تعالى : « وهو الغفور الودود ذو العرش » (٦) لا إله إلا هو رب العرش الكريم » (٧) . وقال تعالى : « إنه لقرآن كريم » (٨) . وقال تعالى : « وهو رب العرش العظيم » (٩) . وقال تعالى : « وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » (١٠) .

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت من يعبد الوثنا (١١)
لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعاً وسجوداً (١٢)

ومن هذا المشهد الذي هو آخر ما أومأنا إليه تحصل الأشياء في عالم التشيت من التناكح وإليه يشير حديث « حبيب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة » (١٣) أي لا بها حاشاه صلى الله عليه وسلم وإذا ترقى (١٤) العارف عن المقامات المتقدمة يقع في حال يتلاشى باطن علمه ويضمحل حتى لا يبقى عنده شيء ولا يرجو شيئاً أمامه وهذا مقام يأس العبد عن العلم بالله فقد طويت الحقائق والمعارف والواردات والأسرار كطي السجل للكتاب « كما بدأنا أول خلق نعيده » (١٥) . الآية . « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة » (١٦) الآية . « حتى إذا استأيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » (١٧) الآية . وهنا واد (١٨) الحيرة وإليه يشير : « وقت من أوقات النهار لا ترى فيه شيئاً ساجداً » (١٩) لله حتى الظلال . وفي ذلك علوم يكشف الله بها عبده لا يجوز أن ترسم ولا أن تذكر لا إله إلا الله وسبحان الله ما أعظم شأنه

-
- ١ - الكهف : ١٨ : ١ - ٢ - الأحزاب : ٣٢ : ٥٦ - ٣ - البقرة : ٢ : ٣٤٥ - ٤ - طه : ٢٠ : ٥٠ .
 - ٥ - الرحمن : ٥٥ : ١ - ٦ - البروج : ٨٥ : ١٤ - ٧ - المؤمنون : ٢٣ : ١١٦ .
 - ٨ - الواقعة : ٥٦ : ٤٤ - وسقط ما بين القوسين من خ - ٩ - التوبة : ٩ : ١٢٩ .
 - ١٠ - الواقعة : ٥٦ : ٧٦ - ١١ - لقد سبق أن هذا البيت ينسب للصوفية إلى زين العابدين .
 - ١٢ - البيت لكثير عزة الشاعر الغزلي المشهور - ١٣ - سقطت هذا الحديث من ز وقد سبق الكلام عليه .
 - ١٤ - سقطت ترقى من خ - ١٥ - الأنبياء : ٢١ : ١٠٤ - ١٦ - آل عمران : ٣ : ١٤٢ .
 - ١٧ - يوسف : ١٢ : ١١٠ - ١٨ - في خ ودي - ١٩ - في خ ساجد لعل هذا من كلام الصوفية .

قال تعالى : « وظلالهم بالغدو والآصال » (١) اللهم إني أعوذ بك من البعد بعد القرب
ثم تتجدد أحوال وواردات وأسرار آيات (٢) يقع له فيها الدهش فان (٣) كل سير بحسب
الفترة قبله فإذا بالذات وحدها . (٤)

فصل في الجذب (٥)

فيرجع العبد إلى الذات رجوعاً لا يعرف له سبباً ولا كيفية ولا وقتاً ولا أصلاً
ولا فضلاً ولا شعور له بشيء غير أنه لم يجد إلا الذات بالذات (٦) في الذات فصاحب
هذا المقام مشهده ووجوده وأفعاله وأقواله وأحواله وأسراره ومقاماته الذات وإن إلى
ربك المنتهى وعلوم هذا المقام ومعارفه وأسراره وأحواله ووارداته (٧) وحقائقه يقطع
بعلوم من نطق بشيء منها فالغالب على أموال أهله السكوت ولا ينتهي الكلام في هذا
لأن الله تعالى لا نهاية له ولا لما يهب لأحبائه وأصفياه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ، وفي ذلك سير لا ينتهي بموت صاحبه أو يكون قطعاً غوثاً فرداً جامعاً خليفة
عن الله تعالى حاملاً لأعباء الألوهية أمانة يكون بها عين الرحمة الربانية الحافظة بمركز
الفهوم (٨) والمعاني ونور الأكوان المكنونة الأدمي (صاحب الحق الرباني) (٩) البرق
الأسطع بمزون الأرباح المائلة لكل متعرض من البحور والأواني وعين الحق التي
تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوام لا إله إلا الله ما أكرمته وأجوده
وسبحانه وله تعالى الحمد والمنة وصلى الله على سيدنا محمد وجوزي (١٠) عنا ما هو
أهله ورضي الله عن سيدنا الرضوان الأكبر وقد عن لي أن أكتب الفاظاً من الأوراد
التجانية كما فعل غيري تدل على كونها بلغت الغاية في الحمد والشكر فكلها تشير إلى
المعنى الذي هو الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام .

-
- | | | |
|------------------|----------------------------------|----------------------|
| ١ - الرد ١٣ : ١٥ | ٢ - في خ وإسراءات وفي ز وإسراءات | ٣ - في ز قال . |
| ٤ - في خ وحده | ٥ - في ز يجذب | ٦ - سقطت بالذات من ح |
| ٨ - في ز بفهوم | ٩ - سقط ما بين القوسين من ك ، ز | ١٠ - في خ وجزي . |

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما
أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق
قدره ومقداره العظيم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته السلام عليك
يا خليفة الشيخ الصديق الأكبر اللهم صل وسلم على (عين الرحمة الربانية والياقوتة
المتحفة الحافظة بمركز الفهوم والمعاني) (١) الخ .. يا من أظهر الجميل وسترى القبيح
الخ ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ، عدد ما علم وملء ما علم وزنه ما علم فنعم الرب ربي ونعم الحسب حسبي
لك الحمد أضعاف ما حمدك به الحامدون (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (٢) الخ
(إنا أنزلناه في ليلة القدر إلى سلامٍ هي حتى مطلع الفجر) (٣) «إنا اعطيناك الكوثر» (٤)
« قل هو الله أحد الله الصمد » (٥) استغفر الله العظيم الخ لا إله إلا الله سيدنا محمد
رسول الله (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) (٦) وبإقرارى بسريان
قيوميتك في كل شيء لا إله إلا الله الأول الآخر الظاهر الباطن وبلوغ العبد إلى المقام
الذي أومأنا إليه قبل صار في مقام العجمية فالحضرات (كلها لها (٧) أذواق وإشارات
وعبارات (٨) وبالأصول إلى هنا) (٩) قد انقطعت العبارات والاعرابات وأنا أسأل الله
تعالى بلسان فقر الوجود إليه وتوسلاً إليه به أن يحود علينا ويمن علينا به سبحانه فإنه
تعالى حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله خيرة خلقهم (١٠) صحابة الهادين المهتدين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ،
وهذا ما سمح به الوقت ، ولا ينتهي هذا التأليف وفي وقت آخر يفعل الله ما يريد ،
وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . اهـ .

-
- ١ - في ز ، خ (عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الاقنوم) بدل ما بين القوسين .
٢ - البقرة ٢ : ٢٥٥ - ٣ - القدر ٩٧ : ١ - ٥ - ٤ - الكوثر ١٠٨ : ١ - ٥ - الاخلاص ١١٢ : ١
٦ - الصافات ٣٧ : ١٨١ - ٧ - في ز كل لها - ٨ - في خ وبإبراءة
٩ - سقط ما بين القوسين من ك وجاء بالهامش من خ - ١٠ - سقط واو من ز .

تعليقات على كتاب السر الأكبر

لا شك إن الشيخ ابراهيم إنياس قد برهن بهذا الكتاب على أنه سيد العارفين في عصره ، خصوصاً في الطريقة التجانية ، حيث لم نجد أحداً جاء بمثل ما جاء به ، أو عارضه فيه ، لا في الطريقة التجانية ، ولا في غيرها ، بل إن التجانيين قاطبة تقريباً في أي مكان من أنحاء العالم سلموا له وأذعنوا تحت سيطرته الروحية ، وأيدوه جميعاً في دعوته ، وتلمذ كثير منهم له ، وأخذوا عنه ، ولم يقتصر ذلك على أبناء جنسه السود فحسب ، بل كان البيض من سلائل شيوخ شيوخه أيضاً أشد تصديقاً له ، وأكثر أخذاً عنه ، من غيرهم وأخلص طاعة له وأشد تفانياً في حبه .

وإن المباحث التي ناقشها في هذا الكتاب من أعقد المباحث الفلسفية التي ألبسها الصوفية ثوب خيالهم وهو وإن كان سياق كلامه في الكتاب يدل على أنه لم يكن ملماً بالفلسفة من حيث هي فلسفة شأن كثيرين غيره من الشيوخ الصوفية الذين جاؤوا بأخرة إلا أنه في نفس الوقت يدل دلالة واضحة على أن كلامه حول هذه المباحث كلام عارف بما يقول ، ولم يكن أبداً صدورها منه رمية من غير رام ، خصوصاً أنها مع تعقيدها قد استطاع أن ينفخ فيها من روحه ما أكسبها جدة ، حتى ظهرت فيها إمارات الابتكار والتجديد .

وقبل أن نخوض في التعليقات يجدر بنا أن نلقي ملاحظات عامة حول الكتاب فنقول :

١ - إن الشيخ يهدف بالكتاب إلى الدعوة إلى نفسه والتعريف بها كما قررنا في افتتاح كلامنا في دراسة الكتاب ، فإلى كل ذلك يرمي بقوله : « وما بعد كمال القطة

إلا الفرار من النفس وهواها والشيطان إلى الله تعالى ، والفرار إلى الله هو الفرار إلى كامل العصر ... فيأتي لخليفة من خلفاء الشيخ أي التجاني وارث ولا بد من سلب الإرادة والتأدب ظاهراً وباطناً وتوفية ما تلقى إليه من الشروط الخ « (١) وكذلك قوله : « وهذه الحضرة هي التي أشار إليها الشيخ أي التجاني بقوله لا ينال مني أحد شيئاً إلا بواسطة سيدي علي حرازم وقوله « ما خلقت سواه » وقوله « هو مني بمنزلة أبي بكر من رسول الله ، ولا غرو أن يخلف هذا الرجل غيره ، فافهم فحقيقة هذه الحضرة أنها ظل الشيخ أي التجاني ومظهره في كل زمان ومكان ، والموجودات بأسرها مطوية في رجل تلك الحضرة ، وهكذا إلى قوله : « وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا » (٢) . وإلى هذا أيضاً يرمي بقوله في ديوانه الموسوم بتيسير الوصول .

ولم لا وعز العبد عز مليكه فطوع يميني الكون عبداً مسودا (٣)

٢ - الكتاب يتمتع بشيء لا يستهان به من آثار الابتكار والتجديد فمثلاً إن القاعدة التي أوردتها فيه التي تلزم المقدم الانطماس في الشيخ التجاني قبل تلقين الورد ليظل المريد حراً في نفسه ، يشعر بأنه تلميذ للشيخ التجاني وحده لا للملقن ، والتي منحت للمريد حق التحول من المقدم الذي لقنه الورد إلى مقدم آخر إذا لم يجد مراده عند الأول (٤) يبدو أنها من ابتكاره فكأنه يريد بذلك أن يسهل للمريد الذي يريد رفض مقدمه الذي عاشه مدة طويلة ، ولكنه لما ينشرح صدره للانتظام في سلك أتباع الشيخ الناصرين لدعوته وهو يريد ذلك ، ما سوف يجده في نفسه من الصعوبة في ذلك.

وكذلك تلك الحضرة الرابعة التي تكلمنا عليها آنفاً في الملاحظة الأولى التي سماها بظل الشيخ التجاني ، وكذلك ما أوردته في الكتاب وسماه التشكلات المحمدية ، وتشكلات دائرة الاحاطة ، والدلائل تشير إلى أن في ذلك شيئاً لا يستهان به من ابتكاراته ، وخصوصاً إذا نظرنا إلى أنه أدخل نفسه فيها مثل قوله : « وثالثها جبريل إبراهيم الصديق » (٥) .

٣ - يبدو أن الكتاب عبارة عن أفكار منفصلة كانت ترد عليه في أوقات متفرقة

فجمعها في غُصُون ستين ابتداء من سنة ١٣٥٠ إلى ١٣٥٢ هـ بل هناك ما يدل على أن بعض مواد الكتاب كانت موجودة قبل ذلك بوقت طويل مثل بعض الأبيات التي تدل ركافة نظمها على أنه قد نظمها في حديثه ، وقبل نضوج فكره ، (٦) فإنه قد انتهى من تأليف هذا الكتاب سنة ١٣٥٢ هـ كما جاء في آخر النسخة الكنوية ، وقد أشرنا إلى ذلك في دراسة الكتاب ، ثم نجده يذكر أن بعض الموضوعات التي تكلم عليها أملاها عليه الوارد سنة ١٣٥٠ هجرية ، مثل فصل حقيقة السلوك من أوله إلى آخر المقامات (٧) وكذلك واقعته التي لخص فيها كلامه في الحضرات وتجلياتها وتنزلاتها (٨) ومثل دعاء دائرة المطالب ومركز الرغائب في التضرع إلى حضرة الشاهد الغائب ، فإنه أورده في هذا الكتاب مع أنه ألفها في سنة ١٣٥٠ أيضاً (٩) ، وأحياناً لا يذكر التاريخ بل يكتفي فقط بقوله « انتهى هذا ما أملاه على الوارد والسلام (١٠) » فنعرف بذلك أنها فكرة منفصلة وهكذا .

التعليقات

١ - قسم الشيخ الوسيلة إلى ثلاثة أقسام وهي : -

أ - متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل .

ب - ملازمة الذكر بالإذن الصحيح من الكمل .

ج - مصاحبة العارف بالله .

وبإمكاننا أن نستنتج الأمور الآتية من هذا التقسيم .

أ - ظاهر كلامه يدل على أن كل واحدة من هذه الوسائل الثلاثة قائمة بنفسها ، بمعنى أن من تابع النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل ، يصل إلى الله ، وتكون تربيته بذلك وأن من عكف على الذكر بالإذن الصحيح من الكمل المراد به شيخ الطريقة ، مثل الشيخ التجاني أي إن من واظب على الذكر المأخوذ عن أمثال الشيخ التجاني ولو بواسطة يصل إلى الله وتكون تربيته به وأن من صاحب كامل العصر العارف بالله توصله هذه المصاحبة إلى الله وتكون تربيته بها وهكذا .

ب - إن الذكر بغير إذن من الكمل لا ينفع أو بعبارة أخرى لا يوصل فاعله إلى الله تعالى :

ج - وأن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل على درجة واحدة مع مصاحبة العارف بالله بمعنى أن كل واحدة توصل على حدتها .

ولكن الذي يقتضيه العقل والشرع هو أن يكون القطبان الأخيران ملازمة الذكر

ومصاحبة الكامل العارف بالله متدجين في القطب الأول الذي هو متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل إذ أن من أقوال الرسول التي يجب على المسلم أن يقتدي به فيها الذكر بأنواعه ومصاحبة العارف بالله إن لم تكن ليعلمه أقوال الرسول وأفعاله فلا فائدة فيها . ولعل الشيخ يهدف من وراء هذا التقسيم إلى الدعوة إلى طريقته وإلى نفسه أيضاً فهو إذن ملحق بما قررنا في الملاحظة الأولى (١١).

والحق في المسألة هو أن كل من أراد أن يقف على سر وحدة الوجود الصوفية فعليه أن يتلمذ في ذلك لشيخ التربية الصوفية فقط وأما القول بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل وملازمة الذكر فيبدو أن الشيخ قد جاء به ليستر به ما يهدف إليه من الدعاية لطريقته والدعوة إلى نفسه فقط ، وإلا فكيف يحفل ذلك الشيخ عمر القوتي ويقول : « لا يصل السالك الناسك إلى حضرة الله وحضرات صفاته وأسمائه ولو جمع علوم الأولين وصحب طوائف الناس وعبد عبادة الثقيلين إلا على أيدي أصحاب الإذن الخاص » (١٢).

٢ - أورد الشيخ في هذا الكتاب ما سماه بالدائرة الفضلية وبين أن هذه الدائرة كانت واقعة وراء دوائر عموم الخلق وهي دائرة الأمر والنهي والخير أو شرأ والاعتبارات واللوازم والمقتضيات ومن خصائص هذه الدائرة أن الله لا يحاسب من دخل فيها على أعماله أياً كانت سواء جاء بالأعمال الصالحات أو بالسيئات وسواء وفي بالعهود أم غدر بها انتهج الصراط المستقيم أم حاد عن الصراط السوي وسقط في المعاصي والأعمال الموبقات وهو ناج على كل حال وأن من وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت سعادته في الدارين وقرر أن التجانيين وقعوا فيها ولذلك كانت عباداتهم إنما يقومون بها شكراً لله فقط لا أداء للواجبات الدينية التكليفية لأنهم ناجون على أي حال (١٣).

أورد الشيخ عمر القوتي هذه الدائرة في كتاب الرماح وكلامه يدل على أنها من ابتكاراته لأنه لم ينسبها إلى أحد كمادته ولا يفهم القارئ من سياق الكلام أنها منقولة من أحد ونقلها الشيخ من هناك بالفاظها وحروفها ثم نسبها إلى الشيخ التجاني ولكننا لم نقف على مصدر لها غير كتاب الرماح حسب ما بحثنا في أمهات كتب الطريقة التجانية

وعلى أي حال فإذا ثبت أنها من كلام الشيخ التجاني فلإننا نرجح أن يكون مصدرها كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية للسيد الطيب السفياني ذلك لأن الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف الجزائري التجاني نزيل مصر قد تعدد حذف مسائل كثيرة من ذلك الكتاب قبل أن ينشره خوفاً من لداعة نقد المنتقدين لشيخهم التجاني ، كما شرح بعض المسائل بتفسير لم يقل به أحد ممن سبقه من شيوخ التجانية بل لا تقبله اللغة والعقل أيضاً (١٤) .

وعلى أي حال فإن هذه الدائرة خارجة من دائرة الإسلام قطعاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرفها ولذلك لم يعلم أصحابه بها ولا بطبيعتها ، وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : « رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته » (١٥) . وقال : « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (١٦) وقال : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما أفحكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً فلا يشرك بعبادة ربه أحداً » (١٧) وقال : « وأن ايسر للانسان إلاما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » (١٨) وقال : « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً » (١٩) وقال : « إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون » (٢٠) قال : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب عظيم » (٢١) .

روى مسلم عن ربيعة بن مالك الأسلمي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سل » . فقلت أسألك مرافقتك في الجنة فقال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود » (٢٢) .

إذا نظرنا إلى هذا الحديث نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أمر أحد أصحابه بأن يسأله ما يشاء فسأله أن يرافقه في الجنة فطلب منه الرسول أن يسأل شيئاً آخر غير ذلك فأصر الصحابي على أنه لا يريد غير الذي سأل فما وعده الرسول بالحصول على غرضه بل أمره أن يساعده على تحقيقه بكثرة السجود .

نفهم من هذا الحديث أن الرسول يريد أن يبين للمسلمين أن دخول أحد الجنة

ليس في يده وإنما هو أمر يختص به الله تبارك وتعالى وبالتالي لا يوجد في الإسلام من يقطع بأنه يدخل الجنة على كل حال سواء أطاع الله أم لم يطعه ولأجل ذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه هذا إلى ما أرشده الله هو ، وهو وقوله تعالى في الآية السابقة آنفاً : « فاعبدوا واصطبر لعبادته » وقوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » .

وأما العصيان فإن الله قد بين بصراحة لا تحمل التأويل أن النبي صلى الله عليه وسلم لو عصاه عمداً لعذبه في الدنيا والآخرة بعذاب مضاعف وقال تعالى : « لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » (٢٣) . وقال : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٢٤) وقال : « قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » (٢٥) وقد وقع بعض الصحابة في العصيان فربطوا أنفسهم بسارية المسجد وهجرهم الرسول والمسلمون حتى أتى العفو عنهم من الله تعالى وتكفينا شهادة على هذا قصة أوائك الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم الذين سماهم الله : « الثلاثة الذين خلفوا » . وهم كعب بن مالك ومرارة بن ربعية العامري وهلال بن أمية الواقفي من الأنصار وذبهم الذي أخذوا به هو تخلفهم عن مرافقة رسول الله في غزوة العسرة التي تعرف بغزة تبوك (٢٦) .

على أننا بالنظر الفاحصة لهذه القصة نستنتج الأمور التالية :

١ - أنهم مؤمنون وليسوا من المنافقين بل ما اتهم أحد منهم بالنفاق بدليل أن الرسول عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات لما سأل عن كعب بن مالك قال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداء والنظر في عطفه كأنه يريد بذلك أنه مطعون عليه في دينه (٢٧) فقال معاذ بن جبل أحد علماء الصحابة رضي الله عنه لذلك الرجل بشئ ما قلت ثم أقبل على النبي وقال : « والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً » (٢٨) :

٢ - إن رسول الله يعلم أنهم مؤمنون بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قبل هذر المخلفين وبايعهم واستغفر لهم وسكت عنهم لعلمه بنفاقهم وعدم فائدتهم عند المسلمين ، وأما عن هؤلاء الثلاثة فإن كعباً يقول عندما أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وسلم عليه تبسم تبسم المغضب » (٢٩) فدل ذلك على أنه يعلم أنهم مؤمنون وإنما غضب عليهم لموافقته المنافقين في خذلانهم إياه وأصحابه .

٣ - إن العفو عن الذنب بيد الله لا بيد الرسول بدليل أنه لما سمع كلام كعب قال : « أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك » (٣٠).

٤ - إن الله لم يغفر لغير هؤلاء الثلاثة من المخلفين الذين كان عددهم ثمانين رجلاً كما جاء في البخاري بدليل قوله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة إلى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا » (٣١).

٥ - إن الله ما قبل توبتهم إى الثلاثة إلا بعد معاقبتهم على ذنبهم لأن النبي أمر أصحابه بهجر انهم والكف عن كلامهم خمسين يوماً ، وفي اليوم الموفى للأربعين أمرهم الرسول باعتزال أزواجهم في المضاجع واستمروا على هذه الحال إلى تمام الخمسين يوماً وهم في ضيف شديد وغم عظيم فقال تعالى : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب الله عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » (٣٢).

٦ - إن هؤلاء الثلاثة لو لم يتوبوا توبة نصوحا لما غفر الله لهم بدليل أنه تعالى لم يغفر لبقية المخلفين الذين جاءوا إلى النبي يعتذرون ويخافون على الكذب لعدم توبتهم النصوح .

٧ - أو كان الأمر في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لغفر لهم جميعاً بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عندما نزل قوله تعالى : استغفر لهم أولاً تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين » (٣٣) لو أعلم أنني لو زدت على السبعين غفر أزدت عليها (٣٤).

٨ - إن هذه الآية دلت على الأمور الآتية :

أ - إن المنافق كافر .

ب - إن استغفار أحد من الناس مهما كبر أو صغر لا ينقذه من عذاب الله إلا توبته النصوح من عند نفسه .

ج - إن من ارتكب ذنباً كبيراً عمداً لا ينقذه استغفار أحد من الناس إلا بتوبته هو

٩ - إن الله أخر توبتهم خمسين يوماً وهجرهم الرسول وأصحابه ليظهر لإيمانهم متى يقف المسلمون وقوفاً لا شك فيه على أنهم مؤمنون حقاً بدليل أن كعباً قد أرسل إليه ملك غسان - وهو في هذا الضيق الشديد والكرب الحسيم - رسالة يدعو إليه فيها ليواسيه إذ جفاه الرسول وجعله الله بدار هوان (٣٥).

فبدلاً من أن ينشرح لذلك ويرتاح ويعتبره وجود المراغمة والسعة اعتبره فتنة ومصيبة أشد من الأولى .

وكان أبو الدرداء ذلك الصحابي الجليل يقول : « أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث أضحكني مؤمل الدنيا والموت بطلبه ، وغافل ولا يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أسأخط ربه أم راض ، وأبكاني هول المطلع وانقطاع العمل وموقفي بين يدي الله لا يدري أيامر بي إلى الجنة أم إلى النار (٣٦). والرواية عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان في مثل هذا كثير جداً .

فإن هذه النقول من الآيات البيّنات والأحاديث الصحاح والحقائق التاريخية الوثيقة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تدل دلالة قطعية على أن الأوامر والنواهي والجزاء على الأعمال الخيرية والشرية وهذه الاعتبارات واللوازم والمقتضيات هي القواعد الأساسية التي قام عليها صرح الشرع الإسلامي وهي الميزان العادل للتمييز بين المسلم الصالح وبين المسلم الطالح معني أن المسلمين على اختلاف فرقهم ومذاهبهم وتخلطهم اتفقوا على أن المسلم التقي الصالح المطيع ناج وهو من أهل الجنة إذا مات على ذلك ، وأن العاصي الذي تاب قبل موته أيضاً كذلك وهو ملحق بالأول ، والعاصي الذي مات مصرأً على عصيانه ولم يتب هو موضع الخلاف بين فرق المسلمين ، وأما رأي أهل السنة والجماعة فيه فهو أن أمره موكل إلى الله إذا شاء عفا عنه وإذا شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجهم من النار إلى الجنة بإيمانهم ، وهذا الحكم عام بالنسبة لجميع أفراد المسلمين الذين سلمت عقيدتهم ، وليس مخصوصاً بطائفة معينة ولذلك كل من جاء بعد هؤلاء وقرر أن هناك طائفة معينة قد رفع الله عنها التكليف وهي ناجية على كل حال سواء كانت على الصراط المستقيم أو نكبت عن النهج القويم وسواء أطاعت الله أم

عصته وهذا لا يقبل قوله لأنه خارج من صفوف أهل السنة والجماعة بالمرة .

هذا يفضي بنا إلى النتيجة النهائية ، وهي أن هذه الدائرة الفضلية وصفتها وخصائصها وطبيعتها كما قررها الشيخ خارجة من دائرة الإسلام إذ لا يعرفها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان ، ولا يعرفها أئمة السنة من سلف الأمة الإسلامية ومن كان على نهجهم إلى اليوم .

ولكن ليس معنى ذلك أنني أنكر أن هذه الدائرة موجودة في الطريقة التجانية وأن الطريقة قد نشأت منها كما قرر الشيخ لأنه أعرف بذلك ، ولا شأن لي بالطريقة أصلاً ولكنني أنكر أن يكون في الإسلام شيء مثل هذه الدائرة حتى تكون الآيات القرآنية هي الدالة عليها .

ومن الجدير بالتنبيه عليه هنا أن شرط الدخول في هذه الدائرة هو محبة الشيخ التجاني والتعلق به ، وعدم إنكار دعوته الشيخ إبراهيم فقط لا الإيمان بالله ورسوله والقيام بأداء ما علم من الدين بالضرورة من الفرائض والواجبات .

٣ - تكلم الشيخ على الصدق في الطريقة التجانية حيث بين أن سرعة ظفر المريد بمطلوبه يتوقف على صدقه (٣٧) ووضح هذا الصدق بقوله : « والصادق في طريقنا من أراه الله الورد اللازم أكبر الأسرار والشيخ التجاني هو عين السر فلا يتشوف المرء الغرائب والغيوبات ويستخف بالسر الحقيقي فإن حصل الصدق يقطع المقامات آمناً من العثرات في أسرع مدة (٣٨) وقال في معرض شرحه للمنازل التي تقع بين المقامات : « وحقيقة الصدق أفراد الوجهة إليه كل شيء هالك إلا وجهه » (٣٩) وقال قبل ذلك فيلقى المريد - نفسه سلماً بين يدي شيخه النائب عن الشيخ الختم التجاني في علم الحس والشيخ المرابي للمريد حقيقة هو الشيخ التجاني وهو معه دائماً ما تذكره في قلبه واعتقد أنه بين يديه وهنا سر كبير للمريد التجاني قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وفي الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي » . (٤٠) وقال « مطلب المريد الشيخ التجاني لا غير » (٤١).

وهل معنى كل هذا أن الشيخ يريد أن يرشد المريد التجاني إلى الاعتقاد بأن الشيخ

التجاني هو الذي يفتح عليه بهذه العلوم وغيرها بظهر الغيب في حياته وبعد مماته ، وظاهر كلامه يدل على ذلك ، ويؤيده قول الشيخ عبيدة في (ميزاب الرحمة) عندهما يتكلم على الفرق بين التربية في الطريقة التجانية وبينها في طريقة الشيخ الساحلي حيث قرر أن المريد في الطريقة الساحلية يتوقع الفيض من الله وأما في الطريقة التجانية فيكفيه أن يستحضر صورة الشيخ التجاني ويرفع إياه شكواه « (٤٢) » وقد سبق هذا ولعل أصل كل هذه العقائد هو ما جاء في جواهر المعاني من اعتقادهم أن الشيخ التجاني هو الخليفة عن الله في جميع المملكة الإلهية بلا شذوذ ومتصف بجميع أسماء الله وصفاته حتى كأنه عينه ومن أجل ذلك دعا جواهر المعاني المريد التجاني أيضاً إلى أن يستحضر صورة الشيخ التجاني وأنه جالس بين يديه ويستمد منه من أول الذكر إلى آخره كما طلب منه أيضاً أن يستحضر صورة النبي صلى الله عليه وسلم على الكيفية السابقة « (٤٣) » ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر أحداً من المسلمين بأن يستحضر صورته ويستمد منه في أي نوع من أنواع العبادات لأنه إنسان مثل كل فرد من أفراد أئمة بنص محكم التنزيل وقال الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما ألهمكم إله واحد » « (٤٤) » وقد روى الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف الجزائري التجاني نزيل مصر مثل ذلك فقال : « وأما كيفية استشارته أي الشيخ التجاني فإنه قال : من أراد أن يشاورني وكان بيبي وبينه بعد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ثم يذكر حاجته وهو مشخص نفسه بين يدي فإلجواب ما يقع في قلبه .

ومعنى ذلك كله أن جميع شيوخ الطريقة التجانية كانوا على هذه العقيدة .

٤ - لقد صرح الشيخ بتكفير من وصل إلى مقام الفناء فقال : « وصاحب هذا المقام كافر شرعاً لنفيه الأسماء والصفات وقتله الأنبياء وهو المؤمن حقيقة لأنه أثبتها حقيقة وقتله الأنبياء قتل بالحق لا بغير الحق « (٤٩) » . والمراد بالمقام هو اعتقاد من وصل إلى الفناء أنه هو الله لا إله إلا هو وحده لأنه حينئذ لا يرى شيئاً إلا الله ولا يرى نفسه ولا سواه ويرى أن لا كون ولا أثر ولا فعل ولا صفة « (٤٧) » واعتقاده أيضاً أن حقيقة هذا الكون تمثال فقط « (٤٨) » .

ونحن نوافق الشيخ في تكفيره لصاحب هذا المقام ونقر حكمه بذلك ونقرر بالتالي

أنه لن يعود إلى الإسلام إلا إذا تاب من هذا الاعتقاد الباطل توبة نصوحاً ، وأعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا تردد أن الله تعالى غير خلقه وخلقه غيره أي إن الله تبارك وتعالى شيء وخلقه شيء آخر لا علاقة بينهما إلا العلاقة التي بين الموجد والموجد وبين الخالق والخلق كما بينه في كتابه العزيز (٤٩) لأن كل من اعتقد أن العالم هو الله أو بعارة أخرى أن المخلوقات إلى الإسلام إلا إذا تاب من هذا الاعتقاد الباطل توبة نصوحاً ، وأعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا تردد أن الله تعالى غير خلقه وخلقه والموجد وبين الخالق والخلق كما بينه في كتابه العزيز (٤٩) لأن كل من اعتقد أن العالم هو الله أو بعارة أخرى أن المخلوقات بأسرها هي الله فلا يخرج من أحد شيئين فكل واحد منهما كفر وخروج من الدين فإما أن يعتقد أن العالم حادث فعلي هذا جعل الله حادثاً في اعتقاده وهو كفر صريح ، وضلال مبين ، وأما أن يعتقد لا محالة أن العالم قديم وهو أيضاً ردة وخروج من الدين ، وجاء في مختصر الخليل : « وقول بقدم العالم ، أو بقاءه أو شك في ذلك » (٥٠) ولكن لا تظن أن هذا الحكم خاص بمذهب مالك لا بل قد أجمع على ذلك أهل السنة والجماعة قاطبة وقال شيخ الإسلام عبد القاهر ابن الطاهر البغدادي الأسفرائيني من علماء القرن الخامس الهجري عند كلامه على الأركان الخمسة عشر التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة وجعلوا كل من خالفهم فيها كافراً أو ضالاً : « وأما الركن الثاني وهو الكلام في حدوث العالم فقد أجمعوا على أن العالم من شيء غير الله عز وجل ، وعلى أن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته من مخلوق مصنوع وعلى أن صانعه ليس بمخلوق ، ولا مصنوع ولا هو من جنس العالم ولا من جنس شيء من أجزاء العالم » (٥١).

وأما قوله : « وهو المؤمن حقيقة وقتله الأنبياء قتل بالحق لا بغير الحق » (٥٢). فلا تفهم له وجهاً معقولاً إذ لا حقيقة في الإسلام إلا الحقيقة الشرعية وكل ما ثبت بالنصوص القطعية المحكمة وأجمع أهل السنة والجماعة عليه هو الحقيقة التي لا حقيقة بعدها في الإسلام وأما التقسيم الذي يوجد في كتب الصوفية مثل قولهم الشريعة والطريقة والحقيقة فهذا لا شك من تعاليم غلاة الباطنية كما سبق واخترعوه ليصرفوا المسلمين عن المراد الحقيقي بالقرآن والسنة وليس من تعاليم الإسلام في شيء وإنما وجد طريقه

إلى التصوف الإسلامي من طريق هؤلاء الباطنية (٥٣) ولذلك إذا نظرنا إلى معنى هذا التقسيم نراه ينطوي على نتيجة خطيرة هدامة لأركان الإسلام جميعها إذ معنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم علم علماء الشرع شيئاً مجازاً لا حقيقة . وهماً لهم أنه هو الحقيقة القطعية وتركهم يتمسكون بالوهم ويعتقدون الجهل الصريح علماً ثم علم الصوفية الحقيقة التي هي العلم الصحيح الذي لا وهم فيه فأغرى بذلك أولئك الجهال الوهميين على هؤلاء العلماء العارفين المحققين يقتلونهم ويكفرونهم ويضلونهم .

فإذا كان مراد الشيخ يقتل الأنبياء نفي إرسالهم إلى الخلق لأن النتيجة الثابتة التي لا ريب فيها أسفرت عن أن العالم هو الله والله هو العالم ولا فرق بين الخالق وبين المخلوقات حتى يوجد إله منفصل عن الخلق يختار من بينهم رسلاً يرسلهم إلى إخوانهم بالأوامر والنواهي ، وكانت هذه الحقيقة الثابتة النهائية التي وصل إليها هذا المجذوب الفاني المفتوح عليه في نظرهم هي التي نفت وجودهم وصحة إرسالهم فبأي حقيقة بعدها يثبت إرسالهم ياترى ؟ أو بعبارة أخرى كيف يمكن له أن يتصور أن الله أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الخلق حيث لا خلق ولا خالق والكل واحد وهذا العلم الجديد ثابت في ذهنه يعتقد في جميع تقلباته في الليل والنهار ؟ .

الأمر هكذا الله هو العالم وهو جميع مخلوقاته فكان جزءه يريد أن يقتل النفس ويسرق ويزني ويشرب الخمر ويخون الأمانة ويغدر بالعهد ويخالف الوعد ويكذب ، وهكذا وهكذا ثم أرسل جزءه الآخر إلى هذا الجزء ليمنعه من ارتكاب هذه الأعمال ويأمره بفعل أضدادها وإبلاغه من نفسه أيضاً أنه إذا امتثل الأوامر واجتنب النواهي يثيبه وإذا امتنع عن امتثال هذه الأمور ارتكت تلك المنهيات يعذبه .

ولا أعتقد أن عقلاً يعقل أن الله يرسل نفسه إلى نفسه وبعضه يقبل الرسالة وبعضه يرفضها ويثيب جزءه الذي قبل رسالة نفسه بالنعيم المقيم ويعذب جزءه الذي رفض رسالة نفسه بالعذاب الأليم .

بل إن النتيجة النهائية التي لا يحوم حولها شك هي أن كل من وصل إلى هذه العقيدة واعتقدها لا يؤمن بالله الذي يدعو إليه القرآن فضلاً عن رسالة رسله ولو حاول

وسوف نرى مصداق ذلك عن قريب إن شاء الله تعالى ولذلك كان الهندوس الذين كانت هذه العقيدة تشكل العمود الفقري لفلسفتهم ينفون إرسال الرسل ويجعلونها في جملة المستحيلات (٥٤).

يقول الشيخ : « إن الحق جل وعلا ما حجبه عن المريد وجود موجود معه تعالى عن ذلك علواً كبيراً بل ما حجبه إلا توهم وجود موجود معه » (٥٥) معنى ذلك أن الله ما حجبه عنا وجود شيء يحجبه وإنما حجبه توهمنا أن هناك شيئاً موجوداً غيره تعالى .

والواقع أن الأمر على عكس ما قرره الشيخ ، فإن اعتقاد أن العالم هو الله هو عين الوهم لأن الإنسان أو بعبارة الشيخ المريد أو العبد قبل أن يتصل بالشيخ الذي يغير فكره إلى هذا الوهم يعرف أباه ويشعر بأنه أكرم الناس وأحبهم إليه ، ويعرف أمه ويشعر بأنها أحب الناس وأكرمهم إليه ، وأحفظهم بشفقتهم المخلصة منهم جميعاً ، ويعرف أولاده ويحن عليهم ويخلص لهم المودة أكثر من غيرهم ، ويعرف إخوته وأخواته ويحبهم ويطمئن بهم أكثر من غيرهم ، ويفار على زوجته ، ولا يترك أحداً غيره يباشرها أو يتصل بها ، ويعرف جيرانه ويشعر بالأمن في جوارهم ، ويعرف قومه ويخصهم بمحبته ، دون قوم آخرين ، ويعرف أميره ويبجله ويمثل أوامره ، المنشط منها والمكروه ، وهكذا وهكذا . يعرف هذا كله بالبداية الفطرية ويشاركه في هذه الحقيقة البدئية الفطرية جميع الناس في شتى أنحاء العالم على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم ، وطبائعهم ، وثقافتهم ، في الرقي العقلي والفكري ، في كل زمان ، وهذه الحقيقة البدئية الفطرية لا تتبدل في ذهن المريد أبداً ، بعد التربية وإدراك وحدة الوجود ، بمعنى أنه لا يحترم غير أبيه احترامه لأبيه ، لأنه أدرك سر وحدة الوجود حيث صار الكل شيئاً واحداً وهو الله ، ولا يحب غير أمه ويكرمها كما يحب أمه ويكرمها ويشفق عليها لأنها الآن صارت شيئاً واحداً معها وهو الله ولا يحن على أولاد غيره حنانه لأولاده لأنهم كلهم صاروا شيئاً واحداً وهو الله ولا يترك أحداً غيره بواقع زوجته لأنه لا فرق بينهما وكلاهما شيء واحد وهو الله وهكذا .

ولا يقتصر هذا الشعور على المريد المجذوب وحده ، بل وحتى الشيخ العارف الواصل الكامل يشارك جميع العوام في هذا الشعور والإحساس لأولاده الفطريين ، بل

نجده في كثير من الأحيان أشد من جميع أتباعه حباً وتفضيلاً لأولاده على غيرهم بدرجة أن الأمر في بعض الأوقات يبلغ حد التفرقة العنصرية ، هذا فضلاً من أن يشاطر غيره التمتع بزوجه مع أنه هو الذي يعلم عقيدة وحدة الوجود .

وهذه الحقيقة الظاهرة التي لا يحوم حولها شك ولا تحتاج إلى الدلائل والبراهين تفند هذه العقيدة الهندوسية اليونانية الزائفة .

ثم أنه مهما كثر هذا النوع من الفتح والوصول في بلد نجد نسبة الذين وقفوا عليه أقل بكثير من العشرة في المائة ، ومعنى هذا أن الجزء الأكبر من الله لا يعرف نفسه أي لا يعرف أنه هو الله الواحد القهار أو بعبارة أخرى أن جزءاً قليلاً من الله فقط هو الذي يعرف أنه هو الله وأما أكبر أجزاء نفسه لا يعرف أنه هو الله بل يظن أن له لها آخر وهو الذي خلقه ويقوم بتدبير أموره أليس هذا بأضحوكة ؟ .

وقال شاعرهم يخاطب المحجوب :

يا جاهلاً من داره سكناها	وهو يؤدي أبداً كراها
أتدري من أنت وكيف تدري	وأنت قد عزلت والي الفكر
أليس فيك العرش والكرسي	والعالم العلوي والسفلي
ما الكون إلا رجل كبير	وأنت كون مثله صغير (٥٦)

ثم إننا نرى طائفة من الناس العقلاء ينكرون وجود الله لأنهم لا يرونه ولا يحسونه ويعدون ذلك ظرافة وكياسة مع أننا نجد أيضاً أن في لغة كل أمة وكل قبيلة من الناس يوجد اسم الله وهو غير أوثانهم ولا أصنامهم بحيث أنك إذا تسلقت إلى أكواخ السذج البدائيين في أعالي الجبال تجدهم يعرفون اسم الله وإذا سألتهم أين هو يشيرون إلى السماء ولا يشيرون إلى أنفسهم ولا إلى أوثانهم أو أصنامهم من علمهم ذلك ؟ .

الإنسان إذاً بخير النظيرين تجاه هذا الأمر وهو إما أن يعتقد أن هناك قوة قاهرة حكيمة هي التي أوجدت العالم وتدبره وهي غير العالم وغير كل جزء من أجزائه ولها القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام لاتدركها الأبصار وهي تدرك الأبصار ولا يعرف أحد من الخلق حقيقتها وهي المعبر عنها بالله الواحد القهار وأما

أن يعتقد بكل سهولة أن لا وجود لله أصلاً . كيف وقد قام الدليل العقلي والنقلي على وجوب وجود الصانع للعالم .

تنبيه لقد أتينا الكلمات التي تلت كلمة (القوة) ذلك لمراعاة لفظ القوة فقط حسب القواعد اللغوية وإلا فالله تبارك وتعالى أعز وأجل من أن يوثق شيئاً من أسمائه أو صفاته .

وأما قولنا أن عقيدة وحدة الوجود هذه عقيدة هندوسية فهو أمر واقع لا شك فيه ، لقد أجمع الباحثون المسلمون وغيرهم على ذلك فقال الدكتور علي عبد الواحد وافي : « تقرر أسفار الدين البرهمي أن الله واحد لا شريك له وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات ، وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان ، فالوجود بحق هو الله وحده وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه ، وهذا هو ما يعبر عنه بنظرية وحدة الوجود التي انتقلت إلى التصوف الإسلامي ، ونظريات رجاله وخاصة ابن عربي والحلاج » (٥٧) ويقول الدكتور هنري توماس الإنكليزي في معرض كلامه على الكتاب الهندوسي المقدس (الأوبانيشاد) : « وتعالج مجموعة الأوبانيشاد المسماة اللانهاية للفيلسوف وراء تجميع أجزاء لغز الوجود في صورة كاملة يمكن فهمها ، وتقرأ في إحدى رسائل الأوبانيشاد ... فمن الحكمة إذن أن تعرف قدرتك المحدودة ، إذ أنت نفس منفردة ، وقدرتك التي لا حد لها إذا أنت جزء من النفس العامة فأنت بذرة في غابة من الأشجار الكثيفة ، ونقط في مياه المحيط الذي لا حدود له ، وشرارة في نار الحياة الأبدية .

كل واحد والواحد هو الكل

ولا تختلف الأشياء إلا اسماً

وما ضوء المشعل وضوء الشمس

إلا ليل سائل مشعل واحد » (٥٨) .

ثم استمر الشيخ قائلاً : « وهذا المقام عظيم الغرر لأن غرره على العقائد ، وهو أعظم ما لم يلق عين الرحمة فيه ما يهود وينصر ويمجس فلذلك صاحبه لا يفارق

الشيخ العارف الكامل إن كان له شفقة بنفسه أو دينه » (٥٩).

ونحن نوافق الشيخ أيضاً في أن هذا الفناء خطره عظيم ولا يقتصر على تحويل صاحبه إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية فحسب بل يحوله أيضاً إلى لا ديني ، أو دهرى ، أو طبعي .

ولكن لا نوافق في أن الشيخ العارف الكامل ينقذه من هذه الورطة الجسيمة بل إن الشيخ الكامل نفسه لا يستطيع إنقاذ نفسه من هذه الورطة التي فيها نفسه ، ويلقي فيها تلاميذه ، فضلاً من إنقاذ غيره ، ولا ينقذ من وقع في هذا الخطر أحد إلا الله تعالى وذلك بأن يلهمه رشده ويفهم أنه ناكب عن الصراط السوي ويتوب توبة نصوحاً ، وينسلخ من هذه العقيدة الزائفة إنسلاخاً تاماً والشاهد على ذلك أننا رأينا أن واحداً من تلاميذ الشيخ وهو الحاج محمد الثاني أول قد وقع في هذا الخطر حيث اشتكل عليه أمر جبريل كيف يأخذ الرسالة من الله إلى رسوله مع أنه ما ثم شيء إلا الله وحده وأفضى به ذلك إلى الشك في القرآن نفسه ، فبدلاً من أن ينقذه الشيخ من هذه الورطة دفعه إلى ورطة أخرى أشد تعقيداً من السابقة ، حيث صرح له بأن الأمر مجاز لاحقيقة وقد أوردنا الرسالة التي كتبها محمد الثاني أول إلى الشيخ في هذا الأمر في بعض الفصول السابقة من هذا البحث في معرض كلامنا حول عقيدته ، ولكن نظراً لأن الموقف حساس جداً نشعر بضرورة إعادة نقلها ههنا والرسالة هي : —

بسم الله الرحمن الرحيم حمد قدرته لمشيئته وصلاة ذاته على صفته ورضى أحديته على مظهر واحديته : « أما بعد فقد أشكل علي الابن الجاهل هذه الأمور . ما كيفية أخذ جبريل الوحي عن الذات وإبلاغه إلى رسول الله ؟ قد جلست في جهلي مدة لطلبه ولم أدر وأيضاً تفكرت في مراد الحق في القرآن ولم أدر والسلام ولد روحكم وعبد حضر تكم محمد الثاني ابن محمد الأول .

فأجابه الشيخ بقوله : —

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الصديق الأكبر حق قدره ومقداره العظيم أما بعد فمن جبريل حتى تعرف حقيقته ، جبريل ومعناه عبدالله وحتى تعرف

هذا العبد فرغ من أي أصل ومن أي حضرة نبين لك سر الوسطة المجازية فالامر
محاذ لا حقيقة ، القرآن صفة أرجو الله أن يرزقني وإياك الفهم منه بمنه فتفهم الصفة
والانصاف في الحضرات والسلام ابراهيم (٦٠).

هذا ولا نريد أن نخوض في موضوع آخر قبل أن نعلق على كلام الشيخ في آخر
الفصل الأول حيث صرح بأن هذا الفناء هو نهاية الصوفية الآخرين ، وهو مبدأ
التجانيين ولا يقصد الشيخ بهذا الكلام أن التجانيين أعرف بعلوم التصوف الباطنة من
بقية الصوفية الآخرين ، لا بل لما يريد أن يقول إن الصوفية إذا وصلوا في سيرهم
الروحي إلى هذا الفناء حيث يظهر لهم أن الله هو كل شيء أو بعبارة أخرى أن العالم
بأسره هو الله القديم الباقي ، يقفون إلى هناك ولا يتجاوزونه ويقولون « وإن إلى ربك
المنتهى » وأما التجانيون فيتجاوزون ذلك إلى تأليه النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ
التجاني والشيخ ابراهيم وإلى هذا يهدف الشيخ بقوله في نص الكتاب : « وإذا تجلّت
الذات تجلّت بكاملها ولذلك المشاهد بمشاهدة التجلي في المحمدية يرى محمداً عين الذات
وقس الذات لأنه ما ثم غيره فالفرق في خاطر المشاهد لا في تبدل الحقيقة
والمشاهد في هذا المقام إذا طلب الله لا يجد إلا رسول الله ولا يجد سبيلاً إلى وجود
سواه وإذا تجلّى محمد في الأحمدية تجلّى بكامله فيشاهد المشاهد أحمد ويقول
عين محمد ونفس محمد إذ ما ثم بعد الله غير محمد وإنما تقلب خاطر المشاهد ولا تبدل
المرئي ولا تعدد فهو هو وهو لا فرق بينهما إلا الانصاف والأمداد إذ هو الذي
أخرجه الله ثاني إثنين وصاحبه الصديق الأكبر وباب مدينة العلم وهذه الحضرة هي
حضرة الختمية والكتمية وهي حضرة سيدنا ومولانا أبي العباس أحمد بن محمد
التجاني الحسني فهو برزخ الأقطاب وممد الكائنات وروحها وسرها بحيث لا يبرز شيء
من الحقيقة المحمدية إلا وتلقاه من الأزل إلى الأبد ثم يشاهد تنزل حضرة
الأحمدية في الحقيقة الرابعة وهي حضرة آدم أي آدم الأرواح عين أحمد ونفس أحمد
وهذه الحضرة هي التي أشار إليها الشيخ رضي الله عنه بقوله لا ينال مني أحد شيئاً
إلا بواسطة سيدي علي حرازم وقوله ما خلفت سواه وقوله هو مني بمنزلة أبي بكر
من رسول الله ولا غرو أن يخلف هذا الرجل غيره فافهم فحقيقة هذه الحضرة أنها

ظل الشيخ في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية في رجل تلك الحضرة وهكذا إلى أن قال وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا والسلام . ويريد بهذه الحضرة نفسه (٦١). وإلى هذا أيضاً يشير السيد عبدة التشيخي التجاني بقوله : « إن نهاية هذه الطريقة أي طريقة الساحلي الوقوف على حقائق المعارف الربانية من غير تصريح بمعرفة بعض أسرار الحقيقة المحمدية ، وما في معناه وأما الغاية في هذه أي الطريقة التجانية فهو ما أشار إليه الشيخ التجاني في آخر جوهرة الكمال ، من قوله « صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه » .

٦ - لقد قسم الشيخ إبراهيم التجليات بين الله وبين النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ التجاني ونفسه فاعطى الله اثنين منها : وهو تجلي الأحدية والاحمدية (٦٢) ولكن لا ندري من هو أحمد هذا المنسوب إليه تجلي الذات الثاني أهو أحمد التجاني أو أحمد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ والظاهر أنه يريد به أحمد التجاني حسب تفسير ابن عربي الحاتمي للأمر وخصوصاً إذا نظرنا إلى أن الشيخ التجاني كان ينقل جميع دعاويه من ابن عربي حرفاً حرفاً تقريباً يقول الحاتمي في كتاب فصوص الحكم : « وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء فإن الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالاته - تنقطعان والولاية لا تنقطع أبداً فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء ؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه ، فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى » (٦٣).

ولا أذهب هنا إلى تفسير كلام ابن عربي هذا لأوضح للقارئ مراميه ومقاصده لأن الكلام يطول وليس هنا محل بسطه ولكن أنظر إلى قوله : « ان الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء الخ » . وانظر أيضاً إلى قوله : « فإنه أي خاتم الأولياء من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى » . ترى أنه بالضبط

تفسير لما ذكرنا ولكثير من أمثاله مما سياتي أو مضى .

ثم أعطى النبي صلى الله عليه وسلم التجلي الثالث وهو قوله : « ثم تتجلي في المحمدية لحقائق الأنبياء والمرسلين وسر الكائنات ثم أعطى أحمد التجاني التجلي الرابع بعد استحقاقه للثاني وقال : « ثم تتجلي في الأحمدية للاقطاب والعارفين ثم أعطى لنفسه التجلي الخامس وقال : « ثم تتجلي في الخليفة عبد الذات للانس والجن وحقائق سائر الكائنات لعله أتى بذلك التجلي الثاني أو بعبارة أخرى يأتي التجانيون بذلك التجلي ليفسروا رأي الحاتمي في خاتم الأولياء السابق أنفاً فقط وإلا فلن الحقائق أربع كما قررناها وهي الهاهوت للذات وحدها واللاهوت للحقيقة المحمدية والجبروت للحقيقة الأحمدية التجانية ثم الملكوت للخليفة عبد الذات الذي هو ظل الشيخ التجاني في كل زمان ومكان (٦٤).

والظاهر أن تسمية هذه الحضرات باسم النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ التجاني وخصته من اختراع الشيخ ابراهيم أو من اختراع أشياخه أو كان مأخوذاً من الشيخ التجاني رأساً تفسيراً لمقام خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء لأن الأمر لا يظهر بوضوح إلا من طريق هذه التجليات ، ثم لا بد أن يكون الأمر متداولاً سرّاً لأن من لم يترب حتى وصل إلى إدراك سر وحدة الوجود لا يستسيغه ، وأما الذي وصل إلى ذلك فلا يتردد أبداً في تأليه الشيخ التجاني أو النبي صلى الله عليه وسلم كما هو مشحون في كتبهم وهذه الحضرات وأسمائها قد أخذها التجانيون من الطريقة السهروردية من طريق كتاب جواهر الخمس وشرحه ولذلك تسربت بعض عقائد تلك الطريقة إلى التجانية مثل استحضار المريد صورة الشيخ عند الورد وأنه بين يديه ويستمد منه وهلم جرا (٦٥).

بل إن الدلائل تشير إلى أن التجانيين أخذوا تسمية هذه الحضرات باسم المشايخ من هذا الكتاب أيضاً من طريق مباشر أو غير مباشر لأنك في الجزء الأول منه تجد يقول : « ثم يصلي ركعتين لروح حضرة سلطان الموحدين ويقول يا ظهور الحق تسعة وتسعين مرة ويستمد من حضرته أيضاً » (٦٦) ألا ترى أن كلمة ظهور الحق هي نفس تسمية التجليات الذاتية بأسماء الأشخاص ؟ ولكن الظاهر الواضح أن هذا الكتاب لم يسب شيئاً من هذه الحضرات إلى النبي ولا إلى الشيخ الشهاب السهروردي

ولا إلى أحد أشياخ الطريقة السهروردية ، وإنما قصرها على تجليات الذات حسب النسب والوجوهات فقط (٦٧) وكذلك جميع المشايخ الصوفية الذين قرأت عنهم ما نسب أحد منهم هذه الحضرات إلى أي شخص بل قصرها كلهم على تجليات الذات بالتدريج ليبينوا كيف صدر المخلوقات من الله فإن أصل الفكرة من الإغريق ثم أخذها فلاسفة المسلمين مثل الفارابي وابن سينا ومن على شاكلتهم ثم أخذها الصوفية وخلطوها بفكرة وحدة الوجود الهندوسي فصارت علماً مستقلاً متكامل الأجزاء وأول من أظهر ذلك في التصوف هو أبو المغيث حسين بن منصور الحلّاج (٦٨) :

٧ - يقول الشيخ وبعد شهوده - المريد - تنزل الحضرة الثالثة في آدم الأرواح وانفصال العوالم منه يدور في العوالم العلوية والسفلية والعينية والغيبية بروح مكتس بذات نورانية ويدور بعد ذلك في غيوبات ليس فيها شيء غير الله وليس فيها الله فيقع في الدهشة والحيرة فيتعلق بالأسماء والصفات فيشاهد التجليات أسماء وصفات حتى يظن جزماً أن الله تعالى لم يتجل بغير الأسماء الخ وختم قوله في ذلك ممثلاً ببيت أمره القيس :

وقد طوفت بالآفاق حتى رضيت من الغنمة بالإياب (٦٩)

معنى هذا أن هذا المريد الذي شاهد تجلي الهاهوت الذي هو محض الذات في اللاهوت التي هي حضرة الحقيقة المحمدية وتجلي اللاهوت في الجبروت التي هي حضرة الحقيقة الأحمدية التجانية وتجلي الجبروت في الملكوت التي هي حضرة الشيخ إبراهيم الذي هو المراد بآدم الأرواح ثم تجلي الملكوت في الناسوت التي هي حضرة التشيت أي حضرة ظهور الكثرة والكثافة وهو مراده بقوله ويشاهد كيف انفصل العوالم منه وهذه التجليات كلها عبارة عن تغير الأسماء في ذهن المريد والمسمى واحد فحضرة التشيت هي نفس حضرة الملكوت وهي نفس حضرة الجبروت وهي نفس حضرة اللاهوت وهي نفس حضرة الهاهوت ثم يدور بفكره في العالم العلوي والسفلي وفي الأشياء المرئية وغير المرئية فيختلط عليه حيث يرى حسب ما رياه عليه الشيخ أن العالم هو الله وأما حسب ما كان يعرفه بالبديهة الفطرية التي لا تبدل ولا تتغير أن العالم ليس هو الله قطعاً فيقع جراً ذلك في حيرة عظيمة ويندهش حيث لا يبقى له من جميع معلوماته السابقة شيء ثابت في ذهنه إلا الأسماء والصفات فقط فيقطع بأن الله لم يتجل بغير الأسماء أي

ليس لله وجود إلا في الاسماء فقط فمثل لذلك بالبيت السابق آنفاً .

معنى ذلك أن كل ما اكتسبه المرید في التربية من الجذب والفناء ومشاهدة التجليات قد جاءت بالفشل بالنسبة لعلم ذات الله ولذلك رجع إلى ما كان عليه أولاً من اعتقاد أن العلم شيء والله شيء آخر وليس له ظهور إلا في الذهن والاسماء والصفات والأفعال فقط .

هذا لا شك يصدق ما قررنا في التعليق الرابع من أن الاعتقاد بأن الله هو هذا الكون هو الوهم بعينه وإلا أليس كلام الشيخ هذا تصريحاً منه بذلك .

٨ - قال الشيخ : « وهذه التشكلات الخمسة أصل الأسرار والحقائق والاسماء فجاءت الأسماء في السبع المثاني خمساً الله الرب الرحمن الرحيم الملك والحضرات حساً الناسوت والملوكوت والجبروت واللاهوت والمهاوت والقواعد خمساً وأولو العزم خمساً والحواس خمساً والجهات خمساً وأصل الزكاة خمساً ورمضان خمس حس » (٧٠) .

ولكننا لا نعرف كيف كانت الجهات خمساً ولم يبين الشيخ لنا وجه ذلك وهي حسب علمنا ست كما وضعها الله وعرفت بداهة وكذلك لم يبين الشيخ لنا كيف كان أصل الزكاة خمساً والزكاة حسب علمنا نوعان زكاة الرأس وهي صدقة الفطر وزكاة المال وهي مزرعة إلى ستة أضرب وهي : -

١ - زكاة الحيوان .

٢ - زكاة التقدين (الذهب والفضة) .

٣ - زكاة النبات (الزرع والثمار) .

٤ - زكاة التجارة .

٥ - زكاة الركاز .

٦ - زكاة الدين (٧١) .

وكذلك لا نعرف كيف كان رمضان خمساً خمساً وما بين الشيخ وجه ذلك وصوم

رمضان فيها نعلم لا يعتبر فيه عدد الأيام إلا إذا غم الهلال وإلا فالمعتبر فيه استهلال الهلال فقط سواء كمل عدة أيامه ثلاثين أم لا .

ثم إن هناك من الأمور الشرعية والدينية ما لم تكن خمساً الحج والعمرة مثلاً فكلاهما يجب مرة في العمر ثم إن أركانها لم تكن خمساً وأكثر الاعمال فيهما سبعة مثل الطواف والسعي ورمي الجمار وقواعد الإيمان ستة لا خمسة وكلمة الشهادة متكونة على أربع كلمات وبالمسألة كذلك متكونة على أربع كلمات أو ثلاثة أسماء .

ونحن نفهم أن الشرع يتحرى الوتر في كثير من الأمور الدينية ومن أجل ذلك جاء بعضها ثلاثاً مثل صلاة المغرب والشفع والوتر ونحوها وبعضها خمساً مثل ما ذكره الشيخ وبعضها سبعاً مثل بعض أعمال الحج كما ذكرنا آنفاً وبعضها وضعت شفعاً مثل بقية ركعات الصلوات المفروضة وغيرها .

وهذا لا يعني أبداً أنني أنكر أن التشكلات الخمسة هي أصل الاسرار كما قررها الشيخ لأنه أمر يخصه ولا شأن لي به .

٩ - يقول الشيخ عند انتهائه لمناقشة بعض الموضوعات هذا ما أملاه على الوارد (٧٢) ومعنى ذلك أنه يكتب من ذاكرته من دون أن يعتمد على الكتاب أو يرجع إلى المراجع والظاهر أن الأمر كذلك فلا يرجع ما كتبه على النصوص الأصلية ليحققه ومن أجل ذلك كان يخطيء في النقل أحياناً مثل قوله : « فاذكروني لا اله إلا الله » (٧٣) فما وجدت آية في القرآن بهذا الوضع ولكن ليس هذا الخطأ في النقل هو العجيب والعجيب هو بقاؤه في الكتاب من دون إصلاح إلى الآن فمثلاً أنه ألف الكتاب في ١٣٥٢ هـ وهو ابن اثنين وثلاثين سنة من عمره وجاء إلى نيجيريا سنة ١٣٦٤ هـ وهو ابن أربع وأربعين من عمره المدة بين تأليف الكتاب وبين دخوله نيجيريا تبلغ ١٣ سنة تقريباً وهي مدة كافية لإعادة النظر فيه وإصلاح الأخطاء الواقعة فيه لقد اعتمدت في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ مختلفة من الكتاب وجدت واحدة في أزري من بيت الشيخ آدم الدمغراوي وواحدة من بيت الشيخ أحمد التجاني بن عثمان وعليها توقيع واحدة كتبت في كولخ بإذن الشيخ نفسه وتحمل توقيعاً أيضاً والنسخ الثلاثة كلها أنفقت على هذا النقل .

١٠ - قال الشيخ ويوم واحد من أيامه - الله - كآلف سنة مما تعدون وذلك هو أيام الله التي أمر بالتذكير بها قال جل وعلا وذكرهم بأيام الله وتلك الأيام مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيام الدنيا وأهل الله في أيام الله (٧٤).

فهذه الأيام عند الشيخ هي تفسير لما جاء في سورة السجدة من قوله تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » (٧٥) وما جاء في سورة الحج : « يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون .. » (٧٦).

كأن الشيخ يريد أن يخبرنا هنا بأن هذا اليوم الذي أخبر الله به رسوله أن مقداره كآلف سنة هو نفس الأيام التي أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يذكر قومه بها (٧٧) إلا أن ذلك مفرد وتلك جمع ثم قال الشيخ : « وهذه الأيام مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيامهم وأهل الله في أيام الله .

معنى ذلك أن يوم الدنيا الذي هو يومنا هذا يسير جنباً إلى جنب مع أيام الله تلك ، والظاهر أنه يريد ذلك لأنه مكث في واقعته ألفاً وثلاثمائة ألف سنة في مدة مقدارها ما بين الشفع والوتر (٧٨) إذا كان الأمر كذلك فيترتب عليه أمور منها : -

١ - إن تلك الأيام التي أمر الله نبيه موسى أن يذكر بني إسرائيل بها هي نفس يوم الله الذي أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه كآلف سنة من سنواتنا إلا أن هنا مفرد وتلك جمع كما مر .

٢ - إن هناك تناقضاً في كلام الشيخ فإنه قال في أول كلامه : « ويوم واحد من أيامه أي الله كآلف سنة مما تعدون ، وذلك هو أيام الله الذي أمر بالتذكير بها ثم قال أخيراً وتلك الأيام مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيام الدنيا وأهل الله في أيام الله فهذا يقتضي كما قررنا آنفاً أن تلك الأيام تسير جنباً إلى جنب ، وهو موضع التناقض لأن معناه أن الآية تدل على معنى والعمل الواقعي التجريبي يدل على خلافه ، فمثلاً إن الآية تقول إن يوماً واحداً من أيام الله يفوق أيامنا بألف سنة من سنواتنا وأما تجارب

الشيخ فقد أسفرت عن أن الأمر بالعكس حيث وجد أن يوماً واحداً من أيامنا الدنيوية هذه أطول من أيام الله بملايين السنين لأنه حسب ما قرره في الكتاب قد مكث في واقعة ألفاً وثلاثمائة ألف سنة من أيام الله في مدة مقدارها ما بين الشفع والوتر في مقدار خمس دقائق من ساعتنا الدنيوية لا من ساعة الله ولو كانت أيام الله هي أطول لمكثنا نحن مئات السنين في مقدار دقائق يسيرة من ساعة الله عكس ما دلت عليه تجارب الشيخ .

الناظر لكلام الشيخ عبد الكريم الجيلي حول أيام الله هذه من أول وهلة يذهب إلى أنه يتفق مع الشيخ ابراهيم في الجزء الأخير من كلامه الأخير حيث قال : « فأهل الدنيا في أيام الدنيا وأهل الله في أيام الله » (٧٩). وقال الجيلي : « أيام الحق هي تجلياته وظهوره بما تقتضيه ذاته من أنواع الكمالات » (٨٠).

ومن شأن هذه التجليات أن تتم في دقائق يسيرة فمن هذه الناحية اتفق مع الشيخ ابراهيم إلا أن البون مع ذلك لا يزال شاسعاً بينهما حيث إن الجيلي لا يعني بأيام الله الأيام التي في قوله تعالى : « وذكرهم بأيام الله » ولا التي في قوله « إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » وإنما يعني بها الأيام التي في قوله تعالى كل يوم هو في شأن فمجموع هذه الأيام التي كان الله فيها في شأن هي أيام الله عنده وهي التي فسرها بتجليات الله بينما يقرر الشيخ ابراهيم بكل تأكيد أن أيام الله هي التي قال الله في وصفها كألف سنة مما تعدون وبالتالي هي التي أمر بالتذكير بها .

إذا كان الأمر كذلك فإن الخلاف إذن يدور بين الشيخ ابراهيم وبين المفسرين ، يرى الشيخ ابراهيم أن معنى هذه الأيام المنسوبة إلى الله واحد وهو هذه الدقائق اليسيرة التي تستغرقها خواطر شيوخ الطرق الصوفية في ملاحظة تجليات الذات كما يقولون المقدر عندهم بألوف السنين بينما يذهب المفسرون إلى أن هذه الأيام المنسوبة إلى الله جاءت لأسباب مختلفة فمن أجل ذلك لا بد أن تختلف معانيها حسب اختلاف الظروف والأوضاع المحيطة بها فمثلاً إن جميع المفسرين الذين قرأت عنهم يكادون يتفقون على أن المراد بأيام الله في قوله تعالى : (وذكرهم بأيام الله) هو نعمة ومحنة ومنهم من يقتصر على النعم مثل السيوطي ومحشية الصاوي (٨١) وابن كثير (٨٢) ومنهم من يميل إلى أنها وقائع الله في الامم الماضية مثل إهلاك قوم نوح وعاد وثمود

ووقائع أيام العرب في الجاهلية ثم يأتي بعد ذلك ببعض الآراء على سبيل الاحتياط مثل عبدالله بن قودي (٨٣) والزمخشري (٨٤) ومنهم من روى الآراء جميعها على حد سواء مثل القرطبي (٨٥) ولعل خير من مثل رأيهم جميعاً هو الزمخشري حيث قال: « وذكرهم بأيام الله ». وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم مثل قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما نعمائوه وبلأوه فأما نعمائوه فإنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وخلق لهم البحر وأما بلأوه فإهلاك القرون » (٨٦).

وأما اليوم الذي كان مقداره ألف سنة الذي جاء في سورة الحج فإنهم اختلفوا فيه وأكثرهم على أن المراد به يوم من أيام الآخرة وللزمخشري هنا رأي وهو أن اليوم الواحد عند الله كألف سنة عندنا كأنه يريد أن يقول إن الله قد قدر لنا يوماً وقدر لنفسه يوماً ويومه أطول من يومنا بمقدار ألف سنة (٨٧) وقد روى القرطبي عن ابن عباس رأياً يؤيده فقال: « قال ابن عباس ومجاهد يعني من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض » (٨٨).

٣ - ينتج من جميع ما تقدم أن أيام الله عند المفسرين هي إما وقائعه في الأمم الماضية أو نعمه التي أسبغها على بني إسرائيل أو أيام الآخرة أو هو اليوم الخاص بالله تعالى يجري فيه أموره أو هو مقدار المسافة التي يقطعها الملائكة في الهبوط والصعود إلى الملك العلام أو هو يوم القيامة وهلم جرا وأما عند الشيخ إبراهيم فإن أيام الله هي مقدار الوقت الذي يستغرقه العارف في التفكير لمشاهدة تجليات الله .

١١ - قال الشيخ إنه وقف على سؤال وجهه الشيخ عمر في التجاني عن سر التكاح الذي أمر الله به في قوله تعالى فانكحوا فأجابه عنه بأن الله كان ولا شيء معه متصفاً بجميع الصفات والكمالات الإلهية فأحب سبحانه وتعالى حيث لا يحب ولا محبوب سواه ، فوَقَّعت الإفاضة منه إليه سبحانه فوجد سره سيد الوجود ومدد الوجود ونور الوجود ووجود الوجود ومنه برز النور الذي منه جميع الموجودات... (٨٩) .

هذا السؤال وإن كان فيه مسحة من التكلف إلا أنه ربما كان منشؤه الجهل بسبب

نزول الآية فبدلاً من أن يجيبه الشيخ حسب ما كان مقررأ في التفاسير ذهب يبين له أصل الاثنينية من طريق العرفان الصوفي الفلسفي فيبين أن الله تعالى لما أحب أن يوجد المخلوقات وقعت الإفاضة منه إليه فوجد سيدنا محمد فيرز منه جميع المخلوقات . وهذا هو نفس ما قاله الحلاج في كتابه (الطواسين) : « وفي الأزل حيث كان الحق ولا شيء معه نظر إلى ذاته فأحبها وأثنى على نفسه فكان هذا تجلياً لذاته في ذاته ، في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد وكانت هذه المحبة علة الوجود ، والسبب في الكثرة الوجودية ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي ماثلاً في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها فنظر في الأزل وأخرج من العدم صورة من نفسه لها كل صفاته وأسمائه وهي آدم الذي جعله الله على صورته أبد الدهر ولما خلق الله آدم على هذا النحو عظمه ومجده ، واختاره لنفسه وكان من حيث ظهور الحق في صورته فيه وبه ، هو هو » (٩٠) .

فإن أصل هذه النظرية منقولة من الأفلاطونية الجديدة ولكن ليس من الميسور أن نشرح نظرية الأفلاطونية هذه في كيفية صدور العالم من واجب الوجود كما كانت تسمى الله وكيفية العلاقة بين المحرك الأول الذي لا يتحرك وهو واجب الوجود وبين الهولي والصورة لأنها نظرية في غاية التعقيد يحتاج شرحها إلى كلام طويل ممل ولذلك نلخص ما شرحه الفارابي في رسالة نسبها إلى زينون الكبير قال : « لم يصدر منه أي واجب الوجود ما لا يلائمه ولا يقال إنه فعل ليكمل بفعله يعني أن الفعل أولى له وأسبق به فإن ذلك يقتضي أن يكون ناقصاً استكمل بفعله وذلك لا يجوز على الباري تعالى :

الله هو العقل الأول ، فعقل نفسه فصدر منه عقل آخر له إمكان وجود من ذاته ، ووجوب وجود من غيره ، وهو مبدأ الاثنينية وذلك الثاني عقل الأول ، وعقل ذاته ، وبعبارة الأولى وجب عنه إشراق وبعبارة نفسه صدر عنه صورة لها تعلق بالمادة ونفس الفلك وهو مبدأ التثليث لأن العقل الثاني الذي علامته (ب) عقل ذاته وذات مبدعه كما ذكرنا فحصل منه عقل بتعقله المبدع الأول ونفس فلك بتعقله ذاته . وذاته أي الثاني ليست واحدة بل لها جهة لأنه عقل مبدعه واحداً حقيقياً وعقل ذاته بهيئة لها

وجود ، ثم عقل الثالث الذي علاقة (ج) المبدع الأول تعالى وذاته فحصل منه عقل ونفس الفلك الذي فيه الثوابت وجرم الفلك ثم عقل الرابع الذي علامته (د) الأول والثاني والثالث فحصل منه عقل علامته (هـ) ونفس علامتها (ح) وهو فلك زجل وجرم الفلك حتى انتهى ذلك إلى العقل الفعال الذي يقال له معطى الصور وهو يعقل الأول على الدوام ويعقل ما دون الأول على الدوام فتصدر عنه النفس الناطقة بعقله الأول ويعقله ما دون الأول على الدوام يجب عنه الصدور والنفس الفلكية تعاضده بالبيهي للقبول منه أسباباً كما أن الطبيب لا يعطي الصحة وإنما يهيئ لقبول الصحة أسباباً » (٩١) .

لعلك تدرك معي هنا أن النظرية أصلها إلحاد مضاد لعقيدة الاسلام ، ومع ذلك فإن الخلاص أقرب إلى الصواب من الشيخ ابراهيم ، حيث وافق القرآن والسنّة والاجماع في أن آدم هو أول من خلقه الله من الناس ، أو صدر منه حسب عقيدة الخلاص .

وأما القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول إنسان خلقه الله أو أوجده الله كما قال فإنه يعتبر مكابرة للقرآن والسنّة واجماع الامة الاسلامية ، بل هو استخفاف بقول المسلمين خاصة وبالرأي العام العالمي عامة . وأما القول بأن العالم قد صدر منه صلى الله عليه وسلم فهو جنون لا شك فيه إذ لا علاقة له بالدين ، ولا يؤيده العقل البشري ، وإنما هو مكيدة إلحادية أهدافها إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بالنظرية الفلسفية كما سنبينه عن قريب إن شاء الله تعالى ، قال الله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم : « قل إنما أنا بشر مثلكم » (٩٢) . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا سيد ولد آدم » (٩٣) .

وقد ذكرني إجابة الشيخ هذه قصة طريفة رواها الاستاذ أحمد حسن الزيات في كتاب الموسوم : (في أصول الأدب) أن شيخاً كبيراً كان يفسر كتاب الله وهو لا يحفظه فرأى قوله تعالى : « إذ يبايعونك تحت الشجرة » . فقرأها : « أذ يبايعونك » وكتب في تعليقها وتأويلها أربع صفحات من القطع الكبير بالحرف الصغير » (٩٤) .
ولا فإن هذه الآية تخاطب المسلمين عامة ، يستوي في مدلول خطابها العامي ،

والشريف والوضيع ، والشيخ والمريد ، ولم يخص صنفاً معيناً من المسلمين ، بل لم يخرج من هذا الخطاب الرباني أحد إلا النبي صلى الله عليه وسلم وحده ، حيث أباح الله له أن ينكح أكثر من أربع حرائر ، وأباح له أيضاً أن ينكح المرأة بدون مهر إن وهبت نفسها له (٩٥).

فكيف إذن نجد الشيخ يذكر : أن من جمال الله ما إذا شاهده الكامل شوقه إلى الاتصال بالمحبيب « ولا ترى كاملاً قوي النور إلا راغباً في النكاح ، وهم سلموا من رق الشهوات ومتابعة الهوى » (٩٦).

الكامل وغير الكامل في الاندفاع تحت تأثير الشوق إلى الاتصال بالمحبيب سواء وكذلك لا يسلم من رق شهوة النساء أحد ، إلا الحصور الضعيف ، والفرق بين الصالح والطالح ، هو أن الصالح لا يستعمل شهوته إلا في الحلال ، والطالح يسير وراء هواه لخلوه من الوازع الديني الذي يكفكف له غرب شهوته من الداخل .

١٢ - قسم الشيخ أتباع الطريقة التجانية إلى أربعة أقسام ثم جاء أخيراً بصنف آخر وقال : « لا ناقة لهم في الطريقة ولا جمل ، وهم من لا سلوك لهم ولا جذب » . فاستعاذ بالله منهم ثم استمر قائلاً : « فهم وإن أخذوا الطريق فأخذوا فقط لا تجانيون عسى الله أن يرحمهم إن رزقوا محبة الشيخ التجاني » (٩٧).

لعله يقصد بكلامه هذا أن كل من أخذ الطريقة ولم ينتظم في سلك أتباعه وفر إليه معتقداً أنه كامل العصر ولزم الأدب بين يديه وسلب الإرادة معه ، وسلك طريق تربيته ، حتى وصل إلى مقام الفناء والجذب ، فليس بتجاني لأنه هو خليفة الشيخ التجاني وكل من أعرض عنه فكأنما أعرض عن الشيخ التجاني » (٩٨).

ولعل الشيخ يعني بالمحبة التي يتمنى أن يرزق هؤلاء الذين لا ناقة لهم في الطريقة ولا جمل ، هي محبة خاصة باطنية عميقة ، لا نعلمها ولا نفهمها لأنه لا يتصور أن إنساناً عاقلاً كامل القدرة والاختيار ، يقدم على أخذ طريقة صوفية ولا يحب مؤسسها بل لا يتصور أن يأخذ الإنسان طريقة وليس مدفوعاً من طريق أو آخر إلى ذلك بحب مؤسسها وإعجابه بمواهبه .

ثم إن الشيخ بهذا الكلام قد ناقض نفسه بنفسه لأنه قد روى لنا عن شيخه الحاج عبده ولد الحاج العلوي أن هناك في غنار ملكاً كافراً فاسقاً ظالماً اغتصب زوجة أحد رعيته وعاشرها معاشرة غير شرعية طول حياته حتى مات على ذلك من غير إسلام ولا توبة فدخل الجنة مع كفره وفسقه وظلمه فوجد أن سبب ذلك أن تلك المرأة الفاسقة إن لم نقل كافرة لمعاشرتها الكافر طول حياتها وهي ذات زوج قد أخذت الطريقة التجانية ولكن لا تقروها كسلاً لا رفضاً» (٩٩).

وإذا كان الكافر الفاسق الظالم قد دخل الجنة من أجل معاشرته الغير الشرعية لامرأة أخذت الطريقة التجانية أخذاً فقط ولا تقروها فكيف بالذين أخذوا الطريقة بالإذن الصحيح بالسند المتصل إلى الشيخ التجاني ويقرونها ويجلسون كل يوم في حلقة وظيفتها هذا مع أن الشيخ نفسه قد قرر في الفصل الأول من هذا الكتاب أن المريد الذي أخذ الطريقة التجانية سواء انطمس ملقنه في الشيخ التجاني وقت التلقين أم لا يقوم حراً في نفسه حيث يشعر بأنه مريد للشيخ التجاني وحده لا للملقن لأنه قال : « من يعرفني يعرفني وحدي » . (١٠٠) وعلاوة على ذلك فإن الشيخ التجاني لم يشترط لأخذ ورده أن يكون المريد سالكاً بهذا النوع من السلوك الذي رتبته الشيخ إبراهيم بل إنه أكد أن من أخذ طريقته وانتظم في سلك أتباعه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عمل في الذنب كل جريمة (١٠١) الأمر الذي فسره شيخه بقصته الماضية آنفاً تفسيراً جلياً واضحاً .

وهناك أيضاً مواضع أخرى في الكتاب تحتاج إلى التعليق إلا أنها طفيفة ولذلك اكتفينا بهذه لأهميتها ولأن دراستنا للكتاب تغني عن تلك .

خاتمة

هذا آخر ما وقفنا الله لتقريره من هذه التعليقات التي أجريناها على كتاب السر الأكبر والنور الأبهري تأليف الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي التجاني ، ولا شك أن هذا الكتاب يشهد بصدق على ما قررنا في الباب التاسع من هذا البحث من أن أصول أفكار الشيخ إبراهيم ومصادر تعاليمه مستقاة من صميم تعاليم غلاة الشيعة الباطنية وإن كان هو نفسه يرفض ذلك بكل ما يستطيع به من قوة ، ويقرر بالتالي أنه هو وأتباعه سنيون مالكيون أشعريون ليس إلا (١٠٢) مثل جميع مسلمي غرب أفريقيا إلا أن كتابه هذا الذي بين أيدينا يشهد بكل صراحة على أنه باطني في عقيدته علم ذلك أو لم يعلم ، رضي أو لم يرض ، ومن أجل ذلك نأتي بأمثلة أخرى زيادة على ما قدمنا في الباب التاسع من هذا الكتاب التي تبرهن على أن الطريقة التجانية مبنية على أساس عقيدة الباطنية .

١ - إن الباطنية يعتقدون بوجود إلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني كما هو في أصل عقيدة المجوس (١٠٣) وقال الشيخ التجاني في جواهر المعاني : « تفكرت في اختصاص سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بيوم الاثنين فتبين أنه لما كان هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلا الوجود القديم وكذلك هذا اليوم هو الثاني من الأيام ولم يتقدمه إلا يوم الأحد » (١٠٤) . وقال الشيخ إبراهيم في هذا الكتاب : « إذا تجلّت الذات تجلّت بكمالها ، ولذلك المشاهد بمشاهدة التجلي في المحمدية يرى محمداً عين الذات ونفس الذات لأنه ما ثم غيره ، فالفرق في خاطر

المشاهد لا في تبدل الحقيقة ولا تعددها (١٠٥) .

٢ - تقول الباطنية إن الإله الأول الذي كان علة الوجود الثاني لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول ولا هو موصوف ولا غير موصوف (١٠٦) وقال الشيخ التجاني في جواهر المعاني : « وأما مرتبة الأحدية فهي مرتبة كنه الحق وهي الذات الساذج التي لا مطمع لأحد في نيل الوصول إليها وتسمى حضرة الطمس والعمى الذاتي » (١٠٧) وقال الشيخ إبراهيم في هذا الكتاب : مرتبة الأحدية أقدم قدم ، أحدية مطلقة ، أحدية واحدة ، مكنون المكنون ، أحدية صرف حق الحق ذات يمت وجود يمت ، عدم العدم ، الذات الصرف ، ذات بلا تعدد بطون البطون ذات ساذج ، وجود مطلق ، مجهول النعت » (١٠٨) بل قد صرح الشيخ التجاني بلفظ الباطنية مقررأ أنه هو عين التوحيد في قوله : « فان قلت : لا معلوم ولا مجهول ولا موجود ولا معدوم هو عين التوحيد قلنا بنفس ما علمت » (١٠٩) قال ذلك في معرض كلامه في إبطال توحيد أهل السنة المعتمد على النقل والعقل .

٣ - تنكر الباطنية لإرسال الرسل ، ووجود الملائكة ، ونزولها بالوحي من السماء ، بالأمر والنهي والشرائع كلها (١١٠) وقال الشيخ إبراهيم في هذا الكتاب إن المجذوب الذي فني في ذات الله وأدرك أن كل شيء هو الله كافر شرعاً لنفسه الأسماء والصفات وقتله الأنبياء وهو المؤمن حقيقة (١١١) وقد ناقشنا ذلك في التعليق بشيء من التفصيل (١١٢) ولا تنسى أيضاً إجابة الشيخ لسؤال تلميذه حيث قرر له أن جبريل مجاز لا حقيقة وأمثال ذلك كثير جداً ، وبإمكان كل باحث أن يرد جميع تعاليم الطريقة التجانية ومبادئها إلى أصلها الباطني بكل سهولة .

ولكن الراجح أن الشيخ إبراهيم كما قدمنا لا يعرف أن هذه التعاليم والعقائد التي يدعو إليها هي من صميم عقائد غلاة الشيعة الاسماعيلية الباطنية وإنما يظن كما ظن كثيرون غيره من شيوخ الطرق الصوفية أن هذه التعاليم التي يأخذونها عن مشايخهم سرأ هي المعارف الإلهية السامية التي لا يفتحها الله إلا على خواص أولياء المرضيين عنده . وربما انتهز الشيطان فرصة قوته الروحية وإيمانه المطلق الذي لا تردد فيه ، بأنه هو

القطب الغوث ، وكامل العصر ، وخليفة الله على أرضه ، بحيث أن كل من رفض دعوته لا يعتبر مسلماً ، فضلاً عن أن يكون تجانياً — فجعل يظهر له أحياناً موهماً له أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أشعاره وأقواله كما سبق أن قررنا ما يوحى إلى أنه يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه من مثل قوله :

وما قلت هذا دون إذن وإني لأكتم سرّاً لا يباح لغيري (١١٣).

وإلى ذلك الإشارة أيضاً بقوله : « فاعلموا أنني ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سمعت من لسان من لا ينطق عن الهوى أن لا يضرني مخلوق أصلاً كائناً من كان » (١١٤) بل قد صرح بذلك عندما كان في المستشفى بباريس في مرض موته كما تقدم أيضاً حيث قال : —

رأيت رسول الله جهرّاً ويقظة بباريس هل ذاك المحل محلّه (١١٥)

أضف إلى ذلك كله ما تمكن من التقليد الأعمى الذم في نفس علماء المسلمين حتى العلماء الكبار منهم من تقليد الآباء والأجداد والعلماء والمشايخ على ما ذهبوا إليه من غير تفكير ولا ترو ومخافة مخالفتهم على ما يظهر من خطتهم ولا سيما في ما يمس علوم الصوفية ومباحثهم الباطنة التي أشاعوا أنها من علوم الاقطاب والعارفين من الأولياء الكبار ولا ينكر شيئاً منها إلا من طبع الله عليه بخاتم الكفر والضلال ، ثم إنه — والحق يقال — يصعب على مثل الشيخ ابراهيم أن يحطم هذه القيود الدعائية ويحرر نفسه من هذه الخرافات التي لا طائل تحتها بل لا أهداف لها أكثر من الاستيلاء على أموال العوام والبسطاء وتخدير عقولهم ، لتروج فيها هذه الدعاوى الباطلة ، لما يترتب على ذلك من هدم صرح كيان أسرته ومجدها الذي قاسى عناء شديداً ، ومشقة عظيمة في إقامتها ، هذا كله فضلاً عما لا يحصى من حدوثه وهو انقلاب الأجيال أعداء ، وما يترتب عليه أيضاً من اجتياز محنة ربما تكون أشق من الأولى ، وهو قد تقدمت به السن وخارت قواه ولا يحتاج إلا إلى الراحة ولذلك عاش بقية حياته في تقية ظاهرة إذا اجتمع مع دعاة الاسلام من الخبراء المسلمين في العالم الاسلامي يتحاشى عن التصريح بأنه هو وأتباعه تجانيون أصلاً ، وإذا خلا مع أتباعه يمضي في بث تعاليمه التجانية عليهم غير مكترث (١١٦) .

وإن دل كل هذا على شيء فإنما يدل على صدق ما قاله شيخ الاسلام عبد القاهر البغدادي الاسفرائيني في كتابه الفرق بين الفرق : « اعلّموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان لأن الذين ضلّوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهوره دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلّون بالدجال في وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً وفصائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر (١١٧) .

هذا يفضي بنا إلى ظاهرة هامة لا يسعنا إغفالها في هذا الصدد وهي أن هؤلاء الباطنية عندما أسسوا أول دولة لهم في المغرب باسم الفاطميين أسسوها مع جميع مبادئهم من التعاليم والعقائد فبقيت هذه المبادئ بعد زوال دولتهم تسري في عقول جماهير المسلمين سريان الغداء في الأجساد ، ويؤيد ذلك ما رواه السيد أحمد توفيق عياد في كتابه (التصوف الاسلامي) أن هناك مخطوطاً بدار الكتب المصرية بالقاهرة بعنوان (رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بدعوته) كما يوجد أيضاً مخطوط آخر في أربعة مجلدات بالمكتبة الأهلية بباريس بعنوان (المشاهد والاسرار التوحيدية لمولانا الحاكم) ودل مضمون هذه المخطوطات على أن الفاطميين قد بنوا أمرهم على آراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية والمعتزلة ، والفلسفة هي أساس التشريع عندهم ، وحلت في عهد الحاكم بأمر الله محل القرآن والسنة كما يتضح في هذه المخطوطات أيضاً مدى ما وصلت إليه الدعوة الباطنية في الديار المغربية والمصرية حينئذ وكيف كانت هذه الدعوة تعمل في عقول الأهالي حتى تجاسر الحاكم بأمر الله أن يدعي الألوهية ويقول إن الله قد تجسم فيه « (١١٨) .

وهل كان هناك فرق بين دعوى الحاكم أمير الباطنية في المغرب هذه وبين دعوى الشيخ التجاني مؤسس الطريقة التجانية في المغرب أيضاً ؟ إنه يمد الاقطاب والعارفين والأولياء من الازل إلى الأبد (١١٩) أليس معنى ذلك أنه هو القديم الباقي الأزلي الأبدي القائم بتدبير المخلوقات أو هل كان هناك فرق بين دعوى أمير الباطنية هذه وبين دعوى الشيخ إبراهيم أن الموجودات بأسرها مطوية في نفسه حيث قال :

« فحقيقة هذه الحضرة أنها ظل الشيخ أي التجاني في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية في رجل تلك الحضرة وهو أيضاً معنى قوله : (١٢٠).

ولم لا وعز العبد عز مليكه وطوع يعيني الكون عبداً مسوداً (١٢١)

وإذا سمع ضئيل الفهم كليل الإدراك أن الشيخ التجاني قال : « أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلا الوجود القديم » (١٢٢) أو سمع قوله إن أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم نسل منه أرواح العالم ومن روحه أيضاً خلق الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم وكذلك الاجسام الكثيفة الظلمانية وهكذا (١٢٣) يظن أن ذلك مدح له أي النبي ، كلا ! وليس الأمر كذلك بل إنما هو إنكار له ولنبوته ولجميع تعاليمه التي جاء بها من عند الله وفي الوقت نفسه تقرير وإثبات لعقيدة المجوس الداعية إلى اعتقاد وجود إلهين أزليين وهما المدبران للعالم ، الأول أقدم من الثاني في الفكر لا في الزمان وهو العلة لوجود الثاني (١٢٤) ذلك لأن الشيخ التجاني إذا كان يريد بسيد الوجود سيدنا محمد - الذي هو أول موجود أوجده الله ثم نسل منه جميع المخلوقات لطيفها وكثيفها - سيدنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب العربي القرشي الهاشمي الذي ولد بمكة المكرمة في عام الفيل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام وجاء برسائله السماوية بعد تمام الأربعين سنة من عمره . فلا يخلو الشيخ التجاني حينئذ من أحد أمرين إما أنه مجنون أو عاقل فإذا كان مجنوناً فلا كلام عليه لخروجه من دائرة العقلاء ، وعدم إدراكه ، وإذا كان عاقلاً فلا شك أنه يريد بكلامه شيئاً آخر ، غير ما تدل عليه ألفاظه لاستحالة صحة وقوع ذلك في العقل البشري كله ، وكذلك في النقل الشرعي الاسلامي هذا كله بالإضافة أنه كلام لا يخرج من فم مسلم لمكابرتة على النصوص القطعية المبينة التي أجمع فرق المسلمين على معناها ، مثل قوله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (١٢٥) وقوله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروا وويل للمشركين » (١٢٦) وقوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل

من أنزل الكتاب الذجاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتحفون كثيراً « (١٢٧) وقوله تعالى : « قالت رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده » (١٢٨) وقوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » (١٢٩).

وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحيحة متعددة بأنه بشر مثل جميع أصحابه منها ما رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن فضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليركها » . ومنها ما رواه أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسي أحدكم فليسجد سجدةين وهو جالس » ومنها ما رواه ابن سعد عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر تدمع العين ويخشع القلب ولا نقول ما يسطط الرب والله يا ابراهيم إنا بك لمحزونون » (١٣٠).

فمعنى كلام الشيخ التجاني إذن هو أن العقل الثاني الفلسفي الذي صدر من العقل الأول الذي عبروا عنه بواجب الوجود ، هو الذي لقبوه بمحمد حيناً وبالْحَقِيقَةُ المحمدية طوراً وهلم جرا ، وهذا لا شك حرب مكشوفة على تعاليم القرآن ، ومحاولة هدمها من الأساس ، وإلا فما الفرق بين ما تقدم ، مما قرره الامام ابن الجوزي وشيخ الاسلام عبد القاهر البغدادي من أن عقيدة الباطنية تقرر أن للعالم إلهين اثنين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان ، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني (١٣١) وبين قول الشيخ التجاني أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلا الوجود القديم (١٣٢) أليس ما بينه الشهرستاني من أن الباطنية يقولون بأن الله هو العقل الأول ، وهو تام بالفعل ثم بتوسطه أبدع النفس الثاني الذي هو غير تام (١٣٣) هو الذي فسره الشيخ التجاني في قوله : « اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى

منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الاسقم (١٣٤) أليس المراد بالتام هو أنه تجلي الله التام الكامل الذي شرحه الشيخ ابراهيم بقوله : « إذا تجلت الذات تجلت بكماها فبرى المشاهد محمداً عين الذات ونفس الذات . أليس المراد بالأسقم الناقص لأنه ليس بواجب الوجود بذاته حيث إن وجوده يتوقف على وجود مبدعه ؟ ويؤيد هذا الذي قررنا أن الشيخ ابراهيم عندما انتهى من الكلام على الحقيقة المحمدية أو بعبارة أخرى تجلي الذات في المحمدية استشهد على ذلك بهذه الصلاة (١٣٥).

لقد ظلت تعاليم الباطنية هذه في المغرب منذ تأسيس دولتهم هنالك تعمل في الخفاء حتى ظهرت في صورتها النهائية باسم الطريقة التجانية ومما يدل على أن تعاليم الباطنية انتشرت في المغرب والأندلس بشكل مرعب أن كتاب جواهر المعاني الذي نسب ما تضمنه من المبادئ والتعاليم إلى الشيخ التجاني كان مسروقاً كما تقدم سرقة علي حرازم وغير اسمه من (المقصد الأحمد) إلى (جواهر المعاني) ومما اسم مؤلفه (أبي الطيب القادري) وأثبت اسمه مكانه ثم أزال اسمه شيخ المؤلف (أبي العباس أحمد بن عبدالله معن) وجعل اسم شيخه أحمد التجاني محله ثم زاد فيه أموراً تخص الشيخ التجاني وطريقته وقدمه إليه أي شيخه التجاني فأوقع على الكتاب ونسبه إلى نفسه بلفظ كتابنا ثم صرح أخيراً بأن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر له وقال إنه كتاب وهو أي النبي صلى الله عليه وسلم الذي ألفه بيده انظر الباب الأول من هذا البحث (١٣٦) وبقي هنا أن نتساءل ونقول هل يفهم من هذا كله أن هؤلاء العلماء الكبار والمشايخ الأجلاء الذين صنفوا هذه المجلدات الضخمة في تأييد الشيخ التجاني وطريقته والدعوة إليها لا يفهمون هذا الذي قررناه ولا يلمون به ؟

أقول في الإجابة عن هذا السؤال إنهم انقسموا إلى أربعة أقسام تقريباً .

١ - قسم كان على عقيدة واحدة مع الشيخ التجاني وكان من جراء ذلك ملماً للمأما تماماً بأهداف الطريقة ومغزاها وغاياتها ولا غرابة إذن إذا ظل متحمساً على الدعوة إليها والعمل الجاد في تحقيق نجاحها .

٢ - وقسم قد أدرك تماماً أن العقيدة التي بنيت عليها الطريقة التجانية مضادة لعقيدة الإسلام ويتبرأ من ذلك في الداخل إلا أنه لا يستطيع أن يتجاهر بذلك خوفاً

على نفسه وفوات كثير من منافعه فسكت على ما في النفس من مضض يتظاهر بموافقة جمهورهم مداراة للوسط الذي يعيش فيه (١٣٧).

٣ - وقسم قد فهم فهماً جازماً أن هذه العقيدة لا تجتمع في ظل واحد مع عقيدة الاسلام إلا أنه داهية فانتهاز فرصة بساطة عقول العامة واستعدادها الفطري على هضم كل ما ألقى إليها من الخرافات والأساطير وذهب جراء ذلك يروج في أذهانهم مراتب الولاية الصوفية الوهمية وكرامتها الخيالية لتتقاد إليه العامة حتى يحكم في نفوسهم وجيوشهم كما يشاء .

٤ - وقسم بسيط مغفل يقبل كل كلام على علته بحسن الزية والاخلاص من دون تفكير ولا ترو ، لا لأنه لا يستطيع أن ينظر ويتفكر حتى يميز بين الغث والسمين بل لأنه نشأ وتربى في وسط صار التقليد الاعشى والتبعية الحمقى غريزة فيه أو سنة متبعة عنده ، وهذا القسم هو أكثر أتباع الطريقة التجانية ، علماؤهم ودهماؤهم خصوصاً سكان إفريقيا الغربية ، ويمكننا أن نجعل الشيخ ابراهيم وأتباعه فيه لأننا إذا نظرنا إلى حركته ندرك أنها تأسست أولاً على أمرين هما الإيمان العميق بالطريقة التجانية وبكل ما احتوت عليه من المبادئ والتعاليم والغرور الذي كان منشؤه وقوفه على كثير من أسرار علوم الصوفية الباطنة في وسط لا يحلم به أحد ولا تنسى بما رسخ في أذهانهم من اعتقاد أن الله لا يكشف هذه العلوم إلا الأولياء من عباده ، ثم ذكاؤه المفرط في فهم العلوم الشرعية ومقدرته على الكتابة في اللغة العربية منذ حدثته ، في بيئة يتكون أفرادها من العوام ومن في حكمهم ، ويتبين ذلك بوضوح في أقواله الأولى مثل قوله : واعلموا أنني على بصيرة من أمري لأن عندي إمامين إمامي في الظاهر الكتاب والسنة ولا أعرف من هو أعلم بهما بي ، وإمامي في الباطن وهو الشيخ التجاني ولا يفارقني لحظة » (١٣٨) ومن ذلك أيضاً قوله :

حملت سر خاتم الولاية	جمعت بين اللئوق والدراية
أنشدني لسان حالي الحاري	تحدثاً بنفحات الباري
امتلاً الحوض وقال قطني	مهلاً رويداً قد ملأت بطني

قد خصني بالعلم والتصريف إن قلت كن يكن بلا تسـويـف
لكنني اتخلدته وكيلا تأدباً واختارني خيلا (١٣٩)
وأما الكتب الضخمة فلا قيمة لها إلا بما اشتملت عليه من العلوم النافعة والأدلة
المرشدة فإذا خلت من ذلك فلا يعتد بما ولا بمؤلفيها .

مصادر التعليقات على كتاب السر الأكبر

- ١ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٥٩ ٢ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩١ .
- ٣ - الشيخ ابراهيم انياس : ديوان تيسير الوصول ٩ ٤ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٩ .
- ٥ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٩ ٦ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٦ .
- ٧ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٧ ٨ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٢ .
- ٩ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج ٢ - ٦٣ .
- ١٠ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥١٥ ١١ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٥٨ .
- ١٢ - الشيخ عمر القوتي : الرماح ج ١ - ٩٦ ١٣ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٠ .
- ١٤ - انظر إلى صفحة ٤٧ - ٦٩ - ٨٦ على الأقل من كتاب الإفادة الأحمدية . ١٥ - مريم ١٩ : ٦٥ .
- ١٦ - الحجر ١٥ : ٩٨ - ٩٩ . ١٧ - الكهف ١٨ : ١١٠ ١٨ - النجم ٥٣ : ٣٩ - ٤٠ .
- ١٩ - مريم ١٩ : ٦٣ ٢٠ - الأنفال ٨ : ٣٤ ٢١ - النور ٢٤ : ٦٣ .
- ٢٢ - انظر الجزء الثالث من كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام ٢٣ - الاسراء ١٧ : ٧٣ - ٧٤ .
- ٢٤ - الحاقة ٦٩ : ٤٤ - ٤٧ ٢٥ - الانعام ٦ : ١٥ .
- ٢٦ - انظر الجزء الثاني من كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ٩٢ .
- ٢٧ - الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ ٢٨ - الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ .
- ٢٩ - الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ .
- ٣٠ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ج ٢ - ٩٢ ٣١ - التوبة ٩ : ١١٢ - ١١٨ .
- ٣٢ - نفس المصدر . ٣٣ - نفس المصدر ٨٠ .
- ٣٤ - الشيخ عبدالله بن فودي : ضياء التأويل ج ٢ - ٨٧ ٣٥ - التجريد الصريح : ج ٢ - ٩٤ .
- ٣٦ - البيان والتبيين : ج ٣ - ١٥١ ٣٧ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٥ .

مصادر التعليقات على كتاب السر الأكبر

- ١ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٥٩ ٢ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩١ .
- ٣ - الشيخ ابراهيم انياس : ديوان تيسير الوصول ٩ ٤ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٩ .
- ٥ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٩ ٦ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٦ .
- ٧ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٧ ٨ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٢ .
- ٩ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج ٢ - ٦٣ .
- ١٠ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥١٥ ١١ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٥٨ .
- ١٢ - الشيخ عمر الفتوي : الرماح ج ١ - ٩٦ ١٣ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٠ .
- ١٤ - انظر إلى صفحة ٤٧ - ٦٩ - ٨٦ على الأقل من كتاب الإفادة الأحمدية . ١٥ - مريم ١٩ : ٦٥ .
- ١٦ - الحجر ١٥ : ٩٨ - ٩٩ . ١٧ - الكهف ١٨ : ١١٠ ١٨ - النجم ٥٣ : ٣٩ - ٤٠ .
- ١٩ - مريم ١٩ : ٦٣ ٢٠ - الأنفال ٨ : ٣٤ ٢١ - النور ٢٤ : ٦٣ .
- ٢٢ - انظر الجزء الثالث من كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام ٢٣ - الاسراء ١٧ : ٧٣ - ٧٤ .
- ٢٤ - الحاقة ٦٩ : ٤٤ - ٤٧ ٢٥ - الانعام ٦ : ١٥ .
- ٢٦ - انظر الجزء الثاني من كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ٩٢ .
- ٢٧ - الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ ٢٨ - الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ .
- ٢٩ - الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ .
- ٣٠ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ج ٢ - ٩٢ ٣١ - التوبة ٩ : ١١٢ - ١١٨ .
- ٣٢ - نفس المصدر . ٣٣ - نفس المصدر ٨٠ .
- ٣٥ - الشيخ عبدالله بن فودي : ضياء التأويل ج ٢ - ٨٧ ٣٥ - التجريد الصريح : ج ٢ - ٩٤ .
- ٣٦ - البيان والتبيين : ج ٣ - ١٥١ ٣٧ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٥ .

- ٣٨ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٦ ٣٩ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٦
- ٤٠ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٣ ٤١ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٩ .
- ٤٢ - السيد عبدة : ميزاب الرحمة ١١٦ ٤٣ - جواهر المعاني : ج ١ - ١٢٣
- ٤٤ - الكهف: ١٩: ١١٠ ٤٥ - الشيخ محمد الحافظ الجزائري: تحقيق أحزاب وأوراد الشيخ التجاني ١٣٩ .
- ٤٦ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٩ ٤٧ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٧
- ٤٨ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٩
- ٤٩ - الآيات في ذلك كثيرة ومن ذلك قوله تعالى : « قل أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان ... فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظ ذلك تقدير العزيز العليم » فصلت ٤١ : ٩ - ١٢
- فهذه الآيات الثلاثة ما تركت حجة لدى جدل في أن الأرض والسموات أوجدها الله بعد أن لم تكن ودلت دلالة واضحة على أن الله غير العالم وأنه موجود قبله .
- ٥٠ - الشيخ خليل بن إسحاق : المختصر وشرحه الإكليل ٤٣٨ .
- ٥١ - شيخ الإسلام عبد القاهر البندادي : الفرق بين الفرق ٣٢٨ .
- ٥٢ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٧٩ .
- ٥٣ - انظر صفحة ١٠٧ من كتاب تلييس ابليس للامام ابن الجوزي .
- ٥٤ - انظر الجزء الثاني من كتاب الملل والنحل للشهرستاني صفحة ٢٥٠
- ٥٥ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٧ .
- ٥٦ - ابن بنا السرقسطي : المباحث الاصلية بمحاثة ايقاظ الهمم ٤٠١ .
- ٥٧ - الدكتور عبد الواحد وافي : الاسفار المقدسة ١٦٣ .
- ٥٨ - هنري توماس : اعلام الفلاسفة ٣٠ - ٣٢ ترجمة ميري أمين .
- ٥٩ - انظر نص الكتاب في هذا الجزء من البحث ٤٧٩ .
- ٦٠ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٨٧ ج ٢ .
- ٦١ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩١ ٦٢ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٨٠ .
- ٦٣ - ابن عربي الحاتمي : فصوص الحكم ٦٢ ٦٤ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩٠ .
- ٦٥ - الشيخ محمد بن غطير الدين المطار : الجواهر الخمس ج ١ - ١١٣ ٦٦ - نفس المصدر والصفحة.

- ٦٧ - نفس المصدر ج٢ - ٤٠٩ - ٦٨ - الدكتور علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة ١٦٣ .
- الدكتور أحمد أمير : ظهر الإسلام ج٢ - ٧٨ - ٦٩ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩٥ .
- ٧٠ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٥٠٠ .
- ٧١ - السيد علي فكري : خلاصة الكلام في أركان الإسلام .
- ٧٢ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٩ - ٧٣ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥٠٥ .
- ٧٤ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥٠٩ - ٧٥ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥١٠ .
- ٧٦ - السجدة ٣٢ : ٥ - ٧٧ - الحج ٢٣ : ٤٧ .
- ٧٨ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩٢ - ٧٩ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥٠٩ .
- ٨٠ - الشيخ عبد الكريم الحلي : الانسان الكامل ١٠٥ .
- ٨١ - انظر حاشية الصاوي على الجلالين ج٢ - ٢٣٦ - ٨٢ - انظر تفسير ابن كثير ج٤ - ١٠٨ .
- ٨٣ - انظر تفسيره ضياء التأويل الجزء الثاني ١٩٦ .
- ٨٤ - انظر تفسيره الكشاف : الجزء الثاني ٣٦٧ .
- ٨٥ - انظر تفسيره جامع أحكام القرآن المجلد التاسع ٣٤١ .
- ٨٦ - المصدر السابق : زنجشري ٨٧ - زنجشري : المصدر السابق ج٣ - ١٨ .
- ٨٨ - القرطبي : جامع أحكام القرآن المجلد الثاني عشر ٧٨ .
- ٨٩ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٥١٨ - ٩٠ - الدكتور أحمد أمين : ظهر الإسلام ج٢ - ٧٨ .
- ٩١ - الفارابي : شرح رسالة زينون الكبير ٩ - ٩٢ - الكهف ١٨ : ١١٠ .
- ٩٣ - رواء مسلم وأبر داود عن أبي هريرة : كنف الخفاء ج١ - ٢٣٤ .
- ٩٤ - أحمد حسن الزيات : في أصول الأدب ١٠٤ - ٩٥ - الأحزاب ٣٣ : ٥٠ - ٥٢ .
- ٩٦ - انظر النص في هذا البحث ٥١٨ - ٩٧ - انظر النص في هذا البحث ٥١٤ .
- ٩٨ - انظر كاشف الالباس صفحة ٤٧ - ٩٩ - انظر هذا البحث صفحة ١٩٦ .
- ١٠٠ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٩ .
- ١٠١ - انظر جواهر المعاني الجزء الثاني صفحة ١٧٦ .
- ١٠٢ - انظر الجزء الأول من هذا البحث صفحة ١٥٨ .
- ١٠٣ - الامام ابن الجوزي : تلييس ابليس (١٠٧) .
- وشيخ الإسلام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ١٩٣ .

- ١٠٤ - علي حرازم برادة : جواهر المعاني ج ٢ - ١٠٨
- ١٠٥ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٨١ - ١٠٦ - الإمام ابن الجوزي : المصدر السابق ١٠٧ .
والشهرستاني : الملل والنحل ج ١ - ١٩٣ .
- ١٠٧ - السيد علي حرازم البرادة : المصدر السابق ج ٢ - ٣٨ .
- ١٠٨ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٨٣ - ١٠٩ - الإمام ابن الجوزي : المصدر السابق ١٠٨ .
وشيخ الإسلام عبد القاهر : المصدر السابق ٣٩٤ - ١٩٦ .
- ١١٠ - انظر نص الكتاب في هذا الجزء من البحث ص ٤٧٩ .
- ١١١ - أنظر صفحة ٥٣٥ من هذا البحث ١١٢ - انظر هذا البحث ص ٩٨
- ١١٢ - الشيخ إبراهيم أنياس : ديوان سلوة الشجون مجموع الدواوين ٩٩ .
- ١١٤ - الشيخ إبراهيم أنياس : جواهر الرسائل ج ٢ - ٨٧ .
- ١١٥ - الشيخ إبراهيم أنياس : آخر قصيدته التي مدح بها النبي صل الله عليه وسلم .
- ١١٦ - انظر الجزء الأول من هذا البحث ١٥٥
- ١١٧ - شيخ الإسلام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٨٢
- ١١٨ - السيد أحمد توفيق عياد : التصوف الإسلامي ٢٥٦ - ١١٩ - السيد علي حرازم : جواهر المعاني ج ٢ - ٥
- ١٢٠ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩٠
- ١٢١ - الشيخ إبراهيم أنياس : ديوان تيسير الوصول مجموع الدواوين ٩ .
- ١٢٢ - السيد علي حرازم البرادة : جواهر المعاني ج ٢ - ١٠٨ .
- ١٢٣ - السيد علي حرازم البرادة : جواهر المعاني ج ١ - ١٤٥ .
- ١٢٤ - انظر كتاب الفرق بين الفرق ٣ - ١٩٤ - ١٢٥ - الكهف ١٨ : ١١٠
- ١٢٦ - فصلت ٤١ : ٦ - ١٢٧ - الأنعام ٦ : ٩١ - ١٢٨ - إبراهيم ١٤ : ١١ - ١٢٩ - آل عمران ٣ : ١٤٤ - ١٣٠ - مصطفى محمد عماره : نضرة النور ج ١ - ١٩١ .
- ١٣١ - انظر تلييس ابليس والفرق بين الفرق ١٩٣ - ١٣٢ - السيد علي حرازم : جواهر المعاني ج ٢ - ١٠٨
- ١٣٣ - الشهرستاني : الملل والنحل ١٩٣ - ١٣٤ - السيد علي حرازم : جواهر المعاني ج ٢ - ٢٦٤ .
- ١٣٥ - انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٨٦ - ١٣٦ - انظر الباب الأول من هذا البحث ١٦ .
- ١٣٧ - الدكتور محمد نقي الدين الملالي المغربي : كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية ٢٠ .
- ١٣٨ - محمد الطاهر ميغرى : هذا البحث ٨٠ - ١٣٩ - الشيخ إبراهيم أنياس : رحلته إلى كتناكر وغينه ٦

المراجع المعتمد عليها في هذا البحث المراجع العربية

- ١ - إنياس (الشيخ ابراهيم بن عبد الله)
كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس
دار البيضاء بالمغرب بدون تاريخ
- ٢ - منظومة رحلته الموسومة بنيل المفاخر مخطوط
نشر بالطبع التصويري على نفقة الحاج أحمد عائل .
- ٣ - جواهر الرسائل مخطوط .
حرره السيد أحمد بن علي الفلاتي البرناوي ونشره بالطبع التصويري .
- ٤ - المقالة التي ألقاها في زاريا بعنوان مجلس زاريا .
- ٥ - السر الأكبر والنور الأبهري مخطوط .
- ٦ - ديوان شفاء الأسقام مخطوط .
نشر بالطبع التصويري في مجموعة من الدواوين بدون تاريخ .
- ٧ - الرحلة الحجازية الأولى مخطوط .
نشر بالطبع التصويري سنة ١٣٨٥ هـ .
- ٨ - ديوان طيب الأنفاس .
نشر بالطبع التصويري في مجموعة من الدواوين الأخرى بدون تاريخ .
- ٩ - الرحلة الكناكرية .
نشرها الحاج يوسف بن عبدالله اللكجوي بمطبعة أبي ابدان نيجيريا .

- ١٠ - رسالة إلى الشيخ محمد غريم الداغري مخطوط .
- ١١ - إجابته عن فتوى الحاج أبي بكر جومى قاضي قضاة نيجيريا الشمالية سابقاً في تهافت الصوفية مخطوط .
- نشر بالطبع التصويري سنة ١٣٧٨ هـ .
- ١٢ - منشوره الذي كتبه عقب عودته من الحرمين سنة ١٣٧٧ هـ في أمر الدجاجلة الذين يطوفون على تلاميذه لجمع الاحوال منهم مخطوط .
- ١٣ - رسالة نافعة أثبتها الغوث الصمداني مخطوط .
- نشر بالطبع التصويري ١٣٨٦ هـ .
- ١٤ - رسالة التوبة .
- نشرها الحاج محمد الثاني بن محمد الأول الكنوى دار الكتب بيروت لبنان .
- ١٥ - رسالته إلى تيامى
- نشرها الحاج محمد الثاني محمد الأول ، دار الكتب ببيروت لبنان بدون تاريخ .
- ١٦ - خطبته لمناسبة عيد المولد النبوي سنة ١٣٨٢ هـ مخطوط .
- نشر بالطبع التصويري في نفس السنة .
- ١٧ - خطبته لمناسبة عيد المولد النبوي سنة ١٣٨٣ هـ مخطوط .
- نشر بالطبع التصويري في نفس السنة
- ١٩ - خطبته لمناسبة عيد المولد النبوي سنة ١٣٩١ هـ مخطوط .
- نشر بالطبع التصويري في نفس السنة
- ٢٠ - ديوان سلوة الشجون مخطوط .
- نشر بالطبع التصويري في مجموعة من الدواوين .
- ٢١ - رسالته إلى الشيخان مخطوط .
- ٢٢ - الشهادة التي كتبها لتلاميذه الذين زاروه في غانة مخطوط .
- ٢٣ - تقريره الذي قدمه للحكومة سنغال نيابة عن علماء السنغال ومشايخها بدون تاريخ .
- ٢٤ - مجموع قصائد المولد مخطوط .
- نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .

- ٢٥ - رفع الملام عن من رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام .
 طبع بدار البيضاء بدون تاريخ .
- ٢٦ - ذيل كاشف الالباس . طبع بدار البيضاء بدون تاريخ .
- ٢٧ - نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى .
 مطبعة أولو ستي كنو نيجيريا بدون تاريخ .
- ٢٧ - الفيضة الحارية في معاني الاسلام والطريقة التجانية مخطوط
- ٢٨ - رسالة النجاة من الخسران .
 مطبعة أبيي لإبادن نيجيريا بدون تاريخ .
- ٢٩ - آخر قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مخطوط
- ٣٠ - ابن العربي برادة (الشيخ علي حرازم) .
 جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني .
 مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م .
- ٣١ - رسالة الفضل والامتنان
 مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ
- ٣٢ - ابن الحاج العياشي الشيخ أحمد سكيرج .
 جناية المنتسب العاني .
 دار الطباعة الحديثة ميدان أحمد ماهر ١٩ درب المدبح المغرب .
- ٣٣ - كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الاصحاب .
 طبع سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ٣٤ - تنبيه الاخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح .
 مطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م .
- ٣٥ - القصيدة التي مدح بها الشيخ ابراهيم انياس مخطوط .
- ٣٥ - الناصري الشيخ أحمد بن خالد .
 الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى كاسبلنكا ١٩٥٤ م الجزء التاسع .

- ٣٦ - ابن السائح السيد العربي .
 بغية المستفيد . دار الكتب العربية الكبرى بدون تاريخ .
- ٣٧ - الفتوي الشيخ عمر بن سعيد
 رماح حزب الرحيم مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م
- ٣٨ - ابن فودي الشيخ عثمان .
 إحياء السنة وإخماد البدعة .
 نشره الحاج عبد اليسار الطبعة الثانية بدون تاريخ .
- ٣٩ - كتاب أصول الولاية مخطوط .
 نشر بالطبع التصويري بنولا زاريا بدون تاريخ
- ٤٠ - تحذير الاخوان من ادعاء المهديّة مخطوط .
- ٤١ - النووي الامام أبو زكريا يحيى ابن شرف الدين .
 متن الاربعين في الأحاديث الصحيحة النبوية
 بدون تاريخ وبدون ذكر المطبعة .
- ٤٢ - الاسكندري الشيخ أحمد
 الوسيط في الأدب العربي .
 دار المعارف بمصر سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦ م .
- ٤٣ - الحاتمي الشيخ الاكبر ابن عربي .
 فصوص الحكم
 تحقيق أبي العلا عفيفي دار الكتاب العربي بيروت لبنان بدون تاريخ .
- ٤٤ - الفتوحات المكية أربعة أجزاء .
 دار الكتاب العربي .
- ٤٥ - ابن المشري الشيخ محمد .
 الجامع لما افرق من درر العلوم الفائض من أسرار القطب المكنوم مخطوط .
- ٤٦ - السيوطي الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .
 الحاوي للفتاوى الجزء الثاني .
 دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- ٤٧ - الجامع الصغير
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ .
- ٤٨ - الشينجي الشيخ عبد المؤمن .
نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار .
المكتبة السعيدية بدون تاريخ .
- ٤٩ - النظيفي الشيخ محمد فتحا ابن عبد الواحد
الدرة الخريدة شرح ياقوتة الفريدة الجزء الأول والثاني
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٩٢ هـ - ١٩٧١ م .
- ٥٠ - قصيدته المعروفة بياقوتة الفريدة في الطريقة التجانية
حققها وعلق عليها الشيخ محمد الثاني الكافني .
- ٥١ - الطيب الفائح والورد السانح
نشره عبد الحميد أحمد الحنفي بدون تاريخ
- ٥٢ - الكشناوي الشيخ أبو بكر عتيق .
تحصيل الوطر في ترجمة الشيخ محمد سلف بن الحاج عمر مخطوط .
نشر بالطبع التصويري .
- ٥٣ - الفيض الهامع
طبع بمصر .
- ٥٣ - افادة المعتقدين بأدلة صحة ما عليه عمل الذاكرين مطبعة ابني ابادن .
- ٥٤ - الكشناوي الشيخ أبو بكر عتيق ابن الخضر .
رسالة مقيد الخلان في اثبات وجود المرين .
مطبعة ابني ابادن نيجيريا بدون تاريخ .
- ٥٥ - النصيحة المعجلة في التحذير من الدجاجة مخطوط .
نشر بالطبع التصويري سنة ١٣٧٨ هـ .
- ٥٦ - الصارم المشرفي المسلول على المنكر الغبي مخطوط .
نشره المؤلف بالطبع التصويري سنة ١٣٧٩ هـ .

- ٥٧ - الجواب الخالص الصميم مخطوط .
نشر بالطبع التصويري .
- ٥٨ - درما حمزة عثمان .
إسهام الشيخ ناصر كبرا لتقدم الطريقة القادرية في نيجيريا أطروحة قدمها
لنيل الشهادة العالمية بالتخصيص سنة ١٩٧٦ م جامعة أحمد بللو كلية بايرو
الجامعية .
- ٥٩ - البعلبكي الاستاذ منير .
المورد قاموس انكليزي عربي ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧ م .
- ٦٠ - ابن الحسن السيد علي سيس .
تصدير كتاب كاشف الالباس .
- ٦١ - ارشاد الأخوان إلى ما يجمع القلوب على الرحمن مخطوط .
نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .
- ٦٢ - محمد الدكتور عبد القادر .
الفلسفة الصوفية في الاسلام دار الفكر العربي .
- ٦٣ - البغدادي صدر الاسلام عبد القاهر بن طاهر .
الفرق بين الفرق .
حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ونشره مكتبة محمد علي صبيح بمصر .
- ٦٤ - ابن الجوزي الإمام عبد الرحمن تلييس لإلييس .
دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون تاريخ .
- ٦٥ - الآبي الشيخ صالح عبد السميع
جواهر الاكليل شرح مختصر الشيخ خليل في فقه مذهب مالك
دار الكتب العربية الكبرى بدون تاريخ .
- ٦٦ - الجبلي الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم .
الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

- ٦٧ - ابن حامد السيد المختار .
ازحوزة تذكرة من كانوا في السياحة بالطائرة إلى كنبو مخطوط .
- ٦٨ - اللكجوى الحاج يوسف بن عبدالله .
كتاب جواب السائل في كون تكرار زيارة الولي قربة عظيمة .
طبع بمطبعة ابيي ابادن نيجيريا ١٣٧٦ هـ .
- ٦٩ - الططفاوي السيد محمد بن عبدالله .
الفتح الرباني فيما يحتاج اليه المريد التجاني .
مطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون بدون تاريخ .
- ٧٠ - نشيخ الهادي الحاج محمد بلو .
كتاب تنبيه المحتاج في معرفة تشكلات صاحب المعراج مخطوط .
- ٧١ - الاندلسي الشيخ عبد الواحد بن عاشر .
المرشد المعين .
- ٧٢ - الكتوى السيد محمد المصطفى .
قول السداد في الرد على شبهات صاحب قمع الفساد مخطوط .
نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .
- ٧٣ - الكافنغي الشيخ محمد الثاني بن الحسن .
فصل المقال في الوضع والارسال مخطوط نشر بالطبع التصويري .
- ٧٤ - سبيل الرشاد في الرد على مؤلف قمع الفساد ومخطوط .
نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .
- ٧٥ - مرآة الحق مخطوط .
نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .
- ٧٦ - الكبرايوي الشيخ محمد الناصر بن محمد المختار .
قمع الفساد في تفضيل السدل على القبض في هذه البلاد مخطوط .
نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .

- ٧٧ - المورتاني السيد أحمد محمود ابن الشريف محمد الكبير
تنوير البلاد في قطع خزعبلات قمع الفساد مخطوط .
- ٧٨ - الكماشي الحاج علي بن محمد .
فتح الحكم العدل في تأييد سنة السدل .
مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٩٢ .
دليل الساحل في سنة أشراف الأواخر والأوائل مخطوط .
نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .
- ٧٩ - تيازي الاستاذ عبد الكريم مراسل جريدة البلاد بمكة المكرمة مقابلته مع الشيخ
ابراهيم لنياس ولم ينقل عدد الجريدة ولا تاريخها .
- ٨٠ - المجلة المصرية نقلتها في مورتانيا واغفلت ذكر العدد والتاريخ خطأ .
- ٨١ - الاسكندري أحمد ، بك أحمد أمين ، بك علي الجارم .
المنتخب من أدب العرب الجزء الثاني المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥١ م .
- ٨٢ - الكماشي أحمد بابيه (الواعظ) .
رسالة المنصور في الرد على رسالة دسيسه الانكار .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٦ هـ .
- ٨٣ - توضيح الأدلة لمن يروم دليلاً على طريقة الصوفية
مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٦ هـ .
- ٨٤ - جومي الحاج أبو بكر محمود .
العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة دار العربية بيروت ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م
- ٨٥ - العشي عرفات كامل .
رجال ونساء أسلموا دار الكويتية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٨٦ - الكنوي الشيخ أحمد التجاني بن عثمان .
مرواق العشاق في مدح السيد أبي اسحاق مخطوط
- ٨٧ - الثمرات الدواني في مدح الشيخ أحمد التجاني مخطوط .
نشرة الحاج عبد اليسار بالطبع التصويري بدون تاريخ .

- ٨٨ - النفحات الإلهية مخطوط .
- ٨٩ - الفتوحات العلوية في السياحة الكدوية مخطوط .
- ٩٠ - الكنوي الشيخ عثمان القلنسوي .
الروائح العنبرية في بيان الرحلة القلنسوية مخطوط .
- ٩١ - الزكركي الشيخ يهوذا بن سعد .
القصيدة الميمية مخطوط نشرت بالطبع التصويري .
- ٩٢ - الكشناوي السيد الياس بن محمد تكر .
قصيدة كشف الغوم بالاستغاثه بصاحب الفيضة مخطوط .
- ٩٣ - بلاربي السيد ابراهيم هارون .
غورر فيضة مخطوط .
- ٩٤ - كراسة بشرى الاحباب والخلان .
نشره معلم يحيى ظامير دلاصكتو بالطبع التصويري .
- ٩٥ - ابن يونس السيد ابراهيم صالح .
تاريخ الاسلام وحياة العرب في كاتم برنو
طبع في جامعة خرطوم بالسودان سنة ١٩٧٠ م .
- ٩٦ - ابن الشيخ مولود فال الشيخ محمد الهادي
ارشاد السادة إلى مطلع السعادة مخطوط .
- ٩٧ - من أب الشيخان .
١ - قصيدة في استقبال الشيخ ابراهيم انياس .
٢ - قصيدة في بكاء طلل طيب انيسين مسقط رأس الشيخ .
٣ - قصيدة في إظهار السرور باحياء القرية من جديد .
- ٩٨ - البرناوي محمد الطاهر ميغري
هذا البحث مخطوط .
- ٩٩ - شيخ الارض تيسير .
المدخل إلى فلسفة ابن سينا دار الانوار بيروت لبنان ١٩٦٧ م .

- ١٠٠ - القيرواني الامام ابن أبي زيد .
كتاب الرسالة في فقه المذهب المالكي .
نشره أحمد أحمد أبو السعود وعثمان الطيب كانو نيجيريا .
- ١٠١ - أبو زهرة الشيخ محمد .
أصول الفقه مطبعة مخيمر بمصر .
- ١٠٢ - معلوف لويس
المنجد معجم مدرسي للغة العربية المطبعة الكاثوليكية بيروت .
- ١٠٣ - ابن الحاج .
المدخل ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ١٠٩ - الحمامي الشيخ مصطفى أبو يوسف .
استكشاف السر المقصود من كتب الشيخ محمود
مطبعة الواعظ بالقاهرة سنة ١٣٣٦ هـ .
- ١١٠ - التنيني الشيخ عبيدة ابن محمد الصغير .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ .
- ١١١ - الحسني الشيخ أحمد ابن عجيبة .
الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية .
نشرة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر بدون تاريخ .
- ١١٢ - السفيناني السيد محمد الطيب .
الافادة الاحمدية لمريد السعادة الأبدية .
طبع بمصر سنة ١٣٨٩ هـ .
- ١١٢ - العجلوني الشيخ اسماعيل بن محمد .
كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس .
نشره مكتبة التراث الاسلامي بمصر بدون تاريخ .
- ١١٣ - الغزالي الشيخ محمد أبو حامد .
إحياء علوم الدين مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة .

- ١١٤ - الجيلاني الشيخ عبد القادر .
 سر الأسرار فيما يحتاج اليه الأبرار .
- ١١٥ - العراقي زين الدين عبد الرحيم بن الحسيني .
 المغنى عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار .
 مطبعة المشهد ، الحسيني بالقاهرة .
- ١١٦ - الصعيدي عبد المتعال .
 المجددون في الاسلام مكتبة الآداب بالجواميرت القاهرة .
- ١١٧ - الفاخوري حنا .
 تاريخ الفلسفة الاسلامية بيروت لبنان .
- ١١٨ - ابن فودي الشيخ عبد الله .
 ضياء التأويل في معاني التنزيل الجزء الثالث .
 مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م
- ١١٩ - أبو بكر الدكتور علي .
 الثقافة العربية في نيجيريا بيروت لبنان ١٩٧٢ م .
- ١٢٠ - زروق الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد .
 قواعد التصوف مكتبة الكليات الارهرية .

مراجع الجزء الثاني من هذا البحث

- ١ - القشيري عبد الكريم بن هوازن .
 الرسالة في علم التصوف .
 مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة بدون تاريخ .

- ٢ - عبد القادر الدكتور علي حسن .
تصدير كتاب الرياضة وأدب النفس .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧ م .
- ٣ - المكّي أبو طالب محمد بن علي بن عطية .
قوت القلوب في معاملة المحبوب
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ .
- ٤ - الطوسي أبو نصر السراج .
اللمع
تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ١٣٨٠ هـ .
نشرة دار الكتب الحديث بمصر ومكتبة المثنى ببغداد .
- ٥ - السهروردي الإمام شهاب الدين .
عوارف المعارف .
مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة بدون تاريخ .
- ٦ - ناصف الشيخ منصور علي .
التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول .
مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ الجزء الثالث .
- ٧ - الهلالي الدكتور محمد تقي الدين .
الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية طبع سنة ١٣٩٣ هـ .
- ٨ - العسقلاني الحافظ أحمد ابن حجر .
فتح الباري في شرح صحيح البخاري الجزء الحادي عشر بيروت .
- ٩ - القرشي الامام ابن كثير البداية والنهاية .
- ١٠ - غلاب الدكتور محمد .
التصوف المقارن
طبع بالقاهرة .

- ١١ - القناوى الشريف مسعود بن حسن بن أبي بكر .
فتح الرحيم الرحمن .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ١٢ - الحسيني الشيخ أحمد ابن عجيبة .
إيقاظ الهمم في شرح الحكم .
نشره عبد الحميد أحمد حنفي بمصر ، بدون تاريخ .
- ١٣ - الطغرائي أبو اسماعيل الحسين بن محمد .
لامية المعجم موجودة في الجزء الثاني من كتاب جواهر الأدب للسيد أحمد
الهاشمي مكتبة التجارية الكبرى ١٣٨٧ هـ .
- ١٤ - عماره محمد مصطفى .
نصرة النور شرح مختارات الاحاديث النبوية
مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ١٥ - البيجوري الشيخ ابراهيم بن محمد
تحفة المرید
نشرة مكتبة التجارية الكبرى بمصر .
مطبعة الاستقامة بالقاهرة بدون تاريخ
- ١٦ - مختار الشعر الجاهلي .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣١٨ هـ - ١٩٤٨ م .
- ١٧ - البوصيري شرف الدين محمد بن سعيد
ديوان البوصيري
تحقيق محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- ١٨ - الرندي الشيخ محمد بن ابراهيم بن عباد .
شرح الحكم العطائية .
مكتبة أحمد بن سعد بن نيهان بدون تاريخ

- ١٩ - انياس الشيخ ابراهيم .
ديوان تيسيره الوصول مخطوط .
نشر بالطبع التصويري في مجموعة من الدواوين .
- ٢٠ - الصنعائي الامام محمد بن اسماعيل
سبل السلام شرح بلوغ المرام .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٩ هـ .
- ٢١ - ابن المبارك زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف
التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر
- ٢٢ - القرطبي الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد .
الجامع لأحكام القرآن الجزء الثامن دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٨٧ هـ
- ٢٣ - الجزائري الشيخ محمد الحافظ التجاني
تحقيق احزاب وأوراد الشيخ التجاني طبع بمصر ١٣٨٧ هـ
- ٢٤ - الكبير الشيخ محمد الأمير .
الإكليل شرح مختصر خليل مكتبة القاهرة .
- ٢٥ - الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر
الملل والنحل
تحقيق محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي
- ٢٦ - السرقسطي ابن بنا
المباحث الاصلية .
نشره عبد الحميد أحمد حنفي بمصر .
- ٢٧ - وافي الدكتور علي عبد الواحد
الاسفار المقدسة مكتبة نهضة مصر ١٣٨٤ هـ .

- ٢٨ - العطار السيد محمد بن خطير الدين .
كتاب الجواهر الخمس .
نشره الحاج عبد اليسار التجاني الكنوي النيجيري .
- ٢٩ - توماس الدكتور هنري .
أعلام الفلاسفة ترجمة منري أمين والدكتور زكي نجيب
دار النهضة العربية ١٩٦٤ م .
- ٣٠ - الزمخشري جار الله محمود بن عمر
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل .
دار الفكر بيروت .
- ٣١ - أمين الدكتور أحمد
ظهر الإسلام الجزء الثاني مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤ م .
- ٣٢ - فكري السيد علي .
خلا صلاة الكلام في أركان الإسلام .
- ٣٣ - الصاوي الشيخ أحمد
حاشية على تفسير الجلالين الجزء الثاني .
دار احياء الكتب العربية بمصر
- ٣٤ - الزيات أحمد حسن
في أصول الأدب ، مطبعة الرسالة ١٣٦٥ هـ .
- ٣٥ - عيادة أحمد توفيق
التصوف الاسلامي مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠ م .
- ٣٦ - القرشي الإمام الحافظ اسماعيل بن كثير
تفسيره الجزء الرابع ، دار الفكر بيروت لبنان ١٣٨٩ هـ .

- ٣٧ - الفارابي المعلم الثاني أبو نصر محمد بن محمد ابن طرخان
شرح رسالة زينون الكبير اليوناني .
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميلر آباد الدكن ١٣٤٩ هـ .
- ٣٨ - انياس الشيخ ابراهيم
ديوان سلوة الشجون مخطوط
- ٣٩ - ديوان تيسير الوصول مخطوط
- ٤٠ - ضيف الدكتور شوقي
التطور والتحديد في الشعر الاموي دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م
- ٤١ - الدجاني أحمد صديقي
الحركة السنوسية دار لبنان بيروت ١٩٦٧ م .

المراجع الانكليزية

1. ABUN-NASA M. JAMIL
The Tijaniyya A Sufi order in the modern world London 1965.
2. Cartographic Department of the Clarendon Press Oxford Atlas For Nigeria.
Oxford University Press 1968.
3. ANENE JOSEPH C. & GODFREY BROWN.
Africa in the Nineteenth & Twentieth Centuries.
Ibadan University Press & Nelson, 1967 (2nd ed.)
4. JAH DR. OMAR
A Doctorate Thesis on Skekh Omar Alfut Manuscript.
5. PADEN JOHN N.
Religion and Political Culture in Kano.
6. BEHRMAN LUCY C.
Muslim Brotherhood and Politics in Senegal.
Harvard University Press 1970.
7. O.A.U. Summit Conference Accra 1965. Published by the Ghana Ministry of Information, Accra - Ghana 1965.
8. TRIMINGHAM J. SPENCER.
Islam in West Africa, Oxford University Press 1959.
9. ALHAJ DR. MUHAMMAD.
The Mahdist Tradition in Northern Nigeria A Doctorate Thesis, U.N. Published.
10. ALKLI ISA.
An M.A. Thesis on the Tijaniyya in Adamawa, U.N. Published.

محتويات الكتاب

٣	مقدمة
٦	الباب الأول الطريقة التجانية وحياة مؤسسها الشيخ احمد التجاني
٢٧	الورد التجاني أو الطريقة التجانية
٤٣	فضائل أتباع الشيخ التجاني
٤٣	الطريقة التجانية خارج المغرب العربي
٤٥	الطريقة التجانية في الحجاز
٤٧	الطريقة التجانية في تركيا
٤٧	الطريقة التجانية في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى
٥٣	الطريقة التجانية في نيجيريا والشيخ عمر الفوتي
٦٨	الباب الثاني الشيخ ابراهيم انياس من ولادته إلى ظهوره في نيجيريا
٦٨	الطريقة التجانية في السنغال
٧٥	الفرقة الحمالية التجانية
٧٨	الفرقة اليعقوبية الحمالية التجانية
٨٠	الشيخ ابراهيم انياس
١١٤	حجة الشيخ ابراهيم انياس الاولى

١٢٦	الباب الثالث الشيخ ابراهيم في نيجيريا
١٣٣	التربية الصوفية التجانية الانبساطية في نيجيريا
١٤٩	مشكلة القبض
١٦٢	أسباب ظهور أمر الشيخ ابراهيم في نيجيريا
	الباب الرابع الشيخ ابراهيم انياس من شيخ
١٦٥	الطريقة التجانية الى شيخ الاسلام
١٦٧	مقابلة الشيخ ابراهيم مع الصحفي الحجازي
١٧٣	قصيدة التوبة
١٨٠	حركة الطلاب السنغاليين الاصلاحية
٢١٤	الباب الخامس الشيخ ابراهيم انياس بن تلاميذه وخصومه
٢٤٣	السفر الى كولخ لزيارة الشيخ ابراهيم انياس
٢٤٨	الشيخ ابراهيم انياس وشيوخ الطرق في السنغال
٢٥٤	خصوم الشيخ ابراهيم انياس
٢٦٢	الشيخ ابراهيم انياس والسياسة الوطنية في السنغال
٢٦٨	الباب السادس أثر الشيخ ابراهيم انياس وانجازاته ولا سيما في نيجيريا
٢٨٠	انجازات الشيخ ابراهيم
٢٩١	الباب السابع الشيخ ابراهيم انياس كشيخ التربية في الطريقة التجانية
٣٠١	موقف شيخ التربية في نظر شيوخ التجانية القدامى
٣١١	التربية عند الشيخ ابراهيم انياس

الباب الثامن الشيخ ابراهيم انياس كصاحب الفيضة التجانية ٣٢٤

الباب التاسع مؤلفات الشيخ ابراهيم انياس واصول افكاره وكراماته
وتقديره ووفاته

٣٤٦ مؤلفاته
٣٥٤ أصول أفكاره ومصادر تعاليمه
٣٧٠ كراماته
٣٧٥ تقديره
٣٧٩ وفاته وخليفته

٣٨٣ الباب العاشر دراسة كتاب كاشف الإلباس
٤٠٥ التعليقات على كاشف الإلباس

٤٢٥ الباب الحادي عشر دراسة كتاب السر الأكبر
٤٥٣ تحقيق كتاب السر الأكبر
٥٢٤ التعليقات على كتاب السر الأكبر
٥٥٦ الخاتمة